أ.د. حـــاكم المطـيري

عبيد بلا أغلال

عبيد بلا أغلال

مختصر

الحـريـة وأزمـة الهـويـة

في الخليج والجزيرة العربية

عبيد بلا أغلال

مختصر الحرية وأزمة الهوية في الخليج والجزيرة العربية

بقلم أ.د. حاكم المطيري

www.dr-hakem.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للخلق أجمعين، وبعد...

فهذا كتاب (**عبيد بلا أغلال**)، وهو مختصر من كتاب (الحرية وأزمة الهوية في الخليج والجزيرة العربية)، حيث تم اختصاره ونشره على ثلاثين حلقة في موقعي، واقتصرت على ما يهم عامة القراء، وتركت التفاصيل للمتخصصين إلى حين صدور الكتاب الأصل كاملا -بإذن الله-...



عبيد بلا أغلال

مختصر الحرية وأزمة الهوية في الخليج والجزيرة العربية

الافتتاحية:

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده، وبعد...

يواجه شعب الخليج والجزيرة العربية اليوم تحديات كبيرة، وإشكالات خطيرة، تنذر بأن الأزمة قد تتفجر في أي لحظة ما لم يتم تداركها، وهي أزمة عميقة تضرب جذورها في صميم الهوية لشعب الخليج والجزيرة العربية، وحقه في المواطنة والحرية على أرضه وأرض آبائه وأجداده، حيث بات العرب في جزيرتهم وخليجهم يعيشون أزمة (الهنود الحمر)، تحت ظل الاستعمار الأمريكي، وقبله البريطاني لأرضهم، وتصرفه في شئونهم، وفرضه حلفاءه على المنطقة وشعوبها بقوة الحديد والنار، منذ سنة ١٩٠٠م، وما زال المشهد كما هو منذ ذلك التاريخ إلى اليوم، حيث تفاجأ الخليجيون حين استفاقوا بأنهم (**عبيد بلا أغلال**)، فهم مواطنون بلا حرية، وشعب بلا هوية، وهو ما يوجب فتح ملف هذه القضية:

فما هي هوية شعب الخليج والجزيرة العربية؟

ومن الذي يشكّل هذه الهوية اليوم؟

وما مظاهر الأزمة والإشكالية التي يعيشها؟

وما أثر أزمة الهوية على الحرية السياسية وحقوق المواطنة؟

وما طبيعة العلاقة بين شعب الخليج والجزيرة العربية والأنظمة الحاكمة؟

وكيف قامت هذه العلاقة؟ ومتى قامت؟ ومن الذي أقامها؟ ومن الذي يحميها؟

ولم قامت على أساس التبعية والرعوية للحاكم، لا على أساس المواطنة للدولة؟

وعلى أي أساس اكتسبت الحكومات في دول الخليج العربي مشروعيتها؟

وهل هي تمثل الشعوب أم تمثل الأسر الحاكمة؟

وبأي حق شرعي أو دستوري يتمتع الآلاف من أفراد هذه الأسر والعشائر الحاكمة بكل الامتيازات بينما تحرم منها شعوبها؟

وعلى أي أساس يتم ارتهان حاضر شعب الجزيرة والخليج ومستقبله ومصالحه وثرواته وأوطانه للقوى الاستعمارية بقرار فردي، دون أن يكون لشعبها أي حق في تقرير مصيره؟

ومن الذي يسوس شئون المنطقة منذ سنة ١٩٠٠م إلى اليوم؟

وما هو دور الحكومات الخليجية في تنفيذ ما يرسم لها؟

ولم تجمد الحراك السياسي في الخليج والجزيرة العربية حتى كاد يحتضر؟

ولم تعطل النمو الاقتصادي والنشاط المالي حتى كاد يختنق؟

ومن الذي يتحكم في الحراك السياسي والاجتماعي والاقتصادي؟

وكيف استطاعت بعض دول الخليج وضع دساتير صورية، وبرلمانات شكلية، وصناعة معارضة وهمية، لإضفاء الشرعية الدستورية على الحكم الأسري العشائري باسم الديمقراطية؟!

هذه بعض الأسئلة التي تحاول هذه الدراسة الإجابة عنها، بعد أن عالجت في كتابي (الحرية أو الطوفان)، وكتابي (تحرير الإنسان)، إشكالية الخطاب السياسي التاريخية والعقائدية، والأزمة التي تعيشها الأمة اليوم فكريا وثقافيا ودينيا حتى صارت من أكثر الأمم قابلية للاستعمار الخارجي، وخضوعا للاستبداد الداخلي، فرأيت أن الواقع السياسي أيضا يحتاج هو إلى دراسة تحليلية، إذ الخطاب السياسي الديني والثقافي السائد في المنطقة اليوم ما هو إلا استجابة ونتاج لهذا الواقع السياسي، فللأنظمة الحاكمة اليد الطولى في تشكيله وصناعته وتسويقه وترويجه، لترسيخ هذا الواقع باسم الدين، وليتم إضفاء الشرعية عليه، من خلال تحالفها مع حركات دينية باتت جزءا من هذه الأنظمة، تعمل لحسابها، وبدعمها المالي والسياسي، على حساب الشعوب وحقوقها وحريتها واستقلالها التي ما تزال ترزح تحت أبشع صور العبودية والطغيان السياسي الخارجي والداخلي؟

فكان هذا الكتاب الذي يكشف أبعاد أزمة الهوية، وأثرها على الحرية السياسية، وغياب حقوق المواطنة، ويعالج هذه الإشكالية، التي تتجلى في أوضح صورها في العبودية المطلقة التي يعيشها ويخضع لها الملايين من العرب الأقحاح على أرضهم وأرض أجدادهم في الخليج والجزيرة العربية، وفي الأغلال التي وضعت في أعناقهم منذ الحرب العالمية الأولى إلى اليوم، وفي التغيير الديمغرافي السكاني الذي تعرضت وتتعرض له جزيرتهم لتكريس هذا الواقع السياسي، ليكتشفوا بعد ثمانين سنة أنهم ليسوا مواطنين في دولهم، وليسوا شعوبا كباقي شعوب العالم، بل هم رقيق يعيشون في إقطاعيات أقامها الاستعمار الغربي، يعيشون فيها عبيدا على أرضهم، ويتم بيعهم وشراؤهم والتصرف فيهم في أسواق النخاسة العالمية، دون الرجوع إليهم، حتى غدا أفقر شعوب العالم العربي وأضعفها أقدر على التأثير في واقعه السياسي، وأقدر على المدافعة والممانعة للتدخل الأجنبي في شئونه، من ثلاثين مليون عربي خليجي، في جزيرة العرب، ليس لهم في تقرير مصيرهم أدنى رأي!

فكانوا كما قال الأول:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم *** ولا يستأذنون وهم شهود!

فهم عبيد من حيث لا يشعرون، بعد أن اعتادوا على العبودية وأشربوها، وهم الشعوب الوحيدة في العالم كله التي لا تشارك -بل ولا يُرى لها حق- في اختيار حكوماتها ولو اختيارا صوريا، لأنه لا حق أصلا لها -في نظر الأنظمة الحاكمة- في الأرض فضلا عن السلطة والثروة والحرية وكافة حقوق المواطنة؟

وهي الشعوب الوحيدة في العالم التي ما تزال تُحكم بأنظمة أسرية حكما شموليا مطلقا، في بلدان هي أشبه بالإقطاعيات والعبيد منها بالدول والشعوب؟

وهي الشعوب الوحيدة التي تُمنح وتُحرم من حقوق المواطنة بجرة قلم دون أي ضمانات دستورية وقانونية -ولا حتى حق اللجوء للقضاء- تحمي هذه الشعوب من طغيان الأنظمة الحاكمة؟

وهي الشعوب الوحيدة في العالم التي ترتبط بالأنظمة الحاكمة، لا بالأرض والدول التي تعيش فيها؟

وهي الشعوب الوحيدة في العالم كله التي تشكل الأسر الحاكمة ثلث أو نصف الوزراء في حكوماتها، وتستأثر بكل وزارات السيادة دون أن يجرؤ أحد على الاعتراض؟

وهي الشعوب الوحيدة في العالم التي تستأثر الأنظمة الحاكمة لها بما يقارب ثلث دخل النفط كحق طبيعي، دون أن يجرؤ أحد على محاسبتها، حتى بلغت ثرواتها الخاصة أكثر من (٢ترليون) ألفي مليار دولار في الداخل والخارج؟

وهي الدول الوحيدة في العالم التي يحصل فيها أبناء العشائر الحاكمة -ويبلغون الآلاف- على مخصصات مالية منذ الولادة إلى الوفاة كحق مشروع من الثروة دون أي عمل أو جهد؟

هذا مع العلم بأن عامة الخليجيين مدينون للبنوك بالقروض الربوية المملوك أكثرها للأسر الحاكمة نفسها، حيث بلغت نسبة المدينين من الشعب الكويتي وحده ٩٧٪ كما تؤكده الإحصائيات والدراسات!

وهي الشعوب الوحيدة في العالم التي لم تعرف في تاريخها مشكلة الاستعمار ولا مفهوم التحرير والاستقلال؟

وهي الشعوب الوحيدة في العالم التي احتلها الاستعمار البريطاني مدة قرن كامل وحكمها بخمسة موظفين، وخرج منها دون أن يواجه حرب تحرير شعبية أو ثورة استقلالية، ولا تختزن ذاكرتها الجماعية أي بطولات أو أبطال للتحرير والاستقلال؟

وهي الشعوب الوحيدة في العالم التي تخضع اليوم للاستعمار العسكري الأمريكي المباشر، والذي يتخذ منها قاعدة لاحتلال الدول الأخرى والسيطرة عليها، دون أن تشعر هذه الشعوب بمشكلة أو تعيش إشكالية؟

كل هذه الأسئلة المطروحة لا يمكن معرفة أجوبتها، ولا اكتشاف أسبابها وعللها، إلا بقراءة واعية لتاريخ المنطقة وتاريخ شعوبها، لمعرفة كيف قامت دولها، وما دور الحملة الصليبية الغربية الثامنة منذ الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م في تشكيلها، ورسم حدودها، وفرض هذا الواقع عليها، وكيف نجحت حكوماتها بتوجيه من القوى الاستعمارية في خلق ثقافة دينية إسلامية تدافع عنها وتتعايش معها، وتقبل هذا الواقع بكل ما فيه من إشكاليات وتناقضات لتقف حاجزا منيعا أمام كل قوى التغيير الوطني والقومي والإسلامي لصالح الاستعمار الأجنبي والاستبداد الداخلي، ولتظل شعوب المنطقة منذ

الحرب العالمية الأولى إلى اليوم تعيش حالة (فقدان الذاكرة)، وتتداولها أيدي الدول الغربية الصليبية الاستعمارية وحملاتها العسكرية البريطانية ثم الأمريكية بمباركة من الثقافة الدينية؟!

هذا وقد قمت بتقسيم الدراسة إلى:

١- الباب الأول: إطلالة تاريخية ومقدمات ضرورية عن إشكالية الهوية ومفهوم الحرية.

الفصل الأول: تاريخ الخليج والجزيرة منذ ظهور الإسلام إلى العهد العثماني.

الفصل الثاني: قيام الدويلات المذهبية في الخليج والجزيرة العربية.

الفصل الثالث: الحملات الصليبية على الخليج والجزيرة العربية.

الفصل الرابع: الأوضاع السياسية والإدارية للخليج والجزيرة العربية في الدولة العثمانية.

الفصل الخامس: المكونات الاجتماعية الرئيسية ونفوذها ومناطق وجودها.

٢- الباب الثاني: تاريخ دويلات الطوائف في الخليج والجزيرة العربية:

الفصل الأول: ظهور دويلات الطوائف في الخليج والجزيرة العربية.

الفصل الثاني: الحرب العالمية الأولى مقدماتها وتداعياتها.

الفصل الثالث: مشروع الثورة العربية والمملكة العربية المتحدة.

الفصل الرابع: مؤتمر القاهرة سنة ١٩٢١م وتأسيس دويلات الطوائف العربية.

الفصل الخامس: تجليات أزمة الهوية.

وقد التزمت في هذا الدراسة ألّا أورد فيها من الأحداث إلا ما ثبت وقوعه ثبوتا قطعيا بالأدلة التاريخية الموثقة كتابيا، وأن أتجنب التحليل والاستنتاج، قدر الإمكان، وأن أقتصر على الربط بين الحوادث كما هي، وذلك بالرجوع إلى عشرات المصادر التي ذكرتها، خاصة الوثائق البريطانية والعثمانية ووثائق حكومة الهند البريطانية، وحيث تواتر ذكر الحادثة في أكثر من وثيقة مختلفة المصدر والجهة، فلا أطمئن لذكر حادثة ما لم تؤكدها جهات عدة مختلفة، كالوثائق العثمانية والبريطانية إذا ذكرتا أو أشارتا إلى حادثة معينة.

ولا يتصور واهمٌ أن حجية الوثائق البريطانية مطعون فيها، إذ تلك الوثائق إنما كان يكتبها المسئولون البريطانيون لحكومتهم، ويرصدون فيها أحداث المنطقة التي احتلوها وأصبحوا يديرونها مدة قرن تقريبا، وكانوا يرونها جزءا من مستعمراتهم التابعة لهم، فهم أدرى بمجريات حوادثها، ولا يوجد ما يحملهم على تزييف الحقائق، إذ سبب نجاحهم في السيطرة عليها هو عنايتهم بتدوين كل حدث يجري بموضوعية وعلمية ليساعدهم ذلك على اتخاذ القرار الصحيح لبسط نفوذهم على المنطقة، فهم حين كتبوا تاريخ المنطقة لم يكتبوه كمؤرخين، وإنما كتبوه لرؤسائهم كمسئولين يديرون شئون مناطق خاضعة لهم، وأكثرها ظلت وثائق سرية لديهم حتى مضى زمنها الذي يخشى من الإعلان عنها فيه!

وإنما المقصود عندي هو عرض تاريخ المنطقة كما هو، لا كما زيفته الثقافة الرسمية التي اصطنعها الاستعمار الغربي للمنطقة، في حملته الصليبية الثامنة على العالم الإسلامي منذ الحرب العالمية الأولى، وقد ترتب على هذا التزييف تداعيات سياسية خطيرة ما زالت شعوب المنطقة تدفع ثمنها إلى اليوم، ولعل من أشدها خطرا أزمة الهوية التي يعيشها (الهنود السمر) اليوم في جزيرة العرب، ليصبحوا اليوم غرباء على أرضهم وأرض أجدادهم وموطنهم منذ عدنان وقحطان، لا لشيء إلا لأنهم فقدوا الذاكرة الجماعية، بعد عقود من الطغيان والتضليل الثقافي والإعلامي الذي مارسه كبار دهاقنة السياسة والثقافة المأجورين باسم الوطنية تارة، والديمقراطية تارة أخرى، والدين تارة ثالثة!

هذا وأسأل الله أن يعجل بفرجه لهذه الأمة المنكوبة، والشعوب المنهوبة، وحقوقها المسلوبة، كما أسأله سبحانه التوفيق والسداد في القول والعمل، وأن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، وهو سبحانه ولي التوفيق.

ملحوظة: هذه المقالات مختصرة من كتابي (عبيد بلا أغلال) بما يناسب عامة القراء، أما تفصيل الأحداث فإلى حين صدور الكتاب مطبوعا كاملا، وإلى صدور أيضا كتابي الموسوعي الوثائقي (دويلات الحملة الصليبية في الخليج والجزيرة العربية)!

الباب الأول

إطلالة تاريخية على إشكالية الهوية

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: استلاب الهوية وتزييف الوعي الخليجي.

الفصل الثاني: قيام الدويلات المذهبية في الخليج والجزيرة العربية.

الفصل الثالث: الحملات الصليبية على الخليج والجزيرة العربية.

الفصل الرابع: الأوضاع السياسية والإدارية للخليج والجزيرة العربية في الدولة العثمانية.

الفصل الخامس: المكونات الاجتماعية الرئيسية في الكويت ونفوذها ومناطق وجودها.

الفصل الأول

استلاب الهوية وتزييف الوعي الخليجي

أبرز مظاهر أزمة الهوية:

لعل أبرز مظاهر أزمة الهوية التي يعيشها الخليجيون تتمثل في:

١- طمس الهوية:

وهو مظهر خطير من مظاهر أزمة الهوية التي يعيشها الخليجيون، فالتاريخ والثقافة والعلم والمعرفة كلها عوامل رئيسة في صياغة هوية المجتمع، وهذه العوامل تتعرض منذ عقود للتزييف والاختزال والنحت والعبث من خلال مؤسسات الدولة القطرية التعليمية والإعلامية والثقافية، حيث تقوم تلك المؤسسات بممارسة دور خطير في تضليل النشء وتزييف الوعي الجمعي، لخلق هوية وطنية جديدة يكون الولاء فيها للأنظمة الحاكمة، لا للدولة بمفهومها الشامل الذي يعني الأرض والشعب والسلطة، ولتكريس الطبقية والفئوية باسم الوطنية المزعومة، لإضفاء الشرعية على كل ممارساتها غير المشروعة!

فتاريخ دول الخليج العربي اليوم لا يمت لتاريخ شعب الخليج وجزيرة العرب بصلة، فهو يحكي فقط تاريخ الأسر الحاكمة -ودون مصداقية أيضا- أكثر مما يحكي تاريخ شعوبها، حتى أصبحت شعوب الخليج تعيش حالة أشبه بفقدان الذاكرة، فتاريخها يبدأ من تاريخ الأسر الحاكمة وتدور أحداثه كلها حولها، فهي التاريخ والشعب والوطن والدولة، وهي قطب الرحى ولا شيء غيرها!

وكل ذلك من أجل ترسيخ هوية ترضى بالخضوع المطلق لسلطة هذه الأسر، والاعتراف بمشروعية استفرادها بالسلطة والثروة، بناء على حقها التاريخي المزعوم في الأرض كما تروجه الثقافة الوطنية الجديدة!

وقد عبر عن هذه الأزمة الثقافية السياسي الكويتي المخضرم الدكتور أحمد الخطيب بقوله: (فتاريخ الكويت تعرض للتزوير والتدجيل وألغي دور الشعب الكويتي كليا، وأصبحت الكويت كلها وتاريخها تاريخ عائلة الصباح).[١]

وما ذكره الأستاذ الخطيب هو نصف الحقيقة أيضا وليس كل الحقيقة التي غاب نصفها في كتاب الخطيب نفسه، إذ تحدث في كتابه عن تاريخ الكويت المدينة فقط، لا تاريخ الكويت الدولة التي اتسعت لتشمل مناطق واسعة من الصحراء وقبائلها التي كان لها أكبر الأثر السياسي في أحداث المنطقة

(١) الكويت من الإمارة إلى الدولة للخطيب ص ١٦.

وفي تشكل كيان دويلاتها المعاصرة، كما سيأتي معنا في الوثائق التاريخية، ومن يقرأ مثلا تاريخ الكويت الذي يدرس في المدارس والمعاهد بل وفي الجامعة يجد أنه يقتصر فقط على تاريخ مدينة الكويت التي يحيطها السور، التي لم تكن مساحتها تتجاوز ميلا في ميل إلى ما قبل الاستقلال بمدة قصيرة، بينما يتم -عن قصد- طمس تاريخ سكانها الذين كانوا فيها منذ مئات السنين وما زالوا يعيشون على أرضها حسب حدودها الدولية التي تبلغ نحو ١٨٠٠٠ كم٢، أي ثمانية عشر ألف ضعف مساحة الكويت المدينة!

فالقبائل التي تجوب صحراءها، وتاريخها، ومنازلها، وآبارها، وحروبها، كل ذلك ليس من تاريخ الكويت الرسمي، فعندما نتحدث عن شخصية تاريخية مشهورة كراكان بن حثلين مثلا وعن تاريخه -وهو الذي خاض أشهر معاركه على أرض الكويت وفي صحرائها كملح والمطلاع والوفرة والصبيحية- نجد أن كل ذلك ليس جزءا من تاريخ الكويت الدولة!

بينما يحدثنا التاريخ عن أحداث سياسية كبرى جرت في صحراء الكويت ومنها:

(وقد نزل العجمان بقيادة راكان بن حثلين على الوفرة، ثم على الصبيحية قرب الكويت سنة ١٢٦١هـ-١٨٤٥م، ودارت بينهم وبين عبد الله بن فيصل بن تركي بن سعود، ومعه مطير، عدة حروب).[٢]

وقد أغار عبد الله بن فيصل سنة ١٢٧٦هـ -١٨٥٩م، على العجمان وكانوا قد (نزلوا الصبيحية، الماء المعروف بقرب الكويت، فوجد عبد الله بن فيصل العجمان متفرقين على الصبيحية، والجهراء، والوفرة، فأغار على من كان نازلا على الوفرة ليلا فاكتسحهم، ثم أغار على من كان نازلا على الصبيحية وأخذ أموالهم، وكان راكان بن فلاح رئيس العجمان نازلا على ملح، ولم يعلم بما كان على قومه إلا بعد الغارة عليهم، والتحم الفريقان وانهزم راكان ببقية العجمان)[٣].

وكان شيخ الكويت آنذاك صباح الثاني بن جابر الأول، فلجأ العجمان إلى مدينة الكويت[٤]، ولما رجع عبد الله بن فيصل خرج رؤساء العجمان من مدينة الكويت وتوجهوا إلى كاظمة -قرب الجهراء- حيث كانت تنزل قبيلة الظفير وقبيلة المنتفق ونزلوا معهم، وتحالفوا على التعاون ضد كل من يقصدهم بسوء،

(٢) عقد الدر ٢٧.

(٣) تحفة المشتاق ٣٣٨، وتحفة المستفيد ١٥٨.

(٤) تاريخ الكويت للرشيد ١٢٧.

وأخذوا يغيرون على نجد والبصرة وحدثت بينهم وبين والي البصرة حرب شديدة كانت الهزيمة فيها على العجمان والمنتفق. [٥]

وقد نزل العجمان والمنتفق بعدها على الجهراء بعد أن تحالفوا، وتوجه إليهم عبد الله بن فيصل بجيوشه والتقوا في المطلاع وحصل بين الفريقين قتال شديد وغرق منهم في البحر خلق كثير، وأقام عبد الله بن فيصل في الجهراء مدة ثم ارتحل[٦]، وقد قيل بأنه أطلق على المطلاع -اسم مكان مشهور قرب الجهراء- هذا الاسم لطلوع ابن حثلين منه حين حوصر، وقال أبياته المشهورة:

ياالله يا وين المطير *** جمعين والثالث بحر

وفي السنة التي بعدها نزل العجمان على ماء كبد، وعلى الجهراء، ومعهم المرة، ونزلت مطير، وبني هاجر، وبني خالد، وقحطان، وسبيع، على ماء الوفرة، وقدم عبد الله بن فيصل، وأغار على العجمان، وذلك في سنة ١٢٧٧هـ- ١٨٦٠م، وأقام عبد الله على الجهراء يقسم الغنائم.[٧]

وفي هذه المعركة يقول العلامة أحمد بن مشرف الأحسائي يمدح عبد الله بن فيصل:

فوافــق في (الجهرا) جمـوعا توافرت *** من البدو أمثال البحار الزواخـر

(سبيعا) وجيشا من (مطير) عرمرم *** ومن آل قحطان جموع الهواجــر

ولا تنس جمـع (الخـالـدي) ففيهـم *** قبـائل شتى من عـقيـل وعامــر

فصـبح قـوما (بالصبيحية) اعتـدوا *** بسمر القـنا والمرهـفـات البــواتر

بكاظمة حيث التقى جيش خــالد *** بـهـرمـز نقـلا جـاءنا بالـتـواتر

فلما أتى الجـهــراء ضــاقت بجيشه *** وجالت به الفرسان بين العساكر

---

(٥) تاريخ الكويت السياسي ١/١٢٤.

(٦) تحفة المشتاق ٣٣٩، وتاريخ الكويت لخزعل ١/١٢٤.

(٧) تاريخ الفاخري ٢٢٢، وعقد الدرر ٣٣-٣٥.

وقد كان مع العجمان بعض من قبيلة المرة في إحدى معاركهم مع عبد الله بن فيصل على ماء الصبيحية، وفيها يقول العلامة أحمد بن مشرف الأحسائي:

فصبح قوما في الصبيحية اعتدوا *** وقادهم والبغي من شأنه غـدر

قبائل عـجـمان ومنهم شـوامـــر *** ومن لحسين ينتمون وما بروا

وطـــائـفـة (مريـة) غير عـذبـة *** خـــلائقـها بل كل أفـعالها مر

كما لجأ عبد الله بن فيصل بعد خروج أخيه سعود عليه في الرياض إلى قبيلة قحطان (الهواجر)، وكانوا على آبار الصبيحية بقرب الكويت، وذلك سنة١٢٩٠هـ-١٨٧٣م![٨]

فهذه بعض الحوادث التاريخية -وسيأتي تفصيلها لاحقا- التي وقعت في صحراء الكويت وسكانها الموجودين فيها قبل وجود مدينة الكويت نفسها!

بل وتم تصوير الحروب التي حدثت بين المدينة والقبائل المجاورة لها الموجودة على أرض الكويت ضمن حدودها الدولية -فيما بعد- على أنها حروب بين الكويت الدولة وأعدائها الخارجيين، لا على أنها حروب أهلية داخلية بين سكان المدينة وسكان الصحراء الذين يعيشون جميعا ضمن حدود الكويت الدولة، عندما كانت المنطقة كلها تتبع دولة واحدة وشعبا واحدا ووطنا واحدا هي الخلافة العثمانية!

ووصل الأمر بالتضليل الإعلامي وتزييف الوعي وتحريف التاريخ بأن يقوم بعض كبار أساتذة علم الاجتماع بإضفاء الشرعية الأكاديمية على هذا التضليل والتزييف، بادعاء أن القبائل التي تمثل اليوم أكثر من نصف المجتمع هي عنصر دخيل على سكان الكويت، وأنها تشكل خطرا على قيمه وثقافته المدنية الحضرية بقيمها الصحراوية القبلية، دون تفريق بين الكويت المدينة بسورها، والكويت الدولة بحدودها، التي أصبحت تضم ضمن حدودها أراضي القبائل العربية الموجودة في صحرائها قبل قيام المدينة نفسها، وقبل هجرة آل صباح، كما سيأتي بالوثائق، وقد أدى هذا الاختزال والتزييف والطمس المقصود إلى نتائج خطيرة تمثلت في مصادرة حقوق هذه الفئات وانتقاص حريتها وعدها عنصرا دخيلا طارئا لا يحق له ما يحق لغيره من المشاركة في السلطة والثروة والوظائف العامة بدعوى أنهم

---

(٨) عقد الدرر ٧٥.

مواطنون من درجة ثانية وثالثة، مع أنهم هم السكان الأصليون للأرض، لتنشأ أزمة شبيهة بأزمة الهنود الحمر، الذي جاءهم الأوربيون المهاجرون، ليصبحوا السكان الأصليين، والهنود غرباء على أرضهم وأرض أجدادهم!

هذا في الوقت الذي تؤكد كل الوثائق -وسيأتي كشفها بالتفصيل- أن من أقدم القبائل التي استقرت في كاظمة قبيلة مطير فقد جاء إلى كاظمة -كما يؤكد ذلك والي بغداد مدحت باشا في مذكراته- (قبل خمسمائة سنة جماعة من قبيلة مطير) وقد كان مدحت والي بغداد سنة ١٨٧٠م. [٩]

ويتألف سكان مدينة الكويت الأصليون من القبائل العربية، كبني خالد، والدواسر، والعجمان، وعنزة، وبعض البحارنة، أما المنطقة الداخلية -أي: الصحراوية- للكويت فكان يسكنها البدو كالرشايدة، والعوازم.[١٠]

إنه لا يذكر اليوم في تاريخ الكويت للطلبة في المدارس والجامعات إلا غزو قبيلة مطير للجهراء -وكأن القبيلة تحارب دولة وشعبا ووطنا لا مدينة ومشيخة معها على الأرض نفسها، وكلهم يتبع الخلافة والدولة العثمانية- بينما لا يذكر التاريخ المعاصر أن القبيلة نفسها هي التي استنجد بها محمد الصباح سنة ١٨٩٢م لحمايته من ابن رشيد، حيث ارتحلت بعض عشائرها بقيادة ماجد بن الحميدي الدويش، ونزلت قرب مدينة الكويت، وحالت -كما سيأتي معنا- دون احتلال ابن رشيد لها؟!

وما يحدث من طمس وتزييف لتاريخ الكويت يحدث مثله في تاريخ شعوب دول الخليج الأخرى، حتى باتت الهوية الوطنية هوية ممسوخة لا تحفظ في ذاكرتها سوى تاريخ الأسر الحاكمة، ولمدة تاريخية لا تتجاوز سنة ١٩٠٠م، أي منذ بداية المشروع الاستعماري البريطاني للمنطقة، والذي كان وراء إسقاط الخلافة العثمانية وتقسيم أقاليمها، وإقامة دويلات الطوائف الحديثة عليها، وتحديد حدودها في سنة ١٩٢٢م، وإقامة حكوماتها، وحمايتها، وترسيخها.

---

(٩) مذكرات والي بغداد مدحت باشا ص ٢٣٨، وتاريخ الكويت للرشيد ص٣١.

(١٠) بريطانيا والخليج العربي لجون كيلي ٥٧/١.

لقد تم اختزال تاريخ شعب الجزيرة والخليج العربي الذي هو من أقدم شعوب العالم، وأكثرها تجانسا، وأعمقها أثرا في التاريخ الإنساني، خاصة منذ ظهور الإسلام في الجزيرة العربية، الذي ظل جزءا لا يتجزأ من تاريخ الدولة والخلافة الإسلامية التي حكمت المنطقة كجزء من العالم الإسلامي، بل أهم أجزائه على الإطلاق حيث الحرمين الشريفين، إلى أن سقطت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، إن هذا التاريخ الطويل لشعب المنطقة بأحداثه وأبطاله وقبائله ومدنه طول ١٣٠٠عام من تاريخ العرب المسلمين، كل ذلك تم اختزاله في تاريخ الدويلات الست التي لم يكن لها وجود كدول قبل الحرب العالمية الأولى!

٢- تشظي الهوية وتشرذمها:

كما تكمن أهمية الهوية وخطورتها في أنها تمثل أقوى عوامل الوحدة، فهي الرابط المشترك الموحد الذي يصهر في بوتقته كل من يعيشون في إطارها، ولعل من أبرز مظاهر أزمة الهوية التي يعيشها الخليجيون -كحال كل الشعوب العربية- هو عجز الهوية الوطنية عن إثبات مبررات وجودها، فالكويتي حين يسافر من وطنه ويقف على الحدود ساعات طويلة فيدخل السعودية أو قطر أو البحرين أو الإمارات أو عمان يكتشف أنه ما زال في وطنه وبين أهله لم يغادرهم، ولا يجد أي فرق بين هذه الدول، كما لا يشعر أنه أجنبي فيها، بل إن كل أسرة في الكويت وكل قبيلة فيها تمتد في كل دول الخليج بلا استثناء، إذ هي منطقة جغرافية واحدة، وشعب واحد، ولغة واحدة، ودين واحد، وتاريخ واحد، وعادات واحدة، ولا يوجد أي مبرر منطقي لتقسيمها إلى ستة شعوب، وست دول، وست حكومات، اللَّهُمَّ إلا إرادة القوى الاستعمارية التي اقتضت مصالحها تقسيم المنطقة على هذا النحو العبثي الفوضوي الذي يناقض كل حقائق الجغرافيا، والتاريخ، والديمغرافيا، لا لسبب إلا لتحقيق السيطرة الاستعمارية عليها!

لقد فشلت كل الحكومات الخليجية فشلا ذريعا في أن تعبر عن هوية شعوبها تعبيرا حقيقيا صادقا، كما فشلت الهوية الوطنية القطرية في أن تكون بديلا عن الهوية القومية العربية والإسلامية حين تتقاطع معها، لكون الهوية الوطنية لا تمثل إلا فئة اجتماعية محدودة جدا من مكونات شعوب الخليج العربي وهي الأسر الحاكمة وحاشيتها ولا تعبر عن هوية جميع مكونات المجتمع.

لقد أصبحت الهوية الوطنية أشبه بالمولود الخداج الذي يولد مشوها غير قادر على الحياة مهما حاولت الحكومات الخليجية بكل وسائل الإعلام والتعليم نفخ روح الحياة فيه، لأنها هوية تعيش إشكالية الاستلاب وإشكالية الانتقاص وإمكانية مصادرتها بجرة قلم ليصبح الكويتي ليس كويتيا، والقطري ليس قطريا، والسعودي ليس سعوديا، إنها هوية مسخ تمنح وتسلب، وتنتقص وتستكمل، وتطرأ عليها عوامل النحت والتعرية والتزييف، بخلاف الهوية القومية، فما يميز الهوية العربية أنها تولد مع الإنسان العربي وتعيش معه دون أن يستطيع أي نظام سياسي أن يتحكم فيها أو يمنحها أو يسلبها، بل إن العربي لا يستطيع أن ينفك عن هويته القومية ولا خيار له فيها، فالعربي يظل عربيا في أي مكان وزمان، سواء في الوطن أو في المهجر، وسواء في ظل هذا النظام أو ذاك النظام، وسواء ظلت الخريطة البريطانية التي قسمت العالم العربي، أو تم تغييرها وتوحيدها في المستقبل، بخلاف الهوية القطرية التي قد تزول في أي لحظة، وقد لا نجد في المستقبل بلدا اسمه السعودية أو الكويت أو الإمارات أو البحرين، ولا هوية سعودية ولا كويتية ولا إماراتية، إلا إنه لن تزول جزيرة العرب، أو العرب كأمة، وسيظل العرب الذين يعيشون في الخليج والجزيرة عربا أقحاحا كما كانوا منذ أقدم عصور التاريخ، ومنذ عهد آبائهم عدنان وقحطان وإسماعيل وإبراهيم، وستظل هويتهم العربية والإسلامية هي الهوية التي تجمعهم وتعبر عن كيانهم كشعب وأمة واحدة، بخلاف الهويات الوطنية التي جعلت منهم رعايا وتابعين في دويلات الطوائف التي هي أشبه بالإقطاعيات منها بالدول، وليصبح العرب الخليجيون فيها أشبه بالعبيد منهم بالأحرار، مما يجعل الحديث عن تعزيز الحرية والديمقراطية في المنطقة حديث خرافة وترف ثقافي في ظل أزمة الهوية وإشكالية المواطنة التي تعيشها شعوب الخليج العربي في ظل دويلات الطوائف الحالية.

- الخليجيون بين احتلالين:

يتردد سؤال خطير في جنبات الساحة الثقافية والسياسية الخليجية ما سبب هذه السلبية التي تعيشها شعوب المنطقة؟ وما هذه الروح الممسوخة التي تعيق شعوبها عن الحراك كما يجري في كل بلدان العالم العربي؟

وهو سؤال مشروع يحتاج إلى فهم عميق لتاريخ المنطقة والتشوهات الفكرية والدينية والثقافية التي تعرض لها الإنسان العربي الخليجي!

لقد كان للاستعمار البريطاني منذ ما قبل الحرب العالمية الأولى اليد الطولى في رسم خريطة المنطقة على هذا النحو الحالي، وتقسيم الخليج العربي إلى دويلات تخدم مصالحه الاستعمارية، وبعد الحرب العالمية الثانية، وبعد ضعف النفوذ البريطاني وازدياد النفوذ الأمريكي حلت أمريكا محل بريطانيا في المنطقة، بعد أن سلمت بريطانيا العهدة للولايات المتحدة التي أصبحت تعد الخليج والجزيرة العربية منطقة استراتيجية حيوية بالنسبة لها، وقد تزامن دخولها مع ازدياد موجة التحرر والاستقلال في العالم كله بعد الحرب العالمية الثانية، غير أنها استطاعت بالعمل الدبلوماسي، والضغط السياسي، والنفوذ الاقتصادي، السيطرة على المنطقة من جديد بشكل غير مباشر، وقد كانت اتفاقية (كامب ديفيد) مع مصر أول خطوة على طريق عودة الاستعمار المباشر للمنطقة، ثم كانت حرب الخليج الأولى، ثم الثانية، سببا رئيسا في لجوء دول المنطقة إلى عقد معاهدات الحماية مع أمريكا التي ظلت تتحين الفرصة للسيطرة على العراق، فلم تجد إلا اللجوء إلى الحرب والاحتلال العسكري المباشر، تماما كما فعلت بريطانيا التي بدأت سيطرتها على المنطقة بمصر سنة ١٨٨٢م، ثم بالخليج العربي عن طريق معاهدات الحماية، وانتهت بالسيطرة على العراق بالقوة العسكرية بعد ثلاثين سنة، من ١٨٨٢م إلى ١٩١٦م، وهي تقريبا نفس المدة التي احتاجتها أمريكا لإكمال سيطرتها على المنطقة منذ كامب ديفيد مع مصر سنة ١٩٧٨م، إلى احتلال العراق سنة ٢٠٠٣م؟!



دخول قوات الاحتلال البريطاني بغداد سنة ١٩١٧م

دخول قوات الاحتلال الأمريكي بغداد سنة ٢٠٠٣م

لقد باتت الجزيرة العربية اليوم تحت سيطرة الاستعمار الأمريكي الجديد بشكل جلي مباشر سياسيا وعسكريا من خلال القواعد العسكرية التي تحيط بالجزيرة والخليج العربي وتوجد في جميع دوله، وهو ما يعني فقدان السيادة والاستقلال لعدم تكافؤ القوى بين الطرفين الحامي والمحمي، وهو ما دعا الرئيس الأمريكي السابق نيكسون إلى تأكيد أهمية السيطرة على المنطقة عسكريا بقوله: (سيتحتم على أمريكا أن تتولى مسئولية ضمان أمن الخليج بقوتها العسكرية، وأن نواصل تكديس المواد مسبقا، ويفرض الواجب علينا تعزيز تسهيلات الإنزال البحري والجوي للقوات الأمريكية في منطقة الخليج العربي)[١١].

وتعود الأسباب التي أدت إلى قابلية شعوب الخليج والجزيرة للاستعمار الأجنبي الأول البريطاني والثاني الأمريكي إلى:

١- حكم الفرد الذي رسخته بريطانيا في المنطقة، وغياب الحرية، والاستبداد السياسي الذي صادر حق الأمة في المشاركة في اتخاذ القرارات المصيرية، وتهميش حق الشعوب في الرقابة على السلطة وممارساتها السياسية واتفاقياتها الدولية، وتخلي الأمة عن القيام بما أوجب الله عليها في مجال اختيار السلطة، ومشاركتها المسئولية والرأي، ومراقبتها، ومحاسبتها في كل ما تأتي وتذر وهو أول وهن دخل على الأمة سهل للاستعمار التنفذ تدريجيا في شئون المنطقة.

---

(١١) ما وراء السلام ص ١٥٥.

٢- قابلية شعوب المنطقة للخضوع للاستبداد الداخلي جعلها أكثر قابلية للخضوع للاستعمار الخارجي وأكثر تأقلما معه، ولهذا لم تعرف المنطقة حركة تحرر وطني من الاستعمار البريطاني الذي سيطر على المنطقة كلها مدة قرن كامل، ولم تجد الشعوب والحكومات خلالها مشكلة في وجوده والتعامل معه وخدمته، كما تؤكد ذلك وثائق الخارجية البريطانية، على خلاف الوضع في أكثر دول العالم آنذاك التي رفضت شعوبها الاستعمار وتصدت له حتى تحررت وحصلت على استقلالها!

لقد تأقلمت شعوب المنطقة سريعا مع الاستعمار البريطاني آنذاك نفسيا وثقافيا، واستطاع المندوب البريطاني أن يدير وحده شئون الخليج والجزيرة والعراق دون كبير عناء؟!

ولعل أخطر ما في الأمر نجاح الاستعمار في توظيف بعض علماء الدين المسلمين في خدمته وخدمة مخططاته الاستعمارية، وإضفاء الشرعية عليها، والتعامل معه كمعاهد لا كمستعمر؟

لقد كانت الروح القومية في ستينات القرن الماضي هي التي كان لها أكبر الأثر في استثارة الشعوب في الجزيرة العربية ضد الوجود الاستعماري في المنطقة في الوقت الذي استطاع الاستعمار والحكومات الحليفة له تدجين الدين وعلمائه وتحطيم الروح الإسلامية التي ترفض رفضا قاطعا الخضوع للأجنبي وترى الدخول تحت حكمه وسيطرته كفرا يخرج من الإسلام ويصطدم بأصوله القطعية؟

لقد تحدث ديكسون المسئول البريطاني في الخليج عن أثر المد القومي على شعوب المنطقة فقال: (والمؤسف في ذلك كله أنه في الوقت الذي يتزايد فيه شعور الشبان المتطرفين القوميين ضد الأجانب وضد البريطانيين بصورة خاصة، فإن عرب الصحراء القدامى وكبار تجار المدينة النافذين الذين ما زالوا يحبون ويحترمون الإنجليز بدأوا يتحولون ببطء ضد الغربيين لأسباب تختلف تماما، فهؤلاء وهم مؤمنون متدينون يرون في التأثير الغربي بماديته خطرا يهدد عاداتهم وأخلاقهم وتقاليدهم وديانتهم.... وهكذا نجد أن العربي المرح! الذي ينتمي للمدرسة القديمة أصبح ضد الأجنبي على الرغم من أن الأسباب الموجبة لهذا الشعور ليست مماثلة للأسباب الدافعة لأبناء الجيل الجديد؟!) [١٢].

---

(١٢) الكويت وجاراتها (٢/٢٧٣).

ويظهر جليا من كلام ديكسون قابلية المجتمعات الخليجية المحافظة للاستعمار والخضوع للأجنبي التي تكنّ له مشاعر الحب والاحترام! وأن تحول هذه المشاعر لم يكن بسبب رفضها للاستعمار أو تطلعها للحرية والاستقلال، بل السبب خوفها من قيم الغرب المادية على عاداتها ودينها لكونها مجتمعات مؤمنة متدينة؟! وأنه لولا المد القومي في العالم العربي آنذاك الذي ألقى بظلاله على المنطقة كلها ودفع الشباب في المجتمعات الخليجية للتطلع للحرية والاستقلال لما تغيرت أوضاع المنطقة عما هي عليه قبل ذلك، إذ كان عرب الصحراء وكبار التجار المؤمنون المتدينون يكنون للمستعمر مشاعر الحب والاحترام، ولم تحل ثقافتهم الإسلامية، ولا تدينهم دون الخضوع للأجنبي واحترامه ومحبته مدة قرن كامل بعد تدجين الحكومات دين المجتمع وثقافته على يد بعض رجال الدين أنفسهم، لتصبح المجتمعات أكثر قابلية واستعدادا للخضوع للاستبداد من جهة والاستعمار من جهة أخرى وإضفاء الشرعية على ذلك الواقع باسم الدين؟!

وما زالت هذه العقدة هي المتحكم في الوعي الجمعي وبالخطاب الديني، فالخليجيون بعلمائهم ودعاتهم وشيوخ دينهم لا يهمهم كثيرا أن تبقى القواعد الأجنبية في المنطقة، ولا يهمهم أصلا أن تكون حكوماتهم تحت النفوذ الأجنبي، ولا يهمهم كثيرا أن تنهب ثروات المنطقة، بقدر ما يهمهم المحافظة على تقاليدهم وعاداتهم!

فهم يخشون أن تؤثر الحضارة الغربية فيهم وفي سلوك شبابهم ونسائهم أشد من خشيتهم على استقلال دولهم، لأنهم أصلا لا يشعرون فيها بالمواطنة، ومن ثم لا يهمهم استقلت أم اضمحلت!

وهذا ما يفسر لنا سبب تقبل المجتمعات الخليجية عودة الاستعمار الأمريكي وقواعده العسكرية وسيطرته السياسية من جديد على شئون المنطقة كلها بعد ضعف التيار القومي وانحساره بعد الغزو العراقي للكويت سنة ١٩٩٠م ونجاح الاستعمار مرة ثانية في توظيف الدين الإسلامي في خدمته بصدور الفتاوى التي تضفي الشرعية على وجوده وتحرم رفضه أو مقاومته ولو بالكلمة الحرة والوسائل السلمية، حتى خرج دعاة الفتنة باسم السنة وبإيعاز من السلطة ليقولوا للخليجين (أمريكا لا تمثل خطرا على ديننا إنما جاءت للنفط فقط وهو لا يهمنا مادام الدين محفوظا)؟!

٣- عدم إدراك هذه الشعوب أوضاع دول المنطقة إدراكا حقيقيا وأنها ما زالت منذ وجدت صناعة استعمارية من الألف إلى الياء، بل عدم معرفة ماهية الاستعمار وطبيعته، وعدم استشعار

وجوده، وعدم معرفة أساليبه، وقد تحدث العلامة السيد محمود شاكر الحسيني عن وسائل الاستعمار البريطاني لمصر فقال: (دخلت بريطانيا بلادنا غازية سنة ١٨٨٢م، وادعت أنها جاءت لكي توطد لنا أركان عرشنا، وتطفئ نار الفتنة العرابية -نسبة إلى قائدها أحمد عرابي- كما يسمونها، وزعمت أن بقاءها لن يطول، فلم تمض خمسة أيام حتى ألغت الجيش المصري، ومزقت البحرية المصرية، وأغلقت مصانع السلاح، وسرحت الجنود، وجردت الضباط الصغار من رتبهم، وقدمت كبار الضباط للمحاكمة، ووضعت الشرطة كلها تحت سيطرتها المباشرة، وتتبعت الأحرار الذين اشتركوا في الثورة، فقبضت عليهم أو شردتهم...)[١٣].

إن وجود الحكومات الصورية في نظر الخليجيين كاف في نفي وجود الاستعمار في الثقافة الزائفة! دون إدراك أن الاستعمار أحرص منهم على بقاء مثل هذه الحكومات لتنفيذ مخططاته من خلالها، وأن الأمر كما يقول محمود شاكر: (يجب أن نفرق بين الشعب والحكومة، فالحكومة في البلاد المنكوبة بالاحتلال جزء من نظام الاستعمار، ولو زعمت أنها مستقلة في تصريف سياستها، ومن خداع النفس أن يتصور إنسان أن الحكومة تمثل إرادة الشعب، وبخاصة إذا ثبت ثبوتا قاطعا أن جميع حكومات الاستعمار، لم تستنكف أن تعاونه مرات، وأن تخضع لما أراد أن يخضعها له، وأن تبقى في مناصب الحكم وهي تعمل بأمره وتخطب في هواه، فالحكومة والشعب شيئان مختلفان في عهد الاستعمار، وكل معاهدة بين الحكومة والاستعمار باطلة من أساسها، لأنها معاهدة بين المستعمر وصنيعته، لا تتعدى أن تكون معاهدة عقدها المستعمر بينه وبين نفسه)[١٤].

٤- قدرة الاستعمار على توظيف الدين في خدمته بشكل مباشر أو من خلال توجيه الحكومات للمنابر العلمية، والتعليمية، بل وحتى المساجد، نحو ما يريده الاستعمار، وكما استطاع الاستعمار الفرنسي في الجزائر توظيف علماء الدين المسلمين والطرق الصوفية في خدمته،

---

(١٣) جمهرت مقالات محمود شاكر الجزء الثاني ص ٩١٦، وقد قامت الولايات المتحدة وبريطانيا بعد احتلال العراق سنة ٢٠٠٣م والسيطرة على الخليج العربي بالكامل، باتباع نفس السياسة القديمة، فتم حل الجيش العراقي، وتم إلغاء التجنيد الإجباري في الكويت، وتم تقليص عدد أفراد السلك العسكري في كل دول الخليج، وتم إلغاء قوات درع الجزيرة العربية!

(١٤) المصدر السابق ص ٩٦١.

وتحويل المنابر العلمية إلى منافذ للاستعمار الثقافي تحرم مقاومته وتجيز الخضوع له باسم الدين، تارة بدعوى طاعة أولي الأمر[١٥]، وتارة بدعوى المصلحة، وتارة بدعوى عدم القدرة على مواجهته، ومن ثم سقوط الواجب، بل وحرمة المقاومة بدعوى وقوع المفاسد... إلخ.

ومثلما نجح البريطانيون في توظيف بعض المرجعيات الشيعية والسنية في العراق بعد احتلاله في الحرب العالمية الأولى، كما قالت (المس بيل) التي كانت المسئول الأول البريطاني لإدارة شئون العراق بعد احتلاله في الحرب العالمية الأولى (كما إن الذين اشتركوا منا بالدراما (المسرحية) سوف لن ينسوا العضد والمؤازرة اللذين قدمهما لنا كل من النقيب -السيد عبد الرحمن الكيلاني نقيب بغداد السني- والسيد محمد كاظم اليزدي -المرجع الشيعي الأعلى- على أن فائدة الدرويش -أي: النقيب الصوفي- مثل فائدة المجتهد -أي: المرجع الشيعي- في هذا الشأن لها حدودها، حيث لم يكن بوسع كل منهما أن يكون في المقدمة، أو أن يجازف بتحمل النقد)[١٦].

كذلك استطاع الاستعمار الأمريكي الجديد في الخليج العربي من خلال الحكومات توظيف الدين، والحركات الإسلامية، والقوى السياسية، والمدارس السلفية، والحوزات الشيعية، في خدمته، وإضفاء الشرعية على وجوده، وتحريم مقاومته، تارة بدعوى أن له حكم المعاهد! وتارة بدعوى طاعة ولي الأمر؟! وتارة بدعوى عدم القدرة على مقاومته!

لقد استطاع الاستعمار أن يوظف الدين في كل خطوة يخطوها في المنطقة ابتداء من الإفتاء بمشروعية الصلح مع إسرائيل، ثم الإفتاء بتحريم العمليات الاستشهادية في فلسطين، ثم الإفتاء بمشروعية المنع من الدعاء على الأعداء في المساجد، دون إدراك خطورة تدخل الاستعمار إلى هذا الحد في مساجد المسلمين وعباداتهم، وخطورة توجيه ثقافة المجتمع من خلال المساجد نحو ما يخدم وجوده، ويزيل الحاجز النفسي الرافض له، ثم تبرير تطوير المناهج التعليمية لحذف كل ما يعزز روح المقاومة للوجود الأجنبي، ثم صدور الفتاوى في تجريم كل من يتعرض لهذا الوجود واتهامه بالإرهاب -بينما لا يصدر في المقابل ما يدعو إلى إخراجه ولو بالطرق السلمية، ولا ما يندد بجرائمه ضد المسلمين في كل مكان-

---

(١٥) انظر تفاصيل هذا الموضوع في كتاب (دور العلماء في ثورة الجزائر) للنعيمي.

(١٦) فصول من تاريخ العراق للمس بيل ص ٤٧١. وراجع مذكرات بريمر الحاكم العسكري للعراق سنة ٢٠٠٣م وغيره من المذكرات التي تتحدث عن خدمات مراجع الدين في العراق لمشروع الاحتلال!

ثم في صدور الفتاوى التي تبرر مشروعية ضرب أفغانستان، ثم الإفتاء بمشروعية إعانته على احتلال العراق[١٧]!

٥- ضعف الحس القومي والوطني لدى شعوب المنطقة وهو ما أدى إلى قبول الوجود الأجنبي لغياب الروح القومية التي ترفض بطبيعتها أي وجود أجنبي على أرضها، وكذا ضعف الحس الوطني الذي يربط الأفراد بأرض الوطن حيث لا يشعر الخليجيون بارتباطهم بأوطانهم بسبب الثقافة القبلية الصحراوية من جهة، حيث الشعور بالانتماء إلى القبيلة مع امتدادها في عدة دول أقوى من الشعور بالانتماء للوطن المصطنع الذي قسم القبيلة الواحدة ومزق كيانها، وبسبب شعورهم باكتساب جنسياتهم بالمنح لا بالاستحقاق، وأن حصولهم عليها ونزعها من حق الحكومات التي لم يكن له وجود ولا حدود إلا في ظل الاستعمار البريطاني، بينما وجود الشعوب على هذه الأرض يمتد إلى آلاف السنين وكلها تعود إلى أصل واحد، فأصبحت بعد الاستعمار وقيام الدول الحديثة لا تشعر بالمواطنة لها، إذ لا تمثل هذه الدول قوميات محددة، ولا تعبر عن هوية حقيقية لهذه القبائل التي توجد على أرض الجزيرة والخليج العربي منذ آلاف السنين؟!

ولم تستطع هذه الكيانات المصطنعة إيجاد هوية وطنية بديلة تعزز الانتماء إليها، ومع ضعف الحس القومي من جهة، والحس الوطني لشعوب المنطقة من جهة أخرى، لم يستطع الحس الديني أن يحول دون قبول الوجود الأجنبي بسبب إمكانية تأويل الدين وتوظيفه، وهو ما لا يمكن مع الشعور القومي والوطني حال وجوده، ولهذا نجح الشيخ عمر المختار في ليبيا، والسيد عبد القادر الجزائري، والشيخ المجاهد عبد الكريم الخطابي والسيد المهدي، في قيادة القبائل في ليبيا والجزائر والمغرب والسودان في حرب تحرير ضد الاستعمار بالروح الدينية، والحمية الإسلامية، وهي الروح التي تم السيطرة عليها

(١٧) انظر فتوى عميد كلية الشريعة بجامعة الكويت محمد الطبطبائي في صحيفة الوطن عدد ٩٧٣٤ بتاريخ ٢٠٠٣/٣/١٦م حول وجوب القتال مع الجيش الأمريكي في حرب احتلال العراق وأن القتال معهم من الجهاد في سبيل الله، ثم فتواه بعد ذلك بأن ما تقوم به المقاومة العراقية ضد قوات الاحتلال هو إرهاب!

وانظر فتاوى عبد المحسن العبيكان في القنوات الفضائية والصحف السعودية حول الموضوع ذاته!

اليوم بالخطاب الديني في الجزيرة والخليج العربي، كما سبق للحكومات السيطرة على الروح القومية في الخمسينيات من القرن الماضي لصالح المشروع الاستعماري!

٦- انعدام التاريخ النضالي لشعوب المنطقة في العصر الحديث، وعدم وجود القيادات التاريخية المعاصرة التي تلهم الأجيال الجديدة، وتلهب حماسها، وتكون نبراسا لها على طريق الحرية، فعدم قيام حركات تحرر ضد الاستعمار البريطاني جعل ذاكرة المجتمع الخليجي خلوا وصفرا تماما من ثقافة المقاومة، وثقافة الرفض للاستعمار التي يمكن استثمارها لصالح حركة تحرر ضد الاستعمار الجديد، ففي الوقت الذي تحفظ فيه ذاكرة الشعب الجزائري والمصري والمغربي والسوداني والليبي والسوري مئات الأبطال والقيادات التاريخية التي تصدت للاستعمار كعمر المختار، ومصطفى كامل، وأحمد عرابي، وعبد القادر الجزائري، وعبد الكريم الخطابي، ويوسف العظم، وعبد القادر الحسيني... إلخ بالإضافة إلى عشرات المواقف البطولية، والحروب الجهادية ضد الاستعمار، تخلو في المقابل ذاكرة شعوب الخليج والجزيرة العربية من كل ذلك، بل صار صنائع الاستعمار الصليبي هم الأبطال التاريخيين للمجتمعات الخليجية على نمط بطولة كرزاي في أفغانستان والجعفري والجلبي والمالكي في العراق؟!

٧- غياب الوعي السياسي وعدم معرفة المنطقة بالأحزاب السياسية والعمل الجماعي المنظم، ورفض ثقافة المجتمع لها باسم الدين أيضا، مع أنه لا يمكن أن تقوم حركة تحرر ضد الاستعمار، ولو بالضغط السياسي السلمي إلا بتنظيمات سياسية تعمل على حشد الجماهير لتنتظم صفوفها خلفها، وتجعل هدفها إخراج الاستعمار، والعمل على تحقيق استقلالها عن الوجود الأجنبي، ولو عن طريق المقاومة السلمية.

٨- تشرذم المنطقة وشعبها الواحد إلى سبع دويلات في الجزيرة العربية التي هي مهد العروبة ومهبط الإسلام الذي جاء بالتوحيد، بعد أن كانت قبل الحرب العالمية إقليما واحدا تابعا للخلافة العثمانية!

وقد استطاع الاستعمار البريطاني، ترسيخ هذا الواقع ليسهل عليه السيطرة على المنطقة كلها وفق سياسة فرق تسد، وازداد الوضع تعقيدا بتقبل الشعوب هذا الواقع وتأقلمها معه، مع عدم شرعيته، ومع خطورته، فلم يعد لشعوب المنطقة التي تمثل شعبا واحدا وأرضا واحدة منذ آلاف السنين أي

قدرة على تغيير واقعها إلى الأفضل، مع أن تعدادها مع اليمن يبلغ أكثر من خمسين مليون نسمة، وتحولت الجزيرة كلها إلى أكبر قاعدة عسكرية تنطلق منها أكبر الحملات الصليبية على العالم العربي والإسلامي دون أن يكون لشعوبها أي أثر في مجريات الأحداث؟!

فهذه الأسباب الثمانية ساهمت كلها في خلق أزمة الهوية ومن ثم شيوع الروح الانهزامية والسلبية السياسية والقابلية للاستعمار، والقابلية للاستبداد، وقد أدت كل هذه الأسباب إلى سهولة سقوط المنطقة مرة ثانية تحت سيطرة الاحتلال الأجنبي بشكل مباشرة، بعد أن استطاعت أن تتخلص منه إلى حد كبير منذ سبعينات القرن العشرين، تأثرا منها بالأوضاع الخارجية، كالمد القومي الذي اجتاح العالم العربي كله، وحركة تحرر الشعوب واستقلال الدول بعد الحرب العالمية الثانية، وهو ما يقتضي دراسة تاريخ شعوب المنطقة وأطوارها التي مرت بها حتى آلت بها الحال إلى ما هي عليه اليوم من سلبية سياسية، لفهم أبعاد هذه الإشكالية...

الفصل الثاني

قيام الدويلات المذهبية في الخليج والجزيرة العربية

ظلت الجزيرة العربية إقليما مهما للخلافة والدولة الإسلامية طول عصورها وعلى اختلاف عواصمها (المدينة - دمشق - بغداد - القاهرة - إسطنبول)، إذ لا تثبت شرعية الخلافة والدولة الإسلامية إلا بحماية الحرمين الشريفين في مكة والمدينة، فقد كانت الجزيرة العربية قاعدة الدولة الإسلامية وعاصمتها المدينة في العهد النبوي الشريف ١ - ١١ هـ، ثم كانت المدينة أيضا عاصمة الخلافة طوال العهد الراشدي ١١ - ٤٠هـ، ثم انتقلت إلى دمشق في العهد الأموي سنة ٤٠هـإلى ١٣٢هـ، حيث أصبحت بعد ذلك بغداد العاصمة للخلافة العباسية سنة ١٣٢هـطوال العهد العباسي حتى سقوطها على يد التتار سنة ٦٥٦هـ، ثم أصحبت العاصمة هي القاهرة بعد انتقال الخلافة العباسية إليها تحت سلطان المماليك، إلى أن دخلها سليم الأول العثماني سنة ٩٢٣هـ، وبايعه الخليفة العباسي، فأصبح أول خليفة مسلم غير عربي وغير قرشي، وانتقلت الخلافة وعاصمة الدولة الإسلامية إلى الأستانة -إسطنبول- وظلت عاصمة للدولة الإسلامية إلى هزيمة الخلافة العثمانية في الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨م، وإلغاء الخلافة بعد ذلك سنة ١٩٢٣م، واحتلال بريطانيا وفرنسا أقاليم الخلافة العثمانية بما فيها الجزيرة العربية والشام والعراق.

لقد ظلت الجزيرة العربية طوال تلك العصور الإسلامية جزءًا مهما من أقاليم الدولة الإسلامية لوجود مكة والمدينة، ولم تقم فيها أي دولة مستقلة عن الخلافة، إلا ما كان يقع في أطرافها أحيانا من استقلال ذاتي لبعض الإمارات، لا يتجاوز حدود المنطقة التي قامت فيها، لفترة قصيرة -كالإمارات التي قامت في اليمن وعمان، والتي لا تلبث مدة حتى تعود كجزء تابع للخلافة الإسلامية أو تسقط تحت الاحتلال الأجنبي-كالبرتغالي ثم الهولندي ثم البريطاني كما سيأتي بيانه- كما قامت في شرق الجزيرة العربية وغربها ووسطها إمارات ظلت تابعة للخلافة في بغداد ثم القاهرة ثم إسطنبول.

- قيام الدويلات المذهبية في الخليج والجزيرة العربية:

وقد شهد الخليج والجزيرة العربية في العصور المتأخرة -تحت نفوذ وسيادة الخلافة العثمانية- قيام ثلاث إمارات في ثلاثة أقاليم رئيسية على ثلاثة أسس دينية وسياسية واجتماعية (المذهب - الإمامة - القبيلة) وهذه الدويلات هي:

١- الإمارات الإباضية في عمان:

حيث قامت فيها الدولة اليعربية ثم السعيدية على أساس المذهب الإباضي، وارتكزت على قبائل عمان ونصرتها للدعوة، وقامت السلطة فيها على أساس الإمامة لا الملك، حيث كانت البيعة تعقد للأئمة للقيام بنصرة الدين وتنفيذ أحكامه!

(فالإباضيون -كما يقول المؤرخ كاريستين ينبهور في زيارته لمسقط سنة ١٧٦٥م- لا يقرون نظرية الحاكم الدائم، وفي رأيهم أن الإمام المنتخب لابد أن يتولى الإمامة عن طريق الانتخاب في كل مرة، ولا يحق لأي أسرة أو طبقة أن تحتكر الحكم لنفسها بالوراثة، ومن حق أي فرد، مهما كانت طبقته أو وضعه الاجتماعي أن يتولى مسئولية الحكم، إذا توافرت فيها الاستقامة الدينية والأخلاقية، ومن واجب المسلمين الصادقين أن يقوموا بإقالة أو إعلان بطلان شرعية أي حاكم لا تتوفر فيه خصائص الإمامة الصحيحة، ومن حق المسلمين خلع إمامهم عن السلطة إذا لمسوا فيه انحرافا أو خروجا على تلك المبادئ، أما عملية الانتخاب فتتم عن طريق مجلس مشترك من زعماء القبائل ورجال الدين).[١٨]

وهذا أوضح دليل على معرفة شعوب المنطقة وممارستها للحكم الشوري الانتخابي، وحق الأمة في انتخاب السلطة، قبل الثورة الفرنسية ومبادئها، وقبل الاستعمار الصليبي البريطاني الذي فرض على المنطقة الحكم الوراثي ورسخه بحمايته له كما سيأتي تفصيله لكون النظام البريطاني كان ملكيا وراثيا!

٢- الإمارات الزيدية في اليمن:

وقد قامت فيه دويلات عدة على أساس المذهب الزيدي، وارتكزت على قبائل الجبال في صعدة ونصرتها للدعوة، وقامت السلطة فيها على أساس الإمامة لا الملك، وكان أشهرها دولة الأئمة الزيدية التي قامت سنة ٩١٢هـ١٥٠٧م على يد الإمام السيد شرف الدين يحي الزيدي من ذرية يحي بن زيد بن علي بن الحسين بن علي، إلى أن سقطت بقيام الجمهورية اليمنية في صنعاء سنة ١٩٦٢م، وقد نجح العثمانيون في بسط نفوذهم عليها، منذ دخول الجزيرة العربية ومكة والمدينة تحت سيادة الخلافة العثمانية.

---

(١٨) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ١٤ـ١٦.

٣- الإمارة الوهابية في نجد:

والتي قامت فيه أول إمامة على أساس الدعوة السلفية والمذهب الحنبلي على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وارتكزت على نصرة القبائل النجدية، وقد كانت السلطة فيها تقوم باسم الإمامة لنصرة الدين والدعوة لا على أساس الملك، ولم تخرج عن التبعية للخلافة العثمانية إلا في فترة قصيرة لم تلبث أن سقطت فيها أمام الجيش العثماني، كما سيأتي.

لقد اشتهر أمراء تلك الدويلات المذهبية التي قامت في عمان واليمن ونجد بالأئمة للدلالة على طبيعة تلك الدويلات، وأنها ذات طابع ديني إذ لا يمكن السيطرة على القبائل العربية، ولا استمالتها لنصرة الدولة إلا باسم الدين والمذهب، لا باسم الملك والسلطان، إذ ترفض هذه القبائل بطبيعتها الخضوع للسلطة إلا إذا كانت تقوم على أساس ديني، غير أن تلك الإمارات ما إن يتحقق لها الأمر حتى تتحول من إمامة - تختارها القبائل وتبايعها على أساس نصر الدين وإقامة أحكامه - إلى ملك وسلطان؟!

وهذا ما أدركه البريطانيون بعد ذلك فقد جاء في تقاريرهم عن القبائل العربية (إن قيمة القبائل هي قيمة دفاعية، ومجالها هو حرب العصابات، إنهم فرديون للغاية، لا يطيقون إصدار الأوامر إليهم، ولا يقاتلون جماعة، ولا يساعد أحدهم الآخر، ويظن أنه يستحيل إنشاء قوة منظمة منهم)[١٩].

وقد عقد ابن خلدون في مقدمته فصلا عن العرب -أي: الأعراب والقبائل في البادية- وبعدهم عن سياسة الملك وأنه لا يحصل لهم ذلك إلا بصبغة دينية فقال:

(العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية، أو أثر عظيم من الدين على الجملة، والسبب في ذلك أنهم لخلق التوحش الذي فيهم، أصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض، للغلظة والأنفة، وبعد الهمة، والمنافسة في الرئاسة، فقلما تجتمع أهواؤهم، فإذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على القيام بأمر الله، ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق، تم اجتماعهم، وحصل لهم التغلب والملك، وهم مع ذلك أسرع الناس لقبول الحق)، وذكر عنهم أيضا أنهم (أكثر بداوة من سائر الأمم، وأغنى عن حاجات

(١٩) سلام ما بعده سلام (ولادة الشرق الأوسط) لدافيد فرومكين ص ٢٥٠.

التلول، لاعتيادهم شظف العيش، فاستغنوا عن غيرهم، فصعب انقيادهم بعضهم لبعض، ورئيسهم يحتاج إليهم غالبا للعصبية التي بها المدافعة)[٢٠].

لقد قامت إمارات أخرى في الجزيرة العربية، كإمارة ابن عرير في الأحساء، وإمارة آل الرشيد في حائل، غير أن كلا منها لم يدم طويلا، لأنها ارتكزت فقط على القبيلة -كما هو حال ابن عرير على بني خالد، وابن رشيد على شمر- وافتقدت الأساس الرئيسي وهو الدين والمذهب والدعوة التي توحد القبائل العربية لنصرتها، فلم يكتب لها من البقاء ما كتب للإمارات التي قامت على الإمامة والدين كما في عمان واليمن ونجد.

هذا مع العلم بأن كل تلك الإمارات ظلت في دائرة الخلافة الإسلامية أو تحت نفوذها بشكل مباشر أو غير مباشر، بحسب قوة دولة الخلافة وضعفها، ومركزيتها أو لا مركزيتها، وبحسب أهمية هذه المناطق للخلافة أو عدم أهميتها، كما سيأتي بيانه ولهذا لا يصدق عليها أنها دول بل إمارات ودويلات محدودة النفوذ جغرافيا وديمغرافيا وسياسيا!

---

(٢٠) مقدمة ابن خلدون الفصل السابع والعشرون والثامن والعشرون.

الفصل الثالث

الحملات الصليبية على الخليج والجزيرة العربية

لقد تعرض الخليج والجزيرة العربية إلى حملات صليبية عدة تهدف إلى السيطرة على سواحله، وكان من أبرزها:

١- الحملة البرتغالية ومواجهة قبائل عمان لها:

فقد غزا البرتغاليون الخليج العربي وسيطروا على ساحل عمان منذ سنة ١٥٠٧م، فبايعت القبائل العمانية الإمام ناصر بن مرشد اليعربي سنة ١٦٢٤م واتخذ الرستاق في المناطق الداخلية للقبائل عاصمة له، ونجح في تخليص أكثر الساحل من أيديهم حتى لم يبق في أيديهم عند وفاته سنة ١٦٤٩م، غير بعض القلاع في مسقط، ومطرح، ثم بويع ابن عمه سلطان بن سيف إماما، وأكمل جهاده ضد البرتغاليين حتى حرر مسقط، واستمر في قتالهم وشن الحروب عليهم في منطقتي ديو، والدمام، وأصبحت البحرية العمانية أقوى قوة بحرية في الخليج العربي غير غربية.[٢١]

وبعد وفاة سيف سنة ١٧١٨م دخلت عمان في دوامة الحرب الأهلية بين الغفارية العدنانية، والهناوية اليمانية، وأصابها الضعف حتى اتفقت على انتخاب أحمد بن سعيد إماما سنة ١٧٤٧م، وهو أول من بويع من أسرة آل بو سعيد إماما، ولم تكن السلطة في عمان مطلقة في يد الإمام، بل كان واحدا من رؤساء كثيرين للقبائل غير أنه كان أبرزهم، وقد توفي أحمد سنة ١٧٨٣م، ثم بايع زعماء القبائل وعلماء الدين ابنه هلال بن أحمد، ولم يطل عهده، ثم بويع أخوه سعيد بن أحمد، ثم صار الأمر بيد حمد بن سعيد بن أحمد، وصار يطلق عليه السيد، ثم انحل نظام الإمامة بتقاسم أبناء أحمد بن سعيد السلطة فيما بينهم، وكرسوا جهدهم في نشاطهم التجاري والبحري، وانتقلت العاصمة إلى مسقط على الساحل، وأصبح الحكم سلطنة وحكما وراثيا، بعد أن كان إمامة وحكما شرعيا، مما أضعف العلاقة بينهم وبين القبائل، فضعفت عمان جراء ذلك، وأصبح لقب سلطان عمان هو الشائع بين حكامها، وقد حكم سلطان بن أحمد الذي اتسع نفوذه إلى بر فارس في أواخر القرن الثامن عشر.[٢٢]

لقد كان الدين والمذهب هو السبب وراء وحدة عمان واتحاد قبائلها لمواجهة القوى الخارجية، وقد أدرك بيلي المسئول البريطاني آنذاك هذه الحقيقة حيث وصل إلى قناعة بأن (حركات التجمع الدينية قد

---

(٢١) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ١٧-١٨ .

(٢٢) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ١٨-٢٦.

جمعت عمان في وحدة كالوحدة التي تجمع بين أتباع محمد بن عبد الوهاب، ويمكن أن يضر هذا بالسياسة البريطانية)[٢٣].

٢- الحملة البريطانية ومواجهة الحركة الوهابية والقبائل النجدية والخليجية لها:

وقد تزامنت الحملة الصليبية البريطانية على الخليج العربي مع قيام الدعوة الوهابية في وسط الجزيرة العربية -من ١١٥٧ﻫ ١٧٤٤م إلى ١٢٣٣ﻫ ١٨١٧م- هذه الحركة التي امتدت حتى كادت تسيطر على أكثر جزيرة العرب بشكل كامل، ولم تستقل عن الخلافة العثمانية، بل كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب وابن سعود يعترفان بسلطة الخليفة العثماني حيث كانت نجد آنذاك يتنازعها نفوذ أمراء الأحساء تارة، وأمراء الأشراف في الحجاز تارة أخرى، وكلاهما يخضع للخلافة العثمانية، وقد جاء في تاريخ ابن غنام وهو مؤرخ الدعوة الوهابية وأحد دعاتها :

(وفي هذه السنة ١١٨٥ هأرسل الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير عبد العزيز إلى والي مكة أحمد بن سعيد هدايا، وكان قد كاتبهما وطلب منهما أن يرسلا إليه فقيها وعالما من جماعتهما يبين حقيقة ما يدعون إليه من الدين... فأرسلوا إليه الشيخ عبد العزيز الحصين ومعه رسالة منهما هذا نصها: بسم الله الرحمن الرحيم: المعروض لديك أدام الله فضل نعمه عليك حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد أعزه الله في الدارين وأعز به دين جده سيد الثقلين، إن الكتاب لما وصل إلى الخادم وتأمل ما فيه من الكلام الحسن رفع يديه بالدعاء إلى الله بتأييد الشريف لما كان قصده نصر الشريعة... وهذا هو الواجب على ولاة الأمور، ولما طلبتم من ناحيتنا طالب علم امتثلنا الأمر وهو واصل إليكم... يعلم الشريف أعزه الله أن غلمانك من جملة الخدام ثم أنتم في حفظ الله وحسن رعايته)[٢٤].

وهذه الرسالة أوضح دليل على عدم خروج الحركة الوهابية على نفوذ وسلطة الخلافة العثمانية، إذ كانت إلى هذا الوقت لا تتجاوز حركة إصلاحية محلية في منطقة صحراوية محدودة غير ذي أثر، خاضعة لنفوذ شريف مكة التابع للخلافة.

---

(٢٣) سياسة الأمن في الخليج العربي ١٤٤.

(٢٤) تاريخ نجد ابن غنام ص ١٣٥ ط ٣ سنة ١٩٩٤ تحقيق ناصر الدين الأسد.

وقد سيطر الوهابيون -بعد السيطرة على نجد- على الأحساء عاصمة ابن عريعر سنة ١٧٩٥م، وبهذا بسطت الدعوة الوهابية سيطرتها على منطقة نفوذ ابن عريعر في الأحساء، الممتدة من عمان جنوبا، إلى أطراف العراق شمالا، ومن ضمنها الكويت التي كانت تابعة لحكم ابن عريعر، وقد دفع أهل الكويت الزكاة بعد ذلك للإمارة الوهابية سنة ١٨٠٣م، وكذا دفعتها البحرين بعد أن اشترط عبد العزيز بن محمد بن سعود أمير الدرعية على آل خليفة دفع الزكاة للدرعية مقابل إرجاعهم إلى البحرين، بعد أن استولى عليها سلطان عمان، السيد سلطان بن أحمد آل بو سعيد سنة ١٨٠٠م، حيث نجح الوهابيون في إرجاع آل خليفة سنة ١٨٠٢م، كما دفع سلطان بن أحمد أيضا الزكاة للدرعية اعترافا بالتبعية لها، وكذا دفعها القواسم.[٢٥]

وهكذا امتد نفوذ الدعوة الوهابية -تحت سيادة الخلافة العثمانية- شرقا ليشمل الزبير، والكويت، والأحساء، والبحرين، وقطر، وعمان، وساحل عمان، وكانوا يأخذون من الجميع الزكاة السنوية.[٢٦]

وقد استمرت سيطرة الحركة الوهابية على الخليج العربي كله، بعد اغتيال عبد العزيز بن محمد بن سعود سنة ١٨٠٤م، حيث تولى ابنه سعود الإمامة بعده في الدرعية، فقد اعتنق القواسم من أهل رأس الخيمة، والشارقة، الدعوة الوهابية، وصاروا يدفعون الزكاة للدرعية، وانتشرت الدعوة الوهابية بين القواسم حتى على الضفة الأخرى من الخليج، في لنجة وما حولها سنة ١٨٠٥م، وقد حذرت الحكومة البريطانية موظفيها في الخليج من التعرض أو الاصطدام بالقواسم أو الوهابيين.[٢٧]

وبعد ذلك قررت حكومة الهند البريطانية إيقاف المد الوهابي الذي بات يهددها في البحر بأسطول حلفائهم القواسم، مما دفع حكومة الهند إلى شن حملة بحرية لتدمير هذا الأسطول القاسمي، ونفذ الهجوم على رأس الخيمة في نوفمبر ١٨٠٩م حيث تم تدمير البلدة، بعد مواجهة عنيفة بين الطرفين، كما تم إحراق الأسطول.[٢٨]

---

(٢٥) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ١٦٤-١٦٦.

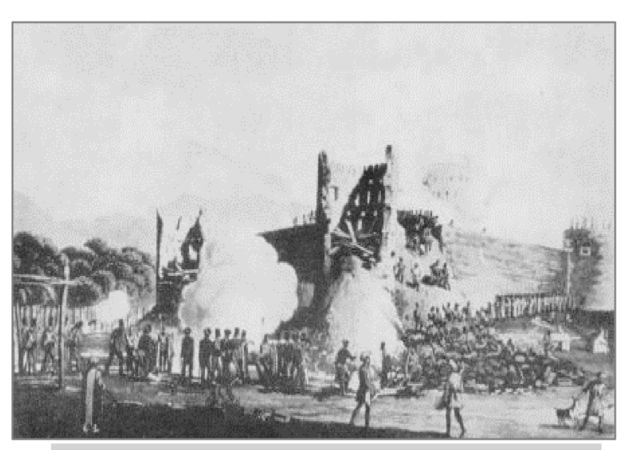
(٢٦) نبذة تاريخية لضاري الرشيد ٢٨.

(٢٧) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ١٧٠-١٧١.

(٢٨) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ١٩٢.



الهجوم البريطاني على رأس الخيمة عام ١٨٠٩م



هجوم الحملة البريطانية على القواسم في شناص عام ١٨٠٩م

لقد رأت بريطانيا ضرورة توظيف الخلاف الطائفي بين الإباضية والوهابية لصالح سيطرتها على المنطقة، فقد توجهت بعدها القوات البحرية البريطانية بمعية سلطان مسقط سعيد بن سلطان إلى شناص لطرد القواسم منها، وفي مطلع يناير تم محاصرتها، ودارت معركة عنيفة، حيث بدأ الزحف على بعد الظهر بقوات مسقطية وبريطانية مشتركة، وقد تبع ذلك قتال شرس يدا بيد، واستخدمت في المعركة جميع أنواع الأسلحة، وكانت أقسى المعارك التي خاضتها الحملة منذ بدأت هجومها، وقد وصفها أحد الضباط البريطانيين فقال: (من المحال أن نتصور مقاومة أشد عنادا وتحديا من المقاومة التي أبداها العدو في هذا الموقع، فقد كانت دفاعاته قد دمرت وتحولت إلى أنقاض، وعلى الرغم من ذلك

الوضع اليائس واحتلال البريطانيين والعمانيين للقلعة، ظل القواسم يطلقون النار من التحصينات التي لم يتم تدميرها تماما، وقد كان المساء قد اقترب وكانت الاعتبارات الإنسانية تقتضي وقف هذه المجزرة المخيفة، ودعي من بقي من القواسم للاستسلام وإنقاذ أرواحهم، غير أنهم أجابوا بأنهم يفضلون الموت على الاستسلام في هذا الوقت، وأخذت في إطلاق النار بشكل مكثف من بعض المدافع من مكان قريب من القلعة لمساواتها في الأرض ولكن العدو ظل يرد النار بالمثل، وكما يبدو فإنهم كانوا مصممين على أن يدفنوا فيها أحياء، وعمدنا إلى استخدام القنابل الكروية واليدوية، ولكن العدو أعادها إلينا قبل أن تنفجر، مؤكدا تصميمه على مواصلة القتال).[٢٩]

وفي تلك الأثناء كان مطلق المطيري القائد العسكري الوهابي، قد تحرك بجيشه من البريمي نحو شناص للدفاع عنها، ولم يصلها إلا متأخرا، فهجم على قوات سعيد -بعد أن غادرت البحرية البريطانية- ومزقها، وأجبرها على الانسحاب إلى مسقط.[٣٠]

وقد طلب سلطان مسقط ثانية من حكومة الهند البريطانية مساعدته عسكريا ضد الوهابيين، غير أنهم رفضوا بعد أن رأوا خطورة التدخل في الصراع البري، واقترحوا عليه عقد سلام مع الوهابيين، غير أنه توجه إلى إيران وطلب مساعدتها، فأرسلوا له ١٥٠٠مقاتل، وتحرك مطلق المطيري قائد جيوش عمان، ومعه قبائل النعيم، والظواهر، وغيرهم، وتواجه الجيشان، وانهزمت قوات مسقط وحلفاؤها.[٣١]

وفي الجزء الغربي من الجزيرة العربية استكملت الحركة الوهابية سيطرتها على الحجاز بعد ضم المدينة النبوية سنة ١٨١٠م، فاستثار ذلك الخليفة العثماني في إسطنبول السلطان محمود، فأمر محمد علي والي مصر بالتصدي للحركة والقضاء عليها وتدمير عاصمتها الدرعية، وبعد أن بلغ سعود بن عبد العزيز أخبار حملة محمد علي لشن الحرب على جيوش الدولة الوهابية في الحجاز سنة ١٨١١م، قام باتخاذ الاحتياط، وتعزيز الحاميات العسكرية في قطر، والبحرين، وأمر بحبس آل خليفة في الدرعية، ثم أفرج

---

(٢٩) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ١٩٥.

(٣٠) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ١٩٦.

(٣١) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ٢٠٥.

عنهم بعد تعهدهم بدفع الزكاة، وأخذ تعهدا من حكومة فارس بعدم الاعتداء عليه، كما توصل مع البريطانيين إلى تفاهم بعدم الاعتداء من كلا الطرفين على الآخر.(٣٢)

وفي سنة ١٨١٣م جهز مطلق المطيري جيشا تعداده أربعين ألف مقاتل، وتوجه من البريمي لفرض سيطرته على المناطق الداخلية من عمان، حتى وصل إلى صحار، ثم إلى مسقط، فاضطر سعيد إلى دفع الزكاة أربعين ألف ريال نمساوي، وكانت هذه آخر حملة لمطلق المطيري الذي قتل في آخر هذه السنة.(٣٣)

- الحملة المصرية على الجزيرة العربية:

ولم تدم سيطرة الحركة الوهابية على الحجاز حيث توجه الجيش المصري بأمر من الخليفة العثماني، بقيادة طوسون بن محمد علي سنة ١٨١١م إلى الحجاز، فاحتلت جيوشه المدينة سنة ١٨١٢م، ومكة سنة ١٨١٣م، وفي سنة ١٨١٤م توفي سعود بن عبد العزيز، وبويع ابنه عبد الله إماما، وفي هذه السنة قدم محمد علي إلى الحجاز، وقاد الجيوش بنفسه، وأكمل سيطرته على الحجاز سنة ١٨١٥م، بعد سيطرته على الطائف، وفي هذه السنة وقع عبد الله بن سعود معاهدة مع طوسون تم فيها الاعتراف بعبد الله واليا على نجد بعد إعلانه الولاء للخليفة العثماني.(٣٤)

وفي سنة ١٨١٥م، توفي طوسون بعد رجوعه إلى مصر، فنقض والده محمد علي المعاهدة، واشترط للتوقيع عليها تخلي عبد الله بن سعود عن الأحساء -التي كانت تحت حكم ابن عريعر، حتى استولى عليها الوهابيون سنة ١٧٩٥م- إلا أن عبد الله بن سعود لم يرد على الطلب، فجهز محمد علي جيشا آخر هدفه احتلال الدرعية نفسها، بقيادة ابنه إبراهيم سنة ١٨١٦م، فانطلق من المدينة نحو نجد، حتى استولى على الدرعية، ودمرها في أواخر سنة ١٨١٨م، وأرسل عبد الله بن سعود إلى الأستانة، حيث تم إعدامه، وتم أخذ أسرته إلى القاهرة.(٣٥)

---

(٣٢) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ٢٠٧.

(٣٣) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ٢١٠.

(٣٤) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ٢١٦.

(٣٥) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ١٥٦_١٥٧، ٢٢٥_٢٣٠، ٥٠٢.

- المشروع البريطاني للسيطرة على الخليج العربي:

وقد بدأت حكومة الهند البريطانية في أبريل سنة ١٨١٩م تناقش في هذه الأثناء خطة تراعي كون ساحل الخليج العربي من رأس الخيمة غربا إلى الكويت تحت السلطة المصرية العثمانية -التي سيطرت على وسط الجزيرة العربية، واحتلت الدرعية، وكل المناطق التابعة لها- وأن تدعم بريطانيا سلطان مسقط ليفرض سيطرته على ساحل الخليج إلى رأس الخيمة شمالا، مع ضم البحرين له، وإخضاع القبائل المستقلة داخل عمان لسلطته، وإقامة قاعدة عسكرية بريطانية في جزيرة قشم، على أن تتحمل موارد البحرين -الغنية بصيد اللؤلؤ- تكاليف القاعدة العسكرية البريطانية! غير أن فرانسن واردن الأمين الأول لحكومة الهند أكد (أنه من الأفضل على أي حال السماح لتلك الدويلات -القبائل المستقلة- بالاحتفاظ باستقلالها، بل وسنقوم بتأييد ذلك الاستقلال، كما سيتعين على المبعوث البريطاني -إلى إبراهيم بن محمد علي- أن يوضح له بأنه في الوقت الذي تعتبر بريطانيا أن تصفية القرصنة هو هدفها الوحيد، إلا إنها في الوقت ذاته تشاركه في ضمان حقوق مختلف الدول -القبائل- الواقعة على سواحل الخليج العربي، وأن أي مساعدة من بريطانيا له في حربه لحلفاء الوهابيين مشروطة بموافقته على احترام حقوق تلك الدول)[٣٦].

لقد كانت هذه أول مرة يطلق فيها مسئول بريطاني مصطلح (دويلات أو دول) على القبائل الساحلية في عمان، والتي لم تكن تعد مدنا فضلا عن أن تعد دولا أو دويلات!

لقد كان الهدف البريطاني واضحا من هذه الفكرة، وهو إيجاد كيانات يمكن التعامل معها بصفة مباشرة لاحتلالها بعد ذلك بحجة الحماية وهو ما لا يمكن مع القبائل أو القرى والمدن، فكان لا بد من تسميتها بالدويلات والإمارات لتحقيق هذا الغرض الاستعماري!

لقد كان القواسم والوهابيون الذين ظلوا يسيطرون على سواحل الخليج العربي هم المشكلة الرئيسة التي كان يجب على بريطانيا العمل من أجل القضاء عليها، لتتحقق لها السيطرة على الخليج، غير أن حكومة الهند لم تكن تملك القوة اللازمة لمواجهة قوتهم التي تبلغ ١٠٠٠٠ بحار، ونحو ٢٥٠ سفينة كبيرة وصغيرة، والتي كانت تنطلق من موانئ رأس الخيمة، وأم القوين، والجزيرة الحمراء، وعجمان، والشارقة، ودبي،

---

(٣٦) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ٢٣٣-٢٣٧.

والزبارة، وخور حسن، والقطيف، والعقير، وأبو ظبي، وأيضا لنجة، وخرك على الجانب الفارسي، وكان لا بد من التنسيق مع إبراهيم باشا لمواجهتهم.(٣٧)

وبعد أن ذهب سادلر -المبعوث البريطاني- إلى القطيف ورأى الوضع في الأحساء، وانسحاب الجيش المصري -بعد تسليمه السلطة لشيوخ بني خالد أمراء الإقليم سابقا- كتب تقريرا بذلك لحكومته التي أمرت بصرف النظر عن مشروع التعاون مع إبراهيم باشا، حيث ثبت عجز الجيش المصري عن بسط سيطرته على القبائل من الكويت إلى ساحل عمان، وأنه يجب وضع خطة بديلة، وإعادة النظر في بسط نفوذ سلطان مسقط على الساحل، وإدخال البحرين تحت سلطته، ليتم الإنفاق على القاعدة البريطانية من مواردها المالية.(٣٨)

وقد تم مناقشة هذه الخطة من قبل مسئولي الحكومة الهندية البريطانية الذي ارتأى بعضهم (بأنه لا بد من الحصول على معلومات دقيقة عن الأسس التي تقوم عليها ادعاءات مختلف القبائل فيما يتعلق باستقلالها، وهي الأسس التي يمكن بموجبها تحديد علاقتنا معها، على أساس مبادئ).(٣٩)

غير أن هذه الخطط لم تجد إجماعا من رجال الحكومة الهندية، فتم إصدار الأوامر إلى قيادة البحرية البريطانية بشن هجوم عسكري بحري على موانئ القواسم وحلفائهم، وتدمير أسطولهم، بالتنسيق مع سلطان مسقط، وحكومة فارس.(٤٠)

ونجحت بريطانيا في حملتها الصليبية على المنطقة في توظيف الخلاف الطائفي بين المسلمين لتحقيق أهدافها الاستعمارية، حيث شكل التحالف البريطاني، والإباضي العماني، والشيعي الإيراني، رأس حربة في مشروع السيطرة على الخليج العربي!

---

(٣٧) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/٢٢٩ـ٢٣٣.

(٣٨) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/٢٤١ـ ٢٤٢.

(٣٩) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ٢٤٤.

(٤٠) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ٢٤٧-٢٤٩.

وفي ديسمبر سنة ١٨١٩م تم الهجوم البريطاني العماني على موانئ القواسم، وأولها رأس الخيمة، ودارت حرب طاحنة، ولمدة خمسة أيام، استخدمت فيها البحرية البريطانية مدافعها لدك أسوارها، وقلاعها، حتى وصل القتال ذروته بالاشتباك بالسلاح الأبيض، وذهب فيه من القواسم ألف رجل بين قتيل وجريح، وانتهت الحملة بتوقيع معاهدة في يناير سنة ١٨٢٠م مع شيوخ هذه الموانئ، يسلمون بموجبها جميع سفنهم، وقد كان نص المعاهدة:

(أنه وبناء على ذلك يتفق الطرفان على توطيد السلم بين الحكومة البريطانية، والقبائل العربية الموقعة على هذا العقد على الشروط التالية)، والتي تضمن لبريطانيا حق تفتيش السفن، ومراقبتها، ومصادرتها، وعدم الاعتداء بين القبائل الموقعة على المعاهدة، وحق بريطانيا في إهدار حياة من يشارك في أعمال القرصنة، ومصادرة ممتلكاته.[٤١]

لقد وضعت هذه الاتفاقية بين بريطانيا والقبائل الساحلية أسس تقسيم الإقليم الواحد إلى دويلات كما جاء في نص الاتفاقية (لقد تأسس سلم دائم بين الحكومة البريطانية والقبائل العربية:

المادة الأولى: توقف أعمال السلب والقرصنة في البر والبحر من قبل العرب الذين هم فريق في هذه المعاهدة...

المادة الرابعة: إن القبائل التي أخضعت ستداوم على علاقاتها السابقة وستظل في حالة سلم مع الحكومة البريطانية...

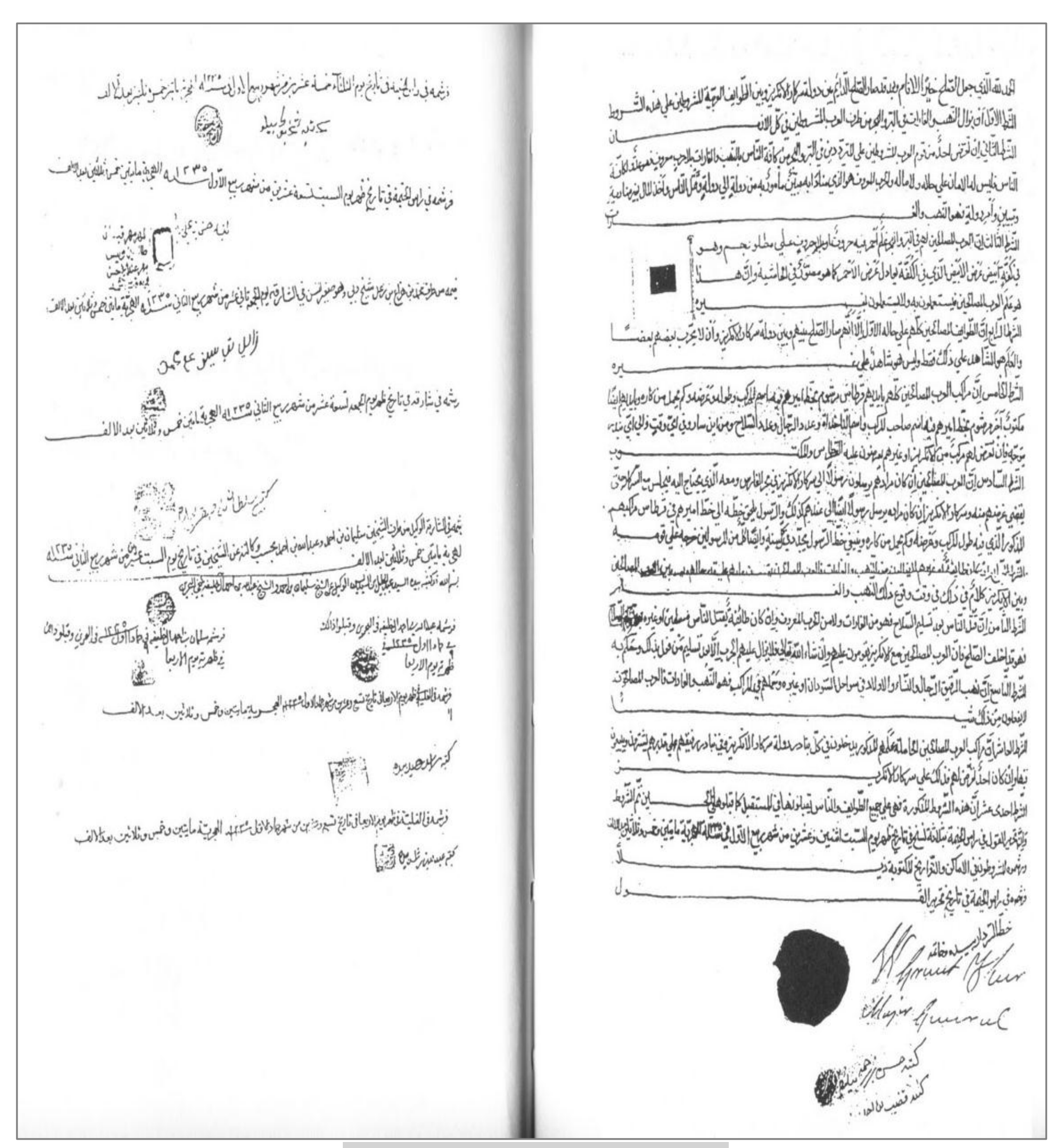
المادة السابعة: إذا لم تمتنع إحدى القبائل عن السلب والقرصنة فالعرب الأصدقاء يعملون ضدها بحسب مقدرتهم وحسب الظروف...

المادة الحادية عشرة: إن الشروط المذكورة أعلاه عمومية لجميع القبائل والأشخاص التي يقبلونها فيما بعد بنفس الطريقة التي يقبلها الذين يوقعونها الآن... وقد وقع عليها سنة ١٨٢٠م شيخ رأس الخيمة، وشيخ أبو ظبي، وشيخ دبي، وشيخ البحرين، وشيخ الشارقة، وشيخ عجمان).[٤٢]

---

(٤١) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ٢٥٣-٢٥٩.

(٤٢) انظر المصدر السابق، وتاريخ الكويت السياسي لخزعل ٢/١٠٨ـ١١٣.



اتفاقية ١٨٢٠م بين بريطانيا وقبائل السواحل

لقد أرادت بريطانيا إضفاء صبغة قانونية على تعاملها مع تلك الموانئ الساحلية، من خلال الاعتراف بالقبائل الساحلية وشيوخها ككيانات شبه مستقلة، ولهذا (أطلقت بريطانيا على الرؤساء الذين اشتركوا في توقيع معاهدة ١٨٢٠م اسم الرؤساء البحريين، وكانت تهدف من ورائها عزل الساحل عن الداخل في الوقت الذي كانت تعنى فيه بتدعيم سيطرتها البحرية، وإن كان من الطبيعي أن تتخلى عن هذه السياسة على أثر اكتشاف موارد النفط في الداخل، وقدرتها على السيطرة الداخلية بفضل سلاح الطيران الجوي وقد استخدم ذلك السلاح بفاعلية منذ الثلاثينيات من هذا القرن).[٤٣]

كما يظهر جليا خطة بريطانيا في توقيع المعاهدات مع شيوخ الموانئ كل على حدة وأن هدفها ترسيخ تقسيم المنطقة وللحيلولة دون قيام أي اتحاد يشكل خطرا على النفوذ البريطاني في الخليج العربي، بعد أن دمرت قوة القواسم التي كانت تهدد الوجود البريطاني في المنطقة، وبعد أن قامت بتفتيتها والاعتراف بالشيوخ الصغار كحكام مستقلين.[٤٤]

ولم تضمن هذه الحملة العسكرية، ولا المعاهدة التي وقعتها بريطانيا مع قبائل الساحل السيطرة البريطانية على الخليج العربي، إذ كان لقبائل الداخل القدرة على تهديد مصالحها في البحر، كما حصل من قبيلة آل بو علي التي تقطن مقاطعة جعلان في عمان، وتمتد إلى الداخل، وقد كانت اعتنقت الدعوة الوهابية ووقفت معها، وثارت على السلطان سعيد سلطان مسقط، وقد قامت بريطانيا بحملة بحرية عسكرية من أجل إخضاعها بعد أن رأت أنها تمثل خطرا على مصالحها، وتحركت القوة البحرية البريطانية بحرا، والقوة العمانية بقيادة سلطان مسقط برا، وفي مطلع نوفمبر سنة ١٨٢٠م، بدأت قوات التحالف المشتركة زحفها على المنطقة، وقد اشترطت على قبيلة بو علي شروطا، ومنها تسليم أسلحتها، فرفضت هذا الشرط بعد أن وافقت على الشروط الأخرى، ودارت حرب طاحنة بين الفريقين، فر عندها جنود السلطان والقوات الهندية البريطانية الزاحفة، ثم تبعهم الضباط ورجال المدفعية البريطانية، وأخذ رجال قبيلة بو علي يطلقون عليهم النار، ويطعنونهم بالسيوف والخناجر، حتى

---

(٤٣) تاريخ الخليج العربي لجمال زكريا ١/٢٩٤.

(٤٤) تاريخ الخليج العربي لزكريا ١/ ٢٨٧.

أصيب السلطان سعيد بطعنة عندما حاول إنقاذ الضباط البريطانيين وكانت مواجهة دموية وقد وصف هذه المعركة أحد الضباط البريطانيين بقوله:

(وعلى امتداد السهل كانت جثث القتلى من الجنود العمانيين، وثمانية من الضباط البريطانيين، ونحو أربعمائة عسكري، ملقاة على الأرض)، لقد قاتلت قبيلة بو علي الوهابية قتالا مستميتا، ونجح رجالها في تدمير الحملة البريطانية وهزيمتها هزيمة منكرة، قضت على الهيبة التي اكتسبتها البحرية العسكرية البريطانية بعد حملتها على القواسم، وهو ما حدا بريطانيا إلى تجهيز حملة ثانية مشتركة مع سلطان مسقط ضد قبيلة بو علي، وكانت تتكون من ١٢٦٣ جنديا بريطانيا، و١٦٨٦ جنديا هنديا، وكان من أهداف الحملة (تسليم سلطة المنطقة المحررة إلى السيد سعيد، وإطلاق الأسرى، وتسليم الأسلحة التي وقعت خلال الحملة السابقة في يد قبائل بو علي)، وما كادت قوات الحلفاء تعسكر قريبا من مشارف القبيلة بتاريخ ١٠ فبراير سنة ١٨٢١م، حتى شن عليها رجال بو علي هجوما مفاجئا، فأربك قوات الحلفاء، فدب فيها الذعر، وقتل فيها عدد من الضباط والجنود، وفي يوم ٢مارس اشتبك الجيشان في حرب دموية، ونجح رجال القبيلة في شق طريقهم وسط القوات البريطانية، وكتب أحد الضباط البريطانيين المشهد المروع فقال:

(كانت المذبحة رهيبة على الجانبين، وإن قوات العدو التي كانت في المؤخرة اضطرت إلى شق طريقها وسط لوائنا في محاولة لاستعادة مزارعها، وكل الذين شاهدوا ذالك الهجوم الفريد، قالوا بأنهم لم يشهدوا في حياتهم جيشا قاتل بتلك البسالة التي لا نظير لها، ولم نستطع إيقاف تقدمهم رغم قصفنا المتكرر لمواقعهم، والذي كان يبيدهم بأعداد غفيرة متحدين الحراب المصوبة إليهم، وأبدوا صمودا في القتال، فكانوا ينقضون على سياراتنا، وينتزعون بنادقنا من أيدينا في محاولة لشق صفوفنا وإبادتنا حتى بعد أن كانت حرابنا قد انغرست في أجسادهم)!

وبعد ذلك استسلم نحو ٢٠٠ مقاتل من القبيلة مع عائلاتهم، بعد أن قتل منهم ٢٠٠ رجل، وجرح نحو ٣٠٠ رجل ، وقد تم نقل ١٥٠منهم بما فيهم شيخا القبيلة – اللذان يعانيان من جراح خطيرة – بالإضافة إلى خمسين صبيا، إلى بومبي كأسرى حرب، وسلم الباقون من الأسرى إلى سلطان مسقط، وأمر القائد البريطاني بعد ذلك بدك القلاع، وإتلاف المزارع، وإشعال النار في مساكن القبيلة (ومنذ البداية حتى النهاية كانت الحملة -كما يقول كيلي- على رجال بني بو علي مخزية ومؤلمة، وقد ذهب ضحيتها

من الرجال أكثر مما ذهب في معركتي ١٨٠٩ و١٨١٨م معا، وأسفرت عن نتائج لا قيمة لها، وتحولت الحملة إلى حرب سافرة كل هدفها هو استعادة سلطة السيد سعيد على قبائل جعلان)!

وقد تمت محاكمة القائد العسكري بعد انتهاء الحملة على الأخطاء التي ارتكبها والتي أظهرت وكأن الأسلحة البريطانية هدفها إخضاع القبائل لسلطان مسقط (وإذا كان ثمة طرف له الحق في الفخر - برأي كيلي- بنتيجة الحملة فهو قبائل بو علي أنفسهم لدفاعهم الباسل عن أراضيهم ومواطنهم، وهذا هو ما اعترف به أعضاء مجلس شركة الهند الشرقية عندما اجتمعوا لتقييم نتائج الحملة)، واعترفوا بأنه لم تتخذ الإجراءات اللازمة للتحقق من طبيعة أعمال القرصنة التي كان متهما فيها رجال القبيلة، وأن حكومة الهند أخذت برأي السيد سعيد الذي يهدف إلى السيطرة على منطقة القبيلة، دون التحري عن حقيقة الأمر، كما اعترفوا بأن إحراق المزارع، والمساكن، وأخذ الأسرى إلى بومبي حيث مات عدد منهم كان تصرفا مخجلا، وكذلك تسليم الأسرى للسيد سعيد -حيث مات مجموعة منهم في سجونه جوعا- كان أكثر الأعمال خزيا.[٤٥]

لقد كان أشد ما يخشاه المسئولون البريطانيون آنذاك من تبعات هذه الحملة (هو ما سوف تتركه من انطباع في أوساط القبائل الخليجية عن السياسة البريطانية التي كانت تنطلق من مبدأ القضاء على القرصنة إلا إن تعاون تومسون -قائد الحملة- مع السيد سعيد سلطان عمان إنما يوحي بأنه محاولة منا للتدخل في الشئون الداخلية بدعوى حماية مصالحنا من الأخطار التي تهددها في مياه الخليج).[٤٦]

- مشروع حكومة الهند البريطانية للسيطرة على الجزيرة العربية:

وقد قامت الدولة الوهابية مرة ثانية -بعد ست سنوات من السيطرة المصرية العثمانية على نجد- على يد تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، سنة ١٢٤٠هـ-١٨٢٤م، بعد أن خرج من سجنه في مصر -بترتيب من القيادة المصرية ليضبط لها نجد- وخاض حروبا داخلية من سنة ١٨٢٠م إلى ١٨٢٤م، حيث استقر له الأمر، واتخذ الرياض عاصمة له بدل الدرعية، ولم تتجاوز سلطته حدود نجد، ودخل في حروب مع شيوخ بني خالد محمد وماجد العريعر، من أجل السيطرة على الأحساء، حيث نجح هو وابنه فيصل في

---

(٤٥) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ٢٨٤ـ٢٩٦.

(٤٦) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/٣٠٠.

احتلال الهفوف عاصمة الأحساء في ربيع سنة ١٨٣٠م، وبدأ النفوذ الوهابي يعود مرة أخرى لسواحل الخليج العربي، غير أن تركي آل سعود كان أقل حماسا لنشر الدعوة الوهابية، وأحرص على الحكم منه على الدين (على العكس من الزعماء الوهابيين السابقين، الذين كان حماسهم -كما يرى كيلي- لنشر العقيدة الوهابية أكثر من حماسهم للحكم)!

وقد أرسل تركي بن سعود للحكومة الهندية البريطانية في بومبي رسالة يؤكد فيها رغبته في إقامة علاقة ودية معها.[٤٧]

وقد دعا تركي بن سعود بعد السيطرة على الأحساء عبد الله بن خليفة شيخ البحرين إلى الاعتراف بسلطته ودفع الزكاة له، وهي أربعين ألف ريال نمساوي، وقد قام عبد الله بتنفيذ ما طلبه منه تركي، بعد أن سأل البريطانيين مساعدته فآثروا عدم التدخل، وتم عقد اتفاق بينه وبين تركي اعترف بموجبه بالسلطة العليا للرياض على البحرين، وبدفع الزكاة السنوية، مقابل ضمان الرياض لسيادة شيخ البحرين، كما أبدى السيد سعيد سلطان عمان سنة ١٨٣١م موافقته على الدخول تحت سلطة تركي، بعد أن سيطرت قوات أمير الأحساء الوهابي عمر بن عفيصان على البريمي -المدخل الاستراتيجي لعمان- بشرط السماح له باحتلال البحرين، فرفض تركي هذا الشرط، كما جاءت وفود من شيوخ القبائل العمانية إلى الأحساء للدخول في الطاعة للدولة الجديدة، وعلى رأسهم راشد بن حمد شيخ عجمان، وبعدها تحرك ابن عفيصان بجيشه إلى عمان وسواحله، لفرض سلطة الدولة الوهابية الجديدة، وأخذ الزكاة من القبائل، فاستجاب شيخ أبو ظبي، وبدأ ابن عفيصان الضغط على مسقط، وأخيرا استسلم السلطان سعيد، والتزم بدفع الزكاة السنوية للرياض، بعد أن طلب مساعدة البريطانيين الذين نصحوه بالتفاهم مع تركي، غير أنها تفاجأت بالاستسلام الكامل من سعيد.[٤٨]

وقد كان سبب ضعفه تخلي القبائل عنه، بعد افتقاده لصفة الإمامة التي تم التخلي عنها في عمان من قبل آل بو سعيد، حيث أصبح الحكم بالوراثة، وهو ما يصطدم بالعقيدة الإباضية لقبائل عمان

---

(٤٧) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/٣٨١ـ٣٨٣.

(٤٨) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ٣٨٥-٣٨٩.

الداخلية، التي تراه بالانتخاب، وهو ما يفتقده السلطان سعيد، مما أضعف قوته أمام جيوش ابن عفيصان.[٤٩]

وقد أدركت بريطانيا خطورة سيطرة الوهابيين على عمان، وتهديدهم مصالحها في الهند، ورأت ضرورة تحذير تركي من الاعتداء على أراضي السيد سعيد، وطلبت من محمد علي والي مصر الضغط على تركي ليكف عن سعيد، إذا كان تركي خاضعا فعلا للسلطة المصرية، كما أنها كانت تخشى من التدخل في شئون البر، والتورط في مشاكل لا حصر لها، كما حصل من قبل.[٥٠]

وفي سنة ١٨٣٤م كان نفوذ تركي بن سعود قد بلغ أقصى مداه حيث سيطر على نجد، والأحساء، وشرق الخليج العربي، والجنوب الشرقي منه، ولم يكن خضوع بعض شيوخ الساحل للدولة الوهابية رغبة بقدر ما هو خشية من مواطنيهم، الذين اعتنقوا الدعوة الوهابية، وفي هذه السنة اغتيل تركي في شهر مايو، وهو في المسجد، على يد ابن عمه مشاري، ونجح ولده فيصل بن تركي الذي كان يقود الجيوش في الأحساء، في العودة سرا، ودخول الرياض، وقتل مشاري، وتم اختياره مكان أبيه.[٥١]

- حيلولة بريطانيا دون قيام أي وحدة عربية أو إسلامية في المنطقة:

لقد بدأت حكومة الهند تناقش موضوع مشروع محمد علي الرامي إلى السيطرة على الشام، والعراق، والجزيرة العربية، وخطورة ذلك، ومدى تأثيره على الدولة العثمانية، التي تمثل سدا أمام أطماع روسيا في المنطقة، خاصة الهند البريطانية، ومدى إمكانية الاستفادة من قيام محمد علي بتحقيق مشروعه، غير أن هنري أليس وصل في تقريره لبحث هذا الموضوع إلى:

---

(٤٩) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ٣٨٩-٣٩٠.

فالقبائل العمانية تؤمن منذ ألف ومائتي عام بحقها في انتخاب الإمام إيمانا منها بمبدأ الشورى الإسلامي، والتي مارسته قرونا طويلة قبل أن يعرف العالم النظم الديمقراطية، غير أنها فقدت هذا الحق بعد الاستعمار البريطاني للمنطقة، وتثبيته للحكم الوراثي، وهو ما يمارسه الاستعمار اليوم الذي يرفع شعار الديمقراطية ويكرس النظم الاستبدادية الوراثية!

(٥٠) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ٣٩٦-٣٩٧.

(٥١) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/٤١٥ـ٤١٦.

(إنه ليس من مصلحة الدولة الأوربية الحاكمة في الهند أن تقوم على أرض الفرات دولة إسلامية قوية، إذ أن من المحتمل أن تتحد مع روسيا، كما قد تتحد مع فارس لمقاومة الأطماع الروسية، كما أن أي دولة تنشأ هنا سيمتد نفوذها بلا شك إلى جميع أقطار الجزيرة العربية، وقد تصبح في وقت قصير دولة بحرية هامة، إن منطقة آسيا الوسطى بأسرها يمكن اعتبارها منطقة إسلامية، وأنها تشكل حلفا إسلاميا هدفه طرد الدولة المسيحية، ولو توحدت كل ممالك الخليفة الإسلامي في دولة واحدة قوية، يتزعمها حاكم طموح، فإنها ستصبح خطرا على المصالح الأوربية، وعلى الرغم من أن الفرس ينتمون إلى المذهب الشيعي، وبقية السكان في الأقطار الأخرى التي يضمها هذا الحلف من المذهب السني، فإن هناك إحساسا دينيا مشتركا بينها يدفعها إلى الاتحاد مع بعضها في تلك المهمة المقدسة)!

ومن ثم رأى صرف النظر عن دعم مشروع محمد علي إذ أن دولة تضم مصر، والشام، والعراق، ستكون على حساب الوجود البريطاني في الهند.[٥٢]

وقد ذهب مسئولون بريطانيون آخرون إلى أن مشروع محمد علي يهدف إلى إقامة دولة تضم كل الأقطار التي يتحدث سكانها اللغة العربية، دون خروج عن الخلافة العثمانية، فلا ضرر على بريطانيا من قيام مثل هذه المملكة العربية.[٥٣]

وقد أمر محمد علي سنة ١٨٣٦م خالد بن سعود -بعد أن أفرج عنه- بقيادة جيش والتوجه إلى الرياض، ليتولى الأمر فيها، بدلا من ابن عمه فيصل بن تركي، وقد أمر محمد علي والي المدينة إسماعيل باشا بتزويد خالد بالقوات لتنفيذ مهمته، فعرض فيصل على محمد علي أن يكون واليا على نجد تابعا له، فرفض محمد علي هذا العرض، ونجح خالد في السيطرة على الرياض سنة ١٨٣٧م، وفر فيصل إلى الأحساء، وفي سنة ١٨٣٨م تحرك الجيش المصري في نجد بقيادة خورشيد باشا، ومعه جيش خالد بن سعود

---

(٥٢) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ٤٦٩-٤٧٠.

تأمل مدى خشية الحملات الصليبية والدول الغربية الاستعمارية من الوحدة الإسلامية، وعملها على الحيلولة دون تحالف بين السنة والشيعة في المنطقة، لتدوم لها السيطرة على المنطقة في ظل تناحر طوائفها، وهو ما نجح الاستعمار اليوم باستثماره بتخويف كل طائفة من الأخرى، والوقوف مع هذه تارة، وهذه تارة، وقيام حلفائه بتعزيز روح العداء بين الطوائف، من أجل دوام حكمهم، كما جرى في احتلال العراق!

(٥٣) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/٤٧٢.

وانطلقوا من الرياض نحو الأحساء، وقد طلب خورشيد باشا من شيخي الكويت والبحرين الخاضعين للسيادة العثمانية بتقديم الدعم لقواته عند وصولها إلى الأحساء، وفي آخر سنة ١٨٣٨م تمت السيطرة المصرية على الأحساء، وتم أسر فيصل بن تركي، وإرساله لمصر، حيث حبس هناك.[٥٤]

وقد جرى بين قنصل بريطانيا ومحمد علي تباحث حول الأوضاع في الخليج العربي، فذكر محمد علي أن الهدف من تحركات جيوشه في الجزيرة العربية (حماية مكة والمدينة، وبأن البحرين كالكويت، ولاية من ولايات نجد، وأنها كانت تدفع الزكاة إلى ابن سعود لسنوات عديدة)[٥٥].

كما سبق أن أكد محمد علي للقنصل البريطاني (بأن نجد كلها قد أصبحت خاضعة له، وبأن شبه الجزيرة العربية من مكة إلى المدينة، ثم إلى سواحل الخليج العربي قد أصبحت تحت نفوذه)[٥٦].

كما حاول البريطانيون استخدام نفوذهم للحيلولة دون سيطرة خورشيد على البحرين، غير أنها باعترافهم كانت (واقعة فعلا تحت سيطرته)[٥٧].

وفي الوقت الذي كانت بريطانيا تضغط على محمد علي بخصوص البحرين، كان خورشيد قد وقع اتفاقية مع عبد الله بن حمد بن خليفة بتاريخ ١٨٣٩/٥/٧م، اعترفت البحرين بموجبها بالسيادة المصرية العثمانية، والتزمت بدفع الزكاة السنوية، وقدرها ٣٠٠٠ريال نمساوي، وتقديم كل ما يطلبه الوالي من مساعدات، وبهذا صارت البحرين تحت السيادة الرسمية والفعلية لمصر العثمانية، كولاية تابعة لنجد والجزيرة العربية، التي أصبحت من البحر الأحمر إلى الخليج العربي تحت سيادتها.[٥٨]

(٥٤) بريطانيا والخليج لكيلي ١/ ٥٠٢، و٥٢٤–٥٣٠، وانظر تحفة المستفيد ١٤٥–١٥٠.

(٥٥) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ٥٥٢.

(٥٦) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ٥٠٧.

(٥٧) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ٥٥٥.

(٥٨) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ٥٥٦.

وكذا امتد نفوذ خورشيد باشا ليشمل ساحل عمان، حيث كان سعد بن مطلق المطيري قد قدم بقواته إلى الشارقة، كنائب لخالد بن سعود، وبتكليف من خورشيد باشا، وكممثل له.[(٥٩)]

كما أرسل سعد بن مطلق المطيري إلى السيد سعيد سلطان مسقط، يطلب منه دفع الزكاة السنوية للرياض التابعة لسلطة خورشيد باشا.[(٦٠)]

وقد نجح القائد خورشيد في بسط نفوذه الكامل، وتأمين الاستقرار في المنطقة، كما جاء وصفه في التقارير البريطانية بأنه (قائد موهوب، لأن جميع السكان العرب على امتداد المنطقة من شواطئ البحر الأحمر إلى سواحل الخليج العربي إلى البحرين متحدون ومنضبطون تحت حكم هذا الباشا، لدرجة أنهم يقومون بأنفسهم بحراسة المراكز العسكرية، وإبقاء الاتصالات مفتوحة مع مصر)[(٦١)].

وفي سنة ١٨٤٠م أمر محمد علي خورشيد باشا بسحب قواته من وسط الجزيرة العربية (نجد)، وشرقها (الأحساء)، وواكب ذلك ثورة القبائل في هذه المناطق على خورشيد باشا، وذلك بعد تمرد محمد علي على الخلافة العثمانية، ثم هزيمته بعد ذلك سنة ١٨٤٠م، وتراجع محمد علي عن مشروعه في إقامة دولة عربية موحدة، حيث أصبحت الجزيرة العربية تتبع الباب العالي العثماني مباشرة، بحسب المعاهدة التي بينه وبين الخلافة العثمانية.

وفي سنة ١٨٤١م اعترف خالد بن سعود بالتبعية للباب العالي مباشرة بعد أن كان تابعا لمصر، وتم تعيينه واليا على نجد.[(٦٢)]

وفي سنة ١٨٤٣م أفرجت مصر عن فيصل بن تركي، وعاد إلى الرياض، وأصبح واليا على نجد تابعا للباب العالي، حيث شرع في دفع الزكاة لشريف مكة محمد بن عون، الذي كان يتبع الأستانة مباشرة.[(٦٣)]

---

(٥٩) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ٥٤٦ و٥٦١.

(٦٠) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/٥٦٥.

(٦١) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ٥٣٠. وفي ذلك أوضح دليل على مدى التضليل والزيف الثقافي المعاصر الذي يصور أوضاع الجزيرة العربية بأنها كانت فوضى، ولا وجود لدولة وسلطة، وأن تاريخها ظلمات حتى قامت دويلات الطوائف الصليبية فيها!

(٦٢) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/٥٩٧، وتحفة المستفيد ١٥٥.

(٦٣) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ٦٧١، وسياسة الأمن لحكومة الهند ١٢٠.

وقد امتد نفوذ فيصل ليشمل في سنة ١٨٤٥م نجدا، والأحساء، وساحل عمان، وقد أرسل مبعوثا إلى المقيم البريطاني يؤكد له استئناف حكمه في المنطقة، وقد التزمت بريطانيا عدم التدخل في شئون الجزيرة العربية بعد انسحاب الجيش المصري منها، وقد أرسل فيصل إلى البريمي سعد بن مطلق المطيري نائبا عنه، الذي خرج بقواته إليها، واستقبلته القبائل الغفارية فيها بحماس شديد.(٦٤)

وقد أعرب شيوخ ساحل عمان عن ولائهم لسعد بن مطلق، كما أرسل سعد إلى السيد ثويني بن سعيد والي مسقط -وكان والده السلطان سعيد في زنجبار- وإلى ابن أخيه حمود بن عزان والي صحار، يطلب منهما دفع الزكاة السنوية، فتم دفعها له، بعد أن أدركوا عدم قدرتهم على مواجهته، وبعد رفض بريطانيا التدخل في شئون الجزيرة العربية الداخلية، كما قرر حمود بن عزان وبتأييد من القبائل تولي الحكم في مسقط بعد أن ضاق علماء الدين، وضاقت القبائل ذرعا بإهمال سعيد لشئون عمان، وأيضا (بسبب علاقته بالأجانب والنصارى)(٦٥).

وقد خشيت حكومة الهند البريطانية على مصالحها في الخليج، فحذرت فيصل بن تركي من تعريض الأمن في الخليج للخطر، فكتب أمير مكة الشريف عون -بطلب من فيصل- كتابا إلى المندوب البريطاني في بوشهر جاء فيه:

(أعرفكم بخصوص فيصل بن سعود، بأن هذا من رعايا السلطان العثماني، وغير خاف عليكم أن هناك بعض القلاع التي تخصه في عمان، وهو يدفع لخزينة السلطان ١٧٠٠٠ريال، وأملي فيكم أن لا تتخذوا ضده أي إجراء) (٦٦).

وقد أكدت بريطانيا أنها لا تتدخل فيما يحدث في داخل الجزيرة العربية على البر، لأنه ليس لها عليه سيادة، ما لم تصل المشاكل إلى البحر، وتعرض مصالحها التجارية للخطر، كما امتد نفوذ فيصل ليشمل قطر، والبحرين، كتوابع للإحساء، حيث دفعتا الزكاة له سنة ١٨٥٠م، وفي سنة ١٨٤٩م، صدر قرار عثماني

---

(٦٤) وفي هذا دليل واضح على مدى تطلع قبائل وسكان الخليج العربي إلى الوحدة، التي حال بينهم وبينها الاستعمار وحلفاؤه في المنطقة الذين جعلوا مصالحهم العشائرية الخاصة فوق كل اعتبار!

(٦٥) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ٦٧١-٦٧٩.

(٦٦) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/٦٨٦.

من الباب العالي بفصل ولاية البصرة عن بغداد، وإلحاق إقليم الأحساء والساحل الغربي من الخليج العربي بولاية البصرة.[٦٧]

وفي سنة ١٨٥٠م طلب فيصل من محمد الخليفة دفع الزكاة السنوية، وقد قام مواطنو الدوحة في قطر التابعة للبحرين بالانتفاضة عليه، وإعلان ولائهم لفيصل بن تركي، مما حدا محمد الخليفة بطلب التدخل البريطاني، وقد أرسل فيصل مبعوثه إلى المقيم البريطاني ليبلغه بأنه (حائر من الاتجاه المعاكس الذي تسير فيه السياسة البريطانية تجاهه في الآونة الأخيرة، فعلى حين كانت الحكومة البريطانية تحترم أسس التفاهم القائمة بينها وبينه، والتي تقوم على أساس عدم التدخل في علاقاته بسكان الساحل الغربي، فإنها قامت في الفترة الأخيرة بمنع رعاياه في رأس الخيمة ودبي من تقديم المساعدة البحرية إليه لإخضاع رعاياه المتمردين في البحرين)، وقد رد عليه المقيم البريطاني، بأن بريطانيا لا تعترف بسيادته على البحرين وقبائل ساحل عمان (التي كانت ولا تزال تعتبرها وتعاملها كدولة مستقلة).[٦٨]

وفي سنة ١٨٥٣م توجه عبد الله بن فيصل بن تركي من الرياض بجيش إلى البريمي التي سيطر عليها، وطلب حضور شيوخ الساحل إليه، كما طلب من ثويني إرجاع صحار إلى قيس بن عزان، ودفع متأخرات الزكاة، وجميع تكاليف الحملة، وقد حاول المقيم البريطاني الحيلولة دون حضور الشيوخ إليه، غير أن عبد الله كتب إليه بأنهم (مرتبطون بنا ومحسوبون علينا)!

وأخيرا وقعت مسقط اتفاقا مع عبد الله بن فيصل بن تركي، التزمت مسقط بموجبه بدفع الزكاة المتأخرة، والمستحقة عن مسقط وصحار.[٦٩]

---

(٦٧) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ٦٩٢.

(٦٨) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ٦٩٣-٦٩٦. تأمل في السياسة الاستعمارية الصليبية في تكريسها للتفرقة، وكيف جعلت من القبائل دولا، ليسهل لها السيطرة عليها والحيلولة دون وحدتها، وهي المشكلة التي ما تزال قائمة إلى اليوم وتنتظر من يحقق طموح شعبها بالوحدة!

(٦٩) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ٧٠١-٧٠٢.

وفي الوقت الذي كانت بريطانيا ترفض وجود أي نفوذ أجنبي في الخليج العربي، إلا إنها لم تستطع الحد من النفوذ الوهابي التابع للخلافة العثمانية، لأنه واقع على داخل الجزيرة العربية من جهة البر، لا خارجها من جهة البحر، الذي هو محط اهتمامها.[٧٠]

وقد حاولت بريطانيا فرض وجودها البحري على مجريات الأحداث داخل البر، والحد من نفوذ فيصل بن تركي الذي يتبع الخلافة العثمانية، وحاولت تذكيره بالاتفاقيات التي بينها وبين قبائل الساحل فرد عليها برسالة سنة ١٨٥٥م جاء فيها: (بخصوص الاتفاقيات المعقودة بين شيوخ ساحل عمان والمقيم البريطاني إننا نعلم بذلك، وبأن الغرض منه منع المخالفات، وإني أوافق على هذه لتدابير موافقة تامة، لأنه يوجد بيننا وبين الحكومة البريطانية تفاهم مدته مائة عام، وذلك بقصد حماية التجار، والمسافرين في البحار، وإن سواحل عمان والمناطق التابعة لها هي على أية حال تابعة لشبه الجزيرة العربية التي نحكمها، وإن أهلها يدينون بالولاء لنا، وإن أهل المقاطعات الداخلية من عمان وفي قلب مواطن القبائل البدوية أقوى من الجميع، وهم يتحكمون في سكان الساحل، ويعتدون عليهم، وتعلمون أني عينت نائبا في عمان تحت تصرفه قوة عسكرية مهمته أن يمنع الاعتداءات والأضرار، وإن هؤلاء يتمتعون بحماية النائب المذكور، ووجوده هناك هو مرضاة لله ثم لأمير المؤمنين، وبما أنني تابع لحكومة تركيا (الدولة العثمانية) فإني أحمل تفويضا من السلطان بحكم جميع العرب نيابة عنه، نسأل الله أن يديم حكمهم ومجدهم).[٧١]

ومع أن سياسة بريطانيا كانت تقوم على أساس تعزيز استقلال قبائل الساحل -لأنها (ستكون الدولة الخاسرة فيما لو انهار استقلال الدويلات الساحلية)[٧٢]- ومع ذلك لم تستطع بريطانيا الحيلولة دون دفع البحرين الزكاة لفيصل بن تركي الذي كان يقوم بدفعها إلى الباب العالي (فقد كانت السلطات البريطانية في الخليج تتحاشى الزج بنفسها في هذا الموضوع) على حد قول كامبل المندوب البريطاني في بوشهر، الذي أكد له فيصل بأن البحرين ومنذ عصور بعيدة هي تابعة له، وتدفع الزكاة السنوية، وقد كتب فيصل إلى كامبل رسالة يؤكد فيها:

---

(٧٠) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ٧٠٥.

(٧١) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/١٨١-١٨٢، وسياسة الأمن ١١٧-١١٨.

(٧٢) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ١٧٧.

(إن ثمة تفاهم بيني وبين الحكومة البريطانية بشأن المناطق التابعة لنجد، والتي تمتد من عمان إلى الكويت، والتي لا يحق لكم ممارسة أي سلطة عليها، أو التدخل في شئونها)[٧٣].

واستقر الوضع على ذلك، واستمر الهدوء إلى أواخر سنة ١٨٥٩م.[٧٤]

وقد كتب المقيم البريطاني الجديد في بوشهر فيلكس جونز تقريرا حول الوضع، يحذر فيه من خطر امتداد النفوذ الوهابي الذي يبسط سيطرة الدولة العثمانية على السواحل والموانئ الخليجية.[٧٥]

وبعد أن وقع نزاع في البحرين واضطراب، وحاول جونز منع فيصل من التدخل فيه، رد عليه بقوله: (إنكم تعلمون بأن البحرين تابعة للأمير الوهابي، وأن القوانين التي فيها صادرة عنه، وأن الزكاة هو الذي فرضها، وأن جونز يتدخل فيما لا يعنيه)[٧٦].

ولما أدرك شيخ البحرين محمد بن خليفة عجز المقيم البريطاني، وخطورة الوضع، بادر بإرسال رسالة لوالي بغداد عمر باشا يعرض عليه وضع البحرين تحت سيادة الخليفة العثماني مباشرة، دون واسطة فيصل بن تركي، وقد أرسل والي بغداد مندوبا عنه لترتيب الوضع، وفي أبريل سنة ١٨٦٠م تم الاتفاق بين والي بغداد الجديد مصطفى باشا ومحمد الخليفة على دفع الزكاة لبغداد، واعتراف البحرين بالتبعية للدولة العثمانية، وتم رفع العلم العثماني.[٧٧]

ولم تعترض بريطانيا على ما جرى (فطالما أن ولاء حاكم البحرين أو تبعيته لأي دولة لا يستتبعه احتلال عسكري من جانب تلك الدولة، فإن ذلك لا أهمية له، ويجب تجاهله) على حد قول المعتمد

(٧٣) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/١٧٩.

(٧٤) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/ ١٨٦.

(٧٥) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/١٩٣. وكل هذه المراسلات تكشف مدى الزيف والتضليل في الثقافة المعاصرة التي تتحدث عن استقلال الإمارة الوهابية عن الخلافة العثمانية والدولة الإسلامية، فقد ظلت تابعة لها منذ تأسيسها إلى سقوطها في المرة الأولى ثم المرة الثانية.

(٧٦) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/١٩٤.

(٧٧) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/١٩٧–٢٠٠.

السياسي البريطاني في بغداد رولنسون في رسالته لجونز، إذ أن ما يهم بريطانيا هو حماية البحر من أي قوة قد تشكل خطرا على مصالحها.[٧٨]

- السيطرة البريطانية على الجزيرة العربية وموقف الدعوة الوهابية:

وفي يناير سنة ١٨٧٥م توفي سعود بن فيصل بن تركي آل سعود في الرياض، وتم اختيار أخيه عبد الرحمن بن فيصل خلفا له، غير أن القبائل في الأحساء كانت ضده، وقد قام والي بغداد بضم الأحساء إلى لواء البصرة والمناطق السفلى التابعة له، وكانت تحت حكم ناصر السعدون.[٧٩]

وفي شهر يونيو سنة ١٨٧٦م أرسل السيد الفضل العلوي حاكم صلالة وإقليم ظفار إلى الباب العالي يؤكد تبعيته للخلافة العثمانية، بناء على رغبة سكان الإقليم، وطلب من الدولة العثمانية تزويده بالسفن والعتاد العسكري لتأمين المنطقة، وقد توطد نفوذ العلوي بتأييد قبائل ظفار له، ورفع العلم العثماني، وقد كتب المسئولون البريطانيون في حكومة الهند تقريرا عن العلوي وبأنه (شخص خطير حاقد على بريطانيا وأن دعوته أكثر تطرفا من الدعوة الوهابية)، مما دفع بريطانيا للتدخل والتخطيط للقضاء على العلوي الذي يهدد سيادتها البحرية ونفوذها في مسقط.[٨٠]

ويلاحظ أن تهمة التطرف وتهديد الأمن هي الشماعة التي تستخدمها الحملات الصليبية الحديثة لاحتلال المنطقة، ولمواجهة كل من يتصدى لمقاومتها!

وقد وقعت اضطرابات على السواحل بين الأحساء وقطر سنة ١٨٧٦م قامت بها قبائل بني هاجر والمرة، وقد كتبت حكومة الهند إلى لندن بأنه (كثر التعدي من القبائل التابعة للعثمانيين كبني هاجر والمرة)[٨١].

وقد دفع ذلك المسئولين البريطانيين إلى اقتراح (تحديد المناطق التي للدولة العثمانية عليها سيادة، وأنه يتعين على بريطانيا الاعتراف للدولة العثمانية بالسيادة الإقليمية على الساحل العربي، ضمن

---

(٧٨) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/٢٠٣.

(٧٩) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/٦٥٦.

(٨٠) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/٦٧١-٦٧٣.
تأمل في التهمة البريطانية للسيد العلوي بأنه متطرف خطير لا لشيء إلا لأنه يقاوم الحملة الصليبية البريطانية الاستعمارية على الخليج والجزيرة العربية، فما أشبه الليلة بالبارحة!

(٨١) سياسة الأمن ٢٢٥.

حدود معينة، فالموانئ العثمانية على الخليج هي الكويت، والقطيف، والعقير، وعلى الجانب الساحلي من الخور ويعرف بساحل قطر، ويضم البدعة، والوكرة، والعديد، بالإضافة إلى مرفأين أو ثلاثة مرافئ صغيرة، ومن ثم فاستيلاء الدولة العثمانية على هذا الساحل لا يعطيها أي مزايا، غير أن السيادة الوهمية التي تمارسها على هذه المنطقة، والتي تتمثل في وجود قوة عسكرية صغيرة ترابط في البدعة، قد بدأت تشكل خطرا على بريطانيا، نظرا لتدخل المسئولين الأتراك في شئوننا التجارية المشروعة، التي نحقق من ورائها كثيرا من المكاسب، وباستثارتهم للمشاعر القومية للسكان العرب في هذه المناطق، ولو تم ذلك -أي: تحديد المناطق وتنازل الدولة العثمانية عن سيادتها وديا على الساحل الممتد من جنوب العقير إلى مقابل ساحل البحرين- فإن هذه المبادرة سوف تخدم بريطانيا إلى حد كبير، ويمكن وضع حد لروح القرصنة التي تسود القبائل).(٨٢)

- التطلع البريطاني للسيطرة على داخل الجزيرة العربية:

وقد بدأت حكومة الهند البريطانية تتطلع إلى تحديد الحدود البرية لشيوخ قبائل الساحل، مع ضمان الحماية البرية لهم، كما هو الحال في البحر، وهذه أول مرة تفكر فيها حكومة الهند بالتدخل في منطقة الظهير البري.(٨٣)

ولم يتحقق هذا الاقتراح إلا بعد ثلاثين سنة، أي في سنة ١٩١٣م، في إطار الاتفاقية العثمانية البريطانية المعقودة في العقير بتاريخ ٢٩ يوليو، التي تم بموجبها رسم حدود السيادة العثمانية في الأجزاء الشرقية من شبه الجزيرة العربية، والتي تمتد من جنوب العقير إلى الربع الخالي جنوبا، والذي عرف فيما بعد بالخط الأزرق.(٨٤)

وقد كان هناك اعتراف من المسئولين البريطانيين بحدود السيادة العثمانية الفعلية، وأن (المنطقة الممتدة من البصرة إلى العديد -مرورا بالكويت والأحساء- تشكل المنطقة الساحلية المعترف بالسلطة السياسية والإدارية للدولة العثمانية عليها، وفي القطيف والعقير توجد لها حاميات وجهاز إداري، أما

(٨٢) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/٦٦٢-٦٦٣.

(٨٣) سياسة الأمن ٢٢٨.

(٨٤) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/٦٦٣.

في البدعة على الساحل الشرقي من رأس قطر فإن السلطة العثمانية سلطة قوية، وإن لم تكن منتظمة).[٨٥]

كما اعترف المسئولون البريطانيون بأن معاهداتهم مع مسقط وقبائل ساحل عمان لم تضمن لبريطانيا وحكومة الهند البريطانية ممارسة أي سيادة من أي نوع على تلك القبائل، وأنه لا بد من تغيير هذه السياسة التي أفقدت بريطانيا نفوذها في الخليج في مقابل ازدياد النفوذ العثماني في الجزيرة والخليج العربي، الذي أدى إلى تقليص النفوذ البريطاني البحري.[٨٦]

وفي شهر أغسطس سنة ١٨٧٩م صدر مرسوم من الوالي العثماني في البصرة عبد الله باشا باعتبار مسقط، والبحرين، والشحر، والمكلا، وكل الموانئ على سواحل الجزيرة العربية الشرقية والغربية هي موانئ عثمانية، ما عدا ميناء عدن، وقد حاول البريطانيون الاعتراض والاحتجاج على هذا المرسوم، فلم يرد عليهم العثمانيون، ولم يلتفتوا إليهم.[٨٧]

وقد سمحت بريطانيا للمقيم السياسي البريطاني سنة ١٨٧٩م باستخدام اللازم ضد القراصنة في المياه الإقليمية العثمانية في شرق شبه الجزيرة العربية، الممتدة من الكويت إلى قطر ضمن مرمى قذائف المدفعية البحرية البريطانية، غير أن الخارجية البريطانية تحفظت على هذا الإجراء (لأنه بالنظر إلى عدم وجود معاهدة تنص على مثل هذه الإجراءات، فإن مهمة السفن البريطانية تقتصر على مكافحة أعمال القرصنة في المياه الدولية، خارج المياه الإقليمية التركية، وقد صدرت تعليمات إلى قائد الأسطول تدعوه إلى الامتناع عن القيام بأية إجراءات عدائية ضد الأراضي التركية، أو المياه الإقليمية التركية، دون موافقة الأتراك وتعاونهم)[٨٨].

وقد وصل المسئولون البريطانيون إلى قناعة بأن (الرقابة البحرية التي كانت تمارسها الحكومة البريطانية في الخليج رقابة محدودة، وكان الشيء الوحيد المطلوب من شيوخ المنطقة هو عدم اعتداء

---

(٨٥) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/٧١٠-٧١١.

(٨٦) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/٧١١-٧١٥ ، وسياسة الأمن ٢٢٨.

(٨٧) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/٧٢٤-٧٢٥.

(٨٨) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/٧١٧-٧١٨، وسياسة الأمن ٢٣٤.

أحد منهم على الأطراف الأخرى المشتركة في معاهدة السلم البحرية لعام ١٨٥٣م، كما أن مجال التدخل البريطاني ضد أي اعتداء من ذلك النوع محدود)[٨٩].

مما يستدعي من الحكومة البريطانية إعادة النظر في المعاهدات مع شيوخ القبائل، ومع الدولة العثمانية لتحديد المناطق التي تحت سيادتها.

وقد رفضت الدولة العثمانية اتخاذ أي إجراءات مشتركة مع بريطانيا يخول بريطانيا حق مطاردة القراصنة في مياهها الإقليمية في الخليج العربي، وهو ما زاد من تعقيد وتقليص النفوذ البريطاني في الخليج، خاصة وأن السيادة العثمانية على داخل الجزيرة العربية وفي البر يجعل لها السيادة على مياهها الإقليمية في سواحل الخليج من البصرة إلى قطر حيث لا خلاف على سيادتها على هذه المنطقة.

وقد أكد الخبراء القانونيون البريطانيون الذين تمت استشارتهم في هذا الموضوع بأن بريطانيا لا تتمتع بحق انتهاك المياه الإقليمية العثمانية، ووافقوا بهذا الرأي، رأي الخارجية البريطانية، وهو ما لم يرتضه مكتب شئون الهند البريطانية.[٩٠]

ويلاحظ أن بريطانيا اتخذت من دعوى مكافحة قراصنة البحر الخليجيين، ذريعة لاحتلال المنطقة، كما تتخذ الولايات المتحدة اليوم مكافحة الإرهاب ذريعة لتكريس احتلالها للمنطقة!

- المخطط البريطاني لمشروع الثورة العربية ضد الخلافة العثمانية سنة ١٨٨٠م:

وقد وجد البريطانيون صعوبة في التوصل إلى اتفاق حول هذا الموضوع مع الدولة العثمانية، خاصة بعد ازدياد شك الخليفة العثماني السلطان عبد الحميد الثاني بالمؤامرة البريطانية ضد الخلافة العثمانية، والذي كان يصر على أن البريطانيين يخططون لثورة العرب في أقاليم الخلافة ضد الباب العالي، وأنهم يستغلون تذمر العرب لفصل أقاليمهم عن الدولة العثمانية، وفرض السيطرة البريطانية عليها، حيث تلقى السلطان معلومات في فبراير سنة ١٨٨٠م من مصادر عدة، تفيد بأن بعض العرب في الجزيرة والعراق وسوريا مستعدون للثورة إذا وجدوا دعما من بريطانيا أو أي دولة أخرى، وأن الحجاز هو مصدر تلك الحركة، ومن المحتمل أن يكون شريف مكة، الذي يطمح أن يكون خليفة

---

(٨٩) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/٧١٨.

(٩٠) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/٧٢٨.

للمسلمين، ضالعا في هذه المؤامرة، ولم تجد المحاولات التي بذلت مع السلطان عبدالحميد من أجل تبديد تلك المخاوف التي تسيطر على عقله.[٩١]

ومما يؤكد شك السلطان عبد الحميد أن شريف مكة حسين بن محمد بن عون قد عرض على الحكومة البريطانية تكليفه بإرسال رسول منه إلى ملك أفغانستان، ليدعوه إلى الدخول في علاقة مع بريطانيا، وقد تم فعلا الاتفاق بشكل سري بين شريف مكة والقنصل البريطاني في جدة لعقد الاجتماع وإعداد الترتيبات لهذه المهمة، غير أنه وقبل الاجتماع بأيام تم اغتيال الشريف.[٩٢]

وقد اختار السلطان عبد الحميد الشريف عبد المطلب أميرا على مكة لشدة عداوته لبريطانيا، كما تأكد للسلطان عبدالحميد منذ أواسط سنة ١٨٨٠م، عن طريق مصادره من وجود مؤامرة بريطانية تستهدف نفوذه في نجد والأحساء، وذلك بتأييدها بعض آل سعود، وهو عبد الله بن ثنيان بن سعود، وقد تمت اللقاءات بين ابن سعود وبين السفير البريطاني في إسطنبول لطلب دعم بريطانيا، وقد وعدها بالسيطرة على القبائل الساحلية، وأنه سيحقق بذلك مصالح بريطانيا.[٩٣]

- المخطط الأوربي الصليبي للقضاء على الخلافة العثمانية وتقاسم أقاليمها:

وكانت بريطانيا قد طالبت الدول الأوربية في مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨م بإعادة تقسيم أقاليم الدولة العثمانية، وهو ما أثار سخط السلطان عبد الحميد على بريطانيا، التي كانت حليفة قبل ذلك للدولة العثمانية، وقد قامت بريطانيا بتنفيذ مخططها عمليا باحتلال مصر سنة ١٨٨٢م.[٩٤]

وقد كان عذرها في احتلال مصر هو أنها تريد إعادة الأمن والاستقرار لها، مع أنها تعترف بسيادة الدولة العثمانية عليها، وتبعيتها لها!

وقد بدأت بريطانيا أيضا من طرفها بالحذر والخشية من أن يكون السلطان عبدالحميد وراء الاضطرابات وتأجيج مشاعر المسلمين في الهند، بدعوى أنه خليفة للمسلمين في كل مكان، وقد توصل ماليت سكرتير مكتب الشئون الهندية البريطانية إلى أن (الأمل ضعيف في التخلص من السلطان

---

(٩١) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/٧٣١-٧٣٢.

وقد أثبتت الأيام صحة رأي السلطان عبد الحميد حيث كانت بريطانيا وراء ثورة الشريف حسين التي حدثت بعد ثلاثين سنة!

(٩٢) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/٧٣١-٧٣٢.

(٩٣) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/٧٣٤-٧٣٥.

(٩٤) سياسة الأمن ٢٣٤.

وتجريده من سلطته الدينية، كما حدث بالنسبة للبابا، فإن السلطان العثماني وحكومته يشكلان رمزا لأقطار عديدة أغلبية سكانها من الرجعيين والمتعصبين والمعادين لكل مظهر من مظاهر المدنية الحديثة التي ميزت شعوب أقطار أوربا)[٩٥].

- معاهدات الاحتلال والحماية البريطانية مع شيوخ الخليج العربي:

وفي ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٨٠م، وخشية من امتداد النفوذ العثماني إلى البحرين، وقعت بريطانيا معاهدة الحماية التي تنص على أن يلتزم شيخ البحرين وذريته من بعده بأن لا يتصرف في أراضي بلده، ولا يعقد أي اتفاق مع أي دولة، ولا يقيم علاقة دبلوماسية قبل الرجوع إلى بريطانيا (وقد عززت هذه المعاهدة من ارتباط البحرين بالحكومة البريطانية، وحولتها إلى دولة تابعة تبعية مطلقة لبريطانيا).[٩٦]

وفي ديسمبر سنة ١٨٨٧م وقعت بريطانيا اتفاقيات مماثلة مع شيوخ قبائل ساحل عمان المهادن – الإمارات العربية –.[٩٧]

ويلاحظ عبارة (شيوخ القبائل) فهي تعبر أوضح تعبير وأصدقه عن واقع هذه المشيخات الصغيرة حين وقعت بريطانيا معها اتفاقيات الحماية، وأنها لم تكن مدنا فضلا عن دول، وهو ما يبطل قانونية كل تلك المعاهدات حسب القانون الدولي، إذ لم تكن بين دولتين بل بين دولة وموانئ تابعة لدولة أخرى هي الدولة العثمانية!

وما لبثت أن سقطت الرياض سنة ١٨٨٨م على يد محمد ابن رشيد أمير حائل، الذي ظل تابعا للخلافة العثمانية، وكذا ظل الحجاز تحت حكم الأشراف تابعا للخلافة العثمانية.

وفي مارس ٣ سنة ١٨٩١م، وقعت بريطانيا معاهدة حماية مع سلطان مسقط.

---

(٩٥) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/٧٣٨.

وتأمل في هذه العبارة والنظرة الصليبية للعالم الإسلامي وقارنها بتصريحات بوش الثاني ورئيس وزراء إيطاليا برلسكوني إبان الحرب على أفغانستان والعراق عن الإسلام والمسلمين اليوم لتعرف أبعاد الحملة الاستعمارية الغربية الصليبية الجديدة على العالم العربي والإسلامي، وأن الروح الصليبية ما زالت مؤثرة بشكل رئيسي في السياسة الغربية والأوربية في المنطقة الإسلامية والعربية!

(٩٦) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/٧٤٩-٧٥١.

(٩٧) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/٧٦٢، وسياسة الأمن ٢٥١.

وفي سنة ١٨٩٢م وقعت معاهدات حماية شبيهة لمعاهدة مسقط مع كل من البحرين، وشيوخ الإمارات الخليجية، في مايو ٥ سنة ١٨٩٦م.[٩٨]

وبعد اغتيال مبارك الصباح أخاه محمدا سنة ١٨٩٦م -بتخطيط بريطاني بسبب رفض محمد للمعاهدة لأنه موظف عثماني كما سيأتي[٩٩]- طلب مبارك الصباح من المقيم السياسي البريطاني في بوشهر توقيع معاهدة حماية معه، إلا أن بريطانيا تحفظت لكون الكويت تابعة بشكل رسمي للدولة العثمانية، وخشيت بريطانيا من إثارة المشاكل معها، وفي ٢١يناير سنة ١٨٩٩م، وقعت بريطانيا اتفاقية حماية مع مبارك كمثل اتفاقية البحرين.[١٠٠]

وقد ظلت اتفاقية الكويت سرية، لكون مبارك ما زال يحمل صفة قائمقام عثماني.

OFFICE COPY

بسم الله تعالى شانه

المقصود من تحرير هذا الصك الحقانية المعتبرة في تحقيق العهد والقبول بين كرنل ملكم جان ميد افندي سناف كار باليوز جلالة الملكة البريطانية العظمى من جانب الدولة البهية القيصرية الانكليس في طرف وجناب الشيخ مبارك بن صباح شيخ الكويت في الطرف الثاني بان جناب الشيخ مبارك بن صباح المذكور برضائه واختياره بعقد العهد وتقييد نفسه وورثته واخلافه الى الابد بان لا يقبل وكيلا او قايم مقام من جانب دولة او حكومة في الكويت او في قطعة اخرى من حدوده بغير رخصة الدولة البهية القيصرية الانكليس ولا يفوض ولا يبيع ولا يؤجر ولا يرهن ولا ينتقل بنوع آخر ولا يعطي للسكون قطعة من اراضيه الى دولة او رعية احد من الدول الاخر بغير ان يحصل الاجازة اولا من دولة جلالة الملكة البريطانية العظمى لاجل هذه الارادة وهذه المقاولة ايضا تشتمل على كل قطعة في اراضي الشيخ المذكور التي تكون حالا في تصرف رعايا كل واحد من الدول الغير ولاجل الشهادة لتكميل هذه المقاولة الحقانية المعتبرة المحترمة كرنل ملكم جان ميد افندي سناف كار باليوز جلالة ملكة البريطانية العظمى في خليج فارس وجناب الشيخ مبارك بن صباح الاول منهما من جانب الدولة البهية القيصرية الانكليس والثاني من جانب نفسه وورثته واخلافه كل واحد منهما بحضر الشهود وضعوا صحيحهم في هذا اليوم العاشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٣١٦ مطابق ٢٣ جنوري سنة ١٨٩٩

مبارك الصباح

شهد بذلك الاقل محمد رحيم بن عبد النبي صفر

Translator

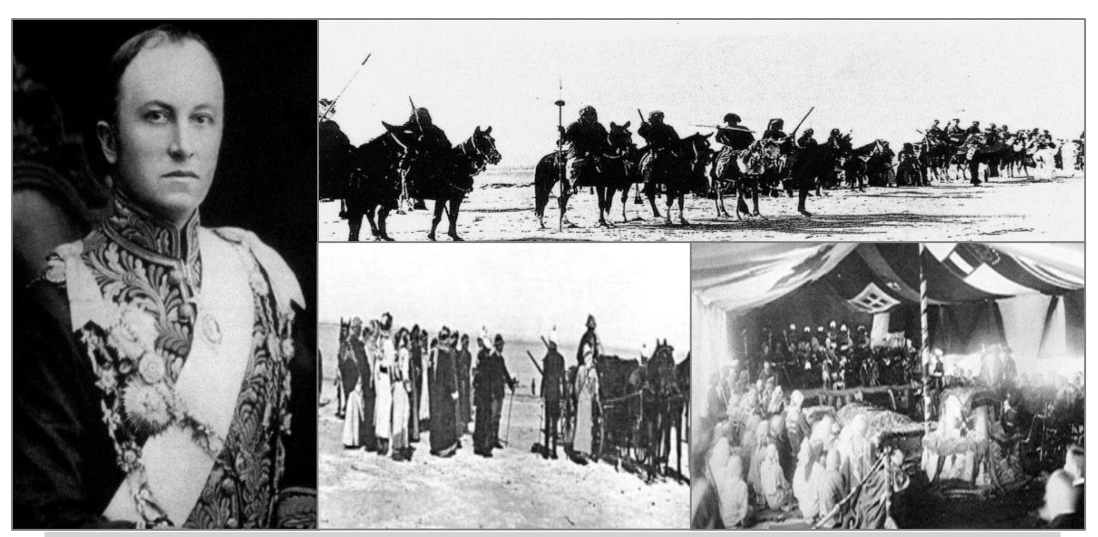
السواد مطابق لاصل صحيح سنتربيل نايب وكيل باليوز وقونسل جنرال الدولة البهية القيصرية في خليج فارس

اتفاقية الحماية التي وقعها مبارك الصباح عام ١٨٩٩م مع بريطانيا وهو لا يزال موظفا في الدولة العثمانية

(٩٨) سياسة الأمن ٢٥٧.

(٩٩) انظر أوراق الزعيم المصري مصطفى كامل المقالات الجزء الثاني ص ٢٣٢.

(١٠٠) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/٧٦٦.



وجاءت زيارة اللورد كرزون -نائب الملك البريطاني وحاكم عام الهند- لسواحل الخليج العربي سنة ١٩٠٣م
كنتيجة للسيطرة البريطانية، ويبدو في الصور استقبال كرزون في الكويت والشارقة

وقد كانت اتفاقيات بريطانيا مع شيوخ الساحل كلها غير قانونية إذ إنه لم يكن للشيوخ أي صفة قانونية ليوقعوا مثل هذه الاتفاقيات، حيث إن مدنهم كانت جزءا من دولة كبرى هي الدولة العثمانية بشكل رسمي، كما إن شيوخها كانوا موظفين رسميين فيها من قبل الخليفة العثماني، ويتقاضون مخصصاتهم من خزينة الدولة العثمانية، حين وقعوا تلك الاتفاقيات، وهذا ما دفع بريطانيا لتوقيعها بصورة سرية.

كما كانت بريطانيا تخشى أن تحدث اضطرابات أهلية إذا تم افتضاح أمر هذه المعاهدات، وهذا ما حدث بالفعل إذ أصدر علماء نجد فتاواهم في ردة من دخلوا في مثل تلك المعاهدات، حيث أفتى عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ فتوى في أهل الخليج جاء فيها: (وانتقل الحال بهم حتى دخلوا في طاعتهم، واطمأنوا إليهم، وطلبوا صلاح دنياهم بذهاب دينهم، وهو بلا شك أعظم أنواع الردة ... وقد قال تعالى: {تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ}، وقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} ... فكل من دخل في طاعتهم، وأظهر موالاتهم، فقد حارب الله ورسوله، وارتد عن دين الإسلام ووجب جهاده ومعاداته)[١٠١].

(١٠١) الدرر السنية ٨/١١.

كما كثر السؤال عن حكم مثل تلك المعاهدات فصدرت الفتاوى الجماعية من علماء نجد كعبد الله بن عبد اللطيف وإبراهيم بن عبد اللطيف وسليمان بن سحمان بأن الدخول تحت الحماية البريطانية ردة عن الإسلام.(١٠٢)

وقد ظلت بريطانيا تعترف بالسيادة العثمانية على ساحل الخليج من البصرة إلى قطر مرورا بالكويت، والأحساء، حتى سنة ١٨٩٥م، حيث أعلنت عن عدم اعترافها بالسيادة العثمانية على قطر التي ما زالت فيها حامية عثمانية.(١٠٣)

وفي ٣ نوفمبر سنة ١٩١٦م، وبعد قيام الحرب العالمية الأولى، وقعت قطر اتفاقية الحماية مع بريطانيا، بنفس شروط معاهدة البحرين، ليصبح الخليج العربي كله تابعا تبعية مطلقة لبريطانيا، فاقدا أي سيادة في ظل الاستعمار البريطاني للخليج العربي، الذي استمر منذ ذلك الحين، إلى الاستقلال الصوري في أواخر القرن العشرين، حيث حلت الولايات المتحدة محل بريطانيا، وما زالت الإشكالية!

- الرؤية البريطانية الاستعمارية لمستقبل الجزيرة العربية:

لقد أدرك البريطانيون الواقع الذي كانت عليه الأوضاع في الجزيرة والخليج العربي حيث لا وجود لدولة أو ما يمكن أن يصدق عليه اسم دولة، بل كان الإقليم كله جزءا من الدولة والخلافة العثمانية، وقد عمل البريطانيون على توظيف ذلك الواقع لصالح المشروع الاستعماري البريطاني، الذي كان ينتظر الفرصة التاريخية السانحة للانقضاض على الدولة العثمانية واحتلال أقاليمها بعد ضعفها، وقد أكدت التقارير البريطانية سنة ١٩١٧م -كما في تقرير هرتزل- أهمية الجزيرة العربية بالنسبة لبريطانيا حيث جاء فيها: (إن أهمية الجزيرة العربية من حيث موقعها الجغرافي أمر معروف، ولا يمكن لأي قسم من تلك البلاد ألا يهم بريطانيا العظمى التي هي الدولة الوحيدة ذات موطئ القدم في البلاد في الوقت الحاضر، إن سيطرتنا محدودة على شريط ضيق محاذ للساحل من عدن إلى الكويت، وإنه يعتمد في نهاية الأمر على استتباب الهدوء في المناطق الداخلية -أي القبائل داخل الصحراء- ولما كنا غير قادرين على التدخل في داخلية البلاد أو السيطرة عليها، فإنه لأمر أساسي استبعاد كل بذور الاضطراب المحتملة، إن جزيرة لعرب ليست دولة بأي معنى فعلي، بل هي مجموعة من العشائر، وهي مستقرة تقريبا في المناطق الخصبة قرب الساحل، وفي ما عدا ذلك فهي رحالة يرأسها شيوخ لا تقرر سلطاتهم الحدود الأرضية، بل العشائر التي يرأسونها في وقت معين، إن سياستهم متشابكة بصورة وثيقة، وإذا

---

(١٠٢) الدرر السنية ١٠/٤٣٥.

(١٠٣) سياسة الأمن ٢٣٧-٢٣٩.

نشب نزاع فإنه قد يمتد إلى الجزيرة كلها، ولدينا مع العشائر والشيوخ على الساحل المذكور علاقات تنظمها معاهدات ... وحين يخرج الأتراك من الجزيرة العربية، فإنها لن تقع بيد سيد عربي واحد)[١٠٤].

كما درس علماء الأجناس البريطانيون -كما في الموسوعة البريطانية- خصائص الجنس العربي في شبه الجزيرة العربية وأنهم (من حيث التكوين الطبيعي من أقوى وأنبل العروق البشرية في العالم، فهم جسديا لا يرضخون إلا للقلة من الأجناس البشرية هذا إذا رضخوا لأي منها، فأما ذهنيا فإنهم متفوقون على معظم أجناس البشر، ولا يحد مسيرة تقدمهم سوى النقص الملحوظ في القدرة على التنظيم، وعجزهم عن القيام بعمل مشترك)[١٠٥].

فقد كان البريطانيون يؤمنون بأن (العرب لا يستطيعون أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم، والاستقلال للمناطق العربية كما ورد على ألسنة المسئولين البريطانيين خلال أحاديثهم أثناء الحرب، كان يعني فقط الاستقلال عن الإمبراطورية العثمانية، وأن هذه المناطق ستدور في فلك دولة أوربية ما).

كما تمت الكتابة بتاريخ ٢٦ / ٨ / ١٩١٥م إلى حاكم الهند البريطاني من قبل البريطانيين المهتمين بشئون المنطقة (ليس بالأمر المستحيل أن يقوم في وقت ما في المستقبل اتحاد فيدرالي لدول عربية شبه مستقلة، بتوجيه وتأييد أوربي، وتكون هذه الدول مرتبطة مع بعضها على أرضية عرقية ولغوية، وتكون مدينة بالولاء الروحي لرأس عربي، وتتطلع إلى بريطانيا على أنها ولية أمرها وحاميتها).

كما أكد اللورد كيتشنر ضرورة نقل الخلافة من إسطنبول قبل أن تقع تحت النفوذ الروسي، إلى الجزيرة العربية حيث ستظل الخلافة فيها تحت التأثير البريطاني.[١٠٦]

لقد قررت بريطانيا احتلال الخليج والجزيرة والسيطرة عليها تدريجيا دون استثارة الدولة العثمانية التي كانت تعيش أوضاعا سيئة، فقامت بتوقيع اتفاقيات سرية مع شيوخ الساحل باسم معاهدات الحماية، بينما هي احتلال غير مباشر للمناطق التي وقعت معها المعاهدات من غير أي صفة قانونية، فقد وقعت بريطانيا معاهدة حماية مع عمان سنة ١٨٩١م، وقد نصت في القسم السري منها على أن لا يتصرف سلطان عمان بأي جزء من أرضه بأي شكل من أشكال التصرف دون الرجوع إلى السلطة

---

(١٠٤) الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية ١/١٢٦.

(١٠٥) سلام ما بعده سلام (ولادة الشرق الأوسط) لديفيد فرومكين ص١٢٠.

(١٠٦) ولادة الشرق الأوسط ١٥٨-١٥٩.

البريطانية، وكذا وقعت بريطانيا سنة ١٨٩٢م معاهدة حماية بالشروط نفسها مع البحرين ومع مشيخات الخليج المهادن (رأس الخيمة، والفجيرة، وأم القوين، والشارقة، ودبي، وأبو ظبي).

لقد ظلت بريطانيا تقر للخلافة العثمانية بسيادتها المباشرة على الخليج العربي من البصرة إلى ميناء القطيف، ففي سنة ١٨٧٦م جاء في تقرير رسمي لنائب المعتمد البريطاني في الخليج العربي ما يلي (الموانئ العثمانية المهمة على الساحل العربي من الخليج هي الكويت والقطيف والعقير)، وكذا اعترفت حكومة الهند البريطانية سنة ١٨٧٨م بالسيطرة العثمانية على جميع الساحل العربي من البصرة إلى العقير، وحق الحكومة العثمانية بمطاردة القراصنة في البر والبحر، وكذا اعترف السفير البريطاني في إسطنبول سنة ١٨٧٩م نيابة عن وزير الخارجية بالاعتراف بالسيادة العثمانية المباشرة على سواحل الخليج من البصرة إلى العقير، وفي سنة ١٨٩٣م أكد السفير البريطاني في إسطنبول بصورة رسمية اعتراف حكومته بالسيادة العثمانية على ساحل الخليج من البصرة إلى القطيف.[١٠٧]

وكانت بريطانيا قد طلبت من جابر الصباح شيخ الكويت في حدود سنة ١٨٥٦م أن يوقع معها اتفاقية حماية فرفض اعترافا بتبعيته للدولة العثمانية حيث قال: (إن الحكومة العثمانية جارتنا - هكذا في تاريخ الرشيد! والصحيح حكومتنا - وجل ما نحتاجه يأتينا من بلدها البصرة التي لها فيها الأمر والنهي)، وقد أكرمه والي البصرة العثماني رشيد باشا بإجراء مخصصات مالية له ولأسرته، وتكرمت عليه الدولة العثمانية بفرمان وعلم أخضر، ثم بعد ذلك في سنة ١٨٧١م عينت الدولة العثمانية عبد الله الثاني بن جابر قائمقام للكويت تابعا لولاية البصرة العثمانية.[١٠٨]

وكما يقول لوريمر: (ظل عبد الله بن صباح الذي تولى المشيخة بعد أبيه من ١٨٦٦م إلى ١٨٩٢م على علاقة وثيقة بالحكومة التركية طوال مدة حكمه، وكان مطيعا ومتحمسا لأن يكون أداة للسياسة التركية، وفي سنة ١٨٧٠م كان هو الوسيط الذي من خلاله قدم عبد الله بن فيصل أمير الوهابيين المعزول عونه للأتراك، وفي ١٨٧٠م قدم عبد الله وسائل النقل البحري المؤلفة من ٣٠٠ سفينة أهلية لنقل القوات التركية المتجهة لفتح الأحساء، وقد صحب الحملة بنفسه، وعن طريقه تم إقناع شيخ الدوحة في قطر برفع العلم التركي، وحين ذهب مدحت باشا والي بغداد في جولة تفتيشية في إقليم الأحساء قبل نهاية السنة توقف في الكويت ونصب الشيخ عبد الله على الكويت، وأوضح أنه كان

---

(١٠٧) تاريخ الكويت السياسي لخزعل ٢/١١٤-١١٥.

(١٠٨) تاريخ الكويت للرشيد ١٢٠و١٢٥-١٢٦، وتاريخ الكويت السياسي لخزعل ١/١١٩-١٣٨.

قائمقاما للحكومة التركية في الكويت التي اعتبرت أن الكويت أصبحت تابعة لتركيا في الوقت الذي أصبحت فيه الأحساء كذلك)[١٠٩].

(ويبدو في أثناء حكم الشيخ عبد الله ١٨٦٦ – ١٨٩٢م أن السلطات البريطانية في الخليج لم تكن لها علاقة مباشرة بالكويت حيث كان ينظر إلى هذا المكان على أنه تابع للسيطرة التركية)[١١٠].

وفي أبريل سنة ١٨٩٣ كتب السفير البريطاني في إسطنبول خطابا رسميا للخارجية العثمانية يبلغها فيه باعتراف الحكومة البريطانية بالسيادة العثمانية على ساحل الخليج من البصرة إلى القطيف.[١١١]

ثم حاولت بريطانيا بعد وفاة عبد الله توقيع معاهدة مع أخيه محمد بن صباح في حدود سنة ١٨٩٥م غير أنه رفض الطلب اعترافا بتبعيته للدولة العثمانية.[١١٢]

وبعد اغتيال مبارك لأخيه محمد سنة ١٨٩٦م ظلت العلاقة مع الدولة العثمانية كما هي، واعترف مبارك بولائه للخليفة العثماني، ورفع العلم التركي، واستقبل مسئولا تركيا عن الحجر الصحي، وفي ديسمبر سنة ١٨٩٧م صدر فرمان عثماني بتعيين مبارك قائمقاما للكويت تابعا لولاية البصرة، وبدأ اسمه يتردد في التقارير الرسمية للولاية، وبدأت مراسلاته من البصرة على هذا الأساس، وجعل له راتب شهري ٣٠٠ جنيه في العام.[١١٣]

وقد تم بعد ذلك تدبير بريطانيا للانقلاب من مبارك على أخيه محمد وقتله له، وتوقيع مبارك المعاهدة السرية مع بريطانيا سنة ١٨٩٩م، وقد ذكر مصطفى كامل -الزعيم المصري المشهور وقائد مصر نحو الاستقلال في مقال له في جريدة اللواء ١٩٠٢/٨/٢٦م بعنوان(إنكلترا والإسلام)- هذه الفتنة التي وراءها يد بريطانية وجاء فيه: (كيف يتصور عقل سليم أن بريطانيا التي احتلت مصر خداعا، وسلبت السودان سلبا، وحرضت الأمة العربية على رفع العصيان في وجه الخليفة، ودعت المسلمين للافتراق

(١٠٩) دليل الخليج العربي القسم التاريخي ٣/١٥٢١.

(١١٠) دليل الخليج العربي القسم التاريخي ٣/١٥٢٢. يحاول لوريمر كما هي عادته إثبات أنه لا وجود للسيادة العثمانية على القبائل أو الموانئ في الخليج ليبرر ما قامت به حكومة الهند البريطانية للسيطرة عليها واحتلالها باسم المعاهدات، لكن يعود أمام الحقائق التاريخية والواقعية ليعترف بوجود السيادة العثمانية على الجزيرة والخليج العربي!

(١١١) دليل الخليج العربي القسم التاريخي ٣/١٥٢٤.

(١١٢) تاريخ الكويت السياسي ١/١٥٢.

(١١٣) دليل الخليج العربي القسم التاريخي ٣/١٥٢٦.

والاختلاف، وبذرت بذور الفساد، ونشرت عصابات الدخلاء في بلادهم ليميتوا الشهامة من قلوبهم، تصير في يوم من الأيام حليفة للدولة العثمانية، وحليفة للمسلمين والإسلام؟! إن الدول عامة وإنجلترا خاصة لا يتسابقن إلى طلب صداقة تركيا إلا إذا سعين وراء امتياز، أو تنافس في طلب معدن، أو احتلال جزيرة، أو استئجار شاطئ؟! لقد احتلت بريطانيا قبرص بدعوى مساعدة الدولة العثمانية، واحتلت مصر بحجة إنقاذ الخديوية المصرية، وفصلت السودان عن مصر ثم استردته بمال مصر وجنودها، ليكون مستعمرة بريطانية متصلة بمصر من جهة، ومطلة على البحر الأحمر وبلاد العرب من جهة أخرى، وأثارت الفتن في الكويت واليمن ليتم لها ما أرادت، لتؤسس الخلافة العربية التي كان نابليون مولعا بها، ولم يبق في أوربا أحد من رجال السياسة إلا وتراه عالما بهذه الخطة وتلك الغاية، فلا تقوم في بلاد العرب فتنة حتى تنادي الصحف هناك بأن اليد المدبرة لها هي يد بريطانيا! وقد باحثت جريدة (غازيت دي لا كروا) أخيرا في هذا الموضوع فقالت: إن بريطانيا تريد محو الحبشة لأنها العائق بينها وبين أغراضها، ولكنها لا تجد من النجاشي مساعدا على خراب بلاده كما وجدت من شيخ الكويت الذي جهل أنه باستسلامه يضع الحجر الأول للخلافة العربية التي يعمل لها الإنجليز وبها يتم للمسلمين الشقاء وتضيع من أيديهم أسباب العز والرخاء! هذا ما يقوله كتاب الغرب، فأين أنتم يا كتاب المسلمين وساستهم لترفعوا أصواتكم منذرين ومحذرين الأمم العربية من الخطر المهدد لها؟! أين أنتم لترددوا لهم ما قاله فيكتور هيجو: يوجد بعض أمكنة وبعض ساعات من نام فيها مات! وترشدوهم إلى أن الساعة الحاضرة هي من تلك الساعات التي أشار إليها شاعر فرنسا الكبير! أين أنتم لتقنعوا أولئك الضالين الذين تخدعهم إنجلترا ليكونوا يدا واحدة في إحياء الملة وحماية الإسلام)[١١٤].

وقد ذكر المؤرخ الروسي لوتسكي في كتابه (تاريخ الأقطار العربية) هذه الحادثة التي حدثت في الكويت حيث قال: (كانت إنجلترا تهدف دائما إلى فرض سيطرتها على دول الخليج العربي وتحويله إلى بحيرة إنجليزية، وكانت الكويت هي المكملة لهذا المخطط، فقد كانت الكويت تحت سيطرة الباب العالي، وفي سنة ١٨٩٥م حاولت عقد علاقة تحالف مع شيخ الكويت محمد الصباح ولكنه رفض، فدبرت مؤامرة لقتله هو والمقربين إليه، وتولى السلطة من بعده أخوه مبارك الصباح الذي بادر بعقد اتفاقية سرية مع إنجلترا سنة ١٨٩٩م، وجرت مفاوضات بين إنجلترا وتركيا سنة ١٩٠١م انتهت بعقد اتفاقية تنص على

---

(١١٤) أوراق مصطفى كامل المقالات الكتاب الثاني ص ٢٣١-٢٣٢. وهذا المقال منشور سنة ١٩٠٢م أي قبل الثورة العربية للشريف حسين ضد الخلافة العثمانية بنحو خمسة عشر عاما!!

اعتراف انجلترا بسيادة تركيا على الكويت، والاعتراف بالاتفاقية البريطانية مع الكويت، وهكذا بسطت بريطانيا سلطتها على الكويت)[١١٥].

وقد حامت الشبهة حول دوافع الانقلاب الذي قام به مبارك الصباح حتى وصل الأمر للباب العالي بأن بريطانيا تخلصت من محمد الصباح على يد أخيه مبارك، بإيعاز من المقيم البريطاني بالخليج العربي، لكونه كان عقبة أمام مشروعها، لضم الكويت لدول الساحل الخليجي، بل إن بعض الدوائر الرسمية البريطانية أخذت بترديد هذه الفرضية.[١١٦]

وقد تكررت الحادثة مع الشيخ مزعل شيخ عربستان الذي رفض توقيع معاهدة مع بريطانيا في الفترة نفسها فقام أخوه خزعل بالانقلاب عليه، ووقع المعاهدة مع بريطانيا! (لقد كان موقف شيخ المحمرة معاديا للحكومة البريطانية، ولكن في سنة ١٨٩٧م تغيرت الأمور عقب اغتيال الشيخ مزعل وتولي الشيخ خزعل مشيخة تلك الإمارة الذي لم يكتف بتأييد المصالح البريطانية وممثلي بريطانيا وحسب بل تقدم سرا لوضع نفسه تحت الحماية البريطانية).[١١٧]

وسيصبح الرجلان مبارك وخزعل -بعد اغتيالهما أخويهما- رجلي بريطانيا في الخليج العربي بعد ذلك!

وقد حدث الاغتيال لمزعل بعد أشهر من اغتيال محمد على يد مبارك!

لقد كان اتصال مبارك الصباح بالبريطانيين مبكرا، ففي سنة ١٨٦٣م زار الرائد والمقيم البريطاني بيلي الكويت فوصل من البصرة إلى الجهراء ومن هناك صاحبه مبارك بن صباح لوالده الشيخ صباح الذي قضى معه بيلي يومين، وكما يقول لوريمر: (ولا شك في أن الرائد قد استطاع أن يتعرف بوضوح على مستقبل الكويت المحتمل كميناء تجاري إلى جانب صلاحيتها كي تكون قاعدة لمحطة تلغراف ومستودعات للفحم).[١١٨]

---

(١١٥) انظر حاشية المصدر السابق.

(١١٦) دليل الخليج العربي القسم التاريخي ١/٤٣٨ و٣/١٥٢٩، والعلاقات بين نجد والكويت لخالد السعدون ص ٢٩-٣ .

(١١٧) دليل الخليج العربي القسم الجغرافي ١/٤٩١.

(١١٨) دليل الخليج العربي القسم التاريخي ٣/١٥١٨.

وقد أثبتت الوثائق بأن مبارك الصباح قد زار البحرين قبل اغتيال أخويه محمد وجراح ولبث فيها شهرين، وكان في زيارة للمعتمد البريطاني فيها، وبعد رجوعه مباشرة قام بالانقلاب على أخويه[١١٩]!

لقد نجحت بريطانيا في مسعاها للتخلص من محمد الصباح، ووقعت معاهدة سرية مع أخيه مبارك الصباح سنة ١٨٩٩م، التزم فيها هو ومن يخلفه على أن لا يتصرف بأي شكل من الأشكال في أرضه إلا بعد الرجوع إلى السلطة البريطانية، وأن لا يتصل بأي دولة أخرى إلا بعد الرجوع إلى بريطانيا، وأن تشرف بريطانيا على شئون الكويت الخارجية، وأن تظل الاتفاقية سرية، وقد دفعت بريطانيا مقابل توقيع مبارك على تلك الاتفاقية خمسة عشر ألف روبية.[١٢٠]

والمقصود بالكويت في الاتفاقية مدينة الكويت فقط، إذ لم تتجاوز سلطة شيخ الكويت آنذاك حدود أسوار المدينة الصغيرة التي كانت ميناء بحريا.

وقد قدم السفير العثماني في لندن عندما وقف على مضمون المعاهدة بين مبارك وبريطانيا احتجاجا رسميا على هذه المعاهدة حيث إن مبارك الصباح من رعايا الدولة العثمانية، وإن مثل هذه المعاهدة تعد تحديا لسيادة الدولة العثمانية، وقد ردت الحكومة البريطانية بأنها لا تعتزم التدخل في الوضع القائم في الكويت.[١٢١]

كما طلبت بريطانيا أن يتعهد لها مبارك خطيا بأن يمنع استيراد أو تصدير الأسلحة من الكويت وإليها فأصدر منشورا بذلك في مارس ١٩٠٠م.[١٢٢]

---

(١١٩) وثائق الكويت جي. اي. سالدانا.

(١٢٠) دليل الخليج العربي القسم التاريخي ٣/١٥٣٢. وتاريخ الكويت لخزعل ٢/١٢٨.

(١٢١) تاريخ الكويت لخزعل ٢/١٢٩.

(١٢٢) تاريخ الكويت لخزعل ٢/١٣٠.

- احتلال الرياض:

وبعد هذه الاتفاقية مع مبارك بدأت بريطانيا تتطلع إلى داخل الجزيرة العربية، ووجدت الكويت أقرب منطقة للتدخل فيها، فبعد تلك المعاهدة مباشرة خرج عبد العزيز بن سعود سنة ١٩٠٠م من الكويت إلى الرياض للاستيلاء عليها، بتوجيه وتخطيط من الكويت، وبدعم عسكري ومادي.[١٢٣]

وهذا ما كان يخشاه مدحت باشا والي بغداد من قبل، حيث توقع أن سيطرة بريطانيا على الكويت ستشكل خطرا على نجد والعراق، إذ تمثل الكويت أقرب نقطة يمكن للبريطانيين الانطلاق منها نحو هذين الإقليمين المهمين للخلافة العثمانية.[١٢٤]

وقد بدأ مبارك الصباح تحت إشراف وتوجيه حكومة الهند بتنفيذ المشروع البريطاني بعد توقيع المعاهدة السرية مباشرة، حيث خرج مبارك بعد المعاهدة بأشهر ومعه قبائل كثيرة إلى ابن رشيد في حائل -رجل الدولة العثمانية في نجد- وكان الهدف إشغاله ليتمكن ابن سعود من السيطرة على الرياض، فانهزم مبارك ومن معه في معركة الصريف، وانسحب ابن سعود من الرياض، ثم بعد أشهر نجح ابن سعود في احتلال الرياض، وأرسل إلى مبارك الصباح بالخبر، وبنجاح ابن سعود -المدعوم سياسيا وعسكريا من مبارك مباشرة الذي يخضع لمعاهدة سرية مع بريطانيا التي تسيطر على الشئون الخارجية للكويت بناء على تلك المعاهدة- أصبح وسط الجزيرة العربية ساحة مفتوحة لأول مرة في التاريخ للنفوذ البريطاني، وقد ظل التخطيط البريطاني سريا وهادئا، إذ ظل مبارك ظاهريا تابعا للدولة العثمانية، فقد كان رسميا يمثل قائمقاما لها في الكويت، وقد أرسلت الدولة العثمانية سنة ١٩٠١م برقية إلى مبارك بعد حرب الصريف -التي أثارت القلاقل في نجد في الوقت الذي تحتاج فيه الدولة العثمانية استقرار أقاليمها الداخلية لمواجهة المؤامرات الغربية والحملات الصليبية- وجاء في تلك البرقية: (بلغوا الشيخ مبارك بأن منطوق المعاهدة الدولية تنص بأن المواقع التي فيها علم عثماني، أو مركز عسكري، أو مأمور حكومي، فليس للدول الأخرى حق التدخل في شئونه)، وقد طلب والي البصرة

(١٢٣) تاريخ الكويت لخزعل ٢/١٧٧.

(١٢٤) مذكرات مدحت باشا ٢٣٩.

من مبارك القدوم إلى البصرة، وتقديم فروض الطاعة للدولة العثمانية ففعل، وصدر فرمان عثماني بجعل مبارك الصباح قائمقام على قضاء الكويت التابع لولاية البصرة.[١٢٥]

كما كتب مبارك إلى والي البصرة سنة ١٩٠١م، يشتكي من تهديدات ابن رشيد للكويت، وجاء في كتابه (أهل الكويت لم يحيدوا عن طاعتها –أي الخلافة العثمانية- ولم يخرجوا عن سلطانها، ولم يتمردوا على أوامرها)[١٢٦].

وبعد احتلال ابن سعود للرياض أرسل مبارك إلى والي البصرة العثماني مصطفى باشا يخبره بالموضوع، ويطلب منه رفع الأمر إلى الباب العالي في الأستانة للاعتراف بابن سعود أميرا على الرياض.[١٢٧]

وقد كانت الدولة العثمانية تجري مخصصاتها المالية على ابن سعود، وعلى والده عبد الرحمن بن سعود، وأسرته التي كانت لاجئة في الكويت.[١٢٨]

لقد كان وجود عبد الرحمن بن فيصل وأسرته في الكويت بناء على موافقة من الدولة العثمانية، فبعد خروجه من الرياض سنة ١٨٩١م توجه إلى الأحساء، ثم إلى الكويت حيث رفض شيخها آنذاك استقباله لكونه قائمقاما عثمانيا، فلجأ إلى قبيلة العجمان وآل مرة، ثم وافقت الدولة العثمانية على قدومه إلى

---

(١٢٥) تاريخ الكويت لخزعل ٢/٥٢.

(١٢٦) تاريخ الكويت لخزعل ٢/٥٥.

(١٢٧) تاريخ الكويت لخزعل ٢/١٧٦.

(١٢٨) تاريخ الكويت لخزعل ٢/١٧٨.

الكويت مع أسرته، وتم تخصيص مرتبات مالية له ولأسرته وهي ٦٠ ليرة شهريا، ولبث في الكويت نحو تسع سنين حتى عاد إلى الرياض.[١٢٩]



مبارك الصباح مع عبد العزيز بن سعود وإخوانه عندما كانوا لاجئين في الكويت

وقد كتب عبد الرحمن بن سعود سنة ١٩٠٢م، كتابا إلى نقيب الأشراف في البصرة رجب النقيب، عند خروجه من الكويت إلى الرياض، يشرح فيه أسباب ما جرى، ويؤكد فيه تبعيته للدولة العثمانية، وجاء فيه (ونحن خدام محسوبون على الدولة العلية، ولم نلتج إلى أحد إلا إلى الله تعالى، ثم إلى ظل عدالة أمير المؤمنين، أدام الله مجده، ونحن في كل الأحوال نؤدي الخدمات لحضرة أمير المؤمنين، باذلين الجد والاجتهاد فيما يحصل به رضاه، منقادين إلى أوامر الدولة العلية، فنرجو من مراحم وتفضلات حضرة أمير المؤمنين حلول أنظاره علينا، ورفع تعديات ابن رشيد، وإجراء ما تفضل به من المعاش)[١٣٠].

كما كتب عبد الرحمن بن سعود في الوقت ذاته كتابا آخر إلى المقيم السياسي البريطاني في (بوشهر) يخبره فيه بخروجه من الكويت إلى الرياض، ويرجو من بريطانيا أن تضع نظرها عليه، وأن تشمله بعطفها ولطفها.[١٣١]

---

(١٢٩) عبد العزيز وبريطانيا ص ٢٨.

(١٣٠) تاريخ الكويت لخزعل ٢/١٧٩، وتاريخ الكويت للرشيد ص ١٧٩.

(١٣١) المصدرين السابقين.

وقد ظل مبارك (ينكر أمام الحكومة العثمانية تدخله في شئون ابن سعود، ومساعدته في احتلال الرياض، ومده بالقوة)، كما أخذ يتوسل إلى الدولة العثمانية للاعتراف بابن سعود، فطلب والي البصرة مخلص باشا سنة ١٩٠٤م من مبارك نقل رغبة الدولة العثمانية بأن يعلن ابن سعود وقاسم بن ثاني كامل الولاء للدولة العثمانية، ففعلا وأرسلا ببرقياتهم إلى إسطنبول بهذا الخصوص، وطلب والي البصرة حضورهما شخصيا، وتم عقد لقاء في الزبير بين عبد الرحمن بن سعود ووالي البصرة، بحضور مبارك اعترافا منهما بالتبعية للدولة العثمانية.[١٣٢]

وفي سنة ١٩٠٤م في ثالث ذي الحجة من سنة ١٣٢٢هـ (وصل عبد الرحمن بن فيصل هو ومبارك الصباح شيخ الكويت إلى الرافضية قرب بلد الزبير لمواجهة والي البصرة أحمد مخلص فخرج إليهم الوالي وأخبرهم بأن أمر نجد الآن راجع إلى المشير أحمد فيضي -الذي توجه قبل شهر من السماوة إلى القصيم ومعه ستة طوابير عسكر- وقال له: لا بد من اجتماعك معه أنت يا عبد الرحمن في القصيم، وهناك تصلح جميع أحوال نجد.

فرجع عبد الرحمن ومبارك الصباح إلى الكويت ثم توجه عبد الرحمن من بندر الكويت إلى الرياض ومنها إلى القصيم لمواجهة المشير أحمد فيضي واجتمع معه هو وأمراء القصيم، وتفرقوا دون أن يحصل لهم منه مساعدة، وتوجه المشير إلى المدينة المنورة ثم إلى اليمن من أجل إخماد ما فيه من الفتن)[١٣٣].

وفي سنة ١٩٠٦ أرسلت الدولة العثمانية خطابا إلى عبد العزيز بن سعود على لسان أمير العسكر العثماني في نجد حسن شكري ورد فيه: (جناب المكرم عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل نفيد جنابكم أن جلالة الخليفة الأعظم بلغه اضطرام الفتنة في نجد، وأن يدا أجنبية محركة لها فلهذا السبب بعثني إليكم حقنا للدماء ومنعا لتدخل الأجنبي في بلاد المسلمين، وأنا أنذرك إذا لم تأتنا وتبين الأسباب التي حملتك على إضرام هذه الفتنة بدون مراجعة أي ولاية من ولايات الدولة، واقتصارك على مراجعة صاحب الكويت وأخذ المدد منه، وأنت تعلم أنه خارج عن طاعة الدولة ناكث لعهد الخليفة وخائن له في بلاده، وما كان ينبغي منك الالتئام معه)!

---

(١٣٢) تاريخ الكويت للرشيد ١٧٩، وخزعل ٢/١٨٣.

(١٣٣) تحفة المشتاق ٣٩٦.

وقد رد عبد العزيز بجواب ذكر فيه أن السبب الذي دفعه إلى الخروج هو الظلم الذي يمارسه الولاة وتفريطهم في شئون الولايات وجاء في جوابه (وانظر إلى ولاية البصرة كيف فرطت في الكويت، وإلى والي اليمن كيف سلوكه)[١٣٤].

وفي الوقت الذي كان ابن سعود يعترف بتبعيته للخلافة العثمانية، كان يتصل بالبريطانيين سرا، فقد أرسل مندوبا سنة ١٩٠٦م، للمعتمد السياسي البريطاني في البحرين (بريدكس)، طالبا مساعدة بريطانيا للتخلص من الوجود العثماني في الأحساء، ومؤكدا رغبته في عقد معاهدة معهم، وموافقته على وجود معتمد بريطاني في الأحساء والقطيف، وقد قال كوكس: (لا بد من الاعتراف بأن ابن سعود سوف يقضي على الوجود التركي في الجزيرة العربية في أول فرصة سانحة له)، وطلب من حكومته اتخاذ قرار بالدخول مع ابن سعود في معاهدة حماية، غير أن حكومته تحفظت على هذا الطلب محافظة على علاقاتها مع الدولة العثمانية، وفي آخر السنة نفسها في أكتوبر سنة ١٩٠٦م، اتصل ابن سعود بالمقيم البريطاني في الخليج العربي ثانية، طالبا الدخول في حماية بريطانيا، غير أنها أكدت حرصها على صداقته، واعتذرت عن إجابة طلبه، مراعاة للدولة العثمانية، التي يتبع لها ابن سعود بشكل رسمي مباشر.[١٣٥]

وقد استمر مبارك وابن سعود مع ذلك بإعلان التبعية للدولة العثمانية، ووقفا معها في حربها مع إيطاليا في طرابلس سنة ١٩١١م، وقد أرسل ابن سعود رسالة للأستانة جاء فيها: (عبوديتي وخدماتي لمقام الخلافة الإسلامية معلومة عند أوليا الأمور، وإن سكان جزيرة نجد عموما قلبا وقالبا وجميعنا على استعداد للدفاع عن الدولة بأموالنا وأرواحنا منتظرين الإشارة من مقام الخلافة والأمر لكم!

التوقيع: خادم الدولة أمير نجد، ورئيس عشائرها، عبد العزيز السعود)[١٣٦].

كما وقفا معها في حرب البلغار سنة ١٩١٢م، بوصفهما قائمقامين عثمانيين في الكويت ونجد، التابعتين لولاية البصرة العثمانية.

---

(١٣٤) تحفة المشتاق ٣٩٨.

(١٣٥) قصة السيطرة البريطانية على الخليج ٣٥٧-٣٥٨.

(١٣٦) تاريخ الكويت لخزعل ٢/٨٥.

وقد دفع مبارك عشرة آلاف ليرة للدولة العثمانية في هذه الحرب.[١٣٧]

وقد كتب وكيل والي البصرة سنة ١٩١٢م إلى مبارك الصباح كتابا يخبره فيه بأن الباب العالي قد أرسل برقية يوصي فيها بمنحه الجنسية العثمانية، لتسجيل ممتلكاته بالبصرة، ونصها (إلى جناب قائمقام الكويت مبارك الصباح، فقد ورد الأمر بإجراء المعاملة لجنابكم وإعطائكم الأوراق الخاقانية على الأصول كأمثالكم من العشائر العثمانية غير المحررة)[١٣٨].

ومع ذلك فقد تم اتفاق سري بين ابن سعود وحكومة الهند البريطانية عن طريق معتمدها في الكويت سنة ١٩١١م على احتلال الأحساء، وقد اطلع بعض المؤرخين النجديين على بعض تفاصيل تلك المعاهدة مبكرا حيث ذكرها ابن بسام المتوفى سنة ١٩٢٧م في تاريخه تحفة المشتاق[١٣٩]، في حوادث سنة ١٣٢٩هـ - ١٩١١م فقال:(وفيها عقدت معاهدة بين الإمام والإنجليز على أن يحتل الإمام الأحساء والقطيف ودارين والعقير، ويمنعون عنه الإنجليز أي دولة تأتيه من البحر، ولقاء ذلك يكون تابعا لهم، ولا يحدث محاربات دون علمهم ولا يحارب بدون إذنهم، ولهم حق التفتيش على المعادن في جزيرة العرب واستخراج ذلك، وإذا أراد الإنجليز أن يسير لحرب أي جهة يسير لها وهي تمده).

وقد اضطرت بريطانيا في سنة ١٩١٣م وقبيل الحرب العالمية الأولى إلى توقيع معاهدة مع الدولة العثمانية، اعترفت فيها بريطانيا بالسيادة العثمانية على ساحل الخليج والكويت، مقابل الاعتراف العثماني بمصالح بريطانيا في الخليج، وقد كان بيرسي كوكس المقيم البريطاني في الخليج يطمح -كما جاء في تصريح له- بأن تكون إدارة شئون الكويت الخارجية من اختصاص بريطانيا، إلا أن مكتب الخارجية البريطانية صمم على ضرورة اعتراف بريطانيا بتبعية الكويت الكاملة للدولة العثمانية،

---

(١٣٧) تاريخ الكويت للرشيد ١٨٤.

(١٣٨) تاريخ الكويت لخزعل ٢/٩١.

(١٣٩) تحفة المشتاق ص ٤١٠. وهذه اتفاقية غير معاهدة دارين سنة ١٩١٥م بين ابن سعود وبريطانيا، فبنود هذه الاتفاقية تختلف عن بنود اتفاقية دارين، فهي تتحدث عن احتلال الأحساء والقطيف، والاتصال بين الطرفين كان قديما، إلا أن هناك خلافا بين حكومة الهند البريطانية التي تدفع باتجاه دعم ابن سعود مبكرا، وحكومة لندن التي ظلت تتحفظ حتى الحرب العالمية الأولى، فالاتفاق الأول كان بينه وبين حكومة الهند عن طريق الكويت، وقد لا يكون مدونا، إلا أن ابن بسام قد اطلع على مصادر تؤكد الخبر، وذكر نص المعاهدة كاملا، ولا يوجد ما ينفي صحته، فقد ثبت حدوث اللقاء بين الطرفين في الكويت سنة ١٩١١م وبعده تم احتلال الأحساء.

وإثبات السيادة العثمانية عليها بتعيين ممثل عثماني في الكويت، لضمان اعتراف الدولة العثمانية بمصالح بريطانيا في الخليج.[١٤٠]

ولم تكن الدولة العثمانية تعير الكويت اهتماما كبيرا، لكونها مدينة صغيرة، تابعة لولاية البصرة، التي كان يتبعها الشريط الساحلي على الخليج إلى الأحساء آنذاك، إذ كانت الدولة العثمانية تكتفي بالسيطرة على المدن والأقاليم الرئيسية، وتعين فيها ممثلين لها، كسنجق الأحساء التابع لولاية البصرة، دون الموانئ والمدن الصغيرة، كالكويت، والزبير، حتى تم طرح مشروع ألمانيا لسكة الحديد التي تمر بالكويت، وقد أسخطت تلك المعاهدة شيخ الكويت مبارك الصباح، وشيخ المحمرة الشيخ خزعل وقد علق كوكس على ذلك بقوله: (لم يرحب الشيخ مبارك بالسيادة التركية التي كنا قد علمناه رفضها! كما أنه أبدى أسفه الشديد لتعيين ممثل تركي في بلاده، لذا كان لا بد أن أقابل الشيخين وأطلب منهما التعاون الكامل والكف عن التذمر والاستياء)[١٤١].

كما إن المعاهدة العثمانية البريطانية لسنة ١٩١٣م نصت على السيادة العثمانية الكاملة على نجد والأحساء، وعدم تدخل بريطانيا في هذه المنطقة، وبعد احتلال ابن سعود للإحساء في السنة نفسها وبدعم سري من حكومة الهند البريطانية، لم تستطع بريطانيا إقامة أي علاقات معه بشكل رسمي، التزاما بما تنص عليه المعاهدة المذكورة، مما حداها إلى الطلب من الدولة العثمانية بالاعتراف بابن سعود سنجقا عثمانيا على سنجق الأحساء، لتتفاهم معه بريطانيا حول حفظ الأمن بالمناطق التي يسيطر عليها في الخليج العربي.[١٤٢]

وقد أرادت الدولة العثمانية بعد سقوط الأحساء أن ترسل جيشا بحريا لاستعادتها من ابن سعود، فتدخلت بريطانيا وأبدت معارضتها لهذا التدخل صيانة للسلم في الخليج العربي، وتم توقيع اتفاق بين الدولة العثمانية وابن سعود على أن يكون ابن سعود واليا عثمانيا على الأحساء لمدة عشر سنوات،

(١٤٠) قصة السيطرة البريطانية ٣٩٣.

(١٤١) قصة السيطرة البريطانية ٣٩٥.

(١٤٢) قصة السيطرة البريطانية ٣٩٧.

وأن تكون هناك ثكنات عسكرية في القطيف والجبيل لرفع العلم لعثماني، وأن يجبي ابن سعود الضرائب ويدفع الزائد للخزينة العثمانية، وأن تدفع له الدولة مخصصات شهرية قدرها ٢٥٠ ليرة.

وقد صدر فرمان عثماني من الخليفة بالاعتراف بابن سعود سنجقا عثمانيا على نجد والأحساء تابعا للدولة العثمانية.(١٤٣)

وقد وقعت بريطانيا بعد ذلك معاهدة حماية سرية مع ابن سعود سنة ١٩١٥م، تنص على عدم تصرفه بأي جزء من أرضه إلا بعد الرجوع إلى بريطانيا، وألا يتصل بأي دولة إلا عن طريق بريطانيا، وكذا وقعت بريطانيا معاهدة حماية مع قطر سنة ١٩١٦م بعد بدأ الحرب العالمية الأولى.

لقد كانت تلك المعاهدات سرية أو شبه سرية، من أجل ترتيب الوضع البريطاني في الخليج والجزيرة في المستقبل، حين تسقط الدولة العثمانية، ونجحت بريطانيا في تشكيل حلف سري مع شيوخ الساحل كله، بمن فيهم ابن سعود، ومبارك الصباح، مع كونهما قائمقامين عثمانيين حين توقيع تلك المعاهدات، ليصبح الخليج العربي كله تحت الاحتلال البريطاني باسم اتفاقيات الحماية البريطانية!

---

(١٤٣) مذكرات سليمان فيضي ١٥٥.

الفصل الرابع

الأوضاع السياسية والإدارية للخليج والجزيرة العربية في الدولة العثمانية

- أوضاع الجزيرة العربية السياسية والإدارية قبل الحرب العالمية الأولى:

لقد كانت الجزيرة العربية إلى مطلع سنة ١٩٠٠م تحت السيادة العثمانية بشكل رسمي بالنسبة للمدن الرئيسية والساحلية المهمة (مكة، المدينة، الحديدة، تعز، صنعاء، القطيف، حائل، بريدة ... إلخ) حيث توجد الحاميات العثمانية، أو بشكل اسمي للموانئ والمدن الصغيرة الأقل أهمية (ساحل عمان، البحرين، قطر، الكويت).

وأما القبائل التي كانت تسيطر على وسط الصحراء داخل الجزيرة العربية وهي المساحة الأكبر من الجزيرة كقبائل عنزة، وشمر، والظفير، ومطير، وحرب، وعتيبة، والعجمان، وبني هاجر، والمرة، وسبيع، والدواسر ... إلخ فكانت لا تخضع لأي سلطة، بل كانت تتبع أنظمة إدارية خاصة للقبائل في الخلافة العثمانية التي تجري عليها مخصصات مالية مقابل تأمين الطرق داخل الجزيرة العربية.

لقد ظلت الجزيرة العربية تابعة للخلافة العثمانية منذ أن دخل السلطان سليم الأول القاهرة وتنازل له الخليفة العباسي عن الخلافة سنة ٩٢٣هـ - ١٥١٧م، حيث تم في السنة نفسها ضم الحجاز إلى الخلافة العثمانية، وبايعه شريف مكة ومعه شيوخ العشائر الحجازية.

وفي سنة ٩٤١هـ - ١٥٣٤م دخل السلطان سليمان القانوني بغداد، وأعلن أمير البصرة والأحساء والبحرين راشد بن مغامس الدخول في الطاعة، ودخلت الجيوش العثمانية إلى الأحساء سنة ٩٦٣هـ - ١٥٥٥م حتى مسقط، وبهذا أصبحت الجزيرة العربية كلها من الخليج العربي إلى البحر الأحمر جزء من الخلافة العثمانية، التي دامت بين سلطنة وخلافة ٦٢٣ سنة، حيث قامت سنة ١٢٩٩م، وسقطت سنة ١٩٢٢م، ودعي لها باسم الخلافة على منابر العالم الإسلامي مدة ٤٠٠ سنة.[١٤٤]

---

(١٤٤) انظر مقدمة محقق كتاب مرآة جزيرة العرب للمؤرخ العثماني أيوب صبري ١/٢٠.

- تقسيم الولايات والنظم الإدارية العثمانية:

وقد كان النظام الإداري للقسم العربي من الخلافة العثمانية مقسما في سنة ١٩٠٤م إلى ولايات، على كل منها والٍ، وتنقسم الولاية إلى ألوية على كل لواء متصرف، وتتفرع عن الألوية أقضية، وعلى كل قضاء قائمقام، وهي على النحو التالي:

١- ولاية الحجاز: وتضم إمارة مكة، ولواءين: لواء المدينة، ولواء جدة، ويتبع لواء المدينة أربعة أقضية هي: ينبع، والوجه، والسوارقية، والعقبة.

٢- ولاية اليمن: وتضم أربعة ألوية: صنعاء، والحديدة، وعسير، وتعز.

٣- ولاية البصرة: وتضم أربعة ألوية: البصرة، والمنتفق، والعمارة، ونجد.

٤- ولاية بغداد: وتضم لواء بغداد، وكربلاء، والديوانية.

٥- ولاية الموصل: وتضم لواء الموصل، وكركوك، والسليمانية.

٦- ولاية حلب: وتضم لواء حلب، وأورفه، ومرعش.

٧- ولاية سوريا: وتضم أربعة ألوية هي الشام، وحماة، وحوران، والكرك.

٨- ولاية بيروت: وتضم أربعة ألوية هي بيروت، وعكا، وطرابلس، واللاذقية.

٩- متصرفية القدس الشريف: وهي متصرفية مستقلة تتبعها أربعة أقضية هي: قضاء يافا، وقضاء غزة، وقضاء الخليل، وقضاء بئر السبع.

١٠- متصرفية الزور: وهي مستقلة، وتتبعها أربعة أقضية هي: البوكمال، والعشارة، والعربان، ورأس العين.

١١- متصرفية جبل لبنان: وتضم ثمانية أقضية.

١٢- إيالة مصر: وعليها خديوي تابع للخليفة، يساوي في رتبته رتبة الصدر الأعظم -رئيس الوزراء في إسطنبول- وتضم هذه الإيالة: مصر والسودان.

١٣- ولاية طرابلس الغرب -ليبيا-: وتضم خمسة ألوية هي طرابلس الغرب، والجبل، وفزان، والغات، وحمص.

١٤- متصرفية بنغازي: وهي متصرفية مستقلة تضم ثلاثة أقضية.

١٥- إيالة تونس. [١٤٥]

هذا بالنسبة للمدن وتقسيماتها الإدارية أما بالنسبة للقبائل والعشائر في الدولة العثمانية فقد كانت خارج النظم الإدارية والمالية المعتادة، وكان يعهد بشئونها إلى أمراء وشيوخ يعينون وفقا للتقاليد المعروفة بين القبائل.[١٤٦]

قال المؤرخ العثماني أيوب صبري سنة ١٨٧٧م:

(ظلت منطقة جزيرة العرب تحت حكم الإدارة العثمانية منذ عهد فاتح الشام ومصر سليم الأول أي منذ ٣٦٠ سنة، وبينما عين الولاة لإدارة الحرمين الشريفين، وبعض مناطق الحجاز، وبعض الأماكن المشهورة القريبة من السواحل اليمنية، فإن سكان الجزيرة من قبائل العرب لم يدخلوا تحت الإدارة، وانصاعوا لإدارة مشايخهم وأمرائهم، ومع أن الإدارة السنية لم تكن تأخذ أي إعانات مالية من الأهالي والعربان إلا إنها كانت تدفع رواتب نقدية وعينية لقبيلة حرب وبعض القبائل الأخرى لحراسة قوافل الحجاج).[١٤٧]

ومن تلك القبائل قبيلة عنزة (لما كانوا يتولون حماية قوافل الحجيج ويحافظون على أموالهم وأرواحهم فقد خصصت لكل منهم مرتبات من الصرة السلطانية وكانت تخصص لهم الخلع والعطايا).[١٤٨]

---

(١٤٥) مرآة جزيرة العرب ١/ ٢٢.

(١٤٦) مرآة جزيرة العرب ١/ ٢٤.

(١٤٧) مرآة جزيرة العرب ١/ ١٥٩.

(١٤٨) مرآة جزيرة العرب ٢/ ٢٦٨.

وقال لوريمر في دليل الخليج عن قبائل الأحساء:

(سنجق الأحساء إحدى مقاطعات الإمبراطورية التركية، وكان الأتراك يطلقون عليها قبل الاحتلال[(١٤٩)] العثماني لنجد عام ١٩٠٥م سنجق نجد، ويقول الأتراك بأنهم يتمتعون بالسيادة على كافة الأراضي، واعترفت الحكومة البريطانية بذلك، ويدفع الأتراك الإعانات لقبائل العجمان وبني هاجر وبني خالد وآل مرة الذين يقيمون في هذه البلاد، وكانت القبائل المذكورة مرتبطة طيلة الثلاثين سنة الماضية بالحكومة التركية دون غيرها من الحكومات ضمن حدود سنجق الأحساء) [(١٥٠)].

وقال الأنصاري: (وكانت عساكر الدولة العثمانية مرهوبة الجانب في نفوس الحاضرة والبادية، وكانت الدولة قررت لزعماء البادية مرتبات، وفي سنة ١٣٢٠هـطلب زعماء آل مرة وزعماء بني هاجر زيادة في مرتباتهم)[(١٥١)].

وقال حسين خزعل: (كان لبادية الجنوب حقوق في الأحساء تؤديها لهم الدولة العثمانية، وكان لقبيلة العجمان نفوذ في الأحساء والقطيف يقرب من نفوذ الحاكم العثماني).[(١٥٢)]

- النظم الإدارية في الألوية:

تم تقسيم الدولة العثمانية إداريا إلى ولايات، تتبعها ألوية، وتتبع الألوية أقضية، وقد جعل الأحساء لواء سنة ١٨٧١م، يضم أربعة أقضية هي: الهفوف، والقطيف، والمبرز، وقطر، وسمي لواء نجد، وقد كان هذا اللواء يتبع ولاية بغداد من سنة ١٨٧١م إلى ١٨٧٧م، حيث تم فصل ولاية البصرة عن بغداد، فصار

(١٤٩) وانظر كيف كان البريطانيون يعدون سيادة الخلافة العثمانية على الأقاليم العربية احتلالا، ويعدون احتلالهم هم للمنطقة معاهدة! لتعرف كيف شاعت الثقافة المعاصرة الزائفة بعد ذلك كأثر من آثار الحملة الصليبية البريطانية على العالم الإسلامي! مع أن العالم الإسلامي بشعوبه وقومياته على اختلافها كان يعيش وحدة إسلامية قرونا طويلة، لا يجد غضاضة أن يكون السلطان كرديا كصلاح الدين، أو تركيا كمحمد الفاتح، قبل الاحتلال الصليبي الغربي الذي أثار النعرات القومية التي ما زال المسلمون يدفعون ثمنها من دمائهم وأمنهم وازدهارهم والعراق اليوم أوضح شاهد!

(١٥٠) دليل الخليج العربي للوريمر القسم الجغرافي ٢/٨٣٨ .

(١٥١) تحفة المستفيد ١٨٦.

(١٥٢) تاريخ الكويت السياسي ٢/٢١٦.

لواء نجد والأحساء يتبع ولاية البصرة، ثم عادت البصرة لواء تابعا لبغداد سنة ١٨٨٠م إلى ١٨٨٤م، ثم جعلت البصرة بعد ذلك ولاية مستقلة، وصار لواء نجد والأحساء تابعا لها.[١٥٣]

وقد وضع أحمد مدحت باشا سنة ١٨٧١م حين زار المنطقة نظاما إداريا شاملا للواء نجد والأحساء، وجعل الهفوف مركزا للواء، وتم تعيين محمد نافذ أول متصرف للواء، كما تم تعيين علي بك قائمقام سامراء سابقا قائمقاما للقطيف، واختير حيدر أفندي قائمقام العمارة سابقا نائبا لقائمقام القطيف، وتم تعيين محاسب للواء، ومعاون للمتصرف، ونائب شرع -أي: قاضٍ للمحكمة الشرعية-، ومدير بيت المال، وأمين صندوق، ونص النظام الإداري على تشكيل مجلس إدارة للواء، ومجلس للتمييز في أحكام القضاء الشرعي في الهفوف، ومركز دعاوى في القطيف، وجعلت الرياض وعنيزة وبريدة وحائل ضمن أربع وعشرين مدينة أقضية تتبع لواء نجد والأحساء، وكتب متصرف اللواء أحمد نافذ لشيوخها رسائل بتعيينهم قائمقامية في مدنهم، تابعين له[١٥٤]، كما عدت أبو ظبي والبريمي جزءا من لواء الأحساء.[١٥٥]

وقد تولى منصب متصرف لواء نجد والأحساء ثلاثون متصرفا، منذ سنة ١٨٧١م إلى سنة ١٩١٣م.

وقد حدد القانون العثماني صلاحيات المتصرف، ومهامه، ونص على حظر تعيين المتصرف لأحد من أقاربه في الوظائف العامة في المتصرفية، وشدد على هذا الحظر، وقد تم عزل محمد سعيد باشا لهذا السبب.[١٥٦]

وفي سنة ١٩١٠م طلبت الدولة العثمانية انتخاب ممثل للواء الأحساء ونجد في مجلس المبعوثان (البرلمان العثماني) في الأستانة، كما هو الحال في بقية ولايات وألوية الدولة العثمانية، منذ الإعلان عن إعادة العمل بالدستور سنة ١٩٠٧م، وتم تشكيل لجنة برئاسة عبد المحسن بن عبد الله البداح، وعضوية عبد اللطيف الملا، وعبد الله الجعفري، وغيرهم من أعيان الأحساء، وطلب متصرف لواء الأحساء

---

(١٥٣) الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني ص ١٩.

(١٥٤) الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني ص ٢٣.

(١٥٥) الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني ص٣٤.

(١٥٦) الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني ٥١.

من المفتي الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن الملا أن يحث الأهالي على المشاركة في الانتخابات، وأن يشرح لهم أهمية الشورى، وضرورة مشاركة الأمة في إدارة شئون الدولة.[١٥٧]

وهذا الحق الذي كانت يتمتع به أهالي المنطقة في الدولة العثمانية قبل مائة عام لم تتمتع به شعوبها بعد سقوطها إلى اليوم، ليظهر مدى التخلف الذي ضرب المنطقة بعد الحرب العالمية الأولى والاحتلال البريطاني الذي قضى على الحرية وحمى الحالة العشائرية ورسخها، وخرج يوم خرج من الخليج صوريا سنة ١٩٦٠ - ١٩٧٠م وأهالي المنطقة النفطية يعيشون في مدن الصفيح في غاية التخلف والفقر والأمية!

لقد كان عدد من متصرفي لواء الأحساء ذوي كفاءات حسنة وإدارة جيدة تركت بصماتها الإدارية في اللواء ومنهم:
(الفريق محمد نافذ الذي نجح في تقربه من الأهالي وحل مشاكلهم وأحبوه، كما نجح الفريق محمد عاكف في تطبيق برنامج إداري وأمني طموح، وكان المتصرفون الذين تعاقبوا على اللواء من أجناس مختلفة من الأتراك والعرب والأكراد وغيرهم).[١٥٨]

ومن العرب الذين تولوا متصرفية اللواء بزيع بن محمد بن عريعر الخالدي سنة ١٨٧٤-١٨٧٥م، ومزيد بن ناصر السعدون ١٨٧٥ - ١٨٧٦م، وموسى كاظم الحسيني ١٩٠٠-١٩٠١م، وهو والد المجاهد الفلسطيني عبد القادر الحسيني، وقد قام بتشكيل مجلس للمعارف لنشر العلم والتعليم في اللواء، وجعل في عضويته عددا من علماء الأحساء منهم الشيخ راشد المبارك[١٥٩]، ومن العرب الذين تولوا متصرفية اللواء السيد طالب باشا النقيب سنة ١٩٠٢-١٩٠٤م.

وقد ذكر الشيخ المؤرخ يوسف بن راشد المبارك متصرفي اللواء وحسن إدارتهم بقوله: (كان الولاة العثمانيون يظهرون الاحترام لعلماء الأحساء، ولم يظهر منهم أدنى تحيز لمذهب من المذاهب الدينية،

(١٥٧) الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني ص ٣٩-٤٠.

(١٥٨) الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني ٥٣.

(١٥٩) الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني ١١٨.

ويختلطون بوجهاء البلد ويزورونهم في الجمع والأعياد في أماكنهم، ولم يشتهر عن ولاتهم من الترك مع قلتهم بخل أو شدة أو غباوة)[١٦٠].

وكان يتوجب على المتصرف قبل مغادرة اللواء الحصول على براءة ذمة بناء على شهادة من مجلس إدارة اللواء، تفيد بدفعه للضرائب، وبراءة ذمته من سائر عائدات اللواء لتقديمها إلى مرجعه الإداري في الولاية التي يقوم مجلسها بإعداد مضبطة مماثلة.[١٦١]

- مجلس إدارة اللواء:

ويتكون مجلس إدارة اللواء من ثمانية أعضاء، أربعة منهم معينون وهم بالإضافة إلى متصرف اللواء، القاضي رئيس محكمة البداية في اللواء، ورئيس مجلس التمييز في اللواء، ومحاسب اللواء، ومدير التحريرات.

أما الأعضاء المنتخبون وهم أربعة، يتم اختيارهم عن طريق الترشيح والانتخاب من الأهالي، لمدة أربع سنوات، وكان لمجلس إدارة اللواء مدع عام مهمته متابعة القضايا التي تحتاج إلى متابعة إدارية وقضائية، وكان يحظر على المجلس التدخل في القرارات والأحكام التي تصدرها المحاكم أو مجالس التمييز، مع أنه يصادق عليها.[١٦٢]

وقد حدد نظام الولايات العمومية صلاحيات هذا المجلس، ومنها الإشراف على الواردات والمصروفات وعلى جميع الأموال الحكومية المنقولة وغير المنقولة، وإجراء المحاكمات الإدارية لموظفي اللواء، والنظر في احتياجات اللواء من الطرق ووسائل المواصلات، والإشراف على الأعمال المنوطة بمتصرف اللواء ومنها المزايدات والمقاولات الحكومية، والمصروفات المباشرة، كما للمجلس حق طلب التحقيق في القضايا العامة والنظر في نتائجها، والنظر في توزيع الضرائب والرسوم وطرق تحصيلها ومقدارها، والنظر في تظلمات الأفراد، وغيرها من الصلاحيات.

---

(١٦٠) الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني ٥٣.

(١٦١) الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني ٥٥.

(١٦٢) الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني ٢٣٥-٢٣٩.

وقد كان أول مجلس إدارة للواء الأحساء سنة ١٢٩٠هـ-١٨٧٣م، وتم انتخاب عدد من الأهالي كأعضاء في المجلس، واستمر المجلس قائما بشئونه، يتم انتخاب أعضائه من الأهالي بشكل دوري، إلى سقوط الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، ومن أشهر أعضائه المنتخبين:

محمد بن عبد الله الحملي، وعثمان الدوغان، وعثمان الجغيمان، وعبد الله البداح، وعبد الله الشعيبي، وعبد اللطيف بن موسى الحملي، وأحمد الملحم، وأحمد الماجد، وعبد الله السعدون، وإبراهيم الجعفري، وسيد حسن البراقي، وعبد الله العيسى، وعبد الرحيم الفرج، ومحمد الزاير، ومحمد الناصر، وأحمد مهدي النصرالله، وماجد الحسين، وحسين الخنيزي، وصالح السنان.[١٦٣]

- النظم الإدارية في الأقضية:

وقد نص النظام الإداري العثماني على تقسيم اللواء إلى وحدات أصغر تسمى أقضية ترتبط بمتصرف اللواء إداريا، وقد قسم لواء الأحساء بموجب هذا النظام سنة ١٨٧١م إلى أربعة أقضية هي قضاء الهفوف وهي مركز لواء الأحساء، وقضاء القطيف، وقضاء المبرز، وقضاء قطر، وكان يتم تعيين قائمقام على كل قضاء، فكان أول قائمقام للقطيف هو إبراهيم بك، وآخر قائمقام لها محمد بن سلطان الملحم الذي تم تعيينه سنة ١٩١١م إلى خروج العثمانيين من الأحساء سنة ١٩١٣م، وبلغ عدد من تولوا هذا المنصب عشرين قائمقاما، كما تم تعيين قاسم آل ثاني قائمقاما لقطر، وكان أول قائمقام لقضاء المبرز طالب أفندي، كما جعلت الرياض قائمقامية وتم تعيين عبد الرحمن بن فيصل آل سعود قائمقاما لها سنة ١٩١٠م.[١٦٤]

بينما ظلت الكويت قضاء تابعا للواء البصرة العثماني، وقد دعا متصرف لواء نجد والأحساء صالح باشا مابين سنة ١٨٨٦م-١٨٨٨م إلى ضم الكويت إلى لواء نجد والأحساء.[١٦٥]

ويعد القائمقام موظفا إداريا في القضاء تابع للمتصرف في اللواء التابع بدوره لوالي الولاية، ويتم تعيين القائمقام من قبل الحكومة المركزية في الأستانة، وهو المسئول عن تنفيذ الأمور الإدارية والمالية

---

(١٦٣) الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني٢٤٠-٢٤٣.

(١٦٤) الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني ١٨٣.

(١٦٥) الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني ٨٥.

والأمنية، وتنفيذ تعليمات الدولة، التي يحيلها إليه متصرف اللواء، وتنفيذ أحكام المحكمة الشرعية بعد أخذ موافقة المتصرف، وليس له أي سلطة على الجنود النظاميين في القضاء.[١٦٦]

كما يتبع القضاء نواحي وقرى، وعلى كل ناحية مدير، وعلى كل قرية عمدة أو مختار.

وقد أصدر مجلس الوزراء العثماني قرارا بتعيين معاون لقائمقام قطر، ومديرين لناحية الزبارة والعديد، فكان أول معاون له محمد بك، وآخرهم محمد صديق أفندي، الذي كان قائمقام قضاء القرنة في ولاية البصرة، التي يتبع لها لواء الأحساء آنذاك، وقد نجح في القيام بمهمته في قطر كمعاون للقائمقام فيها، كما تم استحداث منصب وكيل لقائمقام قطر التابع للواء الأحساء، وقد استقال قاسم بن ثاني من القائمقامية، وجعل أخاه أحمد وكيلا لها، إلى أن توفي، ثم جعل مكانه عبد الله بن جاسم وكيلا إلى أن توفي والده، ثم صار أميرا بعد خروج العثمانيين من قطر في الحرب العالمية الأولى.[١٦٧]

وقد جاء في كتاب طلب الاستقالة التي قدمها قاسم بن ثاني إلى الخليفة العثماني السلطان عبد الحميد الثاني عن طريق والي البصرة (إلى حضرة أمير المؤمنين، وخليفة رسول رب العالمين، السلطان بن السلطان الغازي عبد الحميد الثاني... أنا خادمكم قد خدمت الدولة العلية أربعا وعشرين سنة، وأنا اليوم ابن خمس وستين سنة، والآن قصرت الهمة، ولا لي قدرة على القائمقامية، فأطلب الاستعفاء من أمير المؤمنين، وأنا في الخدمة، وتحت العبودية، وقد بينت لجناب والي ولاية البصرة حمدي باشا، والأمر أمركم، التوقيع قاسم بن محمد بن ثاني قائمقام قطر)[١٦٨].

- مجلس إدارة القضاء:

وللقضاء مجلس إدارة على النمط والطريقة نفسها التي يتشكل بها مجلس إدارة اللواء، وله نفس الصلاحيات إلا أنها في نطاق دائرة القضاء وما يتبعه من نواح وقرى، ويرأسه القائمقام في القضاء، ويتكون من معاون للقائمقام، ومدير لبيت المال، وأمين صندوق، وكاتب للتحريرات.

---

(١٦٦) الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني ١٨٥.

(١٦٧) الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني ٢٠٥-٢١١.

(١٦٨) الأمن الداخلي في الأحساء تحت الحكم العثماني ص ١٩٦.

ويتم انتخاب أربعة أعضاء من الأهالي، وقد تم تشكيل وانتخاب مجلس قضاء القطيف، ومجلس قضاء قطر الذي وقع بين أشهر أعضائه خلاف حاد وهم محمد الفيحاني وجاسم آل ثاني سنة ١٣٠٢هـ-١٨٨٥م.[١٦٩]

- **مجلس إدارة الناحية:**

والناحية هي المنطقة والوحدة الأصغر من القضاء، وتشتمل على القرى التابعة لها، ولها مجلس إدارة حسب قانون الولايات العثماني، يتكون من مختاري وعمد القرى الذين لا تتدخل الدولة عادة في اختيارهم بل يختارهم الأهالي أو بالتوارث، ويرأس مجلس إدارة الناحية مدير الناحية، وقد كان لقضاء الهفوف أربع نواحٍ هي: المبرز والجفر والعقير والعيون.

وقد بدأ مجلس ناحية المبرز بعد تحويلها من قضاء إلى ناحية سنة ١٢٩٦هـ-١٨٧٨م، وباقي نواحي الأحساء في ١٣١٤هـ-١٨٩٦م، وكانت قرارات مجلس الناحية تتخذ بالأغلبية، وفي حالة التساوي يؤخذ برأي الجانب الذي فيه الرئيس، وكان لنواحي الهفوف دور تسعير التمور سنة ١٣١٧هـ-١٨٩٩م حين أصابتها آفة أدت إلى كسادها.[١٧٠]

وقد كان أعضاء مجلس ناحية العيون من الأهالي لبعض السنوات هزاع بن علي، وسعود بن سعد المهنا، ومحمد بن عودة، وعلي بن عثمان المهنا.[١٧١]

- **مجلس الدعاوى والتمييز:**

كما يوجد في القضاء مجلس دعاوى لتمييز القضايا الشرعية التي تصدر بها أحكام قضائية.[١٧٢]

---

(١٦٩) الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني ٢٤٣.

(١٧٠) الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني ٢٤٦.

(١٧١) الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني ٢٥٠.

(١٧٢) الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني ١٨٥.

- إدارة البلديات:

وقد كانت دوائر البلديات موجودة في كل بلدة كبيرة أو صغيرة (فقد أسس في أيام الترك -كما تقول المس بيل- دوائر للبلدية في كل بلدة وقرية من أي حجم كان، وكان الغرض منها الإشراف على الشئون الصحية والتنظيف والحراسة والإنارة)[١٧٣].

وقد كان تأسيس البلديات مبكرا فقد تأسست أول دوائرها في الأستانة عاصمة الخلافة العثمانية سنة ١٨٥٨م، وصدر قانون البلديات الذي ينظم شئونها سنة ١٨٦٧م، كما أسست البلديات في العراق سنة ١٨٦٩م[١٧٤]، كما هو حال بلدية الموصل (وكان يديرها بموجب القانون الخاص رئيس ومعاون، ومجلس بلدي منتخب يتألف من ستة أعضاء، ثلاثة من المسلمين، وثلاثة يمثلون الطوائف غير الإسلامية، وكان الرئيس يتم اختياره من الأعضاء، ويرجح عادة العضو الحائز على أغلبية الأصوات في الانتخابات، وتمتد مدة رئاسته أربع سنوات)[١٧٥].

وقد تأسست أول بلدية في لواء الأحساء في الهفوف سنة ١٨٨٢م، وفي القطيف سنة ١٨٨٤م، وكان (يعهد برئاستها إلى أحد أبناء اللواء الذي يتم اختياره ضمن ستة بالانتخاب لمجلس إدارتها، وكان الحد الأدنى المقرر قانونا لانتظام تلك المجالس في بلديات الولايات والألوية هو بلوغ عدد سكانها أربعين ألف نسمة، وكان أول رئيس لبلدية الأحساء هو عبد الرحمن العدساني)[١٧٦].

وكان قانون المجلس البلدي قد حدد مدة العضوية بأربع سنوات، على أن تجري بعد ذلك كل سنتين، يتم فيها انتخاب نصف الأعضاء، وتتخذ قراراته بالأغلبية، كما يشترط في العضو أن يكون مواطنا للدولة العثمانية، وأن يكون سنه خمسا وعشرين سنة فما فوق، وأن لا يكون عاملا في المجال العسكري ولا في القضاء.[١٧٧]

---

(١٧٣) فصول من تاريخ العراق للمس بيل ص ٣٩٣.

(١٧٤) الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني ١٥٥.

(١٧٥) انظر فصول من تاريخ العراق في حاشية ١٧٥.

(١٧٦) الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني ١٥٦.

(١٧٧) الحكم والإدارة في الأحساء ١٦١.

وقد كانت مهام المجلس البلدي المنصوص عليها في القانون تشمل أعمال وزارات الصحة والأشغال والبلديات والشئون الاجتماعية والتعليم المهني.(١٧٨)

وقد كان من مهام البلدية توفير طبيب للبلدة ورفع رواتبه، ويقوم الطبيب بالإشراف على كشف المرضى، والإشراف على صيدلية البلدية، التي تجلب أدويتها من وزارة الصحة العثمانية، وتقوم البلدية بالإشراف البيطري والصحي العام، كما تدفع البلدية معاشات القائمين بالتطعيم ضد الجدري، وتدفع قيمة توفير الأمصال اللازمة للتطعيم، كما تدفع راتب الطبيب البيطري الملحق بها، وتوفير أدواته، كما تصرف راتب القابلة التي تقوم بتوليد النساء.(١٧٩)

كما تقوم البلدية بتسجيل الأملاك الواقعة ضمن حدود صلاحياتها في سجلات خاصة، مع بيان الموقع، واسم المالك، ونوع الملك، كما تقوم بتسجيل أسماء السكان، وإحصاء المواليد والوفيات كدائرة نفوس باللواء، وقد بلغ عدد سكان الهفوف مركز لواء نجد والأحساء سنة ١٢٩٢هـ-١٨٧٥م سبعة وأربعين ألف نسمة، وعدد المنازل تسعة آلاف منزل، وبلغ عدد سكان اللواء مائتين وخمسة وثمانين ألف نسمة سنة ١٣١٧هـ-١٨٩٩م.(١٨٠)

كما كان منوطا بالبلدية توفير الحرس الليلي للقيام بحراسة الأسواق والشوارع، ودفع الرواتب لهم، وكان يتبع بلدية مركز لواء نجد والأحساء بالهفوف مائة حارس ليلي.

كما يتبعها مراقبون ومفتشون لمراقبة النظافة العامة، والالتزام بالقوانين والنظم الخاصة بالأسواق.(١٨١)

(١٧٨) الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف ١٦٧.

(١٧٩) الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني ١٧٠.

(١٨٠) الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني ١٧٠.

(١٨١) الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني ١٧٢.



مبنى الحميدية الذي أنشأته الدولة العثمانية دارا للبلدية في الأحساء ١٨٨٢م

كما أنيط بالبلدية مهمة الإعداد والإشراف على انتخابات أعضاء مجلس المبعوثان (البرلمان العثماني) في الأستانة، بعد إعادة العمل بالدستور سنة ١٣٢٦هـ-١٩٠٧م، وقامت بلدية الهفوف مركز لواء نجد والأحساء في الإعداد للانتخابات، باعتبار رئيس البلدية رئيسا للهيئة التفتيشية، وأعضاء المجلس البلدي أعضاء فيها، وترأسها آنذاك عبد المحسن بن عبد الله البداح، وكانت انتخابات عضو البرلمان العثماني، تجري على مرحلتين، تبدأ في الإعداد بنشر قوائم الناخبين، ثم بنشر جداول الانتخابات، للاطلاع عليها وتقديم الاعتراضات لمن لم ترد أسماؤهم فيها.[١٨٢]

ويكشف كل ما سبق ذكره عن مدى الزيف الثقافي، والتضليل الإعلامي، الذي مارسه الاستعمار البريطاني وحلفاؤه في المنطقة بعد سقوط الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية بعد الحملة الصليبية في الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م، وتصوير أوضاع المنطقة على خلاف حقيقتها، فصارت الموانئ الصغيرة التي كانت أقضية قبل سنة ١٩١٤م دولا تحكم شعوبا منذ مئات السنين كما يشاع في الثقافة الزائفة اليوم عن دويلات الطوائف في الخليج العربي!

(١٨٢) الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثمانية ١٧٨.

وصارت الدولة العثمانية في الثقافة الوطنية الزائفة مضرب المثل في التخلف والهمجية، في الوقت الذي كان سكان المنطقة قبل الاحتلال الصليبي لها يشاركون في انتخاب مجالس الألوية، ومجالس الأقضية، ومجالس البلدية، ومجلس المبعوثان (البرلمان)، وهو الحق الذي حرموا منه بعد ذلك مدة قرن كامل وإلى اليوم!

فقد صدر الدستور العثماني سنة ١٨٧٧م وتم افتتاح البرلمان، ثم تم تعطيل الدستور، وأعيد العمل به في آخر عهد السلطان عبد الحميد، وقد تنافس سنة ١٩١٢م في ولاية البصرة التي يتبعها لواء المنتفق ولواء العمارة، حزب الحرية والائتلاف الذي يمثل التيار العروبي آنذاك، وحزب الاتحاد والترقي، الذي كان قد شكل الحكومة الاتحادية، وقد فاز أعضاء حزب الحرية على منافسه، وكان مرشحو الحزب الذين فازوا في ولاية البصرة هم السيد طالب النقيب، وزيد النقيب، وعيسى روحي، وعبد الزاق النعمة، وأحمد نعيم، وعبد الله صائب، وعبد المجيد الشاوي، وسليمان فيضي.[(١٨٣)]

وقد مثل ولايات العراق وألويتها أربعة وثلاثون عضوا لمجلس المبعوثان في إسطنبول، كما بلغ عدد أعضاء الولايات العربية المشرقية التابعة للدولة العثمانية (الشام، العراق، الجزيرة العربية) نحو ثلث البرلماني العثماني.

وقد جرت انتخابات أخرى سنة ١٩١٤م، وتم افتتاح الجلسة بحضور السلطان محمد رشاد، وتم انتخاب أعضاء اللجان، وكان للنواب العرب مواقف مشهودة في الدفاع عن الحقوق والحريات العامة، وكان مما قاله جميل الزهاوي من أعضاء ولاية بغداد في جلسات المبعوثان:
(لماذا تجبى الضرائب من الفقراء عن دورهم، ولا تؤخذ عن قصور ومصائف آل عثمان، مع أنهم يتقاضون رواتب ضخمة من خزينة الدولة؟)، وقال لمن اعترضوا عليه: (إنني أحترم آل عثمان أكثر منكم ولكني أطلب المساواة التامة)[(١٨٤)].

وتأمل هل يجرؤ أحد اليوم في برلمانات دويلات الطوائف أن يتحدث عن الأسر الحاكمة أو الأحزاب الحاكمة كما تحدث جميل الزهاوي عن السلطان العثماني قبل نحو قرن؟!

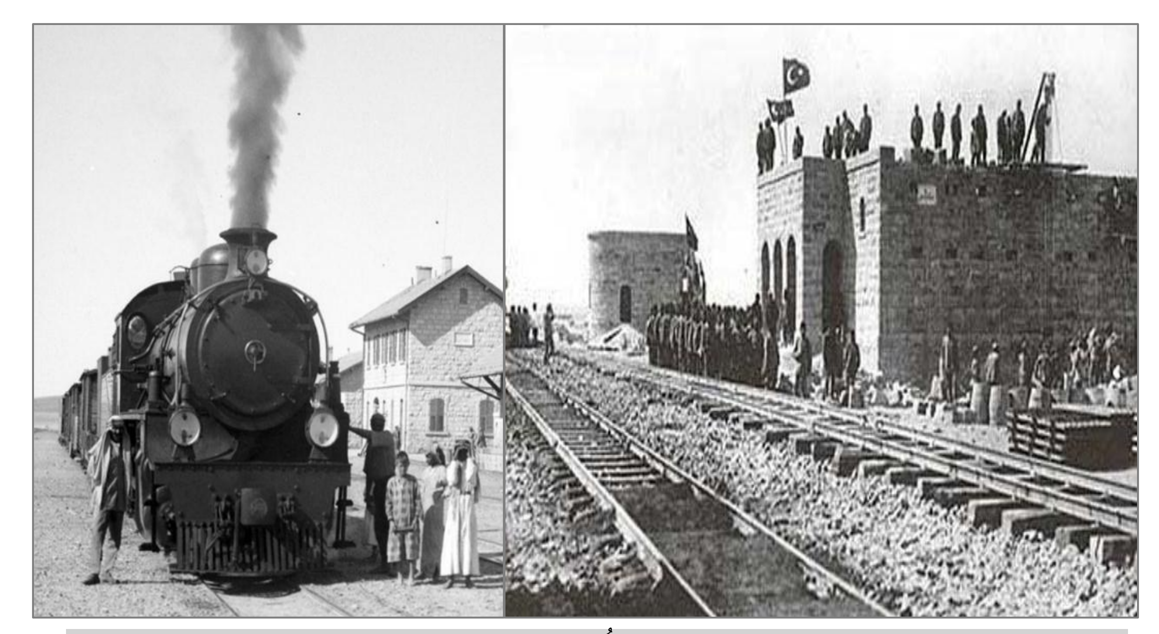
---

(١٨٣) مذكرات سليمان فيضي ص ١٢٦-١٢٨ و١٦٨و١٨٠.

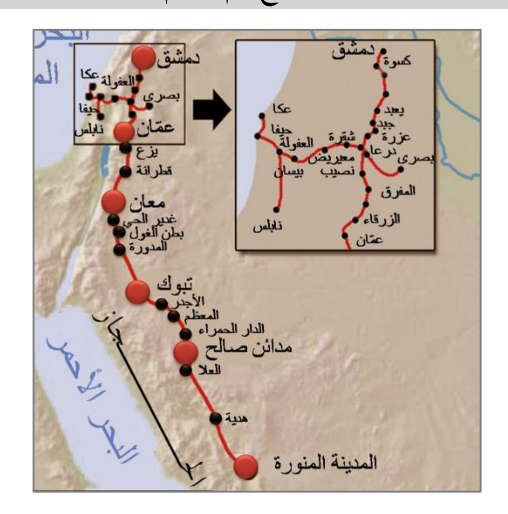
(١٨٤) مذكرات سليمان فيضي ص ١٨٨.

فقد تحقق آنذاك من الإصلاح السياسي والدستوري، ومن تقرير الحقوق والحريات العامة، ومن مشاركة الأمة في إدارة شئونها المحلية، ومنذ سنة ١٨٧٥م، ما لم يتحقق مثله لشعوب المنطقة بعد مائة عام من قيام دويلات الطوائف وسقوط الخلافة العثمانية وإلى اليوم!

وما زالت أكثر دويلات الطوائف في الخليج والجزيرة العربية ونحن في سنة ٢٠١٠م لم تقم لها مجالس نيابية شعبية، ولا مجالس بلدية منتخبة، ولا مجالس محافظات منتخبة، وما زالت تحكم حكما شموليا استبداديا أسريا عشائريا منذ الاحتلال الصليبي للمنطقة سنة ١٩١٤م إلى اليوم، ولم تستطع أن تحقق من الوحدة بين كياناتها المصطنعة مثلما كان عليه حال العرب من الوحدة في ظل الدولة العثمانية، بل إن خطوط سكك الحديد العثمانية التي كانت تربط بين أقاليم المنطقة العربية كخط قطار الحجاز، ما زالت محطاته أكبر شاهد على مدى العناية التي أولتها الدولة العثمانية لأقاليمها العربية، ولم يتم إلى اليوم بعد أكثر من قرن إقامة سكك للحديد تربط بين دول المنطقة كما كان عليه الحال إبان الخلافة العثمانية، ولم تستطع دويلات الطوائف أن تحقق لشعوب المنطقة ولو بعض ما فقدته من حقوقها الطبيعية في الوحدة والحرية والمشاركة في السلطة على النحو الذي كان يتمتع به العرب في ظل الخلافة العثمانية، التي ورثتها دويلات الطوائف وفق المخطط الاستعماري البريطاني!



خط قطار الحجاز الذي يمتد من دمشق إلى المدينة المنورة، أُفتتح عام ١٩٠٨م واستمر تشغيله حتى سقوط الخلافة العثمانية





آثار من قطار الحجاز بعد أن تم تخريبه وإهماله إلى اليوم

الفصل الخامس

المكونات الاجتماعية الرئيسية في الكويت
ونفوذها ومناطق وجودها

• المشروع البريطاني وتحديد حدود الكويت:

اضطرت الدولة العثمانية بعد نجاح بريطانيا في فرض وجودها العسكري في مياه الخليج -وبعد عقدها معاهدات حماية مع مشيخات الموانئ الساحلية- إلى عقد اتفاق معها لتحديد حدود هذه المشيخات، وربطها بالقبائل الداخلية في الصحراء، مع اعتراف بريطانيا بالسيادة السياسية العثمانية على المنطقة وفق ما عرف بالاتفاقية البريطانية العثمانية سنة ١٩١٣م، وستشهد المنطقة مباشرة وبعد سنة من توقيع المعاهدة مع الشيخ مبارك الصباح أحداثا كبرى، وستتشكل أحلافا قبلية غير مسبوقة، وستستخدم بريطانيا المدن والقبائل لتنفيذ مشروعها في مواجهة الدولة العثمانية، وترسيخ نفوذ بريطانيا الاستعماري في الخليج والجزيرة العربية، ولهذا احتاجت بريطانيا توسيع حدود محميتها الجديدة (الكويت)، لتتجاوز أسوار المدينة، نحو الصحراء غربا، حيث ستكون الرياض هدفا مباشرا للحملة العسكرية التي ستنطلق من الكويت، نحو حائل لضرب الوجود العثماني في قلب الجزيرة العربية!

لقد ظلت الكويت -كما يقول د. حسن الإبراهيم- حتى الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م جزءا من الإقليم العربي تحت سيادة الدولة العثمانية، ولم يكن الباب العالي في إسطنبول يهتم ببلدة صغيرة فقيرة محاطة بصحاري شاسعة (وقد كانت القبيلة محور النظام الاجتماعي فيها، وكانت حدود السلطة فيها لا تتجاوز أسوار المدينة، التي لا تتجاوز مساحتها الميل طولا، والميل والربع عرضا، ولا يتجاوز عدد سكانها أربعة آلاف نسمة في سنة ١٨٣٠م، وقد كان سكان صحرائها في الأصل هي القبائل العربية)[١٨٥].

وكما يقول لوريمر في دليل الخليج (يبلغ طول المدينة الآن -سنة ١٩٠٤م- ميلين على طول الشاطئ، وعرضها في الداخل ما بين ربع الميل وثلاثة أرباع الميل، والأراضي التي تحيط بالمدينة صحراء على مد البصر، وتضرب في هذا الجانب خيام كثيرة للبدو)[١٨٦].

---

(١٨٥) الكويت دراسة سياسية ٢٦-٢٧.

(١٨٦) دليل الخليج الجغرافي ١٣٠٥/٢.

وقال لوريمر أيضا: (ويعتبر الأتراك الكويت قضاء تابعا لسنجق البصرة، كما يعتبرون الشيخ موظفا تركيا، وحدود إمارة الكويت في معظم أجزائها متغيرة وغير محدودة، فهذه الحدود في وقت ما هي حدود القبائل التي تدين بالولاء في ذلك الوقت لشيخ الكويت) [١٨٧].

لقد كانت الكويت تخضع لحكم ابن عريعر في الأحساء وهو الذي بناها -كما سيأتي بيانه- ثم أصبح الإقليم كله (لواء الأحساء ونجد) يتبع ولاية بغداد العثمانية، ثم ولاية البصرة العثمانية.

خطاب من مبارك الصباح لوالي البصرة محسن باشا وكان يخاطبه فيه باسم قائمقام الكويت ورئيس قبائلها

(١٨٧) دليل الخليج الجغرافي ١٣١٨/٤.

وجاء في نص الاتفاقية البريطانية العثمانية سنة ١٩١٣م بخصوص الكويت وحدودها (إن الحدود الواردة متغيرة وغير محددة بالضبط وتطابق وتماثل حدود ومساحة المناطق التي تسكنها القبائل التي تدين بولائها لشيخ الكويت)[١٨٨].

كما جاء في أسباب الاعتراف البريطاني بملكية الكويت لجزيرة وربة وبوبيان سنة ١٩٠٨م لأنها (كانت مأهولة من قبائل العوازم فقط دون غيرهم الذين مارسوا ولأجيال متعاقبة حقوق الصيد فيها)[١٨٩].

وهذا أوضح دليل على أن حدود دويلات الطوائف الحديثة كانت حدودا عشائرية، وكان للقبائل دور رئيسي في انحسارها أو اتساعها!

وقد وافقت السلطة العثمانية مبدئيا سنة ١٩١١م على الاعتراف بالحكم الذاتي للشيخ مبارك أسوة بأي شيخ قبيلة في العراق كشيخ بني لام وشيخ المنتفق.[١٩٠]

وقد كان مبارك بعد ذلك يخاطب والي البصرة باسم حاكم الكويت ورئيس قبائلها، ليتسنى له مد نفوذه بحسب امتداد نفوذ القبائل في الصحراء، وقد تم إجراء معاملة استخراج الجنسية العثمانية له كما جاء في خطاب وكيل والي بغداد سنة ١٩١٢م وفيه:
(إلى جناب الأكرم قائمقام الكويت الشيخ مبارك باشا الصباح بناء على ما سبق منا من الإشعارات والتأكيدات فقد ورد الأمر بإجراء المعاملة لجنابكم وإعطائكم الأوراق الخاقانية على الأصول كأمثالكم من العشائر العثمانية غير المحررة –أي: المسجلة- وعليه أجرينا التبليغات اللازمة لمن يقتضي من الدوائر).[١٩١]

---

(١٨٨) الكويت في الوثائق البريطانية ٣٨.

(١٨٩) الكويت في الوثائق البريطانية ٧٤.

(١٩٠) الكويت في الوثائق البريطانية ٨٢.

(١٩١) تاريخ الكويت السياسي لخزعل ٢/٨٩.

وقد كان مبارك الصباح عضوا في حزب (الحرية والائتلاف) فرع البصرة الذي كان يرأسه السيد طالب النقيب، وقد تأسس هذا الفرع في البصرة بعد ثورة الاتحاديين ووصولهم للسلطة في إسطنبول، الذين مارسوا سياسة تعسفية ضد العرب، وقد عقد مؤتمره في البصرة سنة ١٩١٣م وحضره مبارك الصباح والسيد طالب النقيب، لبحث موضوع منح المنطقة الحكم الذاتي من قبل الدولة العثمانية، وقد كان وراء ذلك المؤتمر يد بريطانية كما يظهر من سياق الأحداث وتتابعها في صالح الاحتلال البريطاني للعراق.[١٩٢]

- حدود الكويت وسكانها في العهد العثماني:

وقد كان تعداد سكان مدينة الكويت سنة ١٩٠٠م عشرة آلاف نسمة إلى اثني عشر ألف نسمة.[١٩٣]

كما كان اسم الكويت إلى سنة ١٩٠٠م يطلق فقط علي المدينة، ولا يكاد يطلق على ما وراء أسوارها، بل كان يطلق على مناطق صحرائها أسماء خاصة بها كالجهراء.

وقد تغيرت الأوضاع في الكويت فجأة جغرافيا وسكانيا بعد معاهدة الحماية البريطانية فخلال خمس سنوات فقط امتدت حدود إمارة الكويت في عهد مبارك الصباح -وهو أول شيخ تتجاوز حدود إمارته المدينة- بحسب امتداد حدود أراضي القبائل الحليفة له، ووصلت حدود الإمارة -كما يقول لوريمر- حسب ادعاء الشيخ مبارك وذلك في سنة ١٩٠٥م إلى الصمان شرقا حيث امتداد قبيلة مطير (حيث يدعي شيخ الكويت الحالي مبارك -كما يقول لوريمر- بأن الجزء الشمالي من الصمان جزء من إمارته، وتقع الصمان بين الدهناء في الغرب، ومناطق الدبدبة والشق في الشرق، ويضرب العرب خيامهم في الصمان، ومعظمهم من مطير) [١٩٤].

---

(١٩٢) تاريخ الكويت السياسي لخزعل ٢/٢٢٨، وتاريخ الخليج العربي لزكريا ٣/١٣، ومذكرات سليمان فيضي حاشية ص ١٣٠.

(١٩٣) الإبراهيم ص ١٣٠.

(١٩٤) دليل الخليج الجغرافي ٤/١٣١٨ و٧/٢٤٠٧.

ومن القبائل الموجودة في صحراء الكويت منذ القدم -كما في دليل لوريمر الذي ألفه لصالح الحكومة البريطانية- قبيلة العوازم، والرشايدة، والعجمان، وبني خالد، والدواسر، وعنزة، والظفير.(١٩٥)

وتقطن عشائر الظفير الجزء الشمالي من صحراء الكويت، وأشهرها عشيرة الصمدة، والبطون، والمعاليب.(١٩٦)

كما يقطن في الجزء الجنوبي من الكويت العجمان، وبني هاجر، وبني خالد.

ويبلغ تعداد سكان البدو المستوطنين في الكويت من العوازم، والرشايدة، ومطير(١٣٠٠٠) نسمة تقريبا، وهذا عدا الرحل منهم، وعدا من يسكن منهم داخل أسوار المدينة، وعدا القبائل الأخرى، على حد قول لوريمر (قبائل الكويت كلها من العرب، وتنتمي للمذهب السني، والقبيلتان اللتان تكونان غالبية السكان خارج مدينة الكويت هما العوازم والرشايدة، ويقطن جزء من الصمان التابع للكويت قبيلة مطير فقط، ويخيم عدد كبير منهم في الجهراء كل موسم، أما عدد السكان من البدو فهم حوالي ١٣٠٠٠ نسمة، إذا لم نحسب إلا العوازم والرشايدة وجزءا من مطير الذين توجد أماكن استيطانهم القبلية في الإمارة).(١٩٧)

كما إن معظم سكان مدينة الكويت -كما يقول لوريمر- الذين يبلغ تعدادهم في سنة ١٩٠٥م ٣٥ ألف نسمة، ينتمون إلى قبائل العتوب، والعوازم، والرشايدة، وبني خالد، والعجمان، والدواسر، وعنزة، والظفير، والقناعات، وعرب الحسا، والبحارنة، وعدد من الإيرانيين.(١٩٨)

وكذلك يقطن نحو ٧٠٠ بيت من قبيلة مطير -أي: ما بين ٥٠٠٠ – ٧٠٠٠ نسمة تقريبا- على الجهراء في فصل الصيف، وبعضهم بشكل دائم.(١٩٩)

---

(١٩٥) دليل الخليج للوريمر الجغرافي ١٣٠٦/٤، وبريطانيا والخليج لجون كيلي ٥٧/١.

(١٩٦) لوريمر دليل الخليج الجغرافي ٥٢٥/٢.

(١٩٧) لوريمر دليل الخليج الجغرافي ١٣٤١/٤.

(١٩٨) دليل الخليج الجغرافي ١٣٠٦/٤.

(١٩٩) دليل الخليج الجغرافي ١٣٤٠/٤ و٣ / ١١٠٨.

وكما يقول جان جاك بيربي المؤرخ الفرنسي (الكويتيون الأصليون كلهم عرب ومسلمون سنيون)[٢٠٠]، والقسم الأكبر من مساحة الكويت صحراء يقطنها فيما مضى ما بين عشرة وعشرين ألف بدوي.[٢٠١]

وهذه الأرقام لنسبة سكان القبائل في الكويت -سواء في المدينة أو في الصحراء المجاورة لها- تعادل أكثر من ثلثي عدد سكانها، وهذا في عهد الشيخ مبارك، وهي النسبة ذاتها إلى اليوم، وليس كما يشاع في الثقافة الزائفة اليوم بأن الوجود القبلي في الكويت وجود طارئ دخيل، وأنه تغير ديمغرافي في تركيبة السكان بعد استخراج النفط، كما يزعم أستاذ علم الاجتماع خلدون النقيب!

لقد فرضت بريطانيا واقعا جديدا بتحديدها للحدود بين المدن الساحلية التي كانت تمثل إقليما واحدا يتبع دولة واحدة، من أجل مصالحها الاستعمارية، إلا إن (البدو الأحرار المتنقلين لم يكترثوا -كما يقول بيربي- يوما بالحدود التي تقيمها إدارة أجنبية، طالما أنهم يستطيعون أن يقفزوا فوقها ويتخطوها).[٢٠٢]

- القبائل الرئيسة في الكويت وامتدادها الجغرافي:

١- قبيلة مطير:

لقد ظلت القبائل هي المؤثر الرئيسي في امتداد وانحسار نفوذ أمراء الموانئ والمدن، وقد كان شيوخ المدن الساحلية والداخلية يحاولون مد نفوذهم من خلال التحالف مع القبائل وكسب ولائها، أو محاربتها من أجل إخضاعها لنفوذهم، ففي سنة ١٨٥٢م غزا فيصل بن تركي آل سعود بجيشه على قبيلة الجبلان من مطير وهم على آبار الوفرة جنوب الكويت.[٢٠٣]

(٢٠٠) جزيرة العرب لجان جاك بيربي ٢٥٤.

(٢٠١) جزيرة العرب لجان جاك بيربي ٤٣.

(٢٠٢) جزيرة العرب لجان جاك بيربي ٣٦.

(٢٠٣) تحفة المشتاق ٣٣١.

كما أغار عبد الله بن فيصل بن تركي على قبيلة الصهبة من مطير، وهم على ماء الوفرة جنوب الكويت سنة ١٨٦٩م.[٢٠٤]

وقد كان مع مبارك الصباح في معركة الصريف سنة ١٩٠٠م قبيلة علوى من مطير وشيخهم سلطان الدويش، والصعران من مطير، وشيخهم نايف بن بصيص، والجبلان من مطير وشيخهم صاهود بن لامي، وغيرهم من القبائل.[٢٠٥]

وبعد هزيمة مبارك ومن معه، ترك مبارك أرض المعركة ومعه سلطان بن الحميدي الدويش، وكان سلطان في خيمة مبارك حين وقعت الهزيمة، ولحق بهم السعدون وتوجهوا إلى الزلفي ورفض أهلها دخولهم خوفا من ابن رشيد، فلجأوا إلى الصمان حيث قبيلة مطير، ومن هناك توجه مبارك إلى الكويت.[٢٠٦]

كما أغار ابن رشيد بعد حرب الصريف على الصبيحية، ثم أغار على (واره)، فأخذ بعد قتال عنيف أموالا لقبيلة مطير.[٢٠٧]

وفيها يقول شاعر ابن رشيد أبياتا من الشعر الشعبي جاء فيها:

حـــر شلع من حايل *** يبغي حباري واره

يبغي الدويش وربعه *** غـــربي أبـو دواره

وجبل واره قرب منطقة الأحمدي، وأبو دواره من الآبار التاريخية القديمة وهي قرب دسمان في مدينة الكويت الحالية، وكلها كانت من منازل قبيلة مطير تنزل عليها في فترة الصيف، كما ذكر لوريمر وغيره.

---

(٢٠٤) تاريخ الفاخري ٢٣٠، وعقد الدرر ٦٤، وتحفة المستفيد ١٥٩.

(٢٠٥) تاريخ الكويت للرشيد ١٦١، وتاريخ الكويت السياسي لخزعل ٢/٤٨.

(٢٠٦) تاريخ الكويت السياسي ٢/٤٨.

(٢٠٧) تاريخ الكويت للرشيد ١٦٩.

كما كانت قبيلة مطير تنزل على آبار أم الهيمان جنوب الكويت خاصة في الصيف.[٢٠٨]

وقد كان في صحراء الكويت نحو عشرين بئرا لقبيلة مطير على بعد ثلاثين ميلا شمال الجهراء.[٢٠٩]

وتوجد على بعد ٤٠ ميلا جنوب غربي مدينة الكويت خبرة الدويش، وقد كان بين العجمان ومطير نزاع على ملكيتها سنة ١٩٠٥م، ثم آلت ملكيتها لقبيلة مطير.[٢١٠]

وقد جعل مبارك الصباح -كما يقول لوريمر- (من نفسه حليفا لقبيلة مطير، وذلك بالزواج منهم، ومطير لهم شأنهم في نجد، ويعسكرون في الصمان، أو عند رأس خليج الكويت في الصيف)[٢١١].

كما أكد لوريمر أن الذي كان (يقطن جزءا من الصمان التابع للكويت قبيلة مطير فقط، ويخيم عدد كبير منهم في الجهراء كل موسم)[٢١٢].

وقال ديكسون عن حدود القبيلة الجغرافية خاصة قبائل بريه من مطير (ويمتد هؤلاء من الكويت في الشمال إلى حزام الدهناء الرملي في الجنوب، ويلتزمون الجانب الشرقي من الباطن وكانت مراعيهم دائما في الأماكن المجاورة للكويت -أي: المدينة-) [٢١٣].

وكما يقول لوريمر لا تعرف قبيلة مطير الاستقرار (ولا يخضعون لسيطرة، وهم منهمكون في حروبهم القبلية، وعلى استعداد دائم للقتال، وكان شيخ الكويت -مبارك الصباح- يقوم بترتيب مع ابن سعود

---

(٢٠٨) معجم المواضع في الكويت للفرحان ٢٠.

(٢٠٩) دليل الخليج الجغرافي ٤/١٣٣٠-١٣٣٢.

(٢١٠) دليل الخليج الجغرافي ٦/٢٢٧١.

(٢١١) دليل الخليج الجغرافي ٤/١٣٤٣.

(٢١٢) لوريمر دليل الخليج الجغرافي ٤/١٣٤١.

(٢١٣) الكويت وجاراتها ١/٨٥.

وبالنيابة عنه بجمع الزكاة من القبيلة التي تعيش ضمن أراضيه، وهناك علاقة مصاهرة بين شيخ الكويت وقبيلة مطير، ورجال القبيلة مسلحون جيدا، وذلك كما يليق بحليف للكويت)[٢١٤].

فقد كانت العلاقة بين المدينة (الكويت)، والقبيلة (مطير) علاقة تحالف وندية إذ كانوا جميعا مواطنين في وطن واحد، ودولة واحدة هي الدولة العثمانية، ولم تكن القبيلة تخضع لسيطرة المدينة، وكان السبب في تحالف مبارك مع قبيلة مطير، هو أنها تسيطر على الصحراء غربا (الصمان)، التي تقع بين مدينة الكويت، ومدينة حائل، فتشكل بذلك حاجزا بينهما، بعدما شهدتا صراعا وتنافسا في عهد مبارك وابن رشيد، ضمن الصراع البريطاني العثماني، وكان قد بلغ الصراع أشده في حرب الصريف التي وقفت فيها قبيلة مطير بصف مبارك.

وقال لوريمر عن قبيلة مطير وحدود أراضيها التي تمتد من الخليج العربي شرقا إلى البحر الأحمر غربا: (قبيلة عربية صرفة، في وسط الجزيرة العربية، حدودها أوسع من أي قبيلة أخرى، باستثناء عنزة، وهي القبيلة البدوية الرئيسية التي تزور القصيم، وملكية الدهناء والصمان مقصورة عليهم، وتمتد أماكن تواجدهم في الشمال الشرقي، حتى تتوغل في الكويت، فيقيمون معسكراتهم (خيامهم) الصيفية في الجهراء، وفي الجنوب الغربي يوجدون في القصيم، وفي الوشم، ووادي السر، ويصلون إلى العارض، وعلى مسافة بعيدة في المنطقة البركانية بين مكة والمدينة، وحدودهم الشمالية القصوى على الخليج، ويوجدون جنوبا في الحسا، والصمان، ويتصلون في الشمال مع عنزة، وفي الشمال الغربي مع شمر، وفي الغرب مع حرب، وعتيبة، وقحطان، والدواسر، وسبيع، وفي الجنوب مع العجمان، والمرة، وبني هاجر، والمناصير)[٢١٥].

وقد قدر المؤرخ العثماني أيوب صبري عدد أفرد قبيلة مطير في الحجاز فقط بأربعين ألف نسمة في حدود سنة ١٨٧٧م -أي: عشرة أضعاف سكان مدينة الكويت آنذاك- بينما تمتد حدودهم الجغرافية آلاف الأميال، إذ تمثل جزيرة العرب كلها وطنا لهم كباقي القبائل العربية يرتحلون فيها بلا حدود

---

(٢١٤) دليل الخليج الجغرافي ٤/١٦٢٩.

(٢١٥) لوريمر دليل الخليج الجغرافي ٤/١٦٢٦.

(ومن عاداتهم القديمة التنقل والترحال حيث الكلأ والمطر، وما أن يسمعوا بهطول الأمطار في ناحية حتى يشدوا رحالهم إلى هناك)[٢١٦].

وقد صارت القبيلة العربية هي الضحية بعد إقامة الدويلات الحديثة وتحديد حدودها السياسية بما يخدم المصالح البريطانية، حيث تم تقسيم القبيلة الواحدة ومصادرة أرضها، وضمها إلى المدن المتحالفة مع بريطانيا، وتقسيمها إلى شعوب وولاءات للأسر الحاكمة، على حساب وحدة القبيلة، ووحدة شعب الجزيرة العربية، ووحدة أرضها!

٢- قبيلة العجمان:

وكذلك كان لقبيلة العجمان أثرها على الحدود السياسية، وهي من أكبر القبائل في المنطقة، وتمتد أراضي قبيلة العجمان من الأحساء جنوبا إلى الكويت شمالا، حيث استقر بعض عشائرها في مدينة الكويت، وعلاقتهم -كما يقول لوريمر- مع شيخ الكويت طيبة، ولقوة قبيلة العجمان صار التحالف معهم ذا أهمية كبرى، كما تشكل عداوتهم خطرا كبيرا، وهم في الصحراء لا يعترفون بسلطة الدولة العثمانية، مع أنهم يتلقون معونات شهرية منها.[٢١٧]

وللعجمان في صحراء كاظمة آبار منها (مشاش العجمان) وهي لقبيلة العجمان، جنوبا من الصبية.[٢١٨]

٣- قبيلة الظفير:

كما كان لقبيلة الظفير تأثير سياسي على حدود مدينة الكويت، وقد كان الظفير السبب -كما ذكره مؤرخ الكويت الرشيد- في نزوح العتوب والصباح من الصبية إلى كوت ابن عريعر، حيث كان الظفير في الصبية، وأرادوا الإغارة على العتوب حين أرادوا الاستقرار فيها، فبلغ العتوب الخبر وارتحلوا منها.

---

(٢١٦) مرآة جزيرة العرب ٢/٢٧٩.

(٢١٧) لوريمر دليل الخليج الجغرافي ١/٧٤.

(٢١٨) دليل الخليج الجغرافي ٤/١٣٣٠-١٣٣٢.

وقد كان وجود الظفير شمال الكويت قديما ففي سنة ١٧٨٠م أغارت قبيلة سبيع على قبيلة الظفير وهم على آبار سفوان شمال الكويت.[٢١٩]

ومن قبائل صحراء الكويت، عشيرة الصمدة، وعشيرة السعيد من عشائر قبيلة الظفير، وكانوا في شمال الكويت، وقد أغار مبارك الصباح على الصمدة، حين استنجد به ابن سويط شيخ الظفير، بعد قتال بين ابن سويط وعشيرة الصمدة، وقد وقف مبارك بصف ابن سويط ورجح كفته في حربه مع الصمدة، كما أغار مبارك على عشيرة السعيد بعد أن اعتدوا على أطراف مدينة الكويت، وكان ذلك كله في زمن محمد الصباح، قبل أن يحكم مبارك الكويت سنة ١٨٩٦م.[٢٢٠]

٤- قبيلة العوازم:

وقد كان العوازم من أوائل من استقر في ساحل الكويت، ومن أشهر آبارهم الصابرية شمال الكويت.[٢٢١]

وقد احتج مبارك الصباح على ملكيته لجزيرة بوبيان لكونها أماكن للصيد لقبيلة العوازم، كما جاء في أسباب الاعتراف البريطاني بملكية الكويت لجزيرة وربة وبوبيان سنة ١٩٠٨م لأنها (كانت مأهولة من قبائل العوازم فقط دون غيرهم الذين مارسوا ولأجيال متعاقبة حقوق الصيد فيها)[٢٢٢].

٥- قبيلة بني خالد:

ومن قبائل بادية الكويت قبيلة بني خالد، وقد ظلوا فيها بعد سقوط حكم ابن عريعر، وكانت الكويت تابعة لحكمه، وقد غزا سعود بن عبد العزيز آل سعود قبيلة بني خالد قريبا من آبار الوفرة سنة ١٢٠٣هـ-١٧٨٨م، كما أغار عليهم سنة ١٢٠٧هـ-١٧٩٢م، وكانوا على آبار الجهراء.[٢٢٣]

---

(٢١٩) تاريخ الفاخري ١٤٧.

(٢٢٠) تاريخ الكويت للرشيد ٢٢٦، تاريخ الكويت لخزعل ١/١٤٩.

(٢٢١) معجم المواضع في الكويت للفرحان ١٥١.

(٢٢٢) معجم المواضع في الكويت للفرحان ٧٤.

(٢٢٣) عنوان المجد في تاريخ نجد للمؤرخ ابن بشر ١/١٠٤و١٢٧.

كما نزل ثويني السعدون، والظفير، وبني خالد، على الجهراء سنة ١٢١١هـ-١٧٩٧م، مدة ثلاثة أشهر، للاستعداد لغزو سعود بن عبد العزيز.[(٢٢٤)]

وتمتد قبيلة بني خالد من الأحساء إلى مدينة الكويت، حيث يتزودون بالمؤن، ويتنقلون في صحرائها.[(٢٢٥)]

٦- قبيلة الرشايدة:

كما تعد قبيلة الرشايدة من قبائل الكويت الرئيسية، وهم -كما يقول لوريمر- (موالون لمطير، وتساوي قوتهم الحربية قوة العوازم)[(٢٢٦)].

٧- قبيلة بني هاجر:

وهي من قبائل صحراء الكويت، وتمتد حركة تنقلها وارتحالها -كما يقول لوريمر- من قطر جنوبا، إلى داخل أراضي الكويت شمالا، وهي قبيلة مستقلة لا تخضع لأي سلطة، ويتلقون معونات مالية، وهدايا من متصرف الحسا العثماني، ومن شيخي قطر، والكويت.[(٢٢٧)]

وقد غزا رجال من قبيلة الهواجر سنة ١٢٨٩هـ-١٨٧٢م على الكويت، وأخذوا إبلا لعبد الله بن صباح، ومبارك الصباح، في تحد واضح للسلطة العثمانية، وقد قام عبد الله الصباح بالاحتجاج لدى قائمقام القطيف، الذي اعتذر له بأنه لا سلطة له على القبائل في المنطقة.[(٢٢٨)]

---

(٢٢٤) عنوان المجد في تاريخ نجد ١/١٤١.

(٢٢٥) دليل الخليج الجغرافي ٣/١٢٥٢.

(٢٢٦) دليل الخليج الجغرافي ٥/ ١٩٣٠.

(٢٢٧) لوريمر دليل الخليج الجغرافي ٢/٧٨٤.

(٢٢٨) الأمن الداخلي في الأحساء أثناء الحكم العثماني ٦٧.

كما لجأ عبد الله بن فيصل بعد خروج أخيه سعود عليه في الرياض إلى قبيلة قحطان (الهواجر)، وكانوا على آبار الصبيحية بقرب الكويت، وذلك سنة١٢٩٠هـ-١٨٧٣م.[٢٢٩]

٨- قبيلة شمر:

ومن القبائل التي كانت تقطن صحراء الكويت شمالا، قبيلة شمر، فقد استدعى سالم الصباح عشائر من قبيلة شمر القاطنة على سفوان، بقيادة ابن طوالة، ونزلت على آبار الجهراء، وأغدق سالم عليهم الأموال كي يستقروا، لحماية الكويت من خطر الإخوان.[٢٣٠]

٩- قبيلة سبيع:

ومن القبائل أيضا قبيلة سبيع التي يرتحل أفرادها -كما قال المؤرخ العثماني أيوب صبري- في المنطقة الممتدة ما بين الرياض والأحساء والكويت.[٢٣١]

وقد غزا تركي بن عبد الله بن سعود سنة ١٨٣٠م على سبيع ورئيسهم فهيد الصيفي ومعهم أخلاط من بني حسين وهم بين حفر الباطن والوقبا، ثم سار تركي ونزل الصبيحية الماء المعروف قرب بلد الكويت، ودخل بعض الغزو البلد لقضاء حوائجهم وأهدى إليه رئيس الكويت جابر بن عبد الله بن صباح هدايا، وأقام تركي على هذا الماء أربعين يوما ووفد عليه كثير من رؤساء العربان.[٢٣٢]

١٠- قبيلة عتيبة:

كما يرتاد الكويت -كما يقول لوريمر- بعض قبيلة عتيبة بحثا عن الرزق.[٢٣٣]

---

(٢٢٩) عقد الدرر ٧٥.

(٢٣٠) تاريخ الكويت للرشيد ٢٥٢.

(٢٣١) مرآة جزيرة العرب ٢/٣١٩.

(٢٣٢) عنوان المجد في تاريخ نجد للمؤرخ ابن بشر ٢/٥٠.

(٢٣٣) دليل الخليج الجغرافي ١/٢٢٥.

١١- قبيلة المنتفق:

ومن قبائل صحراء الكويت قبيلة المنتفق فقد كانت منازلهم شمال الجهراء، وقد أغار سعود بن عبد العزيز سنة ١٢٠٣هـ-١٧٨٨م على قبائل المنتفق (فوجدهم في الموضع المعروف بالروضتين بين سفوان والمطلاع، فناوخهم وأخذ من محلتهم خياما وأمتعة، ثم سار سعود إلى ماء الوفرا فوردها ثم رحل منها ووافق غزوا من بني خالد فأخذهم)[٢٣٤].

كما نزلت قبائل المنتفق على الجهراء بقيادة ثويني السعدون سنة ١٢١١هـمدة ثلاثة أشهر، مع بني خالد، استعدادا لحرب عبد العزيز بن محمد بن سعود.[٢٣٥]

١٢- السهول والدواسر وعنزة والمرة:

ومن القبائل أيضا التي ترتاد صحراء الكويت، واستقر كثير منها فيها قبيلة عنزة، والسهول، والدواسر، والمرة، وعدوان وغيرهم من القبائل العربية التي كانت تجوب الصحراء شمالا وجنوبا، وشرقا وغربا، فقد كان مع مبارك الصباح في معركة الصريف سنة ١٩٠٠م -عندما خرج من الكويت بترتيب بريطاني لحرب ابن رشيد في حائل- من القبائل كل من:

١- من مطير: علوى وشيخهم سلطان الدويش، والصعران وشيخهم نايف بن بصيص، والجبلان وشيخهم صاهود بن لامي.

٢- والعوازم وشيخهم مبارك بن دريع.

٣- والعجمان وشيخهم محمد بن حثلين.

٤- وعريب دار.

٥- والمنتفق وشيخهم سعدون السعدون.

---

(٢٣٤) عنوان المجد في تاريخ نجد ١/١٠٤.

(٢٣٥) عنوان المجد في تاريخ نجد ١/١٤١.

٦- والمرة.

٧- والهواجر وشيخهم ابن شافي.

٨- والظفير وشيخهم ابن سويط.

٩- وقحطان وشيخهم حشر بن وريك.

١٠- والرشايدة.

١١- والسهول.

١٢- وسبيع.

١٣- وعتيبة.

١٤- والرولة من عنزة.(٢٣٦)

وكل هذه الأدلة التاريخية تؤكد طبيعة سكان المنطقة القبلية، حيث تمثل القبائل العربية العنصر الرئيس للسكان فيها قبل قيام الدول الحديثة، وهي المؤثر الرئيس في تاريخ المنطقة وأحداثها، والمؤثر في حدودها السياسية، كما تؤكد أن القبيلة والمدينة كانتا جزءا من وطن واحد ودولة واحدة وشعب واحد، قبل التقسيم البريطاني للمنطقة، وليس كما تشيعه الثقافة الوطنية الزائفة التي تصور المدينة وسكانها كدولة وشعب ووطن، بينما تصور القبائل العربية عنصرا دخيلا على أرضها، حيث تم اختزال أرضها ووجودها وتاريخها وهويتها في المدينة وتاريخها، وتم اختزال تاريخ المدينة بتاريخ الأسر الحاكمة، لتعيش القبائل العربية في الجزيرة أزمة هوية لتبرير تهميشهم ومصادرة حقوقهم السياسية على أرضهم التي تم تقسيمها بين ست دويلات، ومن أجل ترسيخ مشروع السيطرة والتجزئة البريطانية للجزيرة العربية، وفرض التبعية لمشيخات المدن التي تحالفت مع الاستعمار البريطاني!

---

(٢٣٦) تاريخ الكويت للرشيد ١٦١، وتاريخ الكويت السياسي لخزعل ٢/٤٨.

ملحوظة: المقصود من ذكر هذه المعلومات هو إثبات طبيعة المجتمع القبلي آنذاك، وليس إثبات أو نفي صحة ما تذكره بعض المصادر من معلومات عن القبائل وشيوخها أو معاركهم التي يقع الاختلاف فيها!

لقد خسرت القبيلة العربية أرضها ونفوذها ومكانتها التي كانت تتمتع بها طوال التاريخ الجاهلي والإسلامي على اختلاف عصوره، لا لصالح دولة حديثة، ووطن حديث، ولا لتصبح جزءا من شعب حديث، يتمتع أفراده بكامل حقوق المواطنة، بل خسرت كل ذلك لتعيش تبعية مطلقة لمشيخات الموانئ التي لم يكن نفوذها يتجاوز أسوار مدنها، وليتم إخضاعها بالحديد والنار -كما سيأتي بيانه- للمشروع الاستعماري البريطاني وحلفائه، ولتفقد القبيلة العربية -وهي المكون الرئيسي للمجتمع في الجزيرة والخليج العربي- حريتها وكرامتها وأرضها ونفوذها ومكانتها، وليتحول أفرادها إلى غرباء وهنود حمر ومواطنين من الدرجة الثالثة في عصر دويلات الطوائف الصليبية!

إن ما ذكره لوريمر في دليل الخليج العربي منذ سنة ١٩٠٥م عن أماكن وجود القبائل وتوزيعها الجغرافي في الكويت لازال قائما إلى اليوم حيث توجد قبائل الظفير وشمر والمنتفق وعنزة ومطير شمالا في محافظة الجهراء، بينما توجد قبائل العجمان والهواجر والمرة والعوازم جنوبا في محافظة الأحمدي، وتوجد قبائل مطير والرشايدة في الوسط، ويوجد العوازم في المناطق الداخلية على الساحل، وهذا التوزيع الجغرافي المطابق لما ذكرته كل المصادر التاريخية يؤكد بطلان كل النظريات التي يروجها سدنة المشروع الوطني القطري البريطاني حول التغيير الديمغرافي لسكان الكويت وغزو البدو لها بعد استخراج النفط!

بينما الحقيقة هي تجاوز الكويت المدينة لحدود أسوارها، بعد معاهدة الحماية البريطانية، لتضم أراضي القبائل العربية الممتدة في صحرائها منذ وجد العرب في جزيرة العرب، لتبدأ إشكالية الكويت (المدينة)، والكويت (الدولة)!

لقد استتبع هذه الأخطاء التاريخية أن قامت العلاقة بين الدولة والمواطن -في دول الخليج العربي التي أوجدها الاستعمار البريطاني- على أساس التبعية والرعوية لا على أساس المواطنة، وصار موضوع الجنسية اليوم أحد أهم أدوات السيطرة السياسية وإخضاع الشعوب كلها في دول الخليج العربي، فالأسر الحاكمة هي من تمنح الجنسية وتسحبها، كأثر من آثار ضمان بريطانيا لحلفائها توريث الحكم في ذريتهم وضمان حق منح امتياز النفط لهم، دون حاجة للرجوع إلى شعوب وسكان المنطقة، وما زال العرب في جزيرتهم يدفعون ثمن تلك المعاهدات البريطانية إلى اليوم، وما زال التاريخ يؤثر في الواقع والحاضر السياسي، فالشعوب الخليجية العربية ضيوف

ثقلاء على الأسر الحاكمة التي تكرمهم في أرضهم، وتتكرم عليهم من أموالهم بمكرماتها الملكية، لتتجلى أخطر صور أزمة الهوية في الخليج والجزيرة العربية.

الباب الثاني

تاريخ دويلات الطوائف في الخليج والجزيرة العربية

وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: تقسيم بريطانيا لشعب الخليج والجزيرة العربية وإقامة دويلات الطوائف.

الفصل الثاني: مشروع الثورة العربية والمملكة العربية المتحدة.

الفصل الثالث: الثورات العربية ضد الاحتلال الصليبي ومؤتمر القاهرة سنة ١٩٢١م وتأسيس دويلات الطوائف.

الفصل الرابع: الترتيبات البريطانية للقضاء على حركة الإخوان النجدية.

الفصل الخامس: إقامة بريطانيا لدويلات الخليج العربي وقمع الثورات الشعبية فيها.

الفصل السادس: تجليات أزمة الهوية لشعب الخليج والجزيرة العربية.

الفصل الأول

تقسيم بريطانيا لشعب الخليج والجزيرة العربية

وإقامة دويلات الطوائف

- الاحتلال البريطاني الأول للرياض والسيطرة على نجد والأحساء سنة ١٨٧٠م:

لقد كان أول اختراق بريطاني لوسط الجزيرة العربية هو ذلك الدعم الذي لقيه سعود بن فيصل بن تركي آل سعود من حكومة الهند البريطانية ليستولي على الرياض، وقد واكب افتتاح قناة السويس - الذي زاد من أهمية البحرين وساحل عمان-صراع بين عبد الله بن فيصل بن تركي، وأخيه سعود بن فيصل على الحكم في الرياض، وبلغ الصراع ذروته سنة ١٨٧٠م وقد (كان أكثر من صراع بين شخصين، كان صراعا بين عقليتين، سكان الحضر وأهل البادية، بين المتطرفين الوهابيين، وبين المعتدلين الذين يرفضون تعاليمها، وكان كل من الأخوين يمثل إحدى الفئتين) على حد قول جون كيلي[٢٣٧].

وهذا هو رأي كيلي إلا أن الحقيقة هو أن الصراع كان بسبب خروج سعود المدعوم بريطانيا، على أخيه عبد الله الذي كان قائمقاما عثمانيا.

وقد كانت بريطانيا وراء هذه الفتنة بين عبد الله وسعود للسيطرة على نجد كما جاء في مذكرات والي بغداد مدحت باشا حيث قال: (كان عبد الله الفيصل معتدلا لم يعاكس الدولة العلية -الخلافة العثمانية- أما سعود فكان يسعى لاستلام الإمارة، ولذا فإنه توجه إلى الهند للاستعانة بالإنجليز، وألب العشائر وحثهم على شق عصا الطاعة في وجه أخيه، وبعد حروب طويلة انتصر عليه، وكان الإنجليز يعاونون الأمير سعود بالمال والعدة، وكانت البلاد القريبة من نجد قد دخلت تحت حمايتهم، وإذا حكم الأمير سعود النجديين أدخل البلاد تحت حماية إنجلترا وصارت صاحبة الطول والحول في العراق)[٢٣٨].

ولم يدرك علماء نجد آنذاك طبيعة الصراع الدائر بين الأخوين عبد الله وسعود، ولم يدركوا أبعاد تدخل الإنجليز لصالح سعود، ولهذا صدرت الفتاوى بتجريم عبد الله لأنه استعان بالدولة العثمانية، وحكم بعضهم بردته، وأوجبوا السمع والطاعة لأخيه سعود المدعوم بريطانيا!

فقد جاء في فتوى عبد اللطيف آل الشيخ (وقد عرفتم حالنا في أول هذه الفتنة، وفيها الجزم بإمامة عبد الله ولزوم بيعته، والتصريح بأن راية أخيه راية جاهلية عمية، فلما صدر من عبد الله ما صدر من جلب الدولة -أي: العثمانية- إلى البلاد الإسلامية والجزيرة العربية، وإعطائهم الحسا والقطيف

---

(٢٣٧) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/٥٨١.

(٢٣٨) مذكرات مدحت باشا ٢٤٠. وانظر إلى حدة ذكاء الوالي العثماني! فما كان يخشاه مدحت باشا من سقوط نجد تحت النفوذ البريطاني تحقق بعد ثلاثين سنة من توقعاته!

والخط، تبرأنا مما تبرأ الله منه ورسوله... وقد تغلب سعود على جميع البلاد النجدية، وبايعه الجمهور، وسموه باسم الإمامة... وقد نزل العدو –أي: عبد الله وجيوش الدولة العثمانية التي جاءت لنصرته- بأطرافكم، واستخف الشيطان أكثر الناس وزين لهم الموالاة واللحاق بالمشركين، وإسناد أمر الرئاسة لهم، وأنهم ولاة أمر يعزلون ويولون، وينصرون وينصبون... وقد أجمع المسلمون على جهاد عدوهم مع الإمام سعود)[٢٣٩].

وهذا يفيد أن شيوخ الدعوة الوهابية الثانية في نجد لم يكن لديهم علم بأنه منذ قيام الإمارة السعودية الثانية كانت تابعة للخلافة العثمانية، بترتيب مصري مع تركي بن عبد الله، ثم ولده فيصل بن تركي، ثم عبد الله بن فيصل!

كما لم يكن لديهم علم بأن سعود بن فيصل كان مدعوما من حكومة الهند البريطانية، ففي الوقت الذي وقفوا ضد عبد الله لأنه جاء بالترك، لم يعلموا بأن أخاه سعودا قد جاء بالإنجليز!

إن تبعية الإمارة الوهابية الأولى نفسها للخلافة العثمانية أمر مؤكد بمراسلات الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه لشريف مكة وتأكيده السمع والطاعة له، كما إن تبعية تركي بن عبد الله ثم ابنه فيصل ثم عبد الله الذين كانوا يرسلون الزكاة للأستانة أمر معلوم، كما جاء في رسالة الشريف عون شريف مكة للبريطانيين (أعرفكم بخصوص فيصل بن تركي بن سعود، بأن هذا من رعايا السلطان العثماني، وغير خاف عليكم أن هناك بعض القلاع التي تخصه في عمان، وهو يدفع لخزينة السلطان ١٧٠٠٠ريال، وأملي فيكم أن لا تتخذوا ضده أي إجراء)[٢٤٠].

وقد أرسل والي بغداد إلى الباب العالي في الأستانة (إسطنبول) رسالة بتاريخ ١٢شوال سنة ١٢٨٣هـ-١٨٦٦م، يخبر فيها بأنه أرسل موظفا من ولاية الحجاز إلى قائمقام نجد عبد الله بن فيصل بن تركي التابع لولاية بغداد، للحصول على الرسوم السنوية، إلا أن الموظف لم يستطع الوصول بسبب انعدام الأمن بسبب الصراع بين الأخوين عبد الله وسعود، وتفيد الرسالة بأن عبد الله بن فيصل سبق أن طلب من والي الحجاز بعد وفاة والده فيصل سنة ١٨٦٥م أن يعين قائمقام نجد، وقد بعث الصدر الأعظم

(٢٣٩) مجموعة الرسائل النجدية ٣/١٧٠-١٧٤.

(٢٤٠) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/٦٨٦ .

(رئيس الوزراء) بالسيرة الذاتية الكاملة لعبد الله بن فيصل للسلطان العثماني، وأن أمرا سلطانيا قد صدر من الأستانة بجعل عبد الله قائمقاما مكان أبيه في نجد، وتم إبلاغه به في شهر محرم ١٢٨٤ - ١٨٦٦م، كما تم إبلاغه بأن يتحلى بالحكمة في معالجة مشاكل الإقليم، حيث أن الدولة العثمانية تواجه مخاطر خارجية تقتضي الهدوء والاستقرار الداخلي، كما تأمره بالتعاون مع والي الحجاز لمواجهة قائمقامية عسير متى ما قررت الدولة العثمانية ذلك.[٢٤١]

وقد بعث عبد الله بن فيصل سنة ١٨٦٦م إلى والي بغداد نامق باشا يطلب نجدته لمواجهة تمرد أخيه سعود، فتردد نامق باشا في مساعدته، ثم أرسل عبد الله مرة ثانية يطلب المساعدة من الوالي الجديد أحمد مدحت باشا، الذي أعد تقريرا للأستانة يشرح فيه خلفيات الصراع بين الأخوين، ويؤكد فيه طلب سعود من إمام مسقط المدعوم من الإنجليز مساعدته، وكذا تدخل بريطانيا عن طريق شيخ البحرين لتقديم الدعم لسعود ليصل إلى السلطة، وقد حذر مدحت باشا من خطورة نجاح بريطانيا في مخططها بدعم سعود، إذ سيفتح الطريق لها للتدخل في شئون المنطقة، وأكد مدحت باشا بمذكرة ثانية كتبها للصدر الأعظم بناء على تقرير وصله من قائمقام الكويت عبد الله الصباح يؤكد فيه أن سعودا وإمام مسقط قد أعدا قوة أكبر من قوة عبد الله بن فيصل بدعم بريطاني، حيث صاحبها قيام ست قطع بحرية بريطانية بالتجوال في سواحل الأحساء.[٢٤٢]

وقد أكد مدحت باشا في مذكراته التي أرسلها للأستانة بأن المخطط البريطاني يهدف بعد السيطرة على عمان ثم البحرين السيطرة على الأحساء وفصلها عن نجد على يد سعود، ثم السيطرة على الكويت، لتكتمل السيطرة البريطانية على سواحل الخليج العربي.[٢٤٣]

كما جاء في برقية مرسلة من ولاية بغداد إلى الأستانة في ٢١ ذي القعدة سنة ١٢٨٦هـ- ١٨٦٩م تأكيد تدخل بريطانيا في عمان وهيمنتها عليها، وخلعها لشيخي البحرين محمد بن خليفة ومحمد بن عبد الله بعد رفضهما التبعية لبريطانيا، ونفيهما إلى بومبي، وتنصيب عيسى بن علي بن خليفة شيخا

(٢٤١) الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص ٢٠ من وثائق الأرشيف العثماني.

(٢٤٢) الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص ٢٢ من وثائق الأرشيف العثماني.

(٢٤٣) الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص ٢٢ من وثائق الأرشيف العثماني.

للبحرين، وتدخل بريطانيا لدعم سعود بن فيصل في صراعه مع أخيه عبد الله لبسط نفوذ بريطانيا على نجد كلها.[٢٤٤]

وقد جاء في تقرير مكتوب بتاريخ ٢٨ ذي الحجة سنة ١٢٨٦هـ- ١٨٦٩م، موجه من مدحت باشا والي بغداد إلى الصدر الأعظم في إسطنبول: (إن عدم حيوية الوجود العثماني في البحر أتاح المجال للنفوذ البريطاني المدعوم من حكومة الهند البريطانية، وإحاطتهم بالجزيرة العربية من عدن مرورا بمسقط التي يحاولون إلحاقها الآن بعدن، وعملهم في ترسيخ نفوذهم في البحرين والنفوذ منها إلى داخل الجزيرة العربية، كما أتاح لفارس التي لا تملك مقومات القدرة والقوة أن تنفذ إلى البحرين وتدعي أحقية مزعومة في إدارة شئونها، ولن يفيد الهيمنة العثمانية إلا الأسطول البحري الحربي)[٢٤٥].

وقد استفسر الصدر الأعظم في إسطنبول عن طبيعة الدعم البريطاني لسعود بن فيصل الذي نجح في السيطرة على الأحساء ثم الرياض، فأجابه مدحت باشا بأن الدعم البريطاني السري يشمل الأموال والأسلحة.[٢٤٦]

وقد صدرت التعليمات من الباب العالي في إسطنبول إلى والي بغداد بأنه (يجب عدم السماح لانفصال البحرين ومسقط بأي صورة من الصور عن المنطقة -الجزيرة العربية- التي ينظر إليها بوصفها منطقة حيوية للدولة العثمانية، لاسيما أن شيخ البحرين كان ملتزما بدفع الضرائب لأمير نجد، أي التابع للدولة العثمانية)[٢٤٧].

وقد راسل سعود بن فيصل -بعد أن وصله خبر تحركات الدولة العثمانية- المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي، يطلعه على الوضع العام، فوعده المقيم البريطاني بعرض الموضوع على حكومته.[٢٤٨]

---

(٢٤٤) الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص ٥٠ من وثائق الأرشيف العثماني.

(٢٤٥) الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص ٢٥ من وثائق الأرشيف العثماني.

(٢٤٦) الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص ٣٠ من وثائق الأرشيف العثماني.

(٢٤٧) الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص ٣٢ من وثائق الأرشيف العثماني.

(٢٤٨) الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص ٣٥.

• الحملة العثمانية لحماية الخليج والجزيرة العربية سنة ١٨٧١م:

لقد كان عبد الله بن فيصل -كما يقول كيلي- يمثل التيار المحافظ، بينما سعود يمثل التيار المتحرر، وقد نجح سعود بدعم حكومة الهند البريطانية في انتزاع الحكم من أخيه عبد الله -بعد أن كسب ولاء القبائل التي بايعته في الأحساء، وسار بها إلى الرياض، وكان الدعم البريطاني يتواصل إليه من البحرين- وفر عبد الله إلى والي بغداد مدحت باشا ليساعده في استرجاع السلطة، وكتب مدحت باشا إلى إسطنبول التي وافقت على تجهيز جيش لمساعدة عبد الله لكونه قائمقاما وواليا على نجد من قبل الخليفة العثماني، وقد حاولت بريطانيا التدخل لمنع الحملة العسكرية على نجد خشية تهديد النفوذ البحري البريطاني في الخليج العربي، خاصة وأن بين الدولة العثمانية وبريطانيا تحالفا وصداقة وثيقة، وقد أكد مدحت باشا في رده على التخوف البريطاني بأنه لا مصلحة للباب العالي في دعم عبد الله المعروف بوهابيته الشديدة، وأنه كان يفضل دعم سعود لتحرره من تعاليم الوهابية غير أن الإجراءات تقتضي الوقوف مع عبد الله لكونه قائمقام نجد بشكل رسمي، وأن الحملة العسكرية ستكون داخل الجزيرة العربية وفي نجد التي لا نزاع على كونها تحت السيادة العثمانية، وليس هناك أطماع بحرية، وأن استخدام موانئ الأحساء كان بسبب قربها من مسرح العمليات ولا بد من استخدامها، وقد تحركت القوات العثمانية من البصرة إلى الأحساء بحرا في أبريل سنة ١٨٧١م، كما تم نقل مؤن الجيش العثماني بسفن الكويت، التي كانت نقطة تجمع القبائل للتوجه برا نحو الأحساء، (وتوجه مع الجنود جماعة من أهالي الكويت التابعين لولاية البصرة كمتطوعين للإعانة على نقل مرافق الجيش ومؤنه) كما جاء في مذكرات والي بغداد مدحت باشا [٢٤٩].

وقد صار إقليم الأحساء ونجد كله تابعا لولاية بغداد ثم لولاية البصرة كما سيأتي بيانه.

وقد طلب حلفاء بريطانيا سعود بن فيصل وعيسى بن خليفة من المقيم السياسي البريطاني التدخل للحيلولة دون استخدام الدولة العثمانية للبحر في حربها هذه، غير أن وزير الشؤون الخارجية لحكومة الهند البريطانية أدرك أن حججه القانونية في التدخل ضعيفة، إذ أن أي تدخل بريطاني يعد غزوا لأرض أجنبية تحت سيادة الدولة العثمانية، كما أن المعاهدات التي عقدتها بريطانيا مع قبائل الساحل محدودة جدا، إذ هي فقط لمنع الاعتداءات البحرية بين القبائل بعضها على بعض، وأنه لا

---

(٢٤٩) مذكرات مدحت باشا ٢٤٣.

يمكن أن تخضع الإجراءات البريطانية في البحر للسياسات العربية في البر (إذ أن ذلك يجر بريطانيا إلى المشاكل الداخلية للقبائل العربية الذين قد لا نعرفهم ولا نتفهم ظروفهم)، وهذا اعتراف بريطاني بعدم وجود دويلات أو إمارات في المنطقة إلى سنة ١٨٧١م بل قبائل تابعة للخلافة العثمانية.

وهكذا نجحت الخلافة العثمانية من بسط نفوذها على الجزيرة العربية مرة أخرى، والتأكيد على حقها في بسط سيادتها على أقاليمها التابعة لها، وقد حاول السفير البريطاني في الأستانة الاستفسار من رئيس الوزراء العثماني عن أهداف الحملة، فرد عليه بأن تركيا دولة مستقلة لها الحق في ممارسة شئونها كما تشاء، وأنه لا شك في تبعية عبد الله بن فيصل للخلافة العثمانية، فقد تم تعيينه بمرسوم وفرمان سلطاني، كقائمقام في نجد، التي هي جزء لا يتجزأ من أقاليم الدولة العثمانية، وأن للخليفة العثماني حق فرض سلطته، باعتباره خليفة المسلمين، ولا يمكن أن يسمح للقبائل وصغار الزعماء بتهديد مكة، والمدينة، وأمن الدولة العثمانية، أما بالنسبة للكويت التي اتخذها الجيش العثماني نقطة انطلاق فقد أدرك البريطانيون أنه لا يحق لهم اتخاذ أي إجراء بخصوصها، ولا التدخل في موضوعها، لأنها بلا شك -كما يقول كيلي- ضمن المناطق الخاضعة للسيادة العثمانية، إذ أن والي بغداد قد اعترف بعبد الله بن صباح كقائمقام في الكويت بفرمان سلطاني، تم تسليمه بشكل رسمي إلى عبد الله في يناير ١٨٦٧م.[٢٥٠]

وعندما سيطرت الدولة العثمانية على الساحل الشرقي من الخليج العربي، لم تكن الكويت قد وجدت بعد، ثم بعد أن ظهرت كميناء صغير لم تكن ذات أهمية، وقد كانت تدفع الزكاة لوالي بغداد العثماني في العشرينات من القرن الثامن عشر.[٢٥١]

وهكذا ثبت صحة ما توصل إليه الخبراء القانونيون البريطانيون آنذاك من أن الوجود البريطاني في الخليج إنما يقوم على أسس اعتبارية لا قانونية، كالسراب يصور الماء حيث لا ماء، فهو على أحسن الفروض غزو بحري، وأن المعاهدات مع شيوخ قبائل الساحل هي لكف الاعتداءات فيما بين الموقعين

---

(٢٥٠) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢ /٥٨٢-٥٩٧، ومذكرات مدحت باشا ٢٤٠-٢٤٣، وسياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج ٢١٣-٢١٧.

(٢٥١) بريطانيا والخليج لجون كيلي ١/ ٥٨-٥٩.

على المعاهدات فقط، ولا حماية بريطانية لهم تجاه الدول الأخرى، وأن الحملة العثمانية إنما هي حملة لدولة تريد دفع تمرد على أراض تدعيها، فلا يمكن والحال هذه أن تتدخل بريطانيا في الموضوع.[٢٥٢]

وقد صدرت تعليمات من والي بغداد مدحت باشا إلى قائد الحملة نافذ باشا تحدد مهمة الحملة، وتؤكد وجوب تطمين الأهالي في الإقليم وعدم التعرض لأحد منهم، ووجوب نشر العدل بينهم، ومعاملتهم بالشفقة، وعدم التعدي عليهم، وشراء احتياجات الجنود، وعدم قبول الهدايا منهم، وتعيين قضاة في الأحساء، والقصيم، والرياض، من علماء أهل كل بلد، من أتباع المذهب الحنبلي، وجعل عبد الله بن فيصل متصرفا على لواء يضم هذه الأقاليم، فإن خيف منه، فيترك قائمقاما على الرياض فقط، ويجعل على البلدان الأخرى قائمقاميات.[٢٥٣]

وقد استعان الجيش العثماني بقبيلة عنزة والمنتفق والظفير، كما وقفت قبيلة العجمان مع سعود بن فيصل، ووقف أكثر أهل نجد مع أخيه عبد الله، وقد استنجد قاسم بن ثاني بقبيلة بني هاجر للقدوم للبدع للوقوف مع الحملة العثمانية، كما راسل شيخ قبيلة النعيم راشد بن جبر، وكذا كتب برسالة إلى عبد الرحمن بن أحمد الأشقر من شيوخ آل مرة، يشرح لهما تطور ما جرى من أحداث في قطر، وقد أرسل عبد الله بن فيصل برسالة يؤكد فيها سيطرته ثانية على الوضع في نجد، ودخول الجميع في طاعة السلطان والخليفة عبد العزيز العثماني (وأن نجد وتوابعها تعد الآن من أخلص المخلصين للسلطان وكافة سكانها مطيعون له)[٢٥٤].

وقد تحركت القوات العثمانية ووصلت إلى الكويت في مايو سنة ١٨٧٠م، فاستقبلت استقبالا حافلا من الأهالي، وقد خرج قائمقام الكويت عبد الله الصباح بثمانين مركبا في خدمة الجيش العثماني، وخرج معها من البر مبارك الصباح مع قوات من فرسان قبيلة عنزة بقيادة عبد المحسن الهذال، وقبيلة المنتفق بقيادة منصور السعدون، وقد تأخر وصول مبارك للأحساء واعتذر بقيام قبيلة مطير التي ما

---

(٢٥٢) سياسة الأمن ٢١٤-٢١٥.

(٢٥٣) الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص ٦١-٦٥ من وثائق الأرشيف العثماني.

(٢٥٤) الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص ٦٦-٦٩ من وثائق الأرشيف العثماني.

زالت تؤيد سعود بقطع الطريق على قواته، مما اضطره إلى العودة إلى الكويت لاصطحاب مزيد من القوة، كما قطعت قبيلة مطير الطريق على ابن هذال ومن معه من عنزة وأخذت خيلهم وجمالهم.[٢٥٥]

وبعد سيطرة الجيش العثماني على الدمام والقطيف وإطلاق سراح محمد بن فيصل بن سعود الذي سجنه أخوه سعود في قلعة الدمام، فر عبد العزيز بن سعود بن فيصل وعبد الله بن ثنيان بن سعود إلى قطر ثم إلى البحرين، وأخبر عبد العزيز بأن والده سعود في الصبيحية -قرب الكويت- تتوافد عليه القبائل السبع الرئيسية في نجد لمناصرته، وقد راسل أهل البحرين نافذ باشا يؤكدون له تبعيتهم للدولة العثمانية، وخشيتهم من عيسى بن خليفة، وقد أرسل عبد الله الصباح رسائله إلى شيخ البحرين، وإلى قاسم بن ثاني، وناصر بن مبارك للقدوم على نافذ باشا وتقديم فروض الطاعة، حتى لا يفقدوا مكانتهم وسلطتهم.[٢٥٦]

وقد نزل الجيش العثماني بالأحساء في أبريل سنة ١٨٧١م، وسيطر عليها، وقام قائد الفرقة حافظ باشا بقراءة البيان على أهل القطيف وقال فيه:

(إن نجد وملحقاتها كلها جزء من الخلافة العثمانية، كالعراق، واليمن، ومصر، وبما أن سعود قد أطاح بالحكم، وبالقائمقام الشرعي الأمير عبد الله، فقد اضطرت الحكومة العثمانية إرسال هذه الحملة).

ثم توجه الجيش العثماني، وعبد الله بن فيصل مع قواته إلى الرياض، وتعرضوا لخسائر في المواجهة مع قوات سعود من القبائل، وقد أبدى سعود استعداده ليصبح قائمقاما عثمانيا، وأن يدفع الزكاة للباب العالي، وقد نجح الجيش العثماني في توسيع سيطرته على الساحل إلى قطر، وتم رفع العلم العثماني عليها، بعد أن أرسل القائد العثماني نافذ باشا عبد الله الصباح، ليطلب من محمد بن ثاني رفع العلم العثماني، وقد أكد مدحت باشا للبريطانيين -بعد أن استفسروا عن هذه الخطوة- أنه لا يوجد ما يمنع من أن تكون قطر في نطاق تحرك الحملة، وقد بدأت السفن العثمانية العسكرية تجوب البحر في المنطقة ما بين المكلا، وحضرموت، والبصرة.[٢٥٧]

---

(٢٥٥) الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص ٧٢ نقلا من وثائق الأرشيف العثماني وجريدة الزوراء البغدادية.

(٢٥٦) الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص ٧٧-٨١ من وثائق الأرشيف العثماني.

(٢٥٧) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/٦٠٠-٦٠٦، ومذكرات مدحت باشا ٢٤٦-٢٤٩، وسياسة الأمن ٢١٨-٢٢١.

وقد طلب والي بغداد مدحت باشا من الصدر الأعظم تكريم عبد الله بن صباح وأخويه محمد ومبارك على خدمتهما في الحملة العسكرية، وتم منحهما نياشين عثمانية.(٢٥٨)

وقد قام والي بغداد مدحت باشا بعد ذلك، في أغسطس سنة ١٨٧١م، بتحديد مناطق توابع نجد، فذكر عشر مناطق منها البحرين، والشارقة، وأبو ظبي، ودبي، مما أثار القلق في أوساط حكومة الهند البريطانية في بومبي، وقد كتب المسئولون فيها للحاكم العام رسالة كما يلي: (إن أمير الرياض يستلم الزكاة السنوية من مسقط، كما أنه لا يكف عن المطالبة بالسيادة على البحرين، وساحل قطر، وأبو ظبي، وإذا قدر لعبد الله بن فيصل أن يسترد نجد بمساعدة القوات التركية في نجد، فلا شك بأنه سيعود لفرض سيطرته على هذه المناطق، وسيصبح تدخل الأتراك في شئون القبائل الساحلية في هذه المناطق أمرا نافذا)، وقد اعترفت حكومة الهند بأنها عاجزة عن مقاومة المد العثماني، كما اعترفت بأن تلك المناطق كانت تدفع الزكاة لنجد، ولا يهم بريطانيا ما يحدث على البر مادامت لا تأثر على سيادتها في البحر.(٢٥٩)

وقد تم وضع الأحساء تحت السيادة العثمانية المباشرة، كما تم تعيين جاسم بن ثاني قائمقاما عثمانيا على قطر، وبعد عدة أشهر ثار أهل الرياض على سعود بقيادة عمه عبد الله بن تركي، وفر سعود من الرياض، وأرسل عبد الله رسالة إلى نافذ باشا، وإلى ابن أخيه عبد الله بن فيصل، الذي عينه نافذ باشا واليا على نجد حتى يصل إليها عبد الله، وأرسل إليه بالعتاد والمؤن، كما تم إرسال قوات عثمانية إلى قطر للمرابطة فيها لحفظ الأمن والاستقرار، وقد استمر الصراع في الرياض بين عبد الله بن فيصل وأخيه سعود مدة دون حسم، ورأى نافذ باشا أن آل سعود لم يعودوا صالحين لحكم الرياض، بعد أن ضج الناس من صراعهم على السلطة، واضطربت أوضاع نجد، وقد سلم فريق باشا سنة ١٨٧٣م إقليم الأحساء إلى براك بن عريعر شيخ بني خالد، ووضع فرقة جندرمة للدفاع عن نجد والأحساء في شرق

(٢٥٨) الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص ٨٣ من وثائق الأرشيف العثماني.

(٢٥٩) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/٦٠٢-٦٠٣، وسياسة الأمن ٢١٨-٢١٩.

الجزيرة العربية، كما تم في الوقت نفسه إتمام السيطرة العثمانية على مناطق عسير، ولحج، والجهة الغربية من الجزيرة العربية.[٢٦٠]

وقد حاولت بريطانيا الاعتراض على هذه الحملة أيضا، فكان رد السفير العثماني في لندن صريحا وواضحا، حيث أكد: (بأنه لا حق للحكومة البريطانية في التدخل بين السلطان ورعاياه، في شبه الجزيرة العربية بما في ذلك لحج، وبأن اليمن وغيرها من المناطق في شبه الجزيرة العربية تخضع للخلافة العثمانية منذ قرون بحكم فتح الأتراك لها، وبحكم سيادتها الشرعية عليها، وبأنه من البديهي أن مسألة شبه الجزيرة العربية قضية حساسة باعتبارها جزءا لا يتجزأ من العالم الإسلامي، وأن هذه المنطقة وحكامها بلا استثناء متفقون على حق الخلفاء العثمانيين بحكم هذه المنطقة).[٢٦١]

وفي سنة ١٨٧٤م قدم بعض آل خليفة المنفيين عن البحرين عريضة للخليفة العثماني يؤكدون الولاء له، ويطالبونه برد حقوقهم التي انتهكتها السلطات البريطانية، حيث أنها صادرت ممتلكاتهم، ونفت حاكم البحرين السابق محمد بن خليفة، وحاكم الدمام محمد بن عبد الله إلى الهند.[٢٦٢]

وفي شهر أغسطس سنة ١٨٧٤م أفرج والي بغداد عن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي، الذي كان قد احتجز في بغداد منذ سنة ١٨٧٢م، كضمان لحسن سير أخيه سعود في الرياض، وبعد خروجه اتصل بقبائل الأحساء من العجمان والمرة التي كانت على الاستعداد للثورة على ابن عريعر، وقد قام عبدالرحمن ومعه تلك القبائل بالهجوم على الهفوف، فأصدر الوالي في بغداد رديف باشا أمره إلى ناصر السعدون متصرف لواء البصرة وشيخ المنتفق باتخاذ الإجراء اللازم للقضاء على التمرد، فقام بإعداد جيش كبير، وتحرك من ميناء البصرة للإحساء، وفر عبد الرحمن -الذي كان هدفه أن يتم تعيينه واليا على الأحساء بدلا من ابن عريعر- وتوجه إلى الرياض بعد أن تخلت عنه القبائل، وعين ناصر السعدون ابنه على الأحساء.[٢٦٣]

(٢٦٠) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/٦١٢-٦٢٣.

(٢٦١) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/٦٤٦-٦٤٧.

(٢٦٢) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/٦٤٩.

(٢٦٣) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/٦٥٣-٦٥٤.

وقد قام الشيخ ناصر السعدون عام ١٨٧٥م، بإعادة صرح بناء الإدارة العثمانية في المنطقة، وعاد إلى البصرة، وتكونت ولاية البصرة التي ضمت إليها الأحساء، وأصبح أول حاكم لهذه الولاية المستحدثة، التي تمتد من البصرة إلى الأحساء، مرورا بالكويت، وأصبحت المنطقة تابعة تبعية كاملة للدولة العثمانية.[٢٦٤]

وقد أكدت الدولة العثمانية سيادتها على المنطقة، وعلى حقها في استخدام الخليج العربي وموانئه، لبسط سيطرتها على داخل الجزيرة العربية، دون أن تستطيع بريطانيا الحيلولة دون ذلك.

وقد خشيت بريطانيا أن تكون هناك أيضا خطة للهجوم بعد ذلك على البحرين، فحذر السفير البريطاني في إسطنبول من خطورة الإقدام على ذلك، مؤكدا في الوقت ذاته أنه ليس لبريطانيا سيادة على البحرين، إلا أنها مصممة على حمايتها بموجب المعاهدة التي بين الطرفين سنة ١٨٦١م، خاصة أن البحرين يفصلها عن الجزيرة العربية البحر الذي تحرص بريطانيا على تأمين مصالحها فيه.[٢٦٥]

لقد نجحت الدولة العثمانية في إحكام سيطرتها على الجزيرة العربية وحمايتها من جديد، وسمحت لرجلها القوي في شمال نجد ابن رشيد أمير حائل بالسيطرة على الرياض، وضبط الأوضاع فيها، بعد صراع آل سعود فيما بينهم، وتم تحقيق ذلك، وبذلك فشلت بريطانيا في اختراق نجد بدعمها لسعود بن فيصل عن طريق مسقط والبحرين ليحتل الرياض، وأحبطت الدولة العثمانية ووالي بغداد مدحت باشا هذه المؤامرة، غير أن بريطانيا ستعيد الكرة مرة أخرى بعد ثلاثين سنة، ليس عن طريق مسقط والبحرين، بل عن طريق الكويت البوابة الرئيسية لنجد!

- الاحتلال البريطاني الثاني للرياض والسيطرة على نجد والأحساء سنة ١٩٠٠م:

يمكن القول بأن خريطة الشرق الأوسط اليوم، والعالم العربي على وجه الخصوص، هي من الألف إلى الياء خريطة غربية استعمارية صليبية، لم يكن لشعوب المنطقة كبير أثر في رسمها على هذا النحو، وكما يقول ديفيد فرومكين عن هذه الفترة التي تم فيها خلق هذا المسخ من الكيانات المصطنعة: (لقد كان عصرا اصطنعت فيه بلدان الشرق الأوسط وحدوده في أوربا، فالعراق والأردن، هما اختراعان

---

(٢٦٤) سياسة الأمن ٢٢٩.

(٢٦٥) بريطانيا والخليج لجون كيلي ٢/٦٥٥-٦٥٦.

بريطانيان، والخطوط رسمت على خارطة بيضاء من قبل سياسيين بريطانيين بعد الحرب العالمية الأولى، بينما أنشئت حدود المملكة العربية السعودية والكويت والعراق، من قبل موظف مدني بريطاني عام ١٩٢٢م، ورسمت فرنسا الحدود بين المسلمين والمسيحيين في سوريا ولبنان، وقد اعتقدت دول أوربا آنذاك أن باستطاعتها تغيير آسيا الإسلامية في صميم أساسيات وجودها السياسي، فاستحدثت نظام دول مصطنعة في الشرق الأوسط، مما جعل منه منطقة لبلدان لم تصبح أمما حتى يومنا هذا، لقد اقترح الروس الشيوعية بدل الدين كأساس للحياة السياسية في الشرق الأوسط، وفعل مثلهم البريطانيون فاقترحوا القومية أو الولاء للأسر الحاكمة عوضا عن الدين، ويبدو أن عام ١٩٢٢م كان نقطة اللاعودة من حيث وضع مختلف العشائر في الشرق الأوسط على طرقها المؤدية للتصادم).[٢٦٦]

وهذا أدق تحليل وأصحه عن جذور الأزمة التي تعاني منها المنطقة منذ سقوط الخلافة العثمانية إلى اليوم، وهي أنها لم تصبح أمة بعد، ولم تقم فيها دولة تعبر عن هويتها القومية أو الحضارية أو الدينية، ولهذا تم استحداث الولاء للأسر المتحالفة مع الاستعمار!

وكما يقول المؤرخ السياسي الفرنسي جان جاك بيربي في كتابه (جزيرة العرب):
(بسبب الخلافات القبلية والعائلية والطائفية التي استشرت من جراء ضعف الإمبراطورية العثمانية وانحلالها وجدت الجزيرة العربية في القرن العشرين نفسها مقسمة إلى عدة كيانات سياسية متنافرة ومتنافسة، ومنطق الحقائق الاقتصادية الذي لا يقاوم الكامن في اكتشاف البترول شجع النزعة الاستقلالية الانفصالية كما تشهد بذلك الكويت)[٢٦٧].

وقد صارت المنطقة كلها تحت النفوذ البريطاني المباشر الذي كانت له اليد الطولى -كما يقول جان بيربي- في تقسيمها وتحديد حدودها فيما بينها حيث كانت تخضع للحماية البريطانية بموجب معاهدات (تخولها الإشراف التام على سياستها وعلاقاتها الخارجية والامتيازات البترولية وهذا الوضع الممتاز لبريطانيا كان ابن سعود قد اعترف به رسميا في المادة السادسة من معاهدة جدة سنة ١٩٢٧م، ومن وجهة تاريخية كانت إقامة أول مقيم بريطاني في مسقط أحد الأسباب التي أتاحت للحكومة

---

(٢٦٦) ولادة الشرق الأوسط ١٥-١٧.

(٢٦٧) جزيرة العرب لجان جاك بيربي ص ٢٤.

البريطانية أن تستأثر بالنفوذ في هذه المنطقة الحساسة من العالم هذه السيطرة البريطانية المطلقة على الخليج العربي التي مضى عليها ما يقارب القرن)[٢٦٨].

لقد كانت بريطانيا ومنذ دخولها للمنطقة، وسيطرتها على الخليج العربي، وتوقيعها لمعاهدات الحماية مع مشيخات الموانئ الساحلية، وهي تتطلع إلى قلب الجزيرة العربية، وتخطط للسيطرة على الأحساء ونجد من خلال الوصول إلى الرياض، وقد أدركت الدولة العثمانية خطورة الوضع، ونجحت في قطع الطريق على بريطانيا في المرة الأولى سنة ١٨٧٠م، إلا أنها فشلت في المرة الثانية سنة ١٩٠٠م!

لقد عملت بريطانيا على تهيئة الوضع لدخول المنطقة، واحتلالها عسكريا بشكل مباشر، وكانت تلجأ في البداية إلى دعوى حفظ الأمن والاستقرار في المناطق التي تريد أن تدخلها، ثم لا تلبث أن تحتلها بعد ذلك، كما هو شأنها مع (مصر التي كانت من وجهة رسمية لا تزال جزءا من الإمبراطورية العثمانية، حتى احتلتها بريطانيا، معلنة أن هدفها هو إعادة النظام ثم تغادر البلد، ولكن بريطانيا بقيت فيه بدلا من أن تغادره)[٢٦٩].

وكما قال مدحت باشا والي بغداد العثماني: (كان سياح الإنجليز يكثرون التردد على نجد ويكتبون عنها المقالات الطويلة، ومن عوائد الإنجليز التقرب من أمراء العرب واستمالتهم، وترك بلادهم على حالها وحمايتهم باسم الإنسانية، وابتلاع البلاد بعد تدريب أهلها على الخضوع للعلم الإنجليزي، ومخادعة الأهالي تارة بالمال وطورا بالهدايا، جرى الإنجليز على هذا النحو في بلاد مسقط والمكلا وعمان وحضرموت والبحرين ووضعوا كل هذه البلاد تحت حمايتهم بهذه الطريقة، وكان مشايخ تلك القبائل يديرون بلادهم كما شاءوا وشاءت أهواؤهم، ولكن القول الفصل في الأمور الهامة فيها للإنجليز)[٢٧٠].

وقد نجحت بريطانيا في تحقيق مشروعها في الجزيرة العربية، في مدة ربع قرن، وذلك من خلال ما يلي:

---

(٢٦٨) جزيرة العرب لجان جاك بيربي ٢٣٢.

(٢٦٩) ولادة الشرق الأوسط ٩٢.

(٢٧٠) مذكرات والي بغداد مدحت باشا ٢٤٠. وما ذكره مدحت باشا قبل أكثر من مائة سنة ما زال قائما إلى اليوم غير أنه جاء بعد الإنجليز إخوانهم الأمريكان!

أولا: إقامة (دويلات) ساحلية تقع تحت الحماية البريطانية، يمكن من خلالها انطلاق الحملة العسكرية بريا نحو الداخل، وهو ما ظلت بريطانيا تطمح إليه عقودا طويلة، إذ لم يكن لها أي وجود عسكري في الجزيرة العربية سوى ميناء عدن على مساحة سبعين ميلا مربعا، ولما كان الوضع على النحو المذكور آنفا من عدم وجود دولة أو شبه دولة يمكن الاتفاق معها بشكل رسمي، بدأت في العمل على خلق وإيجاد كيانات مصطنعة مع القبائل الساحلية، ووقعت معها اتفاقيات غير رسمية، لتضمن من خلالها حقوقها بعد احتلالها للمنطقة وتقاسمها، كما طرحته بريطانيا في مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨م.

لقد نجحت بريطانيا -كما يقول د. حسن الإبراهيم- في إنشاء دول كبيرة وصغيرة في العالم العربي بصورة اصطناعية، في نهاية الحرب العالمية الأولى، كنتيجة لتفكك الإمبراطورية العثمانية، وتقاسم العالم العربي من قبل الدول الغربية، وقد نجحت القوى الغربية الاستعمارية في تشجيع الفرقة العربية، وتشجيع المصالح المحلية لجميع الفئات، فقاعدة (فرق تسد) واحدة من أهم خصائص الحكم البريطاني في العالم العربي، لقد كان العالم العربي وحدة واحدة، وأمة واحدة، وإلى أن تفككت الدولة العثمانية، في بداية القرن العشرين، كان يشار إلى العالم العربي ككل على أنه الإقليم العربي في الدولة العثمانية.[٢٧١]

لقد كانت خطة حكومة الهند البريطانية تؤكد (إن ما نريده ليس شبه الجزيرة العربية موحدة، بل نريدها مقسمة ضعيفة، ممزقة إلى إمارات صغيرة خاضعة إلى أقصى ما يمكن لسيطرتنا، وعاجزة عن القيام بعمل منسق ضدنا)[٢٧٢].

وقد أدرك المسئولون البريطانيون في مصر الهاجس الذي تعيشه حكومة الهند البريطانية التي تشرف على شئون جزيرة العرب الشرقية، فكتب كلايتون رسالة إلى وينغنيت قال فيها: (إن الهند البريطانية

---

(٢٧١) الكويت للإبراهيم ٢٥-٢٦.

(٢٧٢) ولادة الشرق الأوسط ١١٧.

مسكونة بهاجس الخوف من دولة عربية موحدة، وهذه الدولة لن تظهر إلى الوجود ما لم تبلغ الحماقة بنا حد خلقها)[٢٧٣].

ثانيا: توقيع اتفاقيات مع تلك (الكيانات) الدويلات العشائرية، تمنعها من التجارة بالسلاح واستيراده، لمحاصرة الخليج والجزيرة العربية حصارا عسكريا، ولمنع شعوبها من الحصول على الأسلحة التي قد يقاومونها بها، وقد كانت لها تجاربها المريرة مع القبائل المسلحة، وكذا للحيلولة دون وصول السلاح للمسلمين في الهند -درة التاج البريطاني- وأفغانستان، التي كانت تشهد اضطرابات ضد الاحتلال البريطاني، فقد اكتشفت حكومة الهند البريطانية أثناء الحرب الأفغانية سنة ١٨٧٩-١٨٨٠م أن كميات كبيرة من الأسلحة تأتي إلى موانئ الخليج العربي، حيث يتم تصديرها بعد ذلك برا إلى داخل إيران وأفغانستان، فأصدرت أوامرها لبومبي بمراقبة حظر تصدير الأسلحة بكميات كبيرة لموانئ الخليج العربي، وقد نجحت بريطانيا بعد الضغط على شاه إيران في استصدار أمر سنة ١٨٨١م يحرم دخول السلاح إلى إيران، إلا بأمر وإذن خاص من حكومة الشاه، وبحق الحكومة في مصادرة أي سلاح، كما نجحت بريطانيا في جعل سلطان مسقط يصدر أمرا في مارس سنة ١٨٩١م يحظر فيه استيراد أو تصدير الأسلحة من ميناء جوادر التابع له على البر الفارسي، وبهذا أحكمت قبضتها على المنطقة الممتدة من سواحل الخليج إلى الهند.[٢٧٤]

وفي سنة ١٨٩٧م شهدت مناطق شمال غربي الهند ثورات قبائلية، ووجدت بريطانيا أن أكثر الأسلحة تأتي من موانئ الخليج العربي، كما أن كثرة الأسلحة في يد القبائل في الخليج العربي يشكل خطرا على الوجود البريطاني، فطلبت بريطانيا من سلطان مسقط إصدار إعلان في يناير سنة ١٨٩٨م بمنع التجارة في الأسلحة وتوريدها من مسقط وموانئ عمان، إلى الهند وإيران، وبحق السفن البريطانية في تفتيش السفن العمانية للتأكد من العمل بالإعلان، وحقها في مصادرة الأسلحة.

كما أمرت بريطانيا في أبريل سنة ١٨٩٨م شيخ البحرين بالإعلان عن منع توريد وتصدير الأسلحة والذخيرة والاتجار فيها منعا باتا، وحق بريطانيا في تفتيش السفن ومصادرة الأسلحة.

---

(٢٧٣) ولادة الشرق الأوسط ١١٧.

(٢٧٤) سياسة الأمن ٨٣-٨٤.

وفي مايو سنة ١٩٠٠م أمرت بريطانيا مبارك الصباح بإصدار إعلان مماثل فاستجاب لها، غير أنه لم يتم نشره لكون الكويت لم تزل تحت السيادة العثمانية بشكل رسمي.

وفي نوفمبر سنة ١٩٠٢م طلبت بريطانيا من شيوخ قبائل ساحل عمان المهادن توقيع اتفاقيات يلتزمون بموجبها بالمنع من ذلك.

ولم يبق من مناطق وموانئ الخليج سوى قطر، حيث ما زالت تحت السيادة العثمانية مما حدا بريطانيا إلى التفاهم مع الدولة العثمانية للسماح للسفن البريطانية بتفتيش السفن القطرية التي ترفع العلم العثماني، غير إن إسطنبول اشترطت أن يكون لها حق مماثل بتفتيش السفن البريطانية، ومن ثم صرفت بريطانيا النظر عن موضوع قطر.

وفي مارس سنة ١٩٠٤م درست بريطانيا إمكانية منع مسقط من تصدير الأسلحة والذخيرة أو الاتجار بها مع موانئ البحرين، والكويت، وساحل عمان المهادن، ولم ينفذ الاقتراح لكون الكويت تحت السيادة العثمانية، ولأنها أيضا هي المصدر الرئيسي للسلاح الذي يصل لعبد العزيز بن سعود من جهة بريطانيا، وكانت لندن قد طلبت بتاريخ ٢٤يونيو سنة ١٩٠٤م أن لا يحظر السلاح عن ابن سعود المناوئ لابن رشيد المساند للدولة العثمانية كما جاء في الوثائق البريطانية.(٢٧٥)

وفي سبتمبر سنة ١٩٠٩م بدأت حكومة الهند البريطانية تزيد من تشديدها في فرض الحصار على المنطقة حيث جاء في وثائقها:

(إن هذه الأسلحة تزيد من مصاعبنا لو اقتضت الظروف أن نتدخل في أفغانستان لضرب أي ثورة بها لإسكات حاكمها إذا جاهرنا العداء، وأشد ما نخشى أن تصل هذه الأسلحة إلى أيدي الثوار بالهند... ونرى أن الحصار الناجح سيوقف هذه التجارة عند مسقط)(٢٧٦).

---

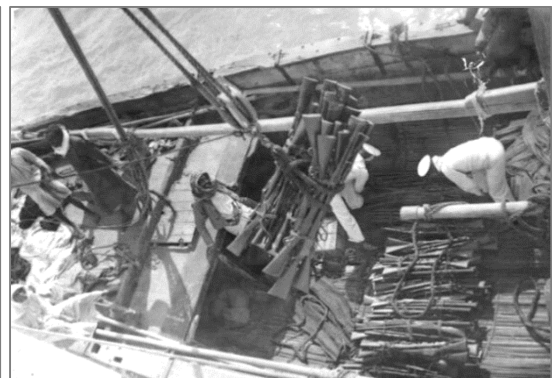
(٢٧٥) سياسة الأمن لحكومة الهند ٨٨-٩٢، ودليل لوريمر التاريخي ٦ /٣٧٧٠- ٣٧٧٦. وهذا يؤكد صحة ما ذكره ابن بسام في تاريخه بخصوص الاتفاق بين ابن سعود وبريطانيا لاحتلال الأحساء سنة ١٩١١م.

(٢٧٦) سياسة الأمن ٩٤.

وفي فبراير سنة ١٩١٠م -أي قبل الحرب العالمية الأولى بأربع سنوات- طلبت حكومة الهند البريطانية من مبارك الصباح الإعلان عن اتفاقية منع تجارة الأسلحة، بعد أن نشطت هذه التجارة في ميناء الكويت، وقد تعهد لها بالالتزام بما في المعاهدة.(٢٧٧)

وبعد أن سيطر ابن سعود على الأحساء والموانئ التي فيه سنة ١٩١٣م، وأخلاه من القوات العثمانية، لم تعد بريطانيا في حاجة إلى ميناء الكويت لدعم ابن سعود، إذ أصبح الدعم البريطاني له يأتي مباشرة إلى موانئ الأحساء وبدأت تشدد الحصار على ميناء الكويت.

وفي نوفمبر سنة ١٩١٦م أكملت بريطانيا سيطرتها على الخليج العربي ومحاصرتها له وذلك باتفاقها مع قطر على منع دخول السلاح منها وإليها.(٢٧٨)





تفتيش البحرية البريطانية للمراكب الشراعية في مياه الخليج العربي ومصادرة الأسلحة

وكل هذا الحظر لدخول الأسلحة للمنطقة تم بعد مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨م الذي قررت فيه أوربا الصليبية احتلال العالم الإسلامي وتقاسم أقاليم الخلافة العثمانية، وهو الأسلوب الذي ما تزال تمارسه الدول الغربية مع العالم الإسلامي حيث يتم فرض الحصار على أي بلد يخشى منه أن يشكل قوة عسكرية في المنطقة ليسهل بعد ذلك احتلاله!

ثالثا: الانطلاق في اختراق وسط الجزيرة العربية، الذي ظل اختراقها والسيطرة عليها حلما يراود الحملات الصليبية البرتغالية والهولندية التي عجزت عن تحقيق هذا الحلم قرونا طويلة حيث تتحطم

---

(٢٧٧) سياسة الأمن ٩٥.

(٢٧٨) سياسة الأمن ١٠٣.

حملاتهم على أطرافها، وعلى أطراف أقاليم الدولة الإسلامية الأخرى، التي تحول دون وصولهم إلى الجزيرة العربية والحرمين الشريفين!

لقد نجحت بريطانيا بعد ذلك في اتخاذ الكويت نقطة انطلاق لحملتها العسكرية على العراق شمالا، وعلى نجد غربا، واعتمدت على دعم ابن سعود في شرق الجزيرة، وعلى دعم الشريف حسين في غربها، وتم لها ذلك وفق المخطط الآتي:

١- توقيع معاهدة الحماية السرية مع الكويت:

حيث تم توقيع معاهدة سرية بين مبارك وحكومة الهند البريطانية في يناير سنة ١٨٩٩م، والتي كانت أول اتفاقية بين الكويت وبلد آخر، والتي أصبحت الكويت بموجبها تحت الحماية البريطانية، تلك الحماية التي كانت تقوم على أساس حكم البلد من خلال المستشارين البريطانيين، الذين كانوا يوجهون سياسة البلدان التي تحت سلطتهم بكل براعة وذكاء، باستخدام صيغة الرجاء والإشارة بدل صيغة الأمر المباشر، لتصدر القرارات بعد ذلك باسم المسئولين في تلك البلد، لا باسم الحكومة البريطانية.[(٢٧٩)]

وبعد أن التزم مبارك بالتبعية الكاملة للسياسة التي تشير بها عليه بريطانيا خاصة في شئونه الخارجية، بدأت بريطانيا فورا بالنظر إلى نجد قلب الجزيرة العربية، ولقد (مكنت هذه الاتفاقية بريطانيا ليس من التدخل في شئون الكويت فحسب، بل وفي شئون نجد والعراق أيضا)[(٢٨٠)].

ووجدت بريطانيا الفرصة مناسبة من خلال عبد الرحمن بن فيصل، الذي سبق لبريطانيا أن دعمت أخاه سعودا ليحتل الرياض، وقد كان عبد الرحمن قد لجأ إلى الكويت، بعد سيطرة ابن رشيد على الرياض.

---

(٢٧٩) ولادة الشرق الأوسط ٩٤.

(٢٨٠) العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٣٤.

وقد كانت الدولة العثمانية تجري مخصصاتها المالية على ابن سعود، وعلى والده عبد الرحمن بن سعود، وأسرته التي كانت لاجئة قبل ذلك في الكويت.[٢٨١]

لقد كان وجود عبد الرحمن بن فيصل وأسرته في الكويت بناء على موافقة من الدولة العثمانية كواحد من رعاياها، فبعد خروجه من الرياض سنة ١٨٩١م توجه إلى الأحساء، ثم إلى الكويت حيث رفض شيخها آنذاك استقباله لكونه قائمقاما عثمانيا، فلجأ إلى قبيلة العجمان وآل مرة، ثم وافقت الدولة العثمانية على قدومه إلى الكويت مع أسرته، وتم تخصيص مرتبات مالية له ولأسرته وهي ٦٠ ليرة شهريا، ولبث في الكويت نحو تسع سنين حتى عاد إلى الرياض.[٢٨٢]

وقد كان عبد الرحمن على اتصال بالمقيم البريطاني في بوشهر بإيران، حيث كتب عبد الرحمن بن سعود إلى المقيم السياسي البريطاني في (بوشهر) يخبره فيه بخروجه من الكويت إلى الرياض، ويرجو من بريطانيا أن تضع نظرها عليه، وأن تشمله بعطفها ولطفها.[٢٨٣]

كما كتب عبد الرحمن بن سعود سنة ١٩٠٢م، كتابا إلى نقيب الأشراف في البصرة رجب النقيب، عند خروجه من الكويت إلى الرياض، يشرح فيه أسباب ما جرى، ويؤكد فيه تبعيته للدولة العثمانية، وجاء فيه:

(ونحن خدام محسوبون على الدولة العلية، ولم نلتج إلى أحد إلا إلى الله تعالى، ثم إلى ظل عدالة أمير المؤمنين، أدام الله مجده، ونحن في كل الأحوال نؤدي الخدمات لحضرة أمير المؤمنين، باذلين الجد والاجتهاد فيما يحصل به رضاه، منقادين إلى أوامر الدولة العلية، فنرجو من مراحم وتفضلات حضرة أمير المؤمنين حلول أنظاره علينا، ورفع تعديات ابن رشيد، وإجراء ما تفضل به من المعاش) [٢٨٤].

لقد جاءت معاهدة الحماية البريطانية مع الكويت -وفي ظل وجود عبد الرحمن وولده عبد العزيز فيها- لتفتح الطريق أمام بريطانيا للسيطرة على نجد، فبعد هذه المعاهدة مباشرة سيخرج من الكويت

---

(٢٨١) تاريخ الكويت لخزعل ٢/١٧٨.

(٢٨٢) عبد العزيز وبريطانيا ص ٢٨.

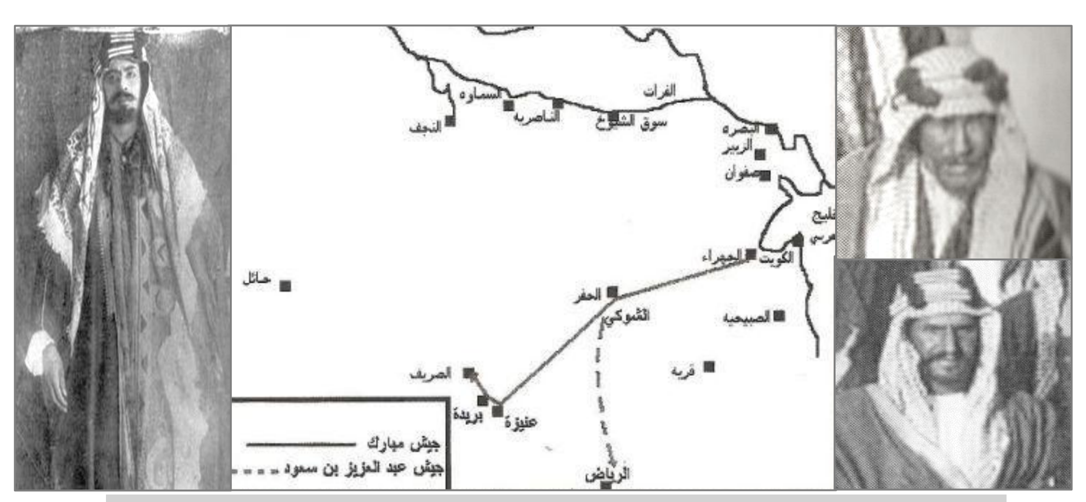
(٢٨٣) المصدرين السابقين.

(٢٨٤) تاريخ الكويت لخزعل ٢/١٧٩، وتاريخ الكويت للرشيد ص ١٧٩.

شاب على رأس قوة كبيرة ليحتل الرياض، ويسانده جيش جرار يبلغ عشرة آلاف مقاتل من كل القبائل سيخرج من الكويت وسيتوجه إلى حائل ليشغلها عن الرياض، وذلك بتوجيه وتخطيط وتمويل مادي وعسكري بريطاني وجنود عرب لتنفيذ المشروع الذي طالما طمحت إليه بريطانيا!

لقد ظل اهتمام بريطانيا في وسط الجزيرة ضعيفا بسبب صعوبة الوصول إليه، ولكن بعد عودة ابن سعود إلى نجد سنة ١٩٠٠م، تغير الموقف البريطاني، وتزايد اهتمامها بالمنطقة نظرا إلى تحالف مبارك مع ابن سعود.[٢٨٥]

لقد تم سنة ١٩٠٠م الإعداد لتنفيذ المشروع البريطاني عن طريق مبارك الصباح، الذي زاره المقيم البريطاني في الخليج العربي واجتمع به، وأرسل إلى حكومة الهند البريطانية رسالة فيها: (إن الشيخ مبارك يعرف جيدا ما هو فاعل، فلا يحتمل أن يتخذ في عملياته الحالية أية خطورة قد تؤدي به إلى نزاع مع سلطات البصرة)[٢٨٦].



مسار جيشي مبارك الصباح وعبد العزيز بن سعود اللذين انطلقا من الكويت لاحتلال الرياض ولإشغال ابن رشيد بحائل عن الرياض

(٢٨٥) لوريمر دليل الخليج القسم التاريخي ٣/ ١٧١٧.

(٢٨٦) العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٥١.

فقد كانت بريطانيا تسير بحذر في طريقها لتنفيذ مخططها، ففي الوقت الذي كانت تهدف إلى السيطرة على الخليج والجزيرة العربية، كانت تحاذر من اكتشاف الدولة العثمانية لخطتها، فتبادر للتخلص من مبارك، أو الهجوم على الكويت قبل أن تثبت بريطانيا أقدامها في المنطقة، وتفشل خطتها كما فشلت أول مرة، وقد اطمأنت بريطانيا إلى قدرة مبارك على تنفيذ خطتها دون أن يثير الخلافة العثمانية، التي كان يظهر لها مبارك في الوقت نفسه الخضوع والتبعية، وقد بدأت بريطانيا أول خطواتها بعد توقيع المعاهدة سنة ١٨٩٩م، بتجهيز جيش سنة ١٩٠٠م، من القبائل الحليفة لمبارك -وهي أول مرة في تاريخ مدينة الكويت يكون لها تطلع يتجاوز حدود أسوارها- وقد تشكل هذا الجيش الذي بلغ تعداده عشرة آلاف مقاتل من قبيلة مطير، والعجمان، والمنتفق -وغيرهم من القبائل- بالإضافة إلى ثمانمائة من مدينة الكويت مع مبارك الصباح، وبضع مئات من أهل نجد مع ابن سعود.(٢٨٧)

لقد كان الهدف من إعداد هذا الجيش هو إشغال ابن رشيد في حائل عن الرياض، ليقوم ابن سعود -الذي تم تزويده من بريطانيا بكل ما يحتاجه من مال وعتاد وقوات عن طريق مبارك- بالتوجه إلى الرياض التي كانت تحت حكم ابن رشيد التابع للدولة العثمانية، وقد نجح ابن رشيد في هزيمة هذا الجيش في معركة الصريف الشهيرة في مارس سنة ١٩٠١م، وبعد هزيمة مبارك ومن معه، ترك أرض المعركة ومعه سلطان الدويش، وكان سلطان في خيمة مبارك حين وقعت الهزيمة، ولحق بهم السعدون وتوجهوا إلى الزلفي ورفض أهلها دخولهم خوفا من ابن رشيد، فتوجهوا إلى الصمان حيث قبيلة مطير، ومن هناك توجه مبارك إلى الكويت.(٢٨٨)

٢- احتلال الرياض:

ومع أن مبارك الصباح وعبد الرحمن بن سعود قد هزما في معركة الصريف، غير أن عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن سعود نجح مع قواته بعد ذلك في احتلال الرياض، وقد أدرك الباب العالي أبعاد المخطط البريطاني، وأن حرب الصريف واحتلال الرياض هو تنفيذ لمشروع بريطانيا الذي تم مناقشته في مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨م، والذي يقضي بضرورة تقسيم الدولة العثمانية بين الدول الغربية الاستعمارية، فبادرت الخلافة العثمانية بدعم ابن رشيد الذي تقدم بجيوشه نحو الكويت، غير أن بريطانيا تدخلت

---

(٢٨٧) العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٥٣.

(٢٨٨) تاريخ الكويت السياسي ٢/٤٨.

للحيلولة دون احتلال ابن رشيد للكويت، كما أعدت سفينة لنقل مبارك الصباح على متنها إذا سقطت المدينة، وقد خففت الدولة العثمانية من حدة التوتر، وضغطت على ابن رشيد ليتراجع عن هجومه على الكويت، وقد تراجع غير أنه حاصرها حصارا بريا، وبسط نفوذه على صحراء الكويت، وقطع الطرق التجارية بينها وبين نجد، مما أثر على وضعها الاقتصادي تأثيرا كبيرا، حيث أصبحت الطرق التي تربطها بنجد والعراق تحت رحمة ابن رشيد وسيطرته، وقد أغارت قوات ابن رشيد على القبائل الموالية لمبارك، وكانت على آبار الصبيحية، ونشب بينها وبين قوات ابن رشيد قتال شديد، كما جاء في رسالة مبارك إلى المقيم السياسي البريطاني.(٢٨٩)

وقد تعهدت بريطانيا لمبارك إذا ظل داخل مدينة الكويت وخليجها بحمايته من أي اعتداء يشنه ابن رشيد، كما تقضي بذلك معاهدة الحماية التي تقصر حمايتها على المدينة دون ما وراءها.(٢٩٠)

وقد دفع تهديد ابن رشيد وحصاره المتواصل مبارك وابن سعود للتوسل للباب العالي، والتأكيد على تبعيتهما للخلافة العثمانية، والخضوع لسيادتها، وقد وافقت الدولة العثمانية على تعيين ابن سعود كقائمقام لنجد، وصدر بذلك فرمان من الباب العالي سنة ١٩٠٤م.

وبعد دخول ابن سعود الرياض، تتابع له المدد المالي والعسكري من مبارك الصباح -الذي كانت كل شئونه الخارجية تحت إشراف بريطانيا كما تنص عليه المعاهدة- وقد كان نجاح ابن سعود في احتلال الرياض مستحيلا دون ضمان بريطانيا للوضع في الكويت، ودون الدعم المطلق منها له، وقد تتابعت قوافل الإمدادات التموينية والعسكرية من الكويت إلى الرياض، لدعم صمود ابن سعود في الرياض، أمام الحصار الذي حاول ابن رشيد فرضه عليها.(٢٩١)

(٢٨٩) العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٥٥و٦٢و٨١.

(٢٩٠) العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٨٢.

(٢٩١) العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٧٧ و٨٠.

فقد كان مبارك الصباح كما يقول مؤرخ الكويت (ركن ابن سعود الأعظم، الذي عليه يعتمد، يبعث إليه الإمدادات بسخاء، ويخرج إليه الحملات الواحدة تلو الأخرى، ويرسم له الخطط الحربية، وهو في مدينته).[٢٩٢]

وهو ما لا يمكن أن يقوم به مبارك تحت الحماية البريطانية إلا بترتيب بريطاني!

وقد بات ابن رشيد على قناعة تامة بأن هناك خطة بريطانية كويتية سعودية مشتركة في كل ما يدور من أحداث، ولا قبل له وحده في مواجهتها، وقد طلب دعما من الدولة العثمانية، كما أكد لها بأن بريطانيا تدعم ابن سعود بالأسلحة، غير أن ابن سعود بادر فأرسل إلى والي البصرة يقر له بالتبعية للخليفة العثماني، مما جعل الباب العالي يتحفظ على طلب ابن رشيد ويدعوه للهدوء.[٢٩٣]

٣- تحطيم قوة حائل تمهيدا لاحتلالها:

وفي مارس سنة ١٩٠٣م وبعد اجتماع بين المبعوث البريطاني الكابتن هاملتون ومبارك دار الحديث فيه عن ابن رشيد وخطره، وضرورة مواجهته بعد ضعفه، فتوجه ابن سعود بجيش من الرياض إلى الكويت، ثم خرجت قوات مشتركة من الكويت بقيادة جابر بن مبارك وابن سعود تقدر بعشرة آلاف مقاتل، لشن هجوم على عماش الدويش الذي كان حليفا لحائل وابن رشيد، فوقعت معركة جو لبن في الصمان على مسيرة يومين من الكويت، بين ابن صباح وابن سعود ومن معهم من القبائل من جهة، وعماش الدويش ومن معه من قبيلة مطير من جهة أخرى، وقد باغتت القوات المشتركة الدويش الذي قتل في تلك المعركة، وغنمت خمسة آلاف من الإبل، وقد كتب مبارك بتفاصيل الحادثة إلى المقيم البريطاني بتاريخ ١٤/٤/١٩٠٣م، ويخبره فيها بهزيمة قبيلة مطير، وقتل عماش الدويش، وغنيمة مواشيهم، كما كتب القنصل البريطاني في البصرة إلى السفير البريطاني في إسطنبول يخبره بالحادثة.[٢٩٤]

لقد كان الهدف واضحا من هذه الحملة العسكرية الكبرى -التي بلغت عشرة آلاف مقاتل- فقد كان عماش الدويش ومن معه من مطير حلفاء لحائل وابن رشيد، في الوقت الذي كان ابن عمه سلطان

---

(٢٩٢) تاريخ الكويت للرشيد ١٧٥. وكل ذلك كان بتمويل ودعم مالي وعسكري بريطاني.

(٢٩٣) العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٧٨-٧٩، ودليل الخليج للوريمر القسم التاريخي ٣/١٧٠٣.

(٢٩٤) العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٨٦-٩٣، وتاريخ الكويت للرشيد ١٨١، وخزعل ٢/١٧٩.

الدويش ومن معه من مطير مع مبارك في حرب الصريف، وقد قال لوريمر: (شيخ القبيلة الأكبر حاليا -سنة ١٩٠٤- هو الشيخ سلطان بن الحميدي الدويش، ويبلغ الستين من العمر، وقد رفض بنو عبد الله الخضوع لسلطانه لفترة طويلة، وخاصمه الصهبة لمدة خمسة عشر عاما، ولذلك فسلطته غير مطلقة، ويبدو أنه ليس الشيخ الرئيسي لقبيلة مطير، بل هو شيخ علوه، ويترأس بريه نايف بن هذال بن بصيص من الصعران، ويبلغ من العمر خمسا وأربعين سنة... وفي عام ١٨٧٨م كانت علاقة قبيلة مطير مع ابن رشيد ودية، ولم يكونوا تابعين لابن رشيد، وفي الصراع الذي نشب بين حائل والوهابيين، انضم رجال مطير إلى الرياض وشاطروها النصر النهائي، وهناك علاقة مصاهرة بين الكويت وقبيلة مطير)[٢٩٥].

وقال لوريمر أيضا عن الانقسام السياسي داخل قبيلة مطير مما جعلها تنقسم إلى قسمين بين حائل والرياض: (ينتمي للقبيلة بطنان أصيلان فقط هما: علوى وبريه، وقد أضيف إليهما قريبا بطن ثالث رئيسي وهو بني عبد الله، ومن المحتمل أنه قد تفرع من بريه، وأثناء الصراع الأخير للسيطرة على أواسط الجزيرة العربية، أيد بنو عبد الله ابن رشيد، بينما وقفت أغلبية القبيلة مع ابن سعود، وقد استمر التباعد بينهما حتى تمت هزيمة ابن رشيد نهائيا، فعاد بنو عبد الله إلى هيكل القبيلة العام)[٢٩٦].

فقد كانت الحملة على عماش الدويش تمهيدا لكسر شوكة ابن رشيد، حيث يمثل وجود حلفاء له في الصمان مصدر خطر على الكويت والرياض معا، كما كان عماش أغنى شيوخ البادية في عصره لكثرة ما يملكه من الإبل، وفي أخذها مصدر تمويل مهم لما يحتاجه مبارك وابن سعود في حملاتهما العسكرية لتنفيذ المشروع البريطاني في الصحراء!

لقد كان موقع أراضي قبيلة مطير الاستراتيجي كحاجز بين الكويت وحائل والرياض سببا رئيسا في حرص كل طرف على كسبها لصفه في معركته مع خصومه، وكان وقوفها ضد ابن رشيد في النهاية عنصر

(٢٩٥) دليل الخليج العربي القسم الجغرافي ٤/١٦٣٢.

(٢٩٦) دليل الخليج العربي القسم الجغرافي ٤/١٦٢٧.

حسم للصراع الذي دام نحو ربع قرن بين الدولة العثمانية وبريطانيا من خلال صراع حائل والرياض والكويت.

وفي شهر ٧ /١٩٠٣م قام مبارك بدعم ابن سعود بقوات وأسلحة وذخيرة، ليحتل القصيم التي كانت تتبع ابن رشيد، وقد كان كل الدعم المادي والعسكري البريطاني الذي كان يصل ابن سعود في الفترة ما بين ١٩٠٠م إلى ١٩٠٤م، إنما كان يصل عن طريق الكويت.[٢٩٧]

وكلما تحرك ابن رشيد باتجاه الكويت بادرت بريطانيا بالضغط على الدولة العثمانية، لوقف تقدمه بدعوى ضرورة المحافظة على الوضع القائم، والحيلولة دون حدوث اضطرابات في المنطقة، بينما لا تتخذ بريطانيا أي إجراء ضد مبارك الصباح حينما يتحرك -بإيعاز منها- للهجوم على ابن رشيد، أو حين يدعم ابن سعود بالقوات والعتاد.[٢٩٨]

وهو ما يؤكد أن بريطانيا مع تظاهرها بالحرص على عدم حدوث أي اضطرابات في الجزيرة العربية، كانت في الوقت نفسه تعمل على تعزيز وضعها بدعم حلفائها مبارك الصباح وابن سعود، وكانت حكومة الهند البريطانية تدعمهما بشكل مطلق، في الوقت الذي كانت حكومة لندن تخشى استثارة الدولة العثمانية قبل تغلغلها في المنطقة بشكل يسمح لها بالحركة في الوقت المناسب حين تبدأ المواجهة مع الدولة العثمانية.

وقد كتبت حكومة الهند البريطانية إلى لندن برقية تتضمن وجهة نظرها بضرورة استمرار الدعم لمبارك الصباح -الذي بات تحت تأثير المقيم البريطاني- وعدم فرض حصار على توريد الأسلحة من الهند إلى الكويت من أجل تفوق حليفها ابن سعود على ابن رشيد، وأن الإخلال في هذا الدعم سيضر بمكانة بريطانيا في المنطقة، وقد يتعرض مبارك إلى هجوم على أراضي الكويت غير محددة الحدود مع الداخل، كما أكدت حكومة الهند أن الدولة الوهابية الجديدة دولة إقليمية غير متعصبة، وأن وجودها أقل سوءا من عودة النفوذ العثماني إلى نجد.[٢٩٩]

---

(٢٩٧) العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٩٤، ولوريمر التاريخي ٦/ ٣٦٠٧.

(٢٩٨) العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٩٣و٩٥.

(٢٩٩) العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٩٨، ولوريمر القسم التاريخي ٣/ ١٧١٩.

كما أكد الوكيل السياسي البريطاني في الكويت في رسالة إلى المقيم البريطاني في الخليج بتاريخ ١٩٠٤/٩/٣م بأن الاحتمال بعيد جدا في أن يستطيع ابن سعود تثبيت وضعه دون مساعدة خارجية، مما يعني سقوطه في وقت قصير، ولن يجد إلا حليفه مبارك الذي سيلجأ إليه في كل مشكلة، حيث يرسل مبارك دعما أسبوعيا من الأسلحة والذخيرة والمؤن إلى الرياض.[٣٠٠]

وعندما شددت بريطانيا في سنة ١٩٠٤م على موانئ الخليج العربي حصارها ومراقبتها البحرية، لمنع تصدير الأسلحة والذخيرة، أو استيرادهما، استثنت ميناء الكويت، من أجل وصول الأسلحة لعبد العزيز بن سعود الذي بدأ يحقق نجاحا في وسط نجد.

وقد أرسل مبارك إلى ابن سعود في سنة ١٩٠٦م بثلاثة آلاف بندقية، تقدر قيمتها بمائة وخمسين ألف دولار.[٣٠١]

٤- المشروع البريطاني للسيطرة على الأحساء:

وفي سنة ١٩٠٦م طلب ابن سعود بشكل سري من المقيم السياسي البريطاني في البحرين مرارا وبإلحاح شديد توقيع معاهدة حماية مع بريطانيا (وأنه يود أن يرتبط بالحكومة البريطانية باتفاقيات كتلك التي ارتبط بها شيوخ ساحل عمان المتصالحة، وأن يقيم في بلاطه مسئولا سياسيا بريطانيا) مع ضمان بريطانيا حمايته بحريا عند احتلاله للأحساء.[٣٠٢]

ولم تستجب بريطانيا لطلبه حينها، حيث أن الظروف التي كانت تمر بها آنذاك لم تكن مناسبة، إذ كانت تدرك خطورة استثارة الدولة العثمانية في الإقدام على مثل هذه الخطوة، واكتفت بالدعم العسكري والمالي له عن طريق مبارك الصباح، الذي كان في هذه الفترة يشرف على تحركات ابن سعود ويوجهها، كما تقتضيه السياسة البريطانية.

---

(٣٠٠) العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ص ١٠٠.

(٣٠١) العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ١١٨، ولوريمر القسم التاريخي ١٣٤٣/٤.

(٣٠٢) لوريمر التاريخي ١٧٢١/٣.

وفي يناير سنة ١٩٠٧م حاول مبارك الصباح تشكيل حلف يضم كلا من: فيصل الدويش شيخ قبيلة مطير، ونايف بن هذال شيخ قبيلة عنزة، ومحمد أبا الخيل أمير مدينة بريدة، وقد انضم إليهم سلطان بن حمود الرشيد أمير حائل الجديد، الذي حاول الاتصال بالبريطانيين مرارا بعد أن قطعت عنه الدولة العثمانية المساعدات، ولم تعترف به خلفا لمتعب الرشيد.[٣٠٣]

وقد كان هذا التحالف الذي شكله مبارك بإيعاز بريطاني، بعد أن أصبح ابن رشيد أقرب للبريطانيين منه للعثمانيين، وبهذا نجحت بريطانيا عن طريق مبارك من الوصول في نفوذها إلى وسط نجد، وهذا ما توقع حدوثه قبل ثلاثين سنة مدحت باشا والي بغداد سنة١٨٧٠م لاتصال الكويت بنجد وقربها منها.[٣٠٤]

وكما تمكنت بريطانيا من تشكيل تحالف قبلي يضم عشرة آلاف مقاتل، ينطلق من الكويت لاحتلال الرياض وجنوب نجد، فقد شكلت تحالفا قبائليا يضم عشرة آلاف مقاتل، ينطلق من الكويت لاحتلال البصرة والعراق شمالا، وهو ما تنبأ به مدحت باشا والي بغداد سنة ١٨٧٠م، فقد استكمل المشروع البريطاني قبيل الحرب العالمية تهيئة المشهد السياسي على الأرض، فبعد معاهدات الحماية مع مشيخات موانئ الخليج، وبعد فرض الحصار البحري لمنع دخول السلاح للمنطقة، وبعد احتلال الرياض، جاءت الخطوة التالية!

٥- اختراق جبهة البصرة - حائل:

ففي شهري فبراير ومارس سنة ١٩١٠م، نجح مبارك الصباح -بتخطيط وإشراف ودعم بريطاني- في تشكيل تحالف قبائلي آخر ضم نحو عشرة آلاف مقاتل من قبائل مطير، والعجمان، والعوازم، وبني هاجر، والمرة، وبني خالد، وعتيبة، وقحطان، وسبيع، بالإضافة إلى ابن سعود ومعه أربعمائة رجل، وتحرك الجيش من الجهراء شمالا، بقيادة جابر بن مبارك، متوجها نحو سعدون المنصور شيخ المنتفق بالبصرة، ومعه شيوخ قبيلة الظفير، وقد وقعت المواجهة بين الطرفين، ونجح سعدون في هزيمة هذا

---

(٣٠٣) لوريمر القسم التاريخي ٣/١٧٤٣.

(٣٠٤) مذكرات مدحت باشا ٢٣٩.

التحالف القبائلي في معركة هدية، وقد أرسل سعدون بيرق ابن سعود الذي كان ضمن غنائم المعركة إلى حليفه سعود الرشيد في حائل.(٣٠٥)

وقد جاء وصف لهذه المعركة في مقتطفات يومية وكالة الكويت السياسية رقم ١٢ عن الأسبوع الثالث من مارس ١٩١٠م حيث ورد فيها: (في الصباح المبكر من ذلك اليوم شنت القوات المشتركة هجوما على المنتفق الذين تراجعوا دون خسارة كبيرة، وبعد ذلك بقليل شن سعدون هجوما مضادا قويا على الجناح الأيمن المكون من عريب دار الكويت وبدو مطير، ولم يقم رجال الكويت بصورة ظاهرة للصمود، إذ لاذ الشيخ جابر وأتباعه بالفرار، تاركين بيرق ابن صباح ونصف ركائبهم بأيدي الأعداء، وفي نفس الوقت كان ابن سعود يسنده العجمان في الجناح الأيسر مشتبكين مع بعض قوة سعدون...)(٣٠٦).

ويلاحظ وصف (القوات المشتركة) وهو مصطلح جديد غير معهود آنذاك إلا لدى الجيوش الأوربية الاستعمارية!

لقد كان هدف الحملة واضحا، وهو تحطيم قوة السعدون الحليف الاستراتيجي لسعود بن رشيد أمير حائل، حيث يشكل تحالفهما (المنتفق في البصرة - وشمر في حائل) جبهة شمالية عثمانية، مناوئة لمبارك وابن سعود ومن ورائهما بريطانيا، التي كانت تحركهما وتدعمهما بكل ما يحتاجانه، من أجل تمهيد الطريق لمد نفوذها على العراق شمالا ونجد غربا وجنوبا، ولا توجد أي قوة يمكن لها أن تعيق مخططها سوى قبيلة المنتفق القوية بقيادة السعدون في البصرة شمالا، وقبيلة شمر القوية بقيادة ابن رشيد في حائل غربا، وكلاهما حليف استراتيجي وتابع للدولة العثمانية التي بدأت تتهاوى، خاصة بعد خلع السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٨م، الذي نجح طوال ثلاثين سنة في إحباط المؤامرات الغربية الصليبية، لتقسيم الدولة العثمانية والعالم الإسلامي كما تقرر في مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨م.

وفي نهاية شهر مارس ١٩١٠م نجح مبارك في إعداد جيش ثان يقدر بنحو خمسة عشر ألف مقاتل، ليعيد الكرة على سعدون المنصور، غير أن بريطانيا هذه المرة أمرته بعدم المغامرة ثانية في حرب لا أحد يعلم

---

(٣٠٥) العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ١٢٥و١٣٣، وتاريخ الكويت للرشيد ١٨٥، وخزعل ٢/٢٢٧-٢٣١.

(٣٠٦) العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٣٢٢.

نتائجها النهائية، وقد تجره إلى مواجهة مباشرة مع الدولة العثمانية -كما جاء في برقية الوكيل السياسي البريطاني في الكويت للمقيم في الخليج- وهو ما لا تريده بريطانيا الآن، فالتزم مبارك بالأوامر التي وجهتها بريطانيا إليه، وتفرق التحالف القبائلي الواسع الذي شكله مبارك ثانية بعد هزيمته في هدية، وهو ما يؤكد أن الجيش الأول قد تحرك بإيعاز بريطاني أيضا، وكان بإمكان بريطانيا إيقافه لو أرادت، غير أنها كانت تتوقع له النصر الذي سيضعف الطرفين الحليفين للدولة العثمانية في البصرة وحائل، فلما أدركت قوة الوضع العسكري لسعدون المنصور، أمرت مبارك بالتوقف عن الهجوم ثانية.

وبعد شهر من هزيمة مبارك في هدية، أغار ابن رشيد في شهر أبريل ١٩١٠م على بعض عشائر مطير في الصمان على مقربة من الكويت، دون أن يحرك مبارك ساكنا، كما أغار بعض قبيلة مطير على بعض القبائل التابعة لعبد العزيز بن سعود الذي ما يزال مقيما في الكويت استعدادا للحرب ثانية على سعدون، وقد أدى كل ذلك إلى تصدع التحالف القبائلي الذي حشدته بريطانيا، ووقوع الخلاف بين مبارك وابن سعود، بعد أن رفض مبارك أن يشن ابن سعود غارة على بعض قبيلة مطير الذين كانوا في صحراء الكويت.[٣٠٧]

كما قام مبارك بإعداد جيش لقتال قبيلة الظفير الذين كانوا يقطنون شمالا من الجهراء، فأرسل ابنه جابرا على رأس قواته، فصادف منهم غرة فأخذ إبلهم، وبعد ثمانية أشهر حشد سعدون السعدون قبائل المنتفق، ومعه ابن سويط وقبائل الظفير، شمال غرب مدينة الكويت، في أم المدافع، وواجههم مبارك بقواته، ولم تقع بينهما حرب، بل تم الصلح بين الطرفين، بتدخل من والي البصرة، غير أن مبارك الصباح جهز في صفر سنة ١٣٢٩هـ - ١٩١١م خالد أبو شويربات -شيخ قبيلة البرزان من مطير- ليقوم بغارة على الظفير، شمال الكويت، فأغار عليهم، وتنصل مبارك من مسئولية تلك الغارة أمام والي البصرة.[٣٠٨]

---

(٣٠٧) العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ١٣٣-١٣٤.

(٣٠٨) تاريخ الكويت للرشيد ١٨٩.

وقد نجح والي البصرة حسين جلال في إصلاح الأوضاع بين سعدون ومبارك، وانصاع مبارك الذي ما يزال قائمقاما عثمانيا لضغط والي البصرة، وقد شمل الصلح قبيلة الظفير وشيخها ابن سويط، كما تم لقاء بين والي البصرة وابن سعود في صفوان، وهدأت الجبهة الشمالية للكويت.[٣٠٩]

فقد ظل ابن سعود يقر ظاهريا بالتبعية للخلافة العثمانية والحكومة التركية كما ورد في رسالته للشريف حسين سنة ١٩١٢م والتي جاء فيها:

(ولنا أمل بالله أن تكونوا واسطة قوية بيننا وبين متبوعنا الحكومة الشورية، وتعرضوا خدماتنا لدولتنا الدستورية، وستروني حاضرا أنا وأهل نجد لكل ما تكلفوننا وتأمروننا به أفدي السدة العثمانية بعزيز روحي.

التوقيع: خادم الدولة والملة والدين أمير نجد ورئيس عشائرها عبد العزيز بن سعود).[٣١٠]

وقول ابن سعود: (حكومتنا الشورية ودولتنا الدستورية) قصد به الحكومة الاتحادية التي تم تشكيلها بعد عزل الخليفة عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠٨م، وعودة العمل بالدستور العثماني.

وبعد حرب هدية التي تعرض فيها مبارك الصباح إلى خسارة كبيرة، زاد مبارك -بتوجيه بريطاني- من نسبة الضرائب على تجار المدينة، ومنعهم من الغوص، ليحشد أكبر قدر من الرجال للحرب، مما حداهم للاعتراض على سياسته، وكان على رأس المعارضة ثلاثة من كبار التجار، وهم: هلال بن فجحان المطيري، وإبراهيم المضف الهاجري، وشملان بن علي، الذين هاجروا من الكويت إلى البحرين، وقد أرسل مبارك ابنه سالما ليسترضيهم، ليعودوا للكويت، بعد أن ضج أهلها من هجرة كبار تجارها، فرجع الجميع مع سالم، إلا هلال المطيري الذي كان أثرى رجل في الخليج آنذاك، والذي أصر على أن يأتي مبارك نفسه ليسترضيه، فذهب مبارك ومعه جماعة من كبار أهل الكويت، إلى البحرين، حيث استقر هلال، فطلب منه مبارك الرجوع مكرما معززا، فرضي وعاد للكويت.[٣١١]

---

(٣٠٩) العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ١٤٠-١٤١.

(٣١٠) العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٣/ ٤١.

(٣١١) تاريخ الكويت للرشيد ١٩٠.

٦- احتلال الأحساء سنة ١٩١٣م:

وبعد ذلك بدأت حكومة الهند البريطانية بتوجيه نظر ابن سعود إلى الأحساء لاحتلالها -بعد أن تمكن له الوضع في الرياض وجنوب نجد- وإنهاء النفوذ البحري العثماني على الخليج العربي، الذي ظل يهدد النفوذ البريطاني في المنطقة ويحد من فعاليته، وقد كان لشكسبير الوكيل السياسي البريطاني في الكويت يد طولى في نجاح هذه الخطة.

فقد تم تعيين شكسبير وكيلا سياسيا بريطانيا في الكويت سنة ١٩١٠م، وسافر إلى نجد في تلك السنة، كما حضر في تلك السنة في الكويت اجتماعا ضمه ومبارك الصباح وابن سعود، ودار الحديث بين شكسبير وابن سعود عن طموحات ابن سعود في استرداد بلده من العثمانيين، وقد عززت تلك المباحثات أواصر الصداقة بينهما.[٣١٢]

ثم قابل ابن سعود الوكيل السياسي البريطاني في الكويت في أبريل سنة ١٩١١م (وعرض عليه الفكرة، وألح له بما سيعود على بريطانيا من فوائد فيما إذا وقفت إلى جانبه عند تنفيذ خطته، ومع أنه لم يلق جوابا بريطانيا حاسما، إلا إنه لم يغب عن ذكائه موقف الرضا الذي يكمن في ثنايا الصمت البريطاني، إذ لم تكن السلطات البريطانية غافلة عن الفوائد التي ستعود عليها من عملية كهذه) على ما ورد في تقارير الوكيل السياسي البريطاني في الكويت عن هذه المقابلة.[٣١٣]

بينما يؤكد مؤرخ نجد ابن بسام المتوفى سنة ١٩٢٧م في تاريخه تحفة المشتاق[٣١٤]، في حوادث سنة ١٣٢٩هـ - ١٩١١م حصول اتفاق بين الطرفين، حيث قال: (وفيها عقدت معاهدة بين الإمام والإنجليز على أن يحتل الإمام الأحساء والقطيف ودارين والعقير ويمنعون عنه الإنجليز أي دولة تأتيه من البحر، ولقاء

---

(٣١٢) عبد العزيز وبريطانيا للزيدي ص ٣٩.

(٣١٣) العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ١٤٢-١٤٣. يحاول هنا الوكيل السياسي في الكويت التابع لحكومة الهند إثبات عدم تورطهم في الأحداث بشكل مباشر بسبب تحفظ حكومة لندن في هذه الفترة على تحركات حكومة الهند البريطانية في الخليج وخشيتها من استثارة الدولة العثمانية أو الدخول معها في حرب، فكان الوكلاء السياسيون لحكومة الهند ينفذون خططهم في الخليج عن طريق حلفائهم، وكأنهم لم يوعزوا لهم بشيء، مع الدعم الكامل لهم ماديا وعسكريا!

(٣١٤) تحفة المشتاق ص ٤١٠.

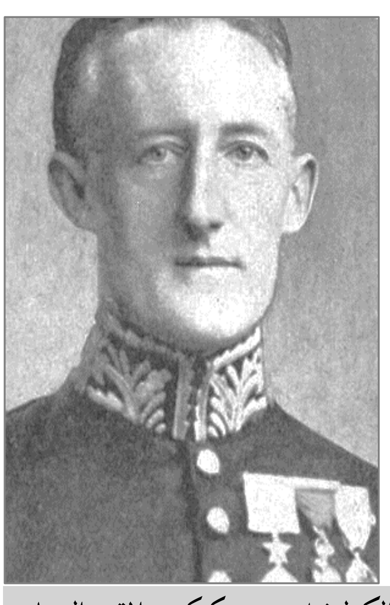
ذلك يكون تابعا لهم، ولا يحدث محاربات دون علمهم، ولا يحارب بدون إذنهم، ولهم حق التفتيش على المعادن في جزيرة العرب واستخراج ذلك، وإذا أراد الإنجليز أن يسير لحرب أي جهة يسير لها وهي تمده).

كما تم اللقاء ثانية بينهما في رحلة شكسبير إلى نجد في ٧ كانون الثاني سنة ١٩١١م، حيث تعرف شكسبير على قدرات ابن سعود العسكرية، وفي هذا اللقاء تم التباحث بينهما بشأن احتلال ابن سعود للأحساء في الوقت المناسب وبسرية تامة، وطلب ابن سعود من شكسبير حث حكومته على توفير الدعم له مقابل تحالفه مع بريطانيا.[٣١٥]

وقد كتب شكسبير بعد هذا اللقاء في ٨ نيسان إلى كوكس يؤكد حاجة ابن سعود للدعم البريطاني العسكري لقطع الطريق على القوات العثمانية من أجل نجاح تحركه لاسترداد الأحساء.[٣١٦]



وليام شكسبير، الوكيل السياسي لبريطانيا في الكويت من ١٩١٠سنة إلى ١٩١٥م



الكولونيل بيرسي كوكس، المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي

(٣١٥) عبد العزيز وبريطانيا للزيدي ص ٤٠.

(٣١٦) عبد العزيز وبريطانيا للزيدي ص ٤٠.

لقد كان موضوع احتلال الأحساء بتخطيط ودعم بريطاني، فلم يكن قدوم ابن سعود إلى الكويت في هذه الفترة وتركه للرياض، من أجل أن يعرف فقط رأي الوكيل البريطاني، والذي عرفه قبل ذلك عن طريق مبارك، كما كان يستطيع معرفته عن طريق إرسال مبعوث خاص بدلا من حضوره شخصيا، ولا يضطر إلى ترك عاصمته في الوقت الذي ما يزال ابن رشيد يمثل خطرا قريبا؟!

وهذا يؤكد أن المبادرة بإيعاز وتخطيط من حكومة الهند البريطانية، التي كانت تخالف رأي حكومة لندن في سياستها في الخليج العربي، حيث تتسم مواقفها بالجرأة، على خلاف سياسة لندن الحذرة من التورط في أي صراع أو حرب مع الدولة العثمانية في غير الوقت المناسب، غير أن حكومة الهند والتزاما منها بالسياسة العامة البريطانية، تعمل على تحقيق أهدافها من خلال حلفائها، دون أن تتورط بشكل مباشر يحملها المسئولية أمام حكومة لندن، كما قد يحمل لندن المسئولية أمام الدولة العثمانية التي ما تزال علاقتها حتى الآن ببريطانيا علاقة تحالف وصداقة بشكل رسمي.

فكانت حكومة الهند، ومقيموها السياسيون، ووكلاؤها في الخليج العربي، ينفذون خططهم، ويحققون أهدافهم بالدعم العسكري الذي لم ينقطع عن الكويت طول فترة الحصار الذي فرضته بريطانيا على موانئ الخليج العربي، لمنع توريد الأسلحة إلى المنطقة، وقد بلغ حجم العتاد العسكري الذي زودت به بريطانيا مبارك الصباح في إحدى المرات في سنة ١٩١٢م وحدها -بناء على طلب من المعتمد البريطاني بيرسي كوكس- مليون طلقة لأسلحته القديمة، وستة آلاف بندقية جديدة، مع كل بندقية أربعمائة طلقة.[٣١٧]

وهذا الدعم العسكري الكبير هو الذي يفسر أبعاد تحركات مبارك الكثيرة، وقيام التحالفات العشائرية الكبيرة، وحدوث الحروب الخطيرة، في هذه الفترة من تاريخ المنطقة -وفي ظل معاهدة الحماية البريطانية للكويت والتي تفرض على مبارك أن لا يتصرف بأي شأن خارجي إلا بعد الرجوع إليها- حيث لم يسبق للكويت أن تجاوزت حدود أسوار المدينة نحو الصحراء غربا، إلا في هذا الوقت الذي بدأت فيه بريطانيا مشروعها للسيطرة على شرق ووسط الجزيرة العربية، وعلى البصرة شمالا.

---

(٣١٧) تاريخ الكويت لخزعل ٢/١٤٦.

فقد كان مبارك المصدر الرئيسي الذي كانت بريطانيا تستقي منه معلوماتها عن الأوضاع وتطورها في نجد، إلى أن تم تعيين وكيل سياسي بريطاني في الكويت في شهر ٨ سنة ١٩٠٤م، كما أنه وراء كتابة عبد الرحمن بن فيصل آل سعود -والد عبد العزيز- خطابه الذي وجهه إلى المقيم السياسي البريطاني في بوشهر بإيران في شهر مايو سنة ١٩٠٢م، طالبا من بريطانيا رعاية الحكم السعودي الوليد في الرياض.[(٣١٨)]

وحين اطمأن ابن سعود بعد ذلك الاجتماع مع الوكيل السياسي في الكويت للدعم البريطاني في أبريل ١٩١١م، الذي كان قد سبق أن طلبه مرارا منذ سنة ١٩٠٦م وبعد دخوله تحت حماية حكومة الهند البريطانية -كما نص على ذلك ابن بسام- بادر بتنفيذ الخطة، فقام بإعداد العدة، وتجهيز جيشه، وتحرك نحو الأحساء بدعوى تأديب بعض القبائل، حتى إذا سنحت له الفرصة في فبراير سنة ١٩١٣م، قام باحتلال الأحساء والموانئ الرئيسية فيه، أي قبل بدء الحرب العالمية الأولى بأشهر! في الوقت الذي كانت الدولة العثمانية تعيش في وضع حرج جدا، حيث كانت تخوض حروب طرابلس سنة ١٩١١م، والبلقان سنة ١٩١٢م، تلك الحروب التي أظهر فيها مبارك وابن سعود وقوفهما مع الدولة العثمانية، كقائمقامين لها في الكويت ونجد، في الوقت الذي كانا ينفذان فيه المخطط البريطاني للسيطرة على الخليج والجزيرة العربية، وقد اعترف الباب العالي بابن سعود بعد احتلاله للأحساء واليا عليه سنة ١٩١٣م، وقد أصبح اتصاله ببريطانيا مباشرا، بعد أن صار يطل على الخليج العربي، وصار ميناء العقير والقطيف تحت سيطرته، وأصبح الدعم البريطاني يأتيه مباشرة منهما دون حاجة لميناء الكويت، ودون حاجة لدعم مبارك الصباح.

وقد أرسل مبارك -الذي ما زال يمثل الأب الروحي لعبد العزيز، وحلقة الوصل بينه وبين بريطانيا، والموجه الرئيسي لتحركاته بإيعاز من مندوبيها- برسالة إلى ابن سعود في هذه السنة، بعد احتلاله للأحساء يدعوه فيها للدخول تحت الحماية البريطانية سرا -في الوقت الذي وافقت الدولة العثمانية على أن يكون ابن سعود واليا على نجد والإحساء- وقد جاء في رسالة مبارك إلى ابن سعود التي يحثه على الدخول مع بريطانيا في معاهدة حماية مباشرة :

(وكل من دخل تحت نظرهم -أي: حمايتهم- اعتز واستراح، مثلما تشوف -أي: ترى- نحن وراعي -أي: شيخ- البحرين وعمان، ورفيقهم عامر وعزيز، ويا ولدي يا عبد العزيز لو يطلبون منا واردات الأحساء

---

(٣١٨) العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ١٦٥، وتاريخ الكويت لخزعل٢/١٧٩.

والقطيف كان نعطيهم، لأجل عز الرأس والراحة، وخلنا نستريح من هالذاهبين -أي: الترك- الزائلين)[٣١٩].

وهذا يؤكد بأن معاهدة الحماية السرية الأولى بين حكومة الهند البريطانية وابن سعود سنة ١٩١١م التي ذكرها ابن بسام وذكر بنودها، ظلت طي الكتمان حتى عن مبارك، حتى كشفتها بعض الصحف العثمانية آنذاك، وسيوقع ابن سعود معاهدة حماية أخرى وستكون بينه وبين حكومة لندن وستضاف لها بنود أخرى غير بنود الاتفاقية الأولى.

وبعد تسرب خبر المعاهدة بين بريطانيا ومبارك، الذي ما زال آنذاك موظفا تابعا للبصرة كقائمقام عثماني، بادرت الدولة العثمانية لتأكيد سيادتها على الكويت، وحشدت قواتها في البصرة، وحركت ابن رشيد أمير حائل التابع لها للتوجه نحو الكويت، وقد أدركت الخارجية البريطانية خطورة الموقف، فاعترفت بسيادة الدولة العثمانية على الكويت، في الوقت الذي حاولت حكومة الهند البريطانية رفض هذا الاعتراف، بل وادعاء استقلال الكويت عن السيادة العثمانية، من أجل دفع لندن إلى الدخول في مواجهة مع الضغوط العثمانية، غير أن المشكلة تم حلها بين بريطانيا والدولة العثمانية باتفاقية سنة ١٩١٣م، التي تم بموجبها الاعتراف بالسيادة العثمانية على الكويت رسميا، واعتراف الدولة العثمانية في المقابل بمصالح بريطانيا فيها، ويكون الشيخ هو القائمقام فيها، ولا يكون هناك أي معارضة لتعيين مندوب عثماني في الكويت، وتمتد أراضي الكويت على دائرة نصف قطرها من مدينة الكويت حتى الرأس الشمالي لجزيرة وربة، ويدخل ضمنها بوبيان كلها، وحددت دائرة خارجية تكون فيها القبائل تابعة لمبارك، على أن لا تكون هناك أي حامية عثمانية.[٣٢٠]

---

(٣١٩) العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ١٦٨.

(٣٢٠) تاريخ الكويت لخزعل ٢/١٤٣، والكويت لحسن الإبراهيم ٦١-٦٤.

وقد نجحت أيضا بريطانيا سنة ١٩١٣م بواسطة كوكس مقيمها السياسي في الخليج في أخذ موافقة مبارك الصباح على منح بريطانيا وحدها حق الامتياز في التنقيب عن النفط الذي تم اكتشافه بشكل أولي في منطقة برقان.[٣٢١]

فقد كان النفط أحد الأسباب الرئيسة التي دفعت بريطانيا للتفريط بتحالفها مع الدولة العثمانية مقابل السيطرة على النفط في المنطقة بعد أن تم اكتشافه منذ أواخر القرن التاسع عشر، حيث بدأ التنافس المحموم بين الألمان والبريطانيين للسيطرة عليه وعلى غيره من ثروات المنطقة الطبيعية.

ثم كان الهدف البريطاني التالي -بعد السيطرة على الرياض والأحساء- الذي طالما خطط له البريطانيون ومهدوا له ألا وهو:

٧- الهجوم على العراق واحتلاله:

فبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى في أغسطس سنة ١٩١٤م، وفي شهر نوفمبر وافق مبارك -مع أنه ما زال موظفا عثمانيا- على الوقوف مع بريطانيا للهجوم على أم قصر، وصفوان، والبصرة، وتم إعلان الحماية البريطانية على الكويت بصورة رسمية، لتشكل الحرب العالمية بذلك منعطفا تاريخيا مهما في تاريخ المنطقة.[٣٢٢]

لقد سبق أن وعد البريطانيون عرب الجزيرة بأنهم إذا وقفوا مع إنجلترا في هذه الحرب ضد الخلافة العثمانية (ستضمن إنجلترا عدم حدوث تدخل داخل شبه الجزيرة العربية، وستقدم للعرب كل مساعدة ضد العدوان الخارجي... لقد كان ريجينالد وينغنيت -المندوب السامي البريطاني في مصر- يؤمن بتحريض القبائل في شبه الجزيرة العربية لمصلحة بريطانيا، وكان يحث على عامل فوري منذ بداية الحرب بهدف إغراء العرب بالابتعاد عن الدولة العثمانية وقد كتب بتاريخ ١٤ / ١ / ١٩١٥م إلى

(٣٢١) تاريخ الكويت لخزعل ٢ /١٤٣. ويلاحظ أن الامتياز لم يتم توقيعه إلا بعد المعاهدة البريطانية العثمانية التي اعترفت بريطانيا فيها بالسيادة العثمانية على الكويت، واعترفت الدولة العثمانية بمراعاة المصالح البريطانية فيها، مما يؤكد بأن النفط وراء كل هذه التطورات السياسية في المنطقة!

(٣٢٢) الكويت دراسة سياسية لحسن الإبراهيم ٦٦.

كلايتون قائلا: أخشى أن يكون العمل البريطاني قد تأخر طويلا حتى إني بدأت أشك في إمكانية نجاحنا الآن في فصل العرب عن العثمانيين)[٣٢٣].

وقد رد مبارك بتاريخ ١٨/ ٨ سنة ١٩١٤م على خطاب الوكيل السياسي البريطاني الذي أخبره باندلاع الحرب برسالة جاء فيها:

(وإني معكم ومعي جميع العشائر الذين رأيتموهم، وبكل اجتهادنا ورجالنا وسفننا تحت أمركم)!

كما رأت الخارجية البريطانية في سبتمبر ضرورة التحالف مع ابن سعود بشكل مباشر لمواجهة الدولة العثمانية على أرضها وعلى يد موظفيها في الجزيرة العربية، فأرسلت في شهر نوفمبر من السنة نفسها الكابتن شكسبير في مهمة سرية إلى ابن سعود للاتصال به شخصيا، ومرافقته للتأثير عليه ليقف مع الحلفاء، كما استخدمت مبارك الصباح أيضا لتحقيق هذا الغرض، وقد قام مبارك بإرسال رسالة بإملاء من الوكيل السياسي في الكويت إلى ابن سعود قال فيها:

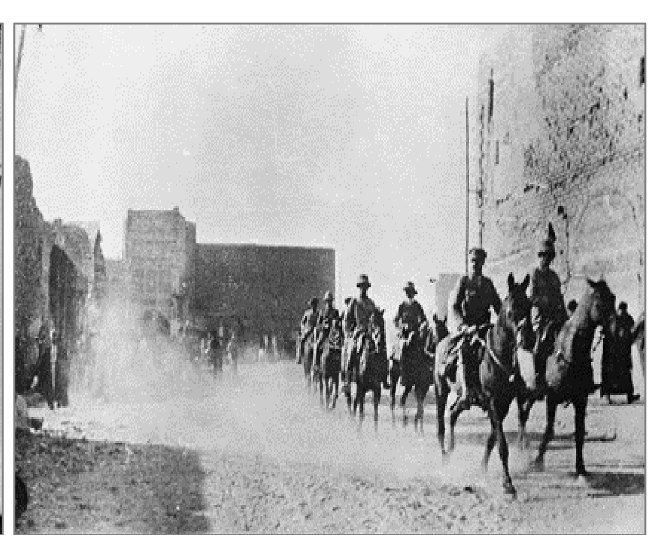
(إن الدولة البهية -بريطانيا- تبغي منا ومنكم المساعدة الكاملة للتأثير في أصدقائنا وعشائرنا والقبائل التابعة لنا، وأن نعرّف شريف مكة وابن شعلان بغواية الدولة الجرمانية، وسترسل الدولة لكم الكابتن شكسبير المعروف عند العرب جميعا حتى يعرفكم بمقاصد الدولة البهية ونياتها، وهي تبغي منكم أنت والشيوخ المقيمين على شط البحر وساحل الخليج ألا تفعلوا شيئا من الحركات حتى بعد نشوب الحرب)[٣٢٤].

---

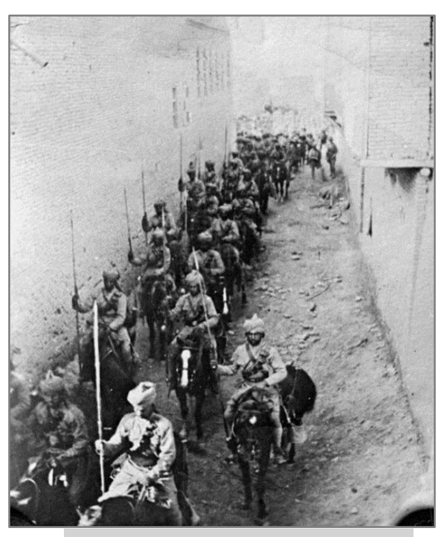
(٣٢٣) ولادة الشرق ١١٤.

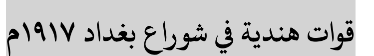
(٣٢٤) العلاقات بين الكويت ونجد ١٥٣-١٥٧، وتاريخ الكويت لخزعل ٢/١٥٣-١٥٦.

وقد أجاب ابن سعود على رسالة مبارك بالوقوف مع بريطانيا بأن أمره تابع لأمر مبارك، وأنه لا يخالف أمره، وأن موقفه مع بريطانيا معروف، وأنه لا يتخذ أمرا إلا بعد إعلام وكيلها السياسي في الكويت.(٣٢٥)



دخول قوات الاحتلال البريطانية إلى بغداد مارس ١٩١٧م





قوات هندية في شوارع بغداد ١٩١٧م



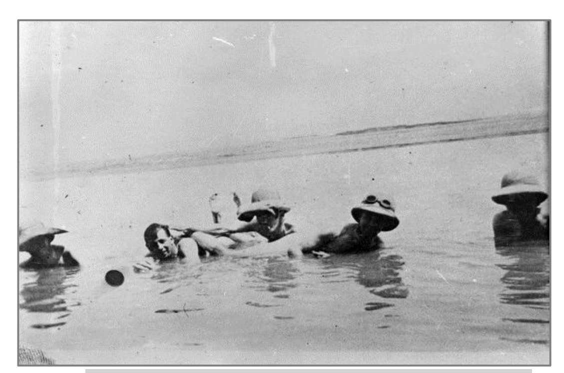


قوات هندية لاحتلال العراق

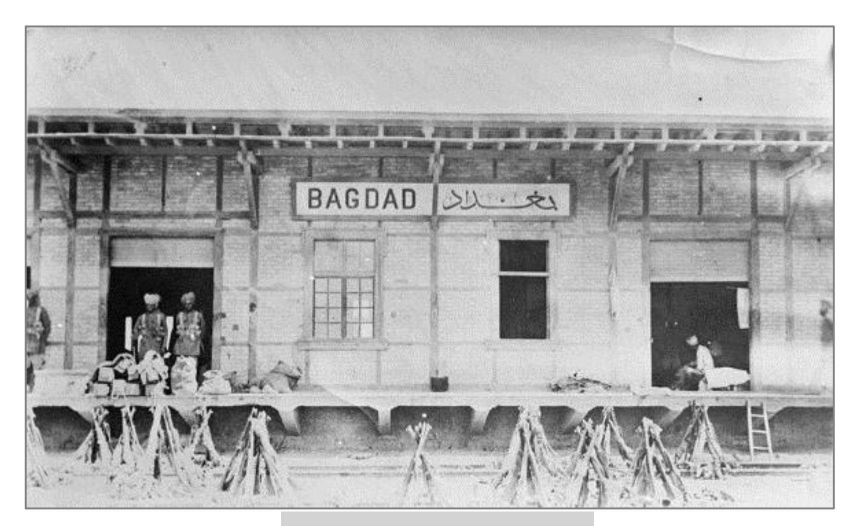
(٣٢٥) العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ١٥٨.



ضباط إنجليز وروس في العراق بعد احتلاله



جنود بريطانيون يسبحون في نهر دجلة بالعراق



قوات هندية في محطة قطار بغداد

وبهذا نجحت حكومة الهند البريطانية التي تدير شئون الخليج العربي وشرق الجزيرة العربية في ترتيب الأمور، كما نجحت في رهانها على دعم ابن سعود، قبل حكومة لندن ومندوبها السامي في القاهرة والخرطوم، الذي كان يدير شئون البحر الأحمر وغرب الجزيرة العربية، وكان يراهن على الشريف حسين، وعلى حد قول فرومكين: (لقد عبر ابن سعود لشكسبير، كما فعل عبد الله بن الشريف حسين في القاهرة، عن استعداده لكي تصبح إمارته دولة زبونة لبريطانيا... وما إن نشبت الحرب حتى رأت الهند نفسها حرة في دعم صاحبها ابن سعود، ووجدت في الوقت ذاته أن القاهرة كانت تدعم منافسه في مكة، كانت الهند تعتقد أنه إذا ما انقلب العرب يوما على الحكومة العثمانية فيجب أن يقود هذه الثورة ابن سعود، ولكن في ديسمبر ١٩١٤م رأى نائب الملك في الهند أن عملا كهذا سابق لأوانه، بينما اتخذ

كيتشنر وأتباعه في الخرطوم نظرة معاكسة فتطلعوا إلى الشريف حسين باعتباره حليف بريطانيا الهام)[٣٢٦].

وقد أدى ذلك إلى اعتقاد حكومة الهند البريطانية -التي تدعم ابن سعود- بأن أشد أعدائها خطرا عليها ليس الألمان، بل المسئولين البريطانيين في مصر الذين مضوا في حبك مؤامراتهم في مكة مع الشريف حسين، بوعدهم إياه بالخلافة بعد ثورته على الدولة العثمانية، وهو ما سيثير المسلمين في الهند -الذين يبلغ تعدادهم سبعين مليونا- والذين يرفضون الاعتراف بأي خليفة سوى الخليفة العثماني، كما يرفض حلفاؤها كابن سعود وخزعل ومبارك مثل هذا الاعتراف للشريف حسين، بل أكدوا لها بأن موضوع الخلافة كله لا يعنيهم، ولا تهمهم إطلاقا في حال سقوطها.[٣٢٧]

لقد كان الصراع خفيا بين حكومة الهند البريطانية التي تتولى شئون الخليج العربي وشرق الجزيرة العربية وتدعم ابن سعود من جهة، ومكتب المندوب السامي البريطاني في القاهرة الذي يتولى شئون غرب الجزيرة العربية ويدعم الشريف حسين من جهة أخرى!

لقد مضت حكومة الهند البريطانية في حشد حلفائها في شرق الجزيرة العربية للوقوف مع بريطانيا في الحرب العالمية الأولى، فقد وجه الميجر كوكس المقيم البريطاني في الخليج العربي رسالة إلى مبارك بعد شهر من رسالته الأولى جاء فيها:

(إن الحكومة البريطانية قد أمرتني أن أبلغ سعادتكم شكرها لولائكم ولعرضكم العون، وأن أرجوكم أن تهاجموا أم قصر وصفوان وبوبيان وتحتلوها، وعليكم بعد ذلك أن تحاولوا بالتعاون مع الشيخ خزعل والأمير عبد العزيز بن سعود وغيرهم من الشيوخ الموثوق بهم تحرير البصرة من يد الأتراك، فإذا لم تستطيعوا فعليكم أن تجروا الترتيبات إذا كان ممكنا للحيلولة دون وصول الإمدادات التركية إلى البصرة أو إلى القرنة إلى أن يصل الجنود البريطانيون... وإن الحكومة البريطانية تتعهد

(٣٢٦) ولادة الشرق ١١٩.

(٣٢٧) ولادة الشرق ١١٩-١٢٢.

بحمايتكم من كل ما ينجم عن هذا العمل، وتعترف أن مشيخة الكويت حكومة مستقلة تحت الحماية البريطانية)[٣٢٨].

ولاحظ العبارة البريطانية (تحرير البصرة) وقارنها بالعبارة الأمريكية البريطانية (حرب تحرير العراق)، وتأمل الأحداث اليوم والمتورطين فيها تجد أن الوضع في المنطقة لم يتغير منذ قرن!

وقد تم تنفيذ ذلك فعلا حيث ورد في شهر سبتمبر سنة ١٩١٤م كتاب من حكومة الهند البريطانية جاء فيه ما يلي:
(أكد شيخ الكويت وهو صادق في ذلك بأن شيوخ الكويت والمحمرة بالاتفاق مع شخصيات البصرة الذين هم على اتصال وثيق بهم، وبالتعاون مع ابن سعود قادرين على تمهيد الطريق لاحتلال البصرة بشكل سلمي أو إبقائها معزولة إلى حين يصبح في مقدورنا اتخاذ اللازم) [٣٢٩].

- موقف علماء الكويت وإعلان العصيان المدني:

وقد أثار هذا الموقف العلماء في مدينة الكويت، الذين أصدروا الفتاوى بحرمة هذا الفعل، وكفر من يقف مع الإنجليز ضد الدولة العثمانية، فطلبت بريطانيا فورا من مبارك بمنع الدعاية المضادة لها في البلدة، وقد تعهد مبارك في تنفيذ ما طلبته منه بريطانيا بخصوص هذا الموضوع.[٣٣٠]

كما أفتى علماء نجد بكفر الدخول تحت الحماية البريطانية كما في فتوى عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ عن مثل هذه الأحوال وقد سئل عن دخول أهل الخليج تحت حماية بريطانيا فقال: (وانتقل الحال حتى دخلوا في طاعتهم واطمأنوا إليهم وطلبوا صلاح دنياهم بذهاب دينهم وهذا لا شك من أعظم أنواع الردة)!

---

(٣٢٨) تاريخ الكويت لخزعل ٢/١٥٥، والكويت في الوثائق البريطانية للأعظمي١٠١، وتاريخ الخليج العربي لزكريا ٣/١٧.

(٣٢٩) الكويت في الوثائق البريطانية ١٠٠.

(٣٣٠) تاريخ الكويت لخزعل ٢/١٥٤. وانظر كيف يتم تكميم الأفواه اليوم، ويمنع بل ويسجن كل من يرفض ولو بالكلمة ما تقوم به الحملة الصليبية الاستعمارية على أفغانستان والعراق، وكيف يتم سجن العلماء والشيوخ والدعاة وتقديمهم للمحاكمات لا لشيء إلا لكونهم يرون جهاد الشعب العراقي والأفغاني ضد الاحتلال جهادا مشروعا كما تقره كل الشرائع السماوية والمواثيق الدولية، لتعرف أن الاستعمار هو الاستعمار والأساليب هي نفس الأساليب!

وقال أيضا هو والشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف وسليمان بن سحمان في بيان حكم الدخول تحت الحماية الأجنبية: (أما الدخول تحت حماية الكفار فهي ردة عن الإسلام)[٣٣١]!



خزعل شيخ عربستان ومبارك الصباح حاكم الكويت
وقفا مع بريطانيا ضد الخلافة العثمانية

وبعد احتلال بريطانيا للبصرة سنة ١٩١٤م (ثار الثائرون على خزعل، وأعلنوا عليه الجهاد، لشده أزر المقاتلين للدولة العثمانية، فأراد من مبارك أن يمده بجند من الكويت، فعلم الكويتيون أنهم سيقاتلون إخوانهم، وأظهروا العصيان، وجاهروا بالامتناع، سيما والعلامة المحدث الشيخ محمد الشنقيطي، والشيخ حافظ وهبة المصري، إذاك كانا يطوفان المجالس، ويغشان الأندية، لتحذير الناس من الطاعة، وأن من انقاد قد يحكم عليه بالارتداد من الدين، فأثار ما قالاه الحماس في النفوس حتى صمم القوم على الإباء، مهما نزل بهم من البلاء، فذهبوا إلى جابر بن مبارك، وقد تأبطوا مسدساتهم، فقالوا له عندما أمرهم بالمسير، لا نسمع ولا نطيع، لأن الطاعة في هذا الأمر معصية، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)، فبهت جابر من مفاجأتهم له بذلك)[٣٣٢].

وقد قام مبارك -بإيعاز بريطاني- بإغلاق الجمعية الخيرية في الكويت سنة ١٩١٤م، التي كان القائمون عليها يقفون مع الخلافة العثمانية، ضد بريطانيا، كما قام بطرد العلامة محمد أمين الشنقيطي، الذي كان يعظ الناس في المساجد، محذرا من خطورة الوقوف مع بريطانيا، ضد المسلمين العثمانيين، كما

(٣٣١) الدرر السنية ٨/١١ و١٠/٤٣٥.

(٣٣٢) تاريخ الكويت للرشيد ٢٠٣، وتاريخ الكويت لخزعل ٢/٢٥٨.

أصدر علماء الكويت فتوى في حرمة السمع والطاعة لمبارك الصباح، حين أمر أهل الكويت بتجهيز السفن لمساعدة صديقه الشيخ خزعل شيخ عربستان، الذي وقف مع بريطانيا حتى احتلت الفاو.[٣٣٣]

- فتوى مراجع الشيعة بالجهاد ضد بريطانيا:

كما أصدر علماء النجف فتواهم الشهيرة، وأرسلوها إلى خزعل، يحرمون عليه فيها الوقوف مع بريطانيا ضد الدولة العثمانية، ويوجبون (الاتفاق مع المسلمين في درء خطر هذا الغزو، لأن حكم الدين لا يفرق بين الإيراني والعثماني)، كما كتب إليه مرجعه الأعلى الشيخ عبد الكريم الجزائري، يأمره بعدم الوقوف مع الإنجليز، غير أن خزعل لم يلتفت إلى ذلك، فثارت العشائر في عربستان عليه ثورة كبرى بتحريض من المراجع، فكادت أن تسقطه، لولا تدخل بريطانيا، التي طلبت من مبارك مساعدة خزعل، فرفض أهل الكويت تحريك سفنهم، وقد بلغ الأمر بالعامة في الكويت أن خرج أبناء المدارس يجهرون بالشوارع والأسواق بسب الإنجليز، فقام مبارك بعد رجوعه من عربستان بالاجتماع بأهل الكويت الذين قال لهم: (أنا مسلم عثماني، أغار على ديني، وعلى دولتي العثمانية، ولا أحب من يتعرض لهما بسوء، غير أني اتفقت مع الإنجليز على أمر فيه نفع لي ولبلدي، ولهذا لا أرضى بالطعن فيهم، وإن كنت لا أحبهم، وديني غير دينهم)!

ثم قام مبارك -الذي كان يخشى أن يحدث في الكويت ما حدث في عربستان- بطرد الشنقيطي، وكان المعتمد البريطاني يريد اعتقاله في الكويت ونفيه إلى الهند، غير أن مبارك الصباح كان يخشى تبعات هذا العمل، وقد حاول خزعل بعد هدوء الثورة إرضاء مرجعه الشيخ الجزائري فرد عليه بقوله: (فرق ما بيني وبينك الإسلام)[٣٣٤].

- المخطط البريطاني لإثارة الفتنة الطائفية في المنطقة:

لقد نجحت بريطانيا في اجتذاب شيوخ الموانئ في الخليج إلى صفها غير أن المشكلة تتمثل في (رعاياهم الذين كانوا بدافع من شعورهم العاطفي والروحي يميلون إلى الدولة العثمانية باعتبارها دولة الخلافة الإسلامية، ومما يؤكد ذلك أن معظم القبائل في جنوب فارس والعراق لم تقبل التعاون مع الإنجليز،

---

(٣٣٣) تاريخ الكويت للرشيد ٢٠٦، وتاريخ الكويت لخزعل ٢/٢٥٩، وأعلام الفكر الإسلامي للخالدي ١٠٧-١١٩.

(٣٣٤) تاريخ الكويت للرشيد ٢٠٦، وتاريخ الكويت لخزعل ٢/٢٥٩، وأعلام الفكر الإسلامي للخالدي ١٠٧-١١٩.

كما تعرض كل من شيخ الكويت والمحمرة لردود فعل عنيفة من قبل مواطنيهم الذين ساءهم انضمام شيوخهم صراحة إلى جانب الإنجليز، وعلى الرغم من أن إعلان الدولة العثمانية للجهاد يشكل خطرا على الوجود البريطاني في الخليج إلا أن بيرسي كوكس المقيم السياسي في الخليج كان يرى بأنه يمكن التغلب على هذه الحركة بإحكام السيطرة البريطانية على الخليج واستغلال الخلافات المذهبية والسياسية القائمة بين فارس والدولة العثمانية)(٣٣٥).

لقد كان هناك سخط شعبي إسلامي عام في كل مكان ضد الحملة الصليبية والدول الغربية التي تحارب الخلافة العثمانية، فأرادت بريطانيا شق الصف بين السنة والشيعة الذين كانوا جميعا رعايا للدولة العثمانية، وإثارة الفتنة الطائفية بينهم، ليسهل لها السيطرة عليهم جميعا، وكما يقول فرومكين في ولادة الشرق:

(وحقيقة الأمر هي أن الرأي العام الإسلامي حتى في المناطق غير التركية كان بوجه عام مؤيدا للدولة العثمانية، وهذا ما بينته لاحقا تقارير وزارة الخارجية البريطانية والمكتب العربي... إن البريطانيين في القاهرة عند تقويمهم للتقارير التي تحدثت عن استياء من الحكم العثماني في بعض أقسام الدولة العثمانية، قد أخطأوا في فهم إحدى الخصائص البارزة للشرق الإسلامي، الذي لم يكن مستعدا للقبول بحكم غير إسلامي، فقد كانوا يعتبرون الحكم من قبل دولة أوربية مسيحية مثل بريطانيا أمرا لا يطاق)(٣٣٦).

وهذا ما أكده سليمان فيضي النائب العربي في المبعوثان -البرلمان- العثماني عن الموصل في مذكراته حيث جاء فيها: (إذا كان مدحت باشا أبا الأحرار الأتراك، فإن عزيز علي المصري يعد بحق أبا العرب الأحرار، وهو كغيره من الأحرار العرب في ذلك الوقت يرى في الحكم اللامركزي خير علاج، ولم يكن يرى بأسا من الإبقاء على الدولة العثمانية كمجموعة قوية تستطيع الدفاع عن نفسها إزاء

---

(٣٣٥) تاريخ الخليج العربي لزكريا ٣ /١٤، وتأمل كيف نجحت الحملة الصليبية الجديدة اليوم من استغلال الخلاف الطائفي بين السنة والشيعة في العراق لتحتل المنطقة من جديد بتعاون وتورط من الجميع من مراجع دينية وأحزاب دينية!

(٣٣٦) ولادة الشرق ١٠٢. الغريب أن مثل هذه التقارير الموضوعية الحقيقية لا تأتي إلا بعد وقوع الكارثة، فقد شن الصليبيون الجدد حربهم على العراق بدعوى وجود أسلحة دمار شامل، ثم عادوا ليعترفوا أن التقارير الاستخبارية السابقة كانت غير صحيحة!

أطماع الدول الأوربية الاستعمارية، على أن تتمتع الشعوب المنضمة تحت لوائها بالاستقلال الداخلي... وقد أسس جمعية العهد السرية عام ١٩١٣م وجاء في منهاجها: غاية الجمعية السعي وراء الاستقلال الداخلي للبلاد العربية على أن تكون متحدة مع حكومة إسطنبول، وأن الجمعية ترى ضرورة بقاء الخلافة الإسلامية وديعة مقدسة بيد آل عثمان، وتهتم الجمعية بأمر سلامة إسطنبول من مطامع الدول الأجنبية لاعتقادها أن إسطنبول رأس الشرق لا يمكنه أن يعيش بدونها)[٣٣٧].

وهذا ما صرح به السيد طالب النقيب للبريطانيين حين طلبوا منه في تشرين سنة ١٩١٤م التعاون معهم ليحتلوا البصرة، فرفض رفضا قاطعا، ثم طلبوا منه أن يلزم الحياد مقابل أن تجعله بريطانيا حاكما عاما مدى الحياة على العراق من الفاو إلى آخر نقطة يصل إليها الجيش البريطاني، فكتب طالب النقيب رسالة لهم قال فيها:

(إني أرفض كل اقتراح من هذا القبيل، وقد عزمت على السفر إلى نجد، فابحثوا عمن يعينكم على استعمار بلاده، واعلموا أن الذي لا يرضى بحكم الأتراك إخوانه في الدين، حري به أن يأبى حكم الإنجليز)[٣٣٨].

لقد كانت النظرة البريطانية هي أنه يمكن التحكم بالعالم الإسلامي باستغلال زعاماته (وعن طريق شراء أو استغلال قياداته الدينية)، كما كانت تخشى أشد الخشية (قيام حرب إسلامية مقدسة ضد بريطانيا)[٣٣٩].

لقد أصبحت الكويت -رغم السخط الأهلي ورفض العلماء فيها- من قواعد انطلاق الحملة العسكرية البريطانية على نجد والعراق، حيث ترابط فيها سفنها الحربية، وتستخدم مخزنا للعتاد والأسلحة، كما أصبحت المدينة خط الدفاع الأول في وجه أي هجوم عثماني ألماني على بريطانيا في

---

(٣٣٧) مذكرات سليمان فيضي ١٥٦.

(٣٣٨) مذكرات سليمان فيضي ١٥٩.

(٣٣٩) ولادة الشرق ١٠٨. وانظر كيف نجحت أمريكا اليوم بشراء الزعامات الدينية في حملتها الصليبية على العالم الإسلامي واحتلالها أفغانستان والعراق بدعوى مكافحة الإرهاب، لتصدر الفتاوى المشبوهة من السنة والشيعة على حد سواء التي تحرم مقاومة الاحتلال!

الخليج العربي، حيث تم إحاطة الكويت بتحالف من القبائل لحماية الكويت من هجوم مضاد، ولحماية ظهر الجيش البريطاني الذي يتجه صوب البصرة.[٣٤٠]

وفي الوقت الذي كان مبارك الصباح وابن سعود يتعاونان مع بريطانيا لاحتلال البصرة كانا يتظاهران في الوقت ذاته للدولة العثمانية بالولاء والطاعة، فقد أرسل والي بغداد جاويد باشا سنة ١٩١٤م بعد تهديد بريطانيا واستعدادها لاحتلال البصرة إلى كل العشائر العربية للدفاع عن البصرة، وأرسل إلى مبارك الصباح وابن سعود فأجاب مبارك بالسمع والطاعة لما أمر به والي بغداد باتخاذ كل ما يلزم من تسهيلات ومعونات بهذا الصدد وجاء في خطابه:

(نعمل حسبما أمر سعادتكم مع الممنونية... هذا والمأمول توجهاتكم القلبية والأمر لكم أفندم! التوقيع حاكم الكويت ورئيس قبائلها مبارك الصباح)[٣٤١].

لقد بدأ الضباط السياسيون البريطانيون بإعداد وتهيئة المنطقة للتحولات الخطيرة والكبيرة التي ستحدث فيها بعد انتهاء الحرب، والتي طالب مارك سايكس من تشرشل أن يكون له يد في صناعتها، ليشتغل ضد الدولة العثمانية، حيث لديه القدرة -كما يقول عن نفسه- على (أن ينشئ فرقة من أوغاد أهل البلاد[٣٤٢]، وأن يربح النبلاء إلى جانبه، وأن يقوم بأي عمل غريب آخر) -كما جاء في رسالته لتشرشل في صيف ١٩١٤م - وقد وافق تشرشل على ضم مارك سايكس إلى لجنة (دو بونسين) تلك اللجنة التي ستقرر (الأسماء التي ستطلقها على مختلف المناطق التي قد ترغب في تقسيم الدولة العثمانية إليها، دون حاجة للتقيد بخطوط التقسيمات السياسية التي كانت قائمة في الدولة العثمانية -أي: الولايات- وأن لها الحرية في أن تعيد رسم خريطة الشرق الأوسط بالشكل الذي يرونه مناسبا، وقد اقترحت اللجنة بقيادة مارك سايكس، إنشاء خمس ولايات متمتعة بالحكم الذاتي، وهي: الأناضول، سوريا، وفلسطين، والجزيرة، والعراق... بالإضافة إلى نقل الخلافة جنوبا... وقد كتب سايكس إلى صديقه الحميم عضو مجلس العموم أوبري هيربرت قائلا: يجب أن تزول تركيا من

---

(٣٤٠) تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد ص ١٥٧.

(٣٤١) تاريخ الكويت السياسي لخزعل ٢/ ٩٨.

(٣٤٢) تأمل في هذه العبارة وانظر كيف وظفوا الأوغاد من جديد في خدمة حملتهم الاستعمارية الجديدة في المنطقة ليحكم عاصمة هارون الرشيد بول بريمر وأوغاده!

الوجود، أزمير ستكون يونانية، وأضاليا إيطالية، وسوريا فرنسية، وفلسطين والعراق بريطانية، وما عدا ذلك بما فيها القسطنطينية روسية، وسوف أنشد (لنسبحك يا الله) في كنيسة القديسة صوفيا، وسأترنم في مسجد عمر (الآن أيها السيد تطلق سبيل عبدك فيذهب بسلام) سننشدها بلغة أهل ويلز، وباللغة البولونية، وباللغة الأرمنية، تكريما للأمم الصغيرة) [٣٤٣]!

لقد أدركت الخلافة العثمانية الخطر الصليبي الذي يحيق بها، وحاولت حث ابن سعود على الوفاء بالتزاماته لها، حسب الاتفاق الذي سبق التوقيع عليه من ابن سعود والدولة العثمانية في شهر مايو سنة ١٩١٤م، والذي يقضي بتعيينه واليا عثمانيا على نجد والأحساء، مقابل الاعتراف بالتبعية لها، وإرسال قوات عسكرية عند دخول الدولة العثمانية في حرب مع أي بلد أجنبي، غير أنه لم يلتفت للطلب العثماني كما تقضي به تلك المعاهدة وكما يقضي به منصبه كموظف عثماني رسمي، بل وقف مع بريطانيا، بعد أن أرسل إليه المقيم السياسي في الكويت برسالة تتعهد فيها الحكومة البريطانية بحمايته من الدولة العثمانية، وحمايته بحريا من أي هجوم عليه، مع الاعتراف بمركزه الواقعي في نجد والأحساء.[٣٤٤]

- الوفد الإسلامي للاستنجاد بابن سعود:

وقد أرسلت الدولة العثمانية وفدا عثمانيا لمقابلة ابن سعود واستنهاض همته للوقوف مع الخلافة العثمانية، وكان من بين أعضائه علامة العراق السيد محمود شكري الآلوسي، وقد اعتذر ابن سعود عن إجابة طلبهم بأن الوقت قد فات، وأنه لا يستطيع فعل شيء.[٣٤٥]

وكان ابن سعود قد أبدى ظاهريا موافقته للسيد طالب النقيب على الوقوف بجانب الدولة العثمانية، بعد أن وسطته لإقناع ابن سعود بذلك، وأرسل طالب برقيتين لإسطنبول يخبرها بموقف ابن سعود وضرورة تجهيز الجيش الوهابي بالمؤن والأسلحة، غير أن طالب النقيب وسليمان فيضي اللذين كانا قد هربا من البصرة إلى ابن سعود، وكانا يحثان ابن سعود على الوقوف مع الدولة العثمانية ضد بريطانيا

---

(٣٤٣) ولادة الشرق ١٦٢-١٦٤.

(٣٤٤) تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد لخالد السعدون ١٦٠.

(٣٤٥) تاريخ الخليج العربي ٣/٢٦.

أدركا أن ابن سعود لم يكن مجدا في زحفه للدفاع عن البصرة، وأنه كان يتريث لكسب الوقت، وفي هذه الأثناء وصل كتاب من البحرين من الكابتن البريطاني شكسبير ينصح ابن سعود بلزوم الحياد التام، وبعد أيام وصل شكسبير إلى ابن سعود وأقام عنده إلى أن لقي حتفه بتاريخ ١٩١٥/١/٢٤م في معركة جراب بين ابن سعود وابن رشيد، فتأثر ابن سعود تأثرا بالغا لمقتل صديقه، وقد احتل الإنجليز البصرة بعد هزيمة الجيش العثماني في ١١/١٩/ ١٩١٤م، واضطر طالب النقيب الذي ما زال في معية ابن سعود للاستسلام للبريطانيين فكتب ابن سعود كتابا إلى كوكس يقترح عليه استسلام طالب لبريطانيا على أن يتم نفيه إلى بومبي حتى تنتهي الحرب، وحمل سليمان فيضي هذا الكتاب إلى كوكس في البصرة، فوجد الحياة فيها قد تغيرت تغيرا جوهريا (اجتماعيا وسياسيا، وبرزت طبقة جديدة من التجار والمتعهدين والوجهاء بالغت في الترحيب بالمحتلين الجدد، وربطت مصالحها بمصالحهم، بينما ناوأ المستعمر أولئك الذين أعرضوا عن التمرغ على أعتابه، وربأوا بأنفسهم من التهالك على نيل مرضاته)[٣٤٦].

- معركة الشعيبة واحتلال البصرة:

وبعد احتلال الجيش البريطاني للفاو، وقعت معركة الشعيبة بين الجيش العثماني والجيش البريطاني، واحتل البريطانيون البصرة، وتداعى علماء العراق السنة والشيعة على حد سواء، إلى إصدار الفتاوى بوجوب الجهاد، ودفع المحتل، وأنه صار فرض عين على كل مسلم، وكان شيخ الإسلام خيري أفندي أول من أصدر فتواه بهذا الخصوص، ثم صدرت فتاوى مراجع الشيعة في العراق، وكان من أشهر العلماء الشيعة الذين أصدروا الفتاوى بوجوب الجهاد، من مراجع النجف وكربلاء وغيرهم: الشيخ فتح الله الأصبهاني، ومصطفى الكاشاني، ومهدي الخرساني، وعلي التبريزي، ومحمد حسين المهدي، وكاظم اليزدي، وعبد الكريم الجزائري.[٣٤٧]

وقد اشترك العلامة الشنقيطي بالقتال مع المجاهدين في معركة الشعيبة، وكان بمعية الشيخ عجمي السعدون، الذي قاد عشائر المنتفق مجاهدا مع الجيش العثماني، ومدافعا عن العراق، وقد صار مضرب المثل في بطولته في مواجهة الجيش البريطاني، حيث كان يشن الغارات الخاطفة مع فرسان المنتفق على

(٣٤٦) مذكرات سليمان فيضي ٢٠٢-٢٠٧، وتاريخ الخليج لزكريا ٣/ ٢٧.

(٣٤٧) أعلام الفكر الإسلامي للخالدي ١٣٧.

المفارز البريطانية، فيفتك بها، ثم يكر راجعا، وقد شارك في القتال أيضا السيد محسن الحكيم[٣٤٨]، وغيره من علماء العراق، وأدبائه، ومشاهيره، وبعد هزيمة الشعيبة، خرج الشنقيطي إلى نجد بإشارة من عجمي السعدون، الذي خاف عليه من الإنجليز، وقد استقر في القصيم، وهناك شرع في التعليم والخطابة، وكان يحث العامة على الجهاد، وكان من تلاميذه الشيخ عبد الرحمن السعدي، ولما علم ابن سعود بذلك طلب منه برسالة (أن لا يفرط في إثارة الحماس الديني ضد الإنجليز، كما فعل في الكويت والعراق)، فقد أراد بذلك (عدم إثارة المواضيع السياسية، ولو باسم الدين، وأن لا يتعرض خصوصا للإنجليز)، وقد ضاق الشنقيطي ذرعا بهذا الحصار الذي فرضه عليه ابن سعود، فخرج بعد وفاة مبارك الصباح إلى الكويت، فاستقبله سالم الصباح شر استقبال، وأخبر البريطانيين بوجود الشنقيطي في الكويت، فخرج منها إلى الزبير خائفا يترقب.[٣٤٩]

وفي الوقت الذي كان القتال دائرا في العراق بين البريطانيين من جهة، والجيش العثماني والشعب العراقي من جهة أخرى، الذين كانوا يتطلعون إلى نصرة ابن سعود، وصل الكابتن شكسبير إلى مخيم ابن سعود في منطقة الخفس في ١٩١٤/١٢/٣١م، ورأى منه تعاطفا ورغبة صادقة في الوقوف مع بريطانيا، وقدم دليلا على ذلك بتحركه بجيشه، ومنعه ابن رشيد من دعم الدولة العثمانية، وبجعل نفسه قدوة للعالم العربي في التعاطف مع بريطانيا، على حد تقرير شكسبير، الذي كتبه إلى حكومة الهند بخصوص موقف ابن سعود.[٣٥٠]

وقد قام ابن سعود بالدخول مع ابن رشيد في مواجهة في معركة جراب -بعد فترة طويلة من الهدوء بين حائل والرياض- وذلك بتاريخ ١٩١٥/١/٢٤م، وكان معه في هذه المعركة الكابتن شكسبير، الذي ظل ملازما له منذ وصوله إليه، وقد قتل يومها على يد قوات ابن رشيد، وكان شكسبير (مسئولا عن حملة

(٣٤٨) من المفارقات أن يقاتل محسن الحكيم ضد الاحتلال البريطاني دفاعا عن العراق، ويأتي ولده عبد العزيز الحكيم على ظهر دبابة الاحتلال البريطاني الأمريكي ليحكم العراق!

(٣٤٩) أعلام الفكر الإسلامي ١٣٩-١٤٩و١٥٧. وهذا ما يحدث اليوم حيث يتم منع سفر العلماء والدعاة في بلدانهم بإيعاز من الولايات المتحدة كإقامة جبرية للحيلولة دون تحركهم واستنهاضهم للهمم، ومنعهم من أي نشاط لمواجهة الحملة الصليبية على الأمة الإسلامية بدعوى المحافظة على الاستقرار والهدوء؛ ليستفرد العدو بكل بلد على حدة!

(٣٥٠) تاريخ العلاقات للسعدون ١٦١.

البنادق في جيش ابن سعود) وقد عثر ابن رشيد في أرض المعركة على رسائل مبارك إلى ابن سعود، التي يحثه فيها على الوقوف مع بريطانيا ضد الدولة العثمانية.(٣٥١)

وقد كانت علاقة ابن سعود بضابط الاستخبارات البريطاني الكابتن وليم شكسبير قديمة، وقبل اندلاع الحرب العالمية، حيث توطدت علاقة الصداقة الشخصية بينهما حين كان شكسبير مقيما سياسيا في الكويت.(٣٥٢)

لقد أثبتت الوثائق البريطانية بأن شكسبير كان يؤدي مهمة عسكرية في معسكر ابن سعود، كلف بها من قبل الحكومة البريطانية كضابط في الاستخبارات، كما كان يشرف على إطلاق القنابل من مدفع كان مع ابن سعود لكونه ضابطا في سلاح المدفعية، وقد طلب منه ابن سعود أن يترك المعركة فرفض ذلك قائلا (إن أوامري أن أكون معكم وفي ذهابي مخالفة لشرفي وأوامري، ويجب أن أبقى بالطبع، أرجو إبلاغ أسفي لحكومة جلالة الملك في بريطانيا)(٣٥٣).

لقد وفى ابن سعود بما أبداه لشكسبير من تعاطف وتعهد ووقف بصف بريطانيا، من خلال الدخول في حرب مع ابن رشيد، الذي كانت الدولة العثمانية في أشد الحاجة إلى قوته العسكرية لحماية البصرة من الهجوم البريطاني القادم من الكويت، ونجح ابن سعود في تحييد ابن رشيد وإشغاله في معركة جراب، التي كان النصر الآني فيها لصالح ابن رشيد، غير أن الهدف الاستراتيجي من الحرب كان قد تحقق لصالح بريطانيا، على يد ابن سعود، ومستشاره العسكري البريطاني الكابتن شكسبير.(٣٥٤)

(٣٥١) العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ١٦٣، وتاريخ الكويت للرشيد ٢١٢، وخزعل ٢/٢١٤، وقصة السيطرة لمي الخليفة٤٠٩، وتحفة المشتاق٤١٢.

(٣٥٢) فصول من تاريخ العراق للمس بيل ص ٨٠.

(٣٥٣) فصول من تاريخ العراق للمس بيل ٨١، وتاريخ الخليج العربي لزكريا ٣/٢٩.

(٣٥٤) انظر تاريخ الخليج العربي لزكريا ٣/٢٧.

لقد كان موت شكسبير كارثة على بريطانيا وعلى ابن سعود الذي لم يعد بعد ذلك قادرا على التأثير في مجريات الأحداث في الجزيرة العربية، ولكن كوكس لم يلبث أن أجرى اتصالاته بابن سعود من جديد.[٣٥٥]

وكان ابن سعود قد كرر طلبه لشكسبير في الدخول تحت الحماية البريطانية مباشرة في يناير قبل مقتله في جراب، ثم بعد موت شكسبير أرسل ابن سعود إلى المقيم البريطاني في الخليج يخبره بموت شكسبير ويعزيهم به، ويطلب منهم إتمام موضوع المعاهدة التي شرع شكسبير في الإعداد لها، كما طلب أن يكون الاتصال به مباشرة عن طريق المسئولين البريطانيين في البصرة، التي باتت تحت الاحتلال، لا عن طريق مبارك الصباح أو الكويت، وقد تم فعلا توقيع اتفاقية الحماية الثانية مع بيرسي كوكس المقيم السياسي لبريطانيا في الخليج، وكان اللقاء بينه وبين ابن سعود في القطيف آخر سنة ١٩١٥م.[٣٥٦]

وقد قامت بريطانيا مباشرة بتقديم دعم مالي إلى ابن سعود وقدره عشرين ألف جنيه، وألف بندقية، وسمحت له باستيراد السلاح من البحرين.[٣٥٧]

وقد عقد ابن سعود لقاء ثانيا مع كوكس في العقير سنة ١٩١٦م، وتم الاتفاق على مواجهة ابن رشيد في حائل، كما دعا كوكس بعد مؤتمر الكويت ابن سعود لزيارة البصرة، فوصلها ابن سعود في زيارة رسمية بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني ١٩١٦م بعد الاحتلال البريطاني لها بمدة يسيرة، حيث تجول بين الوحدات العسكرية والقاعدة الجوية البريطانية في الشعيبة، وهو ما عزز الشعور لدى أهالي البصرة بضرورة الرضوخ للأمر الواقع، وهو ما كانت تهدف إليه بريطانيا من زيارة ابن سعود للبصرة.[٣٥٨]

---

(٣٥٥) المصدر السابق ٣/٢٩.

(٣٥٦) تاريخ العلاقات للسعدون ١٧٠، وقصة السيطرة البريطانية ٤١٠.

(٣٥٧) قصة السيطرة البريطانية ٤١١.

(٣٥٨) عبد العزيز وبريطانيا ص ١٠١.



صور من زيارة عبد العزيز بن سعود وجابر المبارك للبصرة المحتلة بدعوة من المعتمد البريطاني بيرسي كوكس



عبد العزيز بن سعود وخزعل الكعبي شيخ عربستان وجابر المبارك حاكم الكويت مع المندوب السامي البريطاني



عبد العزيز بن سعود مع السيدة جورترود بيل وبيرسي كوكس أثناء زيارته للبصرة

وقد قابل ابن سعود في زيارته للبصرة تحت الاحتلال البريطاني السيدة جورترود بيل -الموظفة في المخابرات البريطانية ثم في المكتب السياسي في بغداد، والتي كانت وراء اختيار الشريف فيصل ملكا على العراق- وقد حصل ابن سعود في هذه الزيارة على خمسة آلاف جنيه مساعدة شهرية، وأربعة مدافع رشاشة، وثلاثة آلاف بندقية مع الذخيرة، بشرط أن يقوم بإعداد جيش من أربعة آلاف جندي، يكون هدفه الرئيسي مقاومة ابن رشيد، ممثل الدولة العثمانية في نجد.[٣٥٩]

(٣٥٩) قصة السيطرة البريطانية ٤١١، وتاريخ الخليج العربي ٣/ ٤٠.

وقد قامت السلطات العسكرية البريطانية التي تسيطر على البصرة بتكريم ابن سعود ودعوته لزيارة مراكز قيادة الجيش البريطاني في الشعيبة، ثم طلبت الحكومة البريطانية هناك أن يوجه كتابا منه يناشد فيه عجمي السعدون شيخ قبيلة المنتفق بالوقوف مع بريطانيا والعمل على تحرير العرب من الدولة العثمانية، فرد عليه عجمي برسالة جاء فيها: (من عجمي السعدون إلى عبد العزيز السعود أخي المبجل من المعلوم أن موقفي هو موقف من يسعى لمرضاة الله العلي العظيم، وأي ولاء أعظم من أن أسارع بإخلاص إلى ما أمرني الله به في كتابه المجيد بالجهاد ضد الكافرين أعداء الله وأعداء الدين، ولا يمكن أن تأخذني في الله لومة لائم، أنا الذي أسعى لحب الله وحماية بلادنا من أن يدنسها الكافرون، وقد كان لي أمل كبير في تدينكم وحميتكم العربية أن توافقوني في آرائي وتؤيدوني فيما أقوم به، من أجل إعلاء كلمة العرب، وليس هذا بفضل الله تمردا، وإذا كانت الحكومة التركية تذب عن حوزة الإسلام فهي عضيدي وعضيد قبائلي، وقد أعطيت عهدا بخدمة ديني وحكومتي وحميتي، وإذا حاججتموني بترك الدين جانبا فإن الواجب يدعوني إلى الوفاء بالعهد الذي قطعته على نفسي لحكومتي وهذا أول ما تقتضيه شيمة العرب)!

وبعد هذا الخطاب لم تبذل الحكومة البريطانية أي مساع لتغيير موقف عجمي السعدون عن مناصرة الدولة العثمانية.[٣٦٠]

كما حرص كوكس على عقد اجتماع خاص في البصرة مع (ابن سعود وفهد بن هذال حاكم عنزة وكان هذا الاجتماع بهدف استغلال الحكومة البريطانية لحليفها الجديد ابن سعود بغية التوسط بينها وبين الشيخ فهد ابن هذال، ويبدو بالفعل أن مساعدة ابن سعود لبريطانيا لدى شيخ عنزة على درجة كبيرة من الأهمية بحيث قررت حكومة الهند أن تزيد المساعدة التي كانت تصرفها له إلى مائة ألف جنيه سنويا، ولا شك أن اجتماعات العقير والكويت والبصرة أدت إلى تحسن موقف الحكومة البريطانية خاصة بعد أن تم الاتفاق مع الشيخ فهد بن هذال الذي كان يسيطر على الطريق الصحراوي بين بغداد ودمشق على حماية الموصلات في المناطق التي وصل إليها النفوذ البريطاني في العراق)[٣٦١].

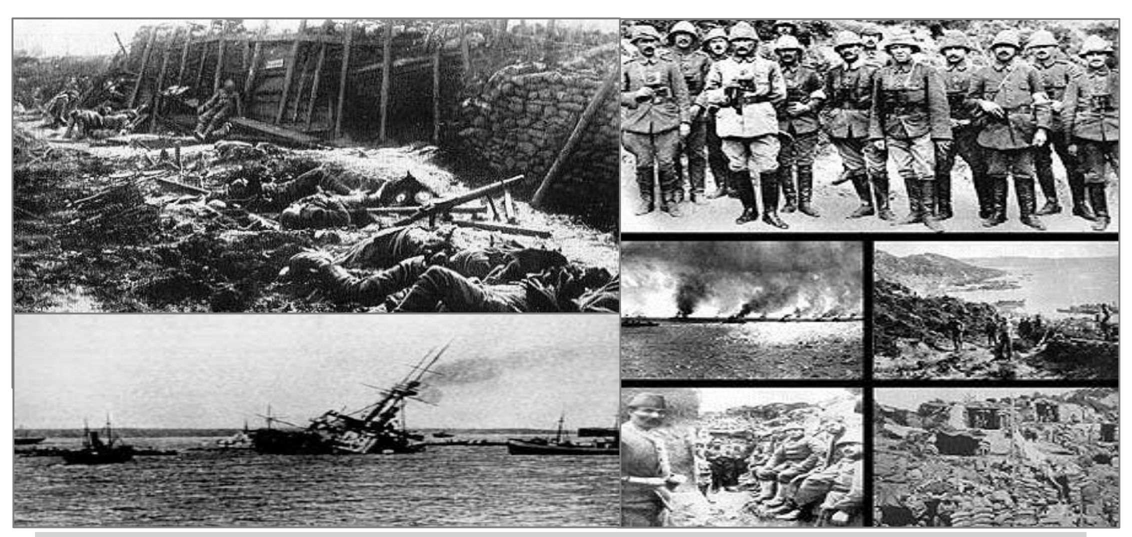
(٣٦٠) فصول من تاريخ العراق للمس بيل ٨٣، وتاريخ الكويت السياسي لخزعل ٣/١٠٨.

(٣٦١) تاريخ الخليج العربي لزكريا ٣/٤٠، وعبد العزيز وبريطانيا ص ١٠٢.

وقد حاول عجمي السعدون العبور من أراضي قبيلة عنزة للحاق بالجيش العثماني بالشمال، فرفض فهد بن عبد المحسن الهذال شيخ عشائر عنزة، وخالفه ابن عمه فهد بن دغيم الهذال وأذن له بالعبور وقال له: (إننا نترك اليوم العداوة القديمة بيننا لوقت آخر، أما اليوم فالواجب أن نقف مع إخواننا المسلمين في الجهاد ضد الأعداء)، فنزل عجمي السعدون وخيم عنده، فأرسلت بريطانيا قوة عسكرية بقيادة القائد البريطاني لجمن للهجوم عليه ومعهم فهد بن عبد المحسن الهذال، فتصدى لهم عجمي ومن معه فهزمهم، ثم ارتحل إلى شمر وترك أهله عندهم، وتوجه إلى تركيا شمالا، فأكرموه ومنحوه بلدة كرموش.(٣٦٢)

- هزيمة جيوش الحلفاء في الغرب والشرق سنة ١٩١٥م:

وفي هذه الفترة التي بدأت فيها جيوش الخلافة العثمانية تتصدى لجيوش الحملة الصليبية على أراضيها (الجيش الروسي الأرثوذكسي شمالا، والجيش البريطاني البرتستانتي جنوبا، والجيش الفرنسي الكاثوليكي وحلفائه غربا) كانت جيوش الحلفاء تواجه أكبر هزيمة عسكرية في حملة غاليبولي للسيطرة على مضيق البسفور واحتلال إسطنبول، تلك الحملة التي تصدى لها الجيش العثماني ببسالة بهرت قادة جيوش الحلفاء، وأوقعت بقواتهم عشرات الآلاف من الضحايا، وأدت إلى سقوط الحكومة



صور من معركة غاليبولي التي انتصر فيها الجيش العثماني وتظهر فيها سفن بريطانية مصابة بمدافع العثمانيين وقتلى من الجنود الأستراليين التابعين للجيش البريطاني

(٣٦٢) التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ص٤٨٧-٤٨٠.

البريطانية في مايو ١٩١٥م، وإقالة تشرشل عن القيادة العسكرية وكما يقول فرومكين: (فقد أخفقت الأوساط السياسية البريطانية في استيعاب حقيقة جوهرية، وهي أن قيادة قوات البر والبحر البريطانيين يخسرون الحرب، وأن الحلفاء هم الجانب الخاسر في الحرب الدائرة في الشرق، وأن الجانب الآخر العثماني هو الجانب الرابح، وأن شجاعة وصمود الجنود الأستراليين والنيوزلنديين والبريطانيين والفرنسيين، كانت تماثلها شجاعة وصمود خصومهم العثمانيين) (٣٦٣).

- هزيمة الجيش البريطاني في معركة كوت العمارة:



خنادق العثمانيين أثناء حصار كوت العمارة

وفي الوقت الذي استطاع الجيش العثماني هزيمة الحلفاء في الغرب، نجح أيضا في هزيمتهم في الشرق، حيث استطاع في العراق أن يحاصر الجيش البريطاني في كوت العمارة، ذلك الجيش الذي تحرك منذ أن أعلنت بريطانيا الحرب على الدولة العثمانية في ١٩١٤/١١/٦م نحو البصرة، وقد تراجع أمامه الجيش العثماني، مما دفع البريطانيين للتقدم، حتى حاصرهم الجيش العثماني في العمارة مدة ١٤٦ يوما، حاول البريطانيون خلالها فك الحصار عنهم بأي وسيلة، فلم ينجحوا، حيث تم تدمير القوات البريطانية المحاصرة، إلى أن استسلم قائدها دون شرط في شهر أبريل سنة ١٩١٥م، وتم اقتياد الجنود الذين أنهكهم الجوع والمرض إلى الأناضول، حيث مات أكثرهم في الطريق، ولم يبق منهم على قيد الحياة سوى عدد قليل، بعد أن لحق بهم عشرة آلاف إصابة، وثلاث وعشرون ألف إصابة في القوات التي جاءت من أجل إنقاذها، وعلى حد فرومكين (كانت هذه مذلة قومية أخرى حلت ببريطانيا على يد العدو

---

(٣٦٣) ولادة الشرق ١٨١.

العثماني، الذي كان البريطانيون دائما يعتبرونه عديم الفاعلية، وكان المكتب العربي في القاهرة يعتزم سحقه بواسطة عمل تخريبي داخلي في وقت لاحق من عام ١٩١٦م) [٣٦٤].

---

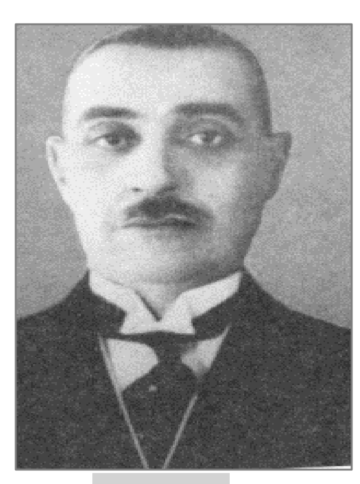
(٣٦٤) ولادة الشرق ٢٢٨.

الفصل الثاني

مشروع الثورة العربية والمملكة العربية المتحدة.

- **الإعداد البريطاني للثورة العربية وخيانة الدولة العثمانية:**

لقد كانت الاستخبارات البريطانية قبل الحرب العالمية بسنوات طويلة تعد لهذه الثورة التي ستقلب موازين الحرب لصالح بريطانيا على يد بعض زعماء وقادة العرب، بعد خيانتهم للدولة العثمانية التي كانوا يعملون كموظفين تابعين لها في ولاياتها، وقد رفض الضباط العرب في الجيش العثماني التورط في هذه الخيانة التي تورط فيها بعضهم، فقد ثبت كما يقول فرومكين: (أن السكان العرب لم يغيروا ولاءهم، وأن الجنود العرب أظهروا ولاءهم ليس فقط للإسلام، بل للحكومة العثمانية أيضا، وقد جاء في مذكرة أعدتها المخابرات البريطانية على أساس مقابلات مع الضباط العرب الأسرى في معسكرات أسرى الحرب، أن معظم الضباط كانوا في الحقيقة مؤيدين للحكومة العثمانية، وحتى الأقلية منهم التي لم تكن مؤيدة لم تستطع بوازع الضمير أن تقبل القيام بثورة مسلحة والبلاد في مواجهة العدو)[٣٦٥].


سليمان فيضي


توماس لورنس الملقب بـ (لورنس العرب)

وهذا ما عبر عنه سليمان فيضي للكابتن لورنس العرب في ٤/١٩١٦م بعد احتلال الجيش البريطاني للبصرة حيث تم استجواب فيضي على يد لورنس الذي سأله:

(أليس الترك أعداءكم؟ ألم يكن مستعبديكم؟ ألم تكونوا تؤلفون الجمعيات السرية للتخلص منهم؟

---

(٣٦٥) ولادة الشرق ٢٣٣.

فرد عليه فيضي -الذي كان سكرتيرا لجمعية الإصلاح التي يرأسها النقيب- فقال: أما الترك فلم يستعبدونا قط، ولم يكن أي فرق بين التركي والعربي سواء من جهة الحقوق أو من جهة الوظائف في الدولة والجيش، فالتركي والعربي متساويان في الدرجات والحقوق والوظائف، وكما أن التركي يكون واليا ومتصرفا كذلك العربي، وكل الوظائف في بلادنا تقريبا بيد أهل البلد، أما تأليفنا الجمعيات السرية وعملنا ضد الأتراك فأسباب ذلك النزاع تنحصر في أمور محددة، ولو لم تحدث الحرب لكانت البلاد العربية قد حصلت على أكثر مطالبها)[٣٦٦].

- الخطط البريطانية لصناعة الزعامات العربية:

لقد طلب لورنس من فيضي أن يقوم بتدبير أمر الثورة ضد العثمانيين في المناطق التي ما زالت تحت حكمهم، ووعده بجعل أموال البنك تحت تصرفه، وكذا كل ما يحتاجه من السلاح من أجل الثورة، وعندما اعتذر فيضي عن ذلك محتجا بأنه لا نفوذ له ولا عشيرة يستطيع تحريكها أجابه لورنس العرب بقوله: (إن المال الذي سأجعله تحت أمرك هو الذي يجعل الناس يلتفون حولك من كل جانب، فإذا نصبت لك خياما عديدة في جهة من البر، وعينت لك عددا كبيرا من الحراس والخدم، وهيأت الزاد، وبذلت الأموال والهدايا والعطايا أصبحت رئيسا مطاعا، وأقبل الناس إليك أفواجا، وجمعت لك في مدة وجيزة جيشا عظيما لا يقاوم، ولا أهمية لما تذكره من تألم الشعب فإنه وقتي!) [٣٦٧].

وهذا يفسر كيف ظهرت فجأة زعامات في الخليج والجزيرة العربية في مطلع القرن العشرين، لتشكل تحالفات قبائلية كبرى، وتقود جيوشا عشائرية جرارة لا يستطيع أحد جمعها إلا الذهب البريطاني والتخطيط البريطاني والسلاح البريطاني، وهو ما نشاهد مثله اليوم في أفغانستان والعراق!

لقد وجدت بريطانيا ضالتها ليس في الضباط العرب في الجيش العثماني، والذي يشكل العرب فيه نسبة كبيرة جدا، ولا في قادة الأحزاب والمنظمات العربية السرية، ولا في الزعماء السياسيين في المدن والأمصار، بل في الصحراء العربية في الحجاز ونجد والخليج!

---

(٣٦٦) مذكرات سليمان فيضي ٢٣٣.

(٣٦٧) مذكرات سليمان فيضي ٢٢٩.

- التخطيط البريطاني للقضاء على قبيلة العجمان في الأحساء:

وبعد معركة جراب وانتصار ابن رشيد على ابن سعود المدعوم بريطانيا، نجحت الدولة العثمانية في تشكيل تحالف بين ابن رشيد وقبيلة العجمان القوية بقيادة ابن حثلين -التي يمتد نفوذها من الأحساء جنوبا إلى مدينة الكويت شمالا- لتستطيع بذلك تحييد ابن سعود وشل حركته، حتى يستطيع ابن رشيد تقديم الدعم للدولة العثمانية في حربها الدائرة في العراق مع البريطانيين هناك، وقد قدمت الدولة العثمانية دعما ماليا للعجمان مقابل صمودهم.

وبعد توقيع بريطانيا معاهدة دارين مع ابن سعود في شهر ٤ سنة ١٩١٥م خططت بريطانيا لضرب العجمان أعداء ابن سعود في الأحساء فقد (استفاد ابن سعود فائدة كبيرة من توقيع معاهدة القطيف في إمداد بريطانيا له بالسلاح الذي كان في حاجة ملحة إليه لمقاتلة العجمان حلفاء آل رشيد، هذا بالإضافة للمساعدات النقدية، والمساعدات العينية، كما سهلت له بريطانيا استيراد الذخيرة لحسابه الخاص من البحرين، حتى يستطيع أن يفي باحتياجات الحملة التي وجهها ضد قبائل العجمان) [٣٦٨].

وقد أرسل الوكيل السياسي في الكويت وليم جراي -وكان وكيلا من ١٩١٥-١٩١٧م- رسالة إلى المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي يؤكد له دعم ابن رشيد للعجمان، ودعم العثمانيين له، وقد دعمت بريطانيا ابن سعود من أجل القضاء على العجمان -كما يقول فيلبي- بعشرين ألف جنيه، وألف بندقية، ومهد له الوكيل السياسي في البحرين السبيل لاستيراد الذخيرة والمعدات الحربية لدحر العجمان.[٣٦٩]

وقد قامت بريطانيا بالتنسيق بين مبارك الصباح وابن سعود، للقضاء على خطر العجمان جنوبا وكسر شوكتهم، ليتمكن ابن سعود بعد ذلك من الهجوم على حائل شمالا، واتفق ابن سعود ومبارك على تحريك قوات مشتركة لتنفيذ الهجوم المرسوم، ووصل ابن سعود إلى الأحساء في شهر ٦ سنة ١٩١٥م، قبل أن تصله قوات الكويت بقيادة سالم بن مبارك، وهجم ابن سعود على العجمان في معركة (كنزان)، غير أنهم نجحوا في هزيمته وقتل أخيه سعد بن عبد الرحمن، فانسحب ابن سعود إلى الهفوف حيث أرسلت

---

(٣٦٨) تاريخ الخليج لزكريا ٣/٣٥.

(٣٦٩) تاريخ نجد لجون فيلبي ص ٣١٨، وعبد العزيز وبريطانيا ص ١٨٥.

إليه الحكومة البريطانية الأسلحة والذخيرة من البحرين على الفور، كما جاء في برقية الوكيل السياسي في البحرين إلى المقيم السياسي في الخليج العربي بتاريخ ١٩١٥/٨/٦م.[٣٧٠]

وقد بلغ عدد قوات ابن سعود أربعة آلاف مقاتل، وقد تعرضت لهزيمة شنيعة على يد العجمان، وتكبدت خسائر فادحة في المعركة.[٣٧١]

وبعد وصول المدد العسكري البريطاني من البحرين، ووصول جيش سالم الصباح إلى الأحساء، واتباع الخطة العسكرية -التي أيدها الوكيل السياسي البريطاني في الكويت الذي رسمها ابتداء وأمر مبارك بها- نجح ابن سعود وسالم في هزيمة العجمان في شهر أكتوبر سنة ١٩١٥م بعد أن تم محاصرتهم من ثلاث جهات، مما اضطرهم للرحيل شمالا نحو الكويت، حيث استقبل مبارك الصباح شيوخ العجمان استقبلا لائقا بعد أن شرط عليهم لزوم الهدوء.[٣٧٢]

وقد كانت الخطة البريطانية تهدف إلى فتح الطريق للعجمان لإخلاء الأحساء منهم، حتى يتفرغ ابن سعود للمهمة التي ستوكل إليه بعد ذلك للهجوم على حائل، وقد كان مبارك يسير على هدي ما يشير به عليه الوكيل السياسي في الكويت، والذي كان قد وضع خطة مبارك في الهجوم على العجمان من ثلاث جهات، فلما تحقق لبريطانيا ما تريد من إخراج العجمان من الأحساء، وكسر شوكتهم، أرادت أن تحاصرهم في منطقة محددة ليكونوا تحت المراقبة، وهو ما نفذه مبارك، غير إن ابن سعود لم يرض من مبارك أن يقوم بحماية أعدائه العجمان، ولهذا أرسل ابن سعود إليه رسالة جاء فيها: (إنني لم أحارب العجمان إلا إكراما لك)[٣٧٣].

وهو ما يؤكد أن حرب العجمان في الأحساء كانت بإيعاز من مبارك، الذي كان يتحرك ضمن المشروع البريطاني المحكم، والذي نجحت بريطانيا في توظيف الجميع من أجل إنجاحه وتحقيقه، وقد دفعت

---

(٣٧٠) تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ١٧٢-١٧٣.

(٣٧١) عبد العزيز وبريطانيا ١٨٤ نقلا عن الوثائق البريطانية.

(٣٧٢) تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ١٧٤-١٧٦، وكان هذا بإيعاز بريطاني لتحييد العجمان وفرض إقامة جبرية عليهم بعيدا عن خطوط المواجهة بين حلفائها وابن رشيد.

(٣٧٣) تاريخ الكويت لخزعل ٢/٢١٩.

القبائل ثمن هذا المشروع فادحا من خلال ما تعرضت له من تهجير وقتل وتشريد من أراضيها بشكل جماعي، ومحاصرتها في مناطق معزولة كإقامة جبرية، وهو شبيه تماما لما تعرض له الهنود الحمر في أمريكا على يد الأنجلو سكسون![٣٧٤]

وقد توفي مبارك بعد ذلك في شهر نوفمبر سنة ١٩١٥م، بعد أن قام بتنفيذ كل ما يشير به عليه الوكيل السياسي البريطاني في الكويت مدة عقد كامل، وكانت قد تعهدت له بريطانيا مقابل وقوفه مع الحلفاء (أن تضمن الحكومة البريطانية في كل الأزمان بقاء الشيخ مبارك وورثته وخلفاءه شيوخا على الكويت، ومنذ اللحظة التي احتلت فيها القوات البريطانية العراق ظلت الحكومة البريطانية محافظة على تعهداتها والتزاماتها تجاه شيخ الكويت)[٣٧٥].

وهي التعهدات نفسها التي تعهدت بها بريطانيا لحلفائها في المنطقة، وما زالت شعوب الخليج العربي تدفع ثمنها غاليا إلى اليوم بمصادرة حقها الطبيعي كبقية شعوب العالم في اختيار حكوماتها، وما زال الاستعمار وفيا بالتزاماته لها، وما زالت هي وفية بالتزامها تجاه مشروعه الاستعماري الصليبي في المنطقة على حساب حرية شعوبها وسيادتها واستقلالها!

وقد كانت بريطانيا حين وفاة مبارك قد وطدت علاقتها بابن سعود، ووقعت معه معاهدة حماية في ٤ ديسمبر ١٩١٥م، أي بعد وفاة مبارك بشهر واحد، إذ سيحل ابن سعود محل مبارك الصباح في استكمال تنفيذ المشروع البريطاني في المنطقة.

وفي ٢٢/ ١٢/ ١٩١٥م أمرت بريطانيا جابر المبارك بترحيل العجمان من الكويت، وأمرته بمنعهم من التزود بالمؤن من سوقها، وحاصرتهم شمالا في صفوان جنوب الزبير وفرضت عليهم إقامة جبرية في هذه المنطقة، لمراقبتهم حتى لا يقدموا الدعم لحائل أو للسعدون حليفي الدولة العثمانية، وقد ذهب

---

(٣٧٤) وما زال بعض كبار السن من الرجال والنساء من القبائل يروون قصصا مروعة لما تعرضوا له على يد حلفاء بريطانيا وطيرانها من حروب وقتل وتشريد أصبح أكثره طي النسيان إلا أن التاريخ لا ينسى!

(٣٧٥) الكويت وجاراتها ١/١٤٥.

قسم من العجمان للسعدون، وقسم آخر لحائل، وقد نجحت بريطانيا بعد ضغطها على العجمان ومحاصرتهم، وقطع الإمدادات عنهم، في الحصول منهم على تعهد بلزوم الهدوء.[٣٧٦]

وقد بعثت بريطانيا الكولونيل هاملتون الوكيل السياسي لحكومة الهند البريطانية في الكويت إلى الرياض في آخر سنة ١٩١٧م وقضى مدة ثلاثة أسابيع في الرياض، وكان هدف بعثته تشجيع ابن سعود على مهاجمة حائل، ومحاصرة الحاميات العثمانية فيما وراء حدود العراق الغربية، وفرض الحصار على طرق الإمداد عبر الصحراء بين دمشق والأتراك، ووضع سياسة سلمية بين ابن سعود والعجمان يرضى بها الطرفان.[٣٧٧]

وقد أثار هاملتون مع ابن سعود المشكلات التي تخص عددا من القبائل في المنطقة كالعجمان والعوازم ومطير، خاصة مشكلة مغادرة مطير والعوازم الكويت وتوجههم للأحساء، وقد عرض ابن سعود على هاملتون أن يرد مطير والعوازم إلى الكويت، بشرط أن تطرد الكويت شيخ العجمان ابن حثلين، وأن يقطع ابن حثلين اتصالاته مع ابن رشيد، ووافق هاملتون على هذه الشروط.[٣٧٨]

وقد كتب هاملتون باقتراحاته لحكومته وتضمنت:

١. رغبة ابن سعود في معاملة بريطانيا له كمعاملتها للشريف حسين.
٢. رغبته باعتراف بريطانيا بمركزه في نجد، وأن يحظى من بريطانيا بلقب (جلالة حاكم نجد).
٣. كما يرغب بأن تخضع وتدين له جميع القبائل العربية في وسط الجزيرة العربية وتشمل عنزة ومطير وعتيبة وبني هاجر والدواسر والمناصير وبني عبد الله من مطير والعجمان والظفير وشمر، وأن تصبح هذه القبائل تحت سيادته، وأن يحصل على تفويض من بريطانيا عن طريق المقيم البريطاني في الخليج العربي يعترف بموجبه بتبعية هذه القبائل لسلطته.

---

(٣٧٦) تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ١٨٥، وتاريخ الخليج لزكريا ٣/٥٦.

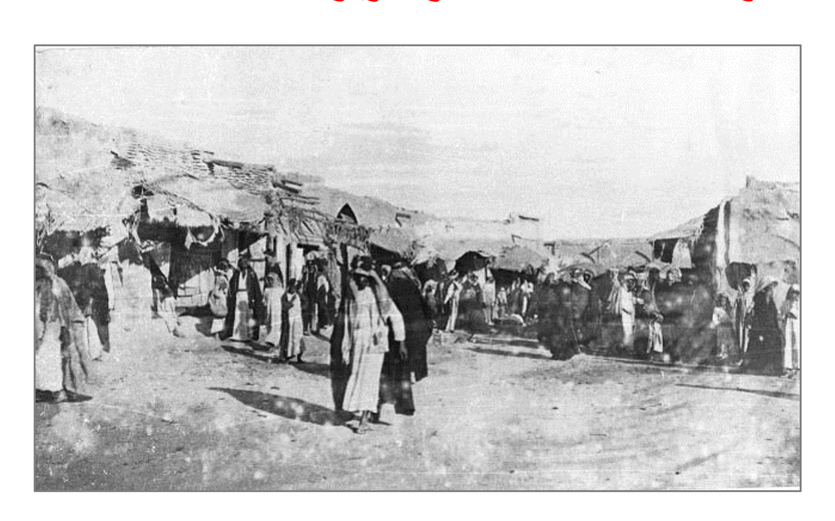
(٣٧٧) عبد العزيز وبريطانيا ص ١٠٥، نقلا عن (يوميات هاملتون).

(٣٧٨) عبد العزيز وبريطانيا ص ١٠٥، وتاريخ العلاقات البريطانية الكويتية للخترش ص٩٣.

٤. يتعهد ابن سعود مقابل ذلك بعدم الدخول في علاقات مع أي دولة غير بريطانيا، كما يمتنع عن التعرض للقبائل العربية أو القوى الحليفة لبريطانيا.[٣٧٩]

وهذا ما تحقق فعلا حيث تم إخضاع قبائل المنطقة الرئيسية العصية لسيطرة ابن سعود من خلال الدعم المالي والعسكري التي قدمته بريطانيا له مقابل تنفيذ مشروعها الاستعماري للمنطقة، واضطرت القبائل الرئيسة في نجد والأحساء، والتي كانت تستلم مخصصاتها من خزينة الدولة العثمانية، إلى الخضوع والتبعية لبريطانيا، بعد سيطرتها على المنطقة!

- المحمية البريطانية لقبيلة العجمان جنوب الزبير:



كما قامت بريطانيا بعد وفاة جابر وتولي سالم الصباح للحكم سنة ١٩١٧م والذي كان يميل إلى دعم العجمان والسماح لهم بدخول الكويت (بعقد تسوية مع كل من ابن سعود وسالم الصباح وشيوخ العجمان في ٤ مارس ١٩١٨م تم الاتفاق بموجبها على أنه بموجب إرادة صديق بريطانيا ابن سعود، وبعد توسط الشيخ سالم للعجمان الذين هم تحت رعايته الآن، فقد وافقت الحكومة البريطانية أن تجعل قبائل العجمان تحت حمايتها لمدة عام من نهاية الحرب، شريطة انتقالهم إلى مكان آخر تحميهم فيه جنود بريطانية، وتوافق عليه بريطانيا، وألا يدخلوا الكويت إلا بتصريح من المندوب البريطاني في العراق وبعد موافقة مسبقة من شيخها، وأن تعتبر مقاطعات الكويت خارجة عن حدود القبيلة، وأنه بعد توقيع هذه الاتفاقية من قبل شيوخ العجمان ينقلون إلى الزبير إلى حين تحديد مكان آخر لاستقرارهم

(٣٧٩) عبد العزيز وبريطانيا ص ١٠٦ نقلا من مذكرات هاملتون.

فيه، وأن هذه القيود لا تفرض على أفراد العجمان الذين يعيشون في الكويت والذين يشتغلون في صيد اللؤلؤ وفي حياتهم العامة، وإنما تفرض على الشيخ ابن حثلين وأتباعه من الشيوخ البارزين)[٣٨٠].

وكان الهدف من فرض الحصار عليهم حتى يستطيع ابن سعود التقدم شمالا ليحتل حائل عدوة بريطانيا التي ما تزال المدينة الرئيسية الوحيدة في نجد في هذه الفترة التي ترفض التعاون مع بريطانيا ضد الخلافة العثمانية، ولم يستطع ابن سعود الهجوم عليها بعد أن أمره البريطانيون بذلك، بسبب وجود العجمان في جانبه الجنوبي والشرقي، مما حدا ببريطانيا لطردهم ومحاصرتهم شمال الكويت في أبعد نقطة عن ابن سعود، ليتفرغ للمهمة التي أوكلته بالقيام بها.

وقد كان السبب في ترحيل العجمان من الكويت إلى صفوان، هو ما وصل بريطانيا من معلومات بأن جابر المبارك -للتأثير الديني عليه- كان يميل قلبيا مع الدولة العثمانية وحليفها ابن رشيد، وكانت صلته به قوية، وسعى للإصلاح فيما بينه وبين ابن رشيد، الذي وصل بقواته، حتى نزل على الجهراء، وأرسل رسالة يطمئن الكويت فيها إلى حسن نواياه، حيث لم يعد أمامه طريقا للتموين إلا ميناء الكويت، بعد أن أصبحت البصرة والزبير تحت الاحتلال البريطاني، وهو ما عرض حائل للخطر بقطع طرق التجارة عنها ومحاصرتها، وقد علمت بريطانيا بهذه الحركة، فأرسلت برسالة لجابر، نصت على أنه لا يحق له بموجب المعاهدة أن يدخل في أي علاقة ودية مع ابن رشيد، قبل قيامه بالتشاور الكامل مع السلطات البريطانية، وقد اعتذر جابر لها بأنه كان يحاول إقناع ابن رشيد بالتحالف مع بريطانيا، غير أن بريطانيا ظلت تشك في موقفه، وأرسلت له رسالة تهديد وتحذير شديد اللهجة، أعلن جابر بعدها خضوعه المطلق لبريطانيا، ورغبته في تنفيذ رغباتها، وقد أمرته بمنع قوافل التجارة المتجهة لحائل ومصادرتها، فنفذ الأمر.[٣٨١]

وبعد أن حكم سالم الصباح بعد أخيه جابر الذي لم يعش طويلا تعاطف سالم مع العجمان لميوله الدينية مع الدولة العثمانية، وأخذ يدعمهم ضد ابن سعود سرا، إلى أن توسط كوكس بينهما على أن يكف ابن سعود عن تهديد الكويت شريطة أن يقوم سالم بطرد العجمان إذا لجأوا إليه بعد هجوم

---

(٣٨٠) تاريخ الخليج العربي لزكريا ٣/٥٨.

(٣٨١) تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد ١٩٢-١٩٥، وتاريخ الكويت للرشيد ٢٣١.

ابن سعود عليهم (والواقع أن شيخ الكويت كان يود توسيع إمارته على حساب مناطق العجمان في الجنوب فساعدهم على الثورة على ابن سعود بتوزيع الأسلحة عليهم مما جعل مركز ابن سعود حرجا من كل جانب)[٣٨٢].


جابر المبارك الصباح


سالم المبارك الصباح

ويلاحظ أن جابر المبارك وبعده سالم المبارك لم يحكما طويلا، وكلاهما لم يكن مخلصا لبريطانيا، وكلاهما توفي في ظروف غامضة!

وقد ألح ابن سعود في طلب مقابلة مع كوكس وتمت في العقير في شهر ١١ سنة ١٩١٦م، حيث أوضح ابن سعود لكوكس سبب فشله في تنفيذ ما طلب منه بشن هجوم على حائل شمالا، وأن ذلك يعود لحروبه مع العجمان وآل مرة، وأنه لا يستطيع مواصلة الحرب في جبهتين في آن واحد، وقد عني اجتماع العقير هذا ببحث الطرق والوسائل التي تمكن ابن سعود من تجهيز حملة عسكرية قوية ضد ابن رشيد.[٣٨٣]

غير أنه (لم تمض مدة طويلة على استقرار العجمان في شمال الكويت حتى حدثت بينهم وبين قبيلة مطير وقبيلة الهواجر عدة اشتباكات، كما هاجموا بعض القوافل النجدية، وعندما أبدى ابن سعود استياءه من ذلك، وجهت الحكومة البريطانية تحذيرات إلى شيوخ العجمان وتركهم لانتقام ابن سعود، وفي الوقت نفسه أبلغت السلطات البريطانية ابن سعود أن في إمكانه اتخاذ ما يراه مناسبا لتأديب العجمان، ونتيجة لذلك سنحت الفرصة لابن سعود لتوجيه غزوة ضد العجمان انتهت باستسلامهم

---

(٣٨٢) تاريخ الخليج العربي ٣/٣٥.

(٣٨٣) تاريخ الخليج العربي لزكريا ٣/٣٧.

وخضوعهم له في عام ١٩١٩م، حيث اعترفوا به إماما عليهم، وانخرطوا في صفوف الإخوان التي لم يكونوا قد انضموا إليها بعد لأنهم كانوا يتوجسون من نوايا ابن سعود الرامية إلى إضعافهم)[٣٨٤].

ولم يقتصر ابن سعود على ذلك بل (لجأ إلى تطبيق سياسة الحصار التجاري بعد مؤتمر العقير، وهو المؤتمر الذي خرج منه غانما الكثير من قبائل الكويت وأراضيها، ولذلك أدرك أن كثيرا من القبائل التي انتقلت تبعيتها إليه كالعوازم والعجمان ومطير لها علاقات وثيقة بالكويت، وكان من الطبيعي إذا ما حدث اتصال تجاري أن تعود الاتصالات بين هذه القبائل وبين الأقسام التي استمرت تحت تبعية الكويت، إذ أن النجديين كانوا لا يكتفون فقط بالمسابلة –أي: المتاجرة– وإنما كانت تتم مصاهرات بينهم وبين قبائل الكويت، ولما كان ابن سعود يخشى من وجود هذه العلاقة فقد تشدد في فرض الحصار التجاري، لأن ذلك من شأنه أن يقف حائلا أمام اتصالات قبائله بقبائل الكويت التي هي في حقيقة الأمر جزء منها)[٣٨٥].

وهكذا دفع شعب الخليج والجزيرة والقبائل الرئيسة في المنطقة ثمن المخطط البريطاني الخطير، الذي جزأ الشعب والقبيلة الواحدة، بين حلفاء بريطانيا الجدد، يتقاسمون عشائرها وأراضيها، التي طالما عاشت عليها حرة عزيزة موحدة، ولتحاصرها بريطانيا في كانتونات جديدة، ولتقسم أراضيها التي عاشت عليها قرونا طويلة لصالح دويلات الطوائف الجديدة التي لم يكن لها أي وزن أو وجود قبل تحالفها مع الاستعمار البريطاني الذي كافأها على ذلك بترويض القبائل لها، وإحكام السيطرة عليها، ومد نفوذها إلى داخل الصحراء من خلال سلاح البحرية والطيران البريطاني، لا لتصبح جزءا منها له كامل الحقوق على الأرض التي كانت في الأصل لها، بل لتتحول إلى فئات دخيلة على أراضيها، خاضعة لسيطرة الأسر التي ضمنت بريطانيا لها الحكم بشكل وراثي نهائي، واعترفت لها بالأرض والسلطة والثروة وحق منح امتياز النفط، قبل أن تصبح دولا، وقبل أن يكون لها شعب، لتبدأ أزمة الهوية في الخليج والجزيرة العربية، ولتدفع شعوب المنطقة ضريبة الاحتلال البريطاني، وضريبة قيام دويلات الطوائف، وإقطاعيات الأسر الحليفة له، وضريبة سقوط الدولة العثمانية الموحدة لكل مدنها وقبائلها

(٣٨٤) تاريخ الخليج العربي ٣/٥٩.

(٣٨٥) تاريخ الخليج العربي ٣/١٠٦.

مدة خمسمائة عام، بل وسقوط الدولة الإسلامية الموحدة تحت ظل الخلافة منذ ظهور الإسلام إلى سقوطها في الحرب العالمية الصليبية الثامنة على العالم الإسلامي!

- الثورة العربية والاحتلال الصليبي للحجاز ومؤتمر الكويت سنة ١٩١٦م:

وفي الوقت التي كانت جيوش الحلفاء تجر أذيال الخيبة والهزيمة، بعد معركة غاليبولي على يد الجيش العثماني، وفي أواخر سنة ١٩١٥م، رجع مارك سايكس إلى لندن يحمل خبرا (أكثر مدعاة للذهول في ذلك الحين، وأهميته أكثر ديمومة، إنه نبأ شاب عربي غامض ادعى أمام سايكس أنه وأصدقاءه يستطيعون مساعدة بريطانيا على كسب الحرب، كان اسمه محمد شريف الفاروقي، لا شيء كان معروفا عن الفاروقي آنذاك، وقليل ما هو معروف عنه الآن)[٣٨٦].

- مشروع المملكة العربية المتحدة:

لقد كان الفاروقي وسيط المنظمات العربية القومية السرية والشريف حسين أمير مكة، الذي عرض على بريطانيا وقوف العرب معها، مقابل الاعتراف بحقهم في إقامة دولة عربية تضم الجزء العربي الآسيوي من الدولة العثمانية، أي الشام، والعراق، والجزيرة العربية، وكان الشريف قد اتفق مع المندوب السامي البريطاني في مصر هنري مكماهون منذ بداية الحرب العالمية في خريف ١٩١٤م أن يلزم الحياد كقوة روحية دينية دون أن يقف مع بريطانيا ماديا، فالمهم أن لا يستخدم مكانته الروحية ضد بريطانيا، غير أن موقف بريطانيا تغير بعد هزيمتها في غاليبولي، وبعد لقاء الفاروقي الذي أكد للبريطانيين أنه يمثل منظمات عربية سرية خلف خطوط الجيش العثماني، وأنها قادرة على الثورة ضد الدولة العثمانية، إذا ضمنت بريطانيا إقامة مملكة عربية واحدة كما طلب الشريف حسين، وقد اقتنع البريطانيون بأن الثورة العربية هي الأمل الوحيد لإنقاذ جيوش الحلفاء التي كانت تقاتل في سبيل

---

(٣٨٦) ولادة الشرق ١٩٥.

إنقاذ أرواح جنودها، عند أطراف جزيرة غاليبولي في مضيق الدردنيل.[٣٨٧]

لقد كان النصر حليف الجيش العثماني مدة سنتين من اندلاع الحرب العالمية الأولى وكما يقول فرومكين: (كان أداء الدولة العثمانية في زمن الحرب ناجحا نجاحا مدهشا، فقد كانت تحارب على ثلاث جبهات، فهزمت بريطانيا وفرنسا في الفترة ما بين ١٩١٥ إلى ١٩١٦م، وسحقت قوات الهند البريطانية الزاحفة في الشرق -في العراق- وأوقفت قوات الغزو الروسي في الشمال، وكان الأداء العثماني خلف خطوط العدو أيضا مثيرا للإعجاب)[٣٨٨].



الشريف حسين أمير مكة



هنري مكماهون المندوب السامي البريطاني في مصر

لقد كانت ثورة الشريف حسين، وخيانة العرب في الجزيرة العربية، في يونيو ١٩١٦م، هي التي ستؤدي إلى قلب الموقف، وإلى كسب بريطانيا الحرب العالمية الأولى، وإنقاذ الحلفاء من هزيمة كانت قد تحققت على يد الجيوش العثمانية!

- بداية الثورة العربية والاحتلال البريطاني للحجاز:

لقد بدأ الشريف حسين بثورته العربية بعد أن طلب من الدولة العثمانية نصف مليون جنيه من الذهب، لتجهيز جيش لمواجهة البريطانيين، وحماية الحجاز، وفي نفس الوقت استلم دفعة من بريطانيا، لتجهيز الثورة على الخلافة العثمانية، وبعد إعلانه للثورة في يونيو ١٩١٦م، طلب من بريطانيا حماية سواحل الحجاز، لمنع أي إنزال عثماني بجري على سواحل البحر الأحمر، إلا أنه لم يتعاطف معه أحد من

(٣٨٧) ولادة الشرق ١٩٦-٢٠٠.

(٣٨٨) ولادة الشرق ٢٣٩.

العرب (فلم تنضم إليه أي وحدات عربية في الجيش العثماني، ولا انضم إليه، ولا إلى الحلفاء أية شخصية سياسية أو عسكرية في الدولة العثمانية، وكانت قوات الحسين مؤلفة من بضعة آلاف من رجال القبائل، الذين يحصلون على دعم مالي من بريطانيا، وهجماتهم على الحاميات العثمانية في مكة، والطائف، والمدينة، وجدة، قد صدت، ولم يكن هناك أي تأييد منظور للثورة في أي جزء من العالم العربي، وقد هبت السفن والطائرات البريطانية لنجدتها، فهاجمت جدة، وما أن ضمن البريطانيون السيطرة على الميناء، حتى أنزلوا جنودا مسلمين من الجيش المصري، بدأوا تقدمهم إلى الداخل لمساعدة الشريف في السيطرة على مكة والمدينة، وهكذا سيطر الأسطول البريطاني على ساحل شبه الجزيرة على البحر الأحمر، وأقام وجودا بريطانيا على البر في الموانئ)[٣٨٩].

بل حتى المنظمات السرية العربية في الشام والعراق، التي كان يراهن الشريف حسين على تأييدها للثورة (كانت تعارض شديد المعارضة مخططات بريطانيا تجاه الشرق الأوسط، وكانت عازمة على مساندة الدولة العثمانية لمواجهة الخطر الأوربي، وظلت وفية لما عزمت له، لقد فضلت الحكم الذاتي، أو الاستقلال إذا أمكن تحقيقه، وإلا فإنها تفضل حكم المسلمين الأتراك على حكم المسيحيين) [٣٩٠].

لقد كان القوميون العرب يختلفون عن القوميين الغربيين آنذاك (ومع أن هؤلاء كثيرا ما يوصفون بأنهم قوميون، إلا أنهم لم يطالبوا بالاستقلال، بل بقدر أكبر من المشاركة، ومن الحكم المحلي، وكانوا راضين إلى حد كبير بأن يكون الحكم إلى حد كبير حكما تركيا، لأن الأتراك مسلمون، وهم خلافا لما كان عليه القوميون الأوربيون، أناس معتقداتهم قائمة في إطار ديني، أكثر مما هي قائمة في إطار علماني، فقد كانوا يعيشون ضمن أسوار مدينة الإسلام، ولا يتطابق عيشهم مع طريقة عيش أوربا ضمن العالم المسيحي منذ مطلع القرون الوسطى، ذلك أنه على غرار المدن التي شيدت في العالم العربي

(٣٨٩) ولادة الشرق ٢٤٦-٢٤٧. وما زالت المأساة تتكرر، فقد كانت بريطانيا بالأمس تحتل السودان بالجيش المصري، وتحتل الحجاز بالجيش المصري، واليوم تقوم الجيوش العربية بتسهيل مهمات دخول الجيوش الصليبية، وتفتح المطارات لها، وتزودها بكل المؤون والوقود، وتحميها من أي مقاومة شعبية، وتجند بريطانيا وأمريكا من الأفغان ومن العراقيين من يقاتلون نيابة عنها ليحتل الصليبيون أرضهم ثم يعلنوا على العالم لقد تحررنا!

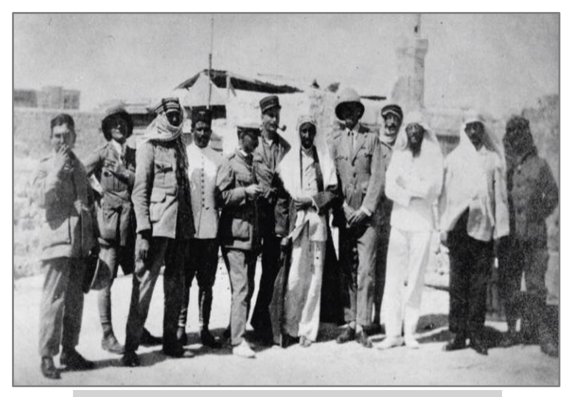
(٣٩٠) ولادة الشرق ٢٤٨.

في القرون الوسطى، كانت حياة المسلمين تقع ضمن دائرة، نقطة المركز فيها هي المسجد، ولم يكونوا يمثلون جماعة أثنية)[٣٩١].

لقد أنفقت بريطانيا على ثورة الشريف حسين العربية من أجل إنجاحها ١١ مليون جنيه إسترليني، أي ما يقارب أربعمائة مليون دولار بسعر العملة الحالي، ولم تستطع الثورة تحقيق أي تقدم عسكري لولا الطيران والبحرية البريطانية، لقد كانت القنابل، والقذائف البريطانية هي التي أسقطت جدة، وقد كتب ريجينالد وينغت -الذي خلف كيتشنر ثم مكماهون في منصب الحاكم العام البريطاني في مصر- قائلا: (لقد نظر المسلمون عامة حتى الآن إلى ثورة الحجاز، وإلى نصيبنا فيها، بعين الريبة والكراهية، وإنه لأمر هام ألا نسمح بأن يبدو الحسين فاشلا لئلا تسوء سمعة بريطانيا)[٣٩٢].



البعثة العسكرية الفرنسية في الوجه



ضباط بريطانيون وفرنسيون في ينبع بالحجاز



ضباط من الجيش المصري مع علي وعبد الله ابني الشريف حسين بالقرب من المدينة



الضباط البريطانيون (الكابتن مونتغمري والكابتن غارلاند والملازم جارود و والملازم كلايتون) في وادي العيص بالقرب من المدينة

(٣٩١) ولادة الشرق ١١٣.

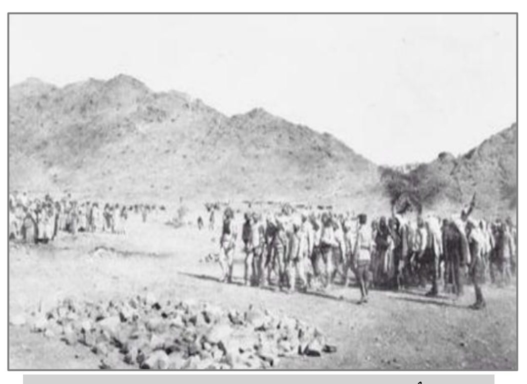
(٣٩٢) ولادة الشرق ١٥٠-١٥١.



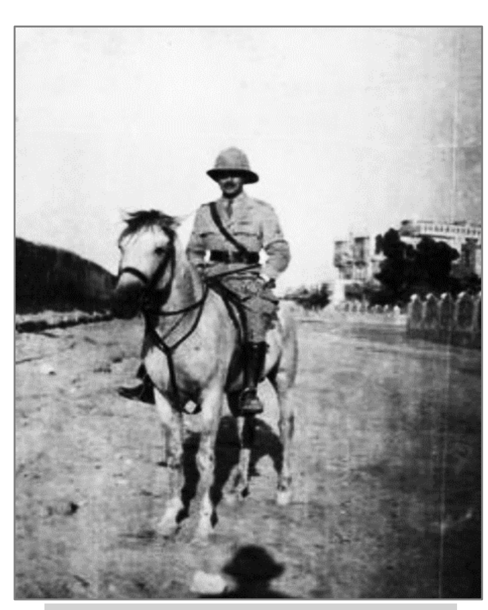
تواجد سفن بريطانية حربية في ميناء الوجه على البحرالأحمر
مساندةً للشريف حسين ومنعا لأي إنزال عثماني



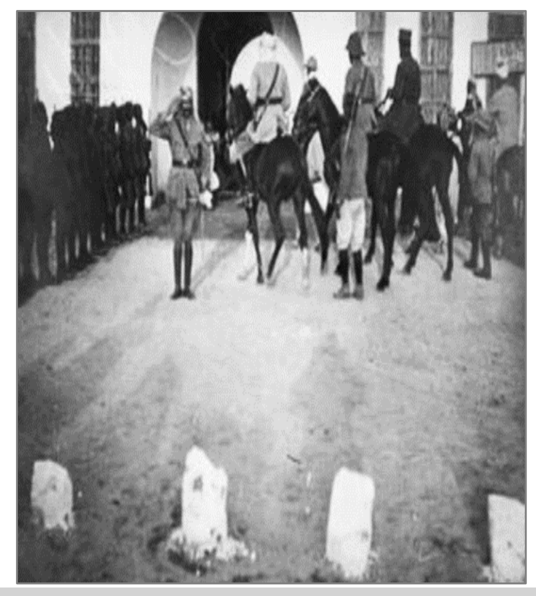
دخول القوات إلى المدينة المنورة تحت راية الشريف حسين
التي صممها وزير الخارجية البريطاني مارك سايكس



سجناء أتراك محاصرون في بئر درويش بالقرب من
المدينة المنورة



لويد جورج على ظهر حصانه في جدة ١٩١٧م



الكولونيل ويلسون والعقيد بريمون في زيارة للثكنة بجدة

- مؤتمر القبائل في الكويت للإعلان عن تأييد بريطانيا والوقوف معها:

بعد أن رأى العالم بأنه لم يقف أحد في العالمين العربي والإسلامي مع ثورة الشريف، بل نظر المسلمون إليها على أنها خيانة للإسلام، قامت بريطانيا بترتيب مؤتمر عربي إعلامي لشد أزر الشريف، وإثبات تأييد العرب له، وعقدت الحكومة البريطانية اجتماعا موسعا في الكويت -من أجل دعم ثورة الشريف حسين التي لم يتعاطف معها أحد- بتاريخ ٢٣/ ١١/١٩١٦م، ودعت إليه جابر بن مبارك، وابن سعود، وخزعل، ومائة شيخ من شيوخ عشائر قبيلة مطير، والظفير، والعجمان، وغيرهم من شيوخ القبائل، وترأس المؤتمر بيرسي كوكس كبير الضباط البريطانيين في العراق، الذي أعلن في المؤتمر عن نيات بريطانيا الحسنة تجاه العرب، وأنها ترغب في استعادة مجدهم، وتوحيدهم وجمع كلمتهم، ليكونوا كتلة واحدة[٣٩٣]، ليستطيعوا صد أي هجوم خارجي على بلادهم، وضرورة أن تعود الخلافة للعرب، ووجه كلمته لابن سعود قائلا: (إن جلالة ملك بريطانيا يستحسن إسناد منصب الخلافة إليك ويساعدك في تحقيقه)، وقد تحدث ابن سعود في كلمة مطولة عن عداوته للدولة العثمانية التي فرقت العرب، وتعهد بتحالفه مع بريطانيا التي تسعى لحمايتهم وتوحيدهم، كما أكد للحضور بأن الشريف حسين هو الأصلح ليكون خليفة على العرب، وقد أثارت كلمته إعجاب المسئولين البريطانيين لما أبداه ابن سعود من حماس للتعاون معهم ودعمهم في حربهم ضد الخلافة العثمانية! بينما لم يزد جابر في كلمته على قوله بأنه (واحد من العرب ولن يخالف ما يتفقون عليه)، وفي رواية مؤرخ الكويت الرشيد (أما جابر فقال قولا أكبره الناس لأجله قال: نحن مسلمون، فإذا ما أجمع المسلمون على شخص، فنحن له طائعون)، وقد خرج المؤتمرون بإعلان دعمهم المطلق لبريطانيا ضد الدولة العثمانية، ووجهوا برسائل التأييد للشريف حسين بإيعاز من البريطانيين، وقد تم في هذا المؤتمر تقليد جابر بن مبارك وابن سعود وسام فارس الهند البريطاني للخدمات الجليلة، وهو أعلى وسام يقدم لحلفاء بريطانيا، وقد بعث ابن سعود وجابر المبارك ببرقية إلى نائب ملك بريطانيا في الهند يشكراه على الوسامين جاء فيها: (حضرة صاحب السعادة حاكم الهند العام ونائب جلالة الملك المعظم والإمبراطور، نشكر عواطفكم

---

(٣٩٣) وقارن بين هذا المؤتمر ومن وراءه وما قيل فيه والشعارات التي رفعها والأهداف التي أعلن عنها، ومؤتمر المعارضة الأفغانية سنة ٢٠٠١م في ألمانيا، والمعارضة العراقية سنة ٢٠٠٢م في لندن، وما قيل فيهما، ومن كان يرأسهما، ويرتب شئونهما، لتعرف أن المسرحية نفسها ما زالت تعرض مشاهدها في العالم الإسلامي وإن تبدل أبطالها ورجالها!

الكريمة بتنازلكم بالتهنئة على النياشين السامية الشأن، التي تعطف بها صاحب الجلالة الملك المعظم على المخلصين الصادقين، إننا نقبل هذه التعطفات بمزيد الشكر والامتنان، ونرجو أن نكون دائما كاسبين رضاكم بالخدمة الخالصة، وملحوظين بعين عنايتكم الجليلة)، وقد دعا كوكس بعد هذا المؤتمر ابن سعود لزيارة البصرة.(٣٩٤)



عبد العـزيز بن سعود عند زيارته للبصرة المحـتلة متوشـحـا النياشـين الإنجـلـيزية التي قلدها إياه ملك بريطانيا تقديرا لخدماته

لقد ظهرت فكرة عقد هذا المؤتمر القبلي في الكويت في تشرين ١٩١٥م عندما أرسل الوزير لبريطاني السير شمبرلن إلى نائب الملك في الهند يأمره بالاهتمام لكسب ولاء شيوخ العرب وجاء فيه: (إن العرب مترددون وقد يقفون مع الأتراك إذا نحن لم نبذل الوسائط الفعالة في الإغراء)، وفي نهاية ١٩١٦م وجه كوكس دعوة إلى ابن سعود وابن صباح وإلى أكثر من مائة شيخ من شيوخ العشائر العربية وضرب لهم موعدا في الكويت.(٣٩٥)

(وقد عقد هذا المؤتمر في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩١٦م وحضره بجانب ابن سعود وجابر الصباح والشيخ خزعل أكثر من مائة من رؤساء العشائر العربية في الأحساء وجنوب العراق)(٣٩٦).

---

(٣٩٤) العلاقات بين الكويت ونجد ١٨٤، وتاريخ الكويت للرشيد ٢٣١، ولخزعل ٣/١٠٥.

(٣٩٥) تاريخ الكويت السياسي لخزعل ٣/٣٣.

(٣٩٦) تاريخ الخليج العربي ٣/٣٨.

وقد ورد في الوثائق البريطانية ذكر شيوخ قبيلة مطير والعجمان والظفير وغيرهم ممن حضروا ذلك المؤتمر بدعوة من كوكس، مما يؤكد أن بريطانيا بتوجيهها الدعوة لهم مباشرة كانت تتعامل معهم في هذه الفترة، كما كان الحال في فترة الحكم العثماني الذي يتعامل مع القبائل بشكل مستقل عن شيوخ الموانئ والمدن، فقد بعث الكرنل ويلسن المندوب البريطاني في جدة بتاريخ ١٩١٦/١١/٢٦م كتابا إلى الشريف حسين في مكة يخبره بالاجتماع الذي تم في الكويت ورد فيه:

(تسلمت برقية من المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي السير بيرسي كوكس يخبر فيها أنه عقد اجتماعا في الكويت حضره ابن سعود وشيخا الكويت والمحمرة، وحوالي مائتين من رؤساء عشائر شمر والظفير... إلخ وقد ألقى هؤلاء الشيوخ خطبا ضد تركيا، وشكروا بريطانيا على ما أظهرته للعرب دائما من مساعدة وعطف... إلخ)[٣٩٧].

كما جاء في تقرير مطول كتبه بيرسي كوكس نفسه بتاريخ ١٩١٧/١/٩م تفصيلا عن المؤتمر وما دار فيه وذكر حضور شيوخ عشائر الأسلم من شمر، وشيوخ الظفير، وشيوخ مطير... وأنه تمت مراسلة شيوخ عنزة فهد الهذال وابن مهيد وجزاع بن مجلاد شيخ الدهامشة وغيرهم للانضمام إلى التحالف الذي أسفر عنه مؤتمر الكويت... إلخ.[٣٩٨]

وقد نجحت بريطانيا في هذا المؤتمر -الذي حضره مائتا شيخ من شيوخ القبائل على قدم المساواة مع ابن سعود وابن صباح- بتشكيل أكبر تحالف قبلي في الجهة الشرقية من الجزيرة العربية، لمواجهة الدولة العثمانية -كما نجحت في الوقت نفسه في الإعداد للثورة العربية مع الشريف حسين وقبائل الحجاز، في الجهة الغربية من الجزيرة العربية، ودعم الجميع ماديا وعسكريا- والذي سيكون لهما أكبر الأثر في ترسيخ الوجود الاستعماري البريطاني في الخليج والجزيرة العربية.[٣٩٩]

لقد تبنت بريطانيا فكرة استقلال العرب عن الدولة العثمانية، تحت شعار القومية العربية، ووعدتهم بالحماية والمساعدة على تحقيق هذا الهدف، بإقامة (المملكة العربية المتحدة)، التي تضم الجزيرة

(٣٩٧) الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية ٢/ ٧٧٩ و٧٩٤ و٨٠١.

(٣٩٨) الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية ٣/ ٦٤٩و٦٥١-٦٥٢.

(٣٩٩) وتأمل كيف نجحت بريطانيا وأمريكا في تشكيل تحالف قبائلي وسياسي لاحتلال أفغانستان والعراق فما أشبه اليوم بالبارحة!

العربية، والشام، والعراق، أي الجزء العربي الآسيوي من الدولة العثمانية، كما جاء في تعهدات هنري مكماهون الذي (استخدم عن قصد كلمات شديدة الالتواء، قصد منها ألا يلزم نفسه بشيء) [٤٠٠].

تلك التعهدات التي قال عنها نائب الملك في الهند: (أخشى أن يكون المندوب السامي قد حصل على انطباع بأني من المؤمنين بإنشاء مملكة عربية موحدة برئاسة الشريف، هذا التفكير بعيد كل البعد عن آرائي الحقيقية، ولكن اعتقد أنه من المناسب لنا جميعا أن نعطي قادة الحركة العربية هذا الانطباع)[٤٠١].

(٤٠٠) ولادة الشرق ٢٠١.

(٤٠١) ولادة الشرق ٢٠٧. تأمل في هذه العبارة فهي توجز لك الطريقة الاستعمارية الصليبية في قطع الوعود وعقد المعاهدات ثم التنصل منها كما حذر منهم القرآن في قوله تعالى: {كُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم}!

- **مشروع الخلافة العربية تحت السيادة البريطانية:**

لقد وعدت بريطانيا الشريف حسين ليس فقط بإقامة (المملكة العربية المتحدة)، بل وبدعم ونقل الخلافة إلى عربي صميم من آل بيت النبي محمد!



إن المكتوب أدناه دعوة صادرة بمكة المكرمة من جلالة الحسين بن على ملك الحجاز وحامى الحرمين الشريفين مكة والمدينة المتصل نسبه بنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو معلوم فى جميع أنحاء العالم الاسلامى. وهذه صورته كما ترى.

يعلن جلالته فى هذا المنشور حماية الدين الاسلامى من جور الاتراك الاتحاديين وحكومتهم التى تمثلها الفئة التورانية المتغلبة ويدعو كل المسلمين. الحقيقيين الى الثورة واسقاط الحكومة الظالمة الجاحدة التى تديرها الفئة التورانية المتغلبة.

منشور شريف من حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك المعظم

منشور موجه من الشريف حسين إلى الضباط والجنود العرب
ألقته الطائرات البريطانية على الجيش العثماني في فلسطين سنة ١٩١٥م

وعلى حد قول فرومكين في كتابه ولادة الشرق: (لقد كانت إعادة الخلافة إلى شبه الجزيرة العربية حيث مولد محمد هي استراتيجية كيتشنر التي رسمها استعدادا للمنافسة مع روسيا التي ستتبع انتهاء الحرب ضد ألمانيا، ولكن أنى للعرب الذين كانوا يعيشون في الإطار السياسي لشبه جزيرة العرب أن يفهموا ما يدور في ذهن كيتشنر... بل كان الراجح ألا يدركوا أن كيتشنر ووينغيت وكلايتون كانوا قاصرين عن فهم طبيعة الخلافة، إن الانشقاق بين السلطتين الدينية والدنيوية الذي وضع البابا في مواجهة الإمبراطور في أوربا القرون الوسطى ليس له وجود في العالم الإسلامي، لقد أخطأوا في اعتقادهم أن الخليفة يمكن أن يكون زعيما روحيا فقط، ذلك أن الحياة كلها في الإسلام بما فيها الحكومة والسياسة تقع في نطاق حكم الشريعة بحيث أن المسلمين السنة، والسلطان العثماني، وأمير مكة منهم، يرون أن سلطة الخليفة بصفته حامي الشريعة هي سلطة شاملة، إن الخليفة حاكم وقائد

في المعركة، مثلما هو إمام في الصلاة، وكانت خطة كيتشنر تدعو ابن سعود زعيم الطائفة الوهابية، إلى الاعتراف بالسلطة الروحية لحاكم مكة السني) [٤٠٢].

لقد كانت بريطانيا -من خلال رجالها في المنطقة- تخطط لما بعد الحرب، وكانت أخشى ما تخشاه وقوف الخليفة العثماني -بما يملكه من سيطرة روحية على العالم الإسلامي- إلى صف ألمانيا أو روسيا، فيشكل بذلك خطرا على مصالح بريطانيا في الهند ومصر، حيث الشعوب الإسلامية الأكثر عددا تحت الحكم البريطاني، فعملت بريطانيا (ليكون مرشحها هو الخليفة، وبما أن النبي محمدا ولد في شبه الجزيرة العربية فقد شجعت الرأي القائل بأن الخليفة يجب أن يكون من شبه الجزيرة العربية، وقد رأت ميزة ذلك في سهولة سيطرة الأسطول البريطاني على ساحل شبه الجزيرة العربية، وبذلك تستطيع بريطانيا أن تعزل الخليفة عن نفوذ منافسيها الأوربيين، وأنه ما إن تتمكن من تنصيب خليفة داخل الجزيرة العربية حتى تتمكن من التحكم بالإسلام، وأن أمير مكة مرشح عربي للخلافة)[٤٠٣].

وقد نجحت بريطانيا في مؤتمرها في الكويت لترويج هذا الرأي عن طريق ابن سعود الذي كان من أشد الحاضرين حماسة لهذه الخطة البريطانية.

لقد كانت قضية حيوية بالنسبة لبريطانيا البحث في (إمكانية حلول زعيم من شبه الجزيرة العربية صديق لبريطانيا محل السلطان العثماني في مركز خليفة المسلمين... ولما كانت الأماكن المقدسة في مكة والمدينة ضمن الحجاز، فإن من يحكم الحجاز هو في وضع قوي للحفاظ على حق المسلمين البريطانيين في مواصلة أداء الحج)[٤٠٤].

لقد كان مخطط تحريك القبائل في الجزيرة العربية وثورتها ضد الدولة العثمانية من اختراع ريجينالد وينغيت، الذي طرح الفكرة سنة ١٩١٤م -عندما كان حاكما عاما للسودان، قبل أن يحل محل مكماهون في مصر كمندوب سامي لبريطانيا في مصر وحاكم عام فيها- وقد نجح توماس لورنس في إقناعه

(٤٠٢) ولادة الشرق لديفيد فرومكين ١١٥.

(٤٠٣) ولادة الشرق ١٠٩، وهذا ما تحقق لها فعلا بعد ذلك بإقامة حكم هاشمي في مكة تحت النفوذ البريطاني وما تلاه من ترتيبات لبقاء هذا النفوذ!

(٤٠٤) ولادة الشرق ١١٢.

باستخدام قبائل الشريف حسين كقوات غير نظامية، في حرب عصابات، تحت قيادة بريطانية، ويكون هو ضابط الاتصال الذي سيتعامل معه فيصل بن الحسين، الذي سيقود تلك القوات، التي فشلت في تحقيق أي نصر عسكري، مع ما دفعته بريطانيا لها من الذهب والأسلحة، وفشلت في إسقاط المدينة المنورة، التي كانت تحميها حامية عثمانية، غير أن القبائل بقيادة فيصل، وتوجيه الضباط البريطانيين، نجحت في قطع سكك الحديد التي تربط الشام بالحجاز، لقطع المدد عن حامية المدينة ومحاصرتها. [٤٠٥]

لقد نجحت الخلافة العثمانية في الصمود في وجه أعدائها ما بين خريف سنة ١٩١٦م، إلى خريف ١٩١٧م، بينما انهارت جميع الحكومات في دول الحلفاء، في بريطانيا، وروسيا، وفرنسا، جراء الهزائم التي تعرضت لها قواتها، في كل مكان، على يد الجيش العثماني. [٤٠٦]

- التيار السياسي الصهيو-صليبي وقيادته للحملة الصليبية:

لقد أصبح لويد جورج رئيسا للوزراء في لندن، وكان يؤمن بأن الشرق سيكون السبب في كسب الحرب، وكان ينطلق من كره شديد للدولة العثمانية، ويتبنى طموحات الصهيونية في فلسطين، وكان يتوقع قيام وطن قومي يهودي فيها، تحت حكم بريطانيا، لقد كان أول رئيس وزراء بريطاني يجعل من الشرق الأوسط غاية وهدفا في حد ذاته، لا مجرد طريق ووسيلة لحماية مصالح بريطانيا في الهند. [٤٠٧]

لقد كانت السياسة الاستعمارية الإمبريالية الطاغية قد بلغت ذروتها في هذه الفترة، وقد صاحبها فساد سياسي عريض في كل الحكومات الغربية تمثل في (الفساد المالي، ومضاربات بالعقارات، وبامتيازات السكك الحديدية، وامتيازات الكابل البحري للاتصالات والبرقية) وقد وصف تشرشل ما

---

(٤٠٥) ولادة الشرق ٢٥٥.

(٤٠٦) ولادة الشرق ٢٥٩.

(٤٠٧) ولادة الشرق ٢٦٣.

كان يجري في فرنسا من فساد في استغلال السلطة بأنه (لا مثيل له إلا في عالم العصابات في شيكاغو)[٤٠٨].

لقد كانت تلك الحكومات التي تعاني كل ذلك الفساد هي التي تخطط للسيطرة على الخلافة العثمانية، التي كانت عاصمتها إسطنبول قد خلبت ألباب السياسيين الغربيين بعظمتها، حتى قال تشرشل حين شن حملته العسكرية في غاليبولي:

(هذه واحدة من أعظم الحملات العسكرية في التاريخ، فكروا بما تمثله القسطنطينية شرقا، إنها أهم من لندن، وباريس، وبرلين، مجتمعة في مدينة واحدة، فكروا بسيطرتها على الشرق، وفكروا بما يعنيه سقوطها)[٤٠٩].

لقد صمدت الدولة العثمانية في مواجهة كل الظروف القاسية المعاكسة، وقد تم إسقاط كل الحكومات التي أدخلت دول الحلفاء في الحرب ضد الدولة العثمانية، فسقطت حكومة اسكويث في بريطانيا، وسقطت حكومة رينه فيفياني في فرنسا، وحكومة القيصر في روسيا، وقامت الثورة البلشفية فيها سنة ١٩١٧م، وخرجت بذلك روسيا من الحلفاء، ورفضت الاشتراك في الحرب، وقد كان لصمود الدولة العثمانية، وصمود جيشها في مضيق الدردنيل، أكبر الأثر في سقوط تلك الحكومات.[٤١٠]

لقد رفضت الولايات المتحدة آنذاك دخول الحرب مع الحلفاء، وقد حذر الرئيس الأمريكي ويلسون -الذي كان قبل ذلك يؤيد مسح تركيا من الخريطة، وكان همه في الشرق الأوسط منصبا على دعم الإرساليات التبشيرية في المنطقة، لنزعته المسيحية الدينية- من خطورة أهداف الحرب الإمبريالية الاستعمارية، وعندما اطلع على اتفاقية سايكس بيكو، وغيرها من الاتفاقيات السرية، التي تهدف

(٤٠٨) ولادة الشرق ٢٦٥، وهو ما جرى في العراق وأفغانستان حيث تنافس نائب الرئيس الأسبق ديك تشيني وشركته هالي بيرتون وغيره من المسئولين الأمريكان وحلفائهم العرب على نهب ثروات المنطقة تحت شعار تحريرها من الأنظمة الاستبدادية وإقامة أنظمة حكم ديمقراطية!

(٤٠٩) ولادة الشرق ٢٧٩.

(٤١٠) ولادة الشرق لديفيد فرومكين ٢٧٩.

إلى تقسيم الدولة العثمانية بين الحلفاء، قال رافضا لها: (هذه خطة كلها سوء، وهذا ما قلته لبلفور، إنهم يجعلون من الشرق الأوسط مكانا يستولد حربا في المستقبل)[٤١١].

وقد جاء لويد جورج -الذي كان محاميا لدى الحركة الصهيونية ولدى مؤسسها تيودور هرتزل في بريطانيا سنة ١٩٠٣م- إلى الحكومة وهو يتطلع إلى احتلال فلسطين على وجه الخصوص، وإقامة وطن قومي لليهود فيها، لقد (تربى على دراسة تعاليم الكتاب المقدس)، وكان يطمح إلى إعادة فلسطين إلى الحياة من جديد وفق ما ورد عنها في الكتاب المقدس، وكان على معرفة تامة بالاتجاهات المسيحية الإنجيلية، التي تدعو إلى تقدم الصفوف من أجل إعادة فلسطين لليهود، وهذه الاتجاهات هي التي شكلت عقلية لويد جورج وعقيدته، كواحد من أبرز الصهاينة المسيحيين في بريطانيا، وهو الاتجاه الأكثر شيوعا بين الطبقات العليا في المجتمع البريطاني، الذين يؤمنون بأن المسيح المخلص لن يعود إلا إذا عاد اليهود إلى فلسطين، وهو ما ظلت الدولة العثمانية ترفضه بكل شدة، حتى وهي في أضعف فتراتها التاريخية، كما سيفتح إعادة اليهود إلى فلسطين الطريق لبريطانيا للتدخل المباشر في شئون الدولة العثمانية، بدعوى حماية اليهود، كما تفعل روسيا مع المسيحيين الأرثوذكس، وفرنسا مع الطائفة المارونية في لبنان، كما عزز هذه السياسة البريطانية والتطلعات الصهيو-مسيحية تحالفها مع التيارات الليبرالية في بريطانيا التي كانت تجد الدعم من اليهود، لقد (أراد لويد جورج شأنه شأن وودرو ويلسون، الذي كان اهتمامه في الشرق الأوسط موجها إلى المدارس والإرساليات البروتستانتية الأمريكية، أن تتولى بلاده ما كان يعتبره عمل الرب في المنطقة)، وهو ما أدى إلى إعلان وعد بلفور سنة ١٩١٧م بإقامة وطن قومي يهودي في فلسطين.[٤١٢]

---

(٤١١) ولادة الشرق ٢٨٤و٢٨٨-٢٨٩. كان الرئيس الأمريكي يرفض تقاسم الدولة العثمانية في الوقت الذي بدأت الولايات المتحدة تأخذ مكانها على المسرح الدولي دون أن يكون لها نصيب الأسد من الغنيمة، وهو مشابه لموقف فرنسا الرافض اليوم من احتلال بريطانيا والولايات المتحدة للعراق لخسارة شركاتها النفطية، ومع ذلك صرح الرئيس شراك بأن فرنسا لن تقبل بهزيمة جيوش الحلفاء في العراق!

(٤١٢) ولادة الشرق لديفيد فرومكين ٣٠٠- ٣٠٧. قارن بين تصريح الرئيس الأمريكي آنذاك وودرو ويلسن حول تنفيذه مهمة وعمل الرب في المنطقة، وتصريحات جورج بوش الثاني وإعلانه أنه يقوم بمهمة كلفه بها الرب، وأن حملته ستكون حملة صليبية ليتأكد صحة ما قاله رئيس الوزراء الصهيوني شمعون بيريز في كتابه (معركة السلام) بأن السياسة الأمريكية لا ترتكز ولا تقوم على الدولار بل على التوراة في عهديه القديم والجديد، وكما يعزو الرئيس الأمريكي نيكسون في كتابه (ما وراء السلام) سبب النصر على الشيوعية لكون الولايات المتحدة (دولة تحت خيمة الرب)!

وهكذا نجحت بريطانيا في تحريك القوميتين العربية واليهودية لمواجهة الدولة العثمانية في الحرب العالمية، وكما قامت بدعم العرب ماليا وعسكريا للثورة، عملت أيضا على تشكيل كتيبة يهودية في الجيش البريطاني من أجل تحقيق أهدافهما.

لقد كانت الحرب على الدولة العثمانية بكل أبعادها حربا صليبية، توجهها العقيدة المسيحية المتطرفة في ميولها الصهيونية، كما عبر عن ذلك ليو أيميري مساعد أمين السر في مجلس الوزراء البريطاني الحربي حين قال:

(فيما عدا الولايات المتحدة، ما من بلد سوى إنجلترا، الشغوفة بالكتاب المقدس، والتي يغلب الكتاب المقدس على تفكيرها، يعتبر دائم الرغبة في عودة اليهود إلى وطنهم القديم)[٤١٣].

لقد كان لويد جورج رئيس الوزراء البريطاني الجديد يؤمن بأنه (سيأتي اليوم الذي تتحقق فيه كلمات الأنبياء ويعود شعب إسرائيل إلى أرضه)، وكان رجال حكومته يؤمنون بأنه لا تعارض بين طموحات القوميتين العربية واليهودية، وأن فلسطين، والعراق، والجزيرة العربية، يجب أن تظل ضمن النظام الإمبراطوري البريطاني وتحت سيطرته، حتى بعد انتهاء الانتداب، وبعد استقلالها.[٤١٤]

لقد كانت رؤية سايكس للمستقبل تقوم على تحقق (تفاهم بريطاني فرنسي بالتحالف مع العرب واليهود والأرمن، يجعل الإسلام عديم الأذى) [٤١٥].

---

(٤١٣) ولادة الشرق ٣١١.

(٤١٤) ولادة الشرق ٣١٧، وهو ما تم فعلا، فقد ظلت تحت سيطرة بريطانيا إلى أن سلمت العهدة إلى أمريكا وما تزال التحالفات كما هي والحلفاء والوكلاء للاستعمار في المنطقة كما هم!

(٤١٥) ولادة الشرق لفرومكين ٣٢٦. وهو ما يجري اليوم على أرض الواقع من خلال التحالف الغربي العربي لفرض ثقافة إسلامية جديدة في مناهج التعليم والإعلام ترفض حق الأمة في مقاومة الاحتلال، تحت ذريعة مكافحة التطرف والإرهاب، حتى جاءت كونداليزا رايس لتعلم العالم الإسلامي قيم الإسلام السامية الداعية للتسامح التي نسيها المسلمون، في الوقت الذي تدك جيوشها المدن في العراق وأفغانستان بشكل همجي إجرامي لا مثيل له في التاريخ الإنساني حتى بلغ ضحايا هذه الحرب الصليبية خمسة ملايين عراقي بين قتيل وجريح ومهجر!

لقد اقترح سايكس على حكومته دعم إثارة القبائل العربية خلف خطوط الدولة العثمانية، ووافقت بشرط عدم الالتزام للعرب بأي تعهدات قد تضر بالمصالح البريطانية.[٤١٦]

وقد تم إقامة حفل في لندن، نظمه الاتحاد الصهيوني، بعد الإعلان عن وعد بلفور بثلاثة أيام، حضرته وفود عربية، ويهودية، وأرمينية، تحدث فيه الجميع عن ضرورة مضي الجميع قدما في مساعدة بعضهم بعضا، ضد الدولة العثمانية، وقد ساد الحفل (روح التوراة، والاحتفاء والإيمان بعاطفة حماسية بقرب تحقيق نبوءة قديمة)، فقد كانت النبوءة التوراتية هي الدافع الأول التي دفعت بريطانيا لدعم إقامة الوطن القومي اليهودي على أرض فلسطين، لقد صدر وعد بلفور بتشاور مع أمريكا، وفرنسا، وإيطاليا، والفاتيكان، ووجد ترحيبا لدى الرأي العام الغربي كافة.[٤١٧]

- الحملة (الصليبية-العربية) لاحتلال الشام وفلسطين سنة ١٩١٧م:

وبعد سقوط الجزيرة العربية والعراق تحت السيطرة البريطانية تحرك القائد البريطاني، إدموند اللنبي من مصر بقواته ليحتل فلسطين، وقد استطاع لورنس أن يشتري بعشرة آلاف جنيه عودة أبو تايه شيخ قبائل الحويطات في شمال الجزيرة العربية الغربي، الذي نجح في احتلال ميناء العقبة جنوبي فلسطين، بتاريخ ١٩١٧/٧/٦م، وصار بإمكان الأسطول البريطاني أن ينقل رجال القبائل العرب إلى فلسطين، وصار بإمكان قوات الشريف حسين، أن تقدم مساعداتها الفعلية لحملة القائد البريطاني اللنبي القادمة من مصر لتحتل الشام وفلسطين، وقد تم منح فيصل بن الحسين رتبة جنرال بريطاني تحت إمرة القائد اللنبي، وفي الوقت الذي كانت قوات اللنبي تتقدم على خط غزة - بئر السبع، كانت قوات فيصل تناوش الجيش العثماني وتشاغلها، على الجناح الأيمن للقوات البريطانية، وكان لورنس يجند القبائل العربية ويشتريها بالذهب، لتقطع سكك الحديد، ولتسهيل مهمة تقدم القوات البريطانية، لتحتل فلسطين، وليدخل اللنبي مدينة القدس في ١٩١٧/١٢/١١م، وليحتفل رئيس الوزراء

---

(٤١٦) ولادة الشرق ٣٢٣.

(٤١٧) ولادة الشرق ٣٣٤. وانظر كيف اجتمع العرب واليهود في لندن للاحتفال بوعد بلفور، قبل كامب ديفيد وأوسلوا بسبعين سنة! وانظر إلى الروح الصليبية الطاغية لدى الرؤساء الغربيين في تلك الفترة وقارنها بالروح الصليبية التي تحرك بوش وبلير وبيرلسكوني رئيس وزراء إيطاليا وعدائه الصريح للإسلام، في دول تدعي العلمانية وهي ما تزال تخوض حربا صليبية على العالم الإسلامي ليظهر جليا مدى تأثير الدين وسلطانه في العالم الغربي!

البريطاني في عيد الميلاد بتحرير (أقدس مدينة في العالم) وقد كتب (إنه بتحرير القدس تمكن العالم المسيحي من استرداد أماكنه المقدسة)، وبعد (الاستيلاء على القدس أظهرت قوات فيصل العربية، بقيادة ضباط عرب وبريطانيين جدارتها في الحرب، وكانت تقوم بحملتها من شرق الأردن، وصار اللنبي في وضع يسمح له بالزحف على دمشق) [٤١٨].



الجنرال البريطاني إدموند اللنبي



مارك سايكس ضابط سياسي بريطاني ومصمم راية الشريف حسين

لقد كانت دمشق هي الهدف الثاني للقائد اللنبي، بل إنها أكثر أهمية من القدس وبغداد، وكان يقود جيوشه تحت رايات عديدة، ومنها راية قوات الشريف حسين العربية، التي صممها مارك سايكس، وقد جعل ألوانها الأبيض، والأسود، والأحمر، والأخضر، رمزا للأمجاد العربية، التي يريد إحياءها الشريف حسين، وقد أمر سايكس بصنع أعلام الشريف، من قبل هيئة الإمداد العسكرية البريطانية في مصر، وتسليمها للحجاز، لقد وضع علم القومية العربية البريطانيون، وصنعه البريطانيون، في الوقت الذي كانت قوات اللنبي تزحف لتحتل دمشق، ولتقيم بريطانيا مملكة عربية، أو كونفدرالية عربية، تحت السيطرة البريطانية.[٤١٩]

---

(٤١٨) ولادة الشرق ٣٤٤-٣٤٩.

(٤١٩) ولادة الشرق ٣٥١-٣٥٢، وها قد عادت بريطانيا لتحتل العراق ولتقوم بوضع علمه الجديد وترتيب كل ما يلزم من أجل إقامة نظام ديمقراطي جديد بعد قرن كامل في مشهد مسرحي ضاحك يعرض نفس الأدوار ونفس الأحداث!



جنود في الجيش العربي خلال ثورة الشريف حسين يحملون العلم الذي صممه الضابط البريطاني مارك سايكس

ويلاحظ أن هذا العلم الذي صممه البريطانيون هو الأكثر شيوعا إلى اليوم في العالم العربي!

لقد نجحت بريطانيا الصليبية في تشكيل تحالف عربي يهودي ساهم في احتلال بريطانيا لفلسطين، والشام، وقد تم بترتيب بريطاني جمع فيصل بن الحسين ووايزمان زعيم الحركة الصهيونية الذي بلغ من إعجابه بفيصل أن كتب عنه يقول:

(إنه أول قومي عربي حقيقي أجتمع به، إنه قائد ذكي جدا، وصادق جدا، وهو غير مهتم بفلسطين، وينظر نظرة احتقار لعرب فلسطين، بل إنه لا يعدهم عربا)!



فيصل بن الحسين مع زعيم الحركة الصهيونية حاييم وايزمان
في اللقاء الذي تم في سوريا بترتيب بريطاني سنة ١٩١٨م

وقال عنه وليم غور: (إن الحركة القومية العربية موجودة خارج فلسطين، والحركة التي يقودها الأمير فيصل ليست مختلفة عن الحركة الصهيونية، ويجب على الحركة الصهيونية أن تعد الحركة العربية،

ومركزها الحجاز أصلا، حركة زميلة، ذات مثل سامية)، وقد تقبل فيصل فكرة التعاون العربي اليهودي، وفكرة قيام وطن قومي يهودي في فلسطين.[٤٢٠]

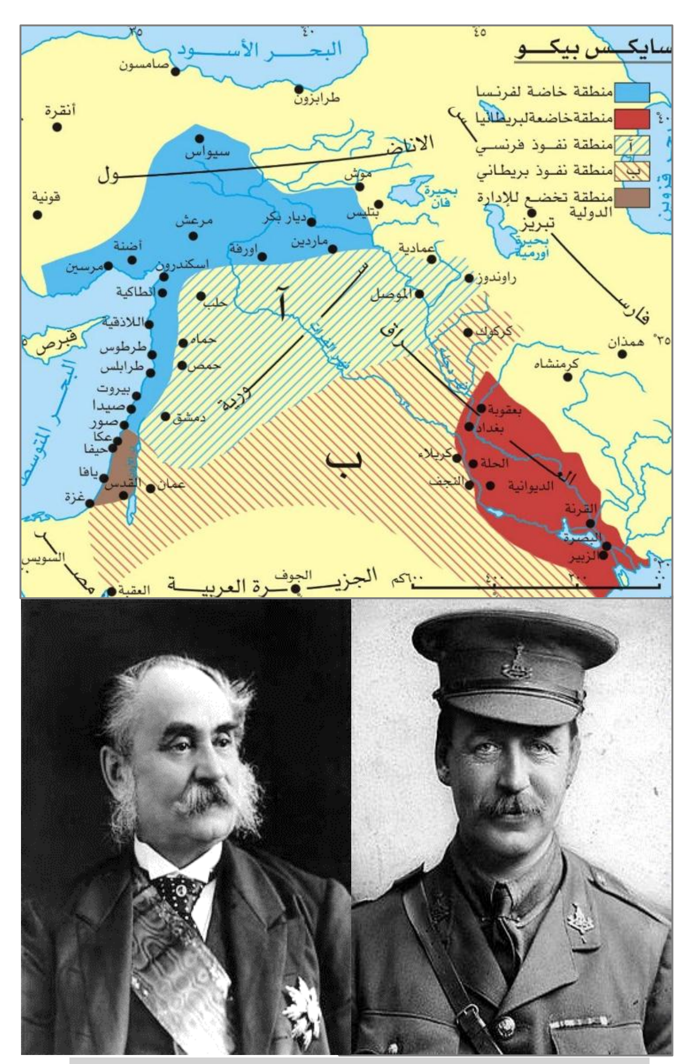
هذا في الوقت الذي كانت حكومة تركيا الفتاة في الدولة العثمانية تشك في نوايا سكان فلسطين من غير المسلمين، خاصة اليهود، الذين استقبلتهم الدولة العثمانية، بعد فرارهم من اضطهاد روسيا القيصرية، وعندما أدرك جمال باشا خطر وجودهم في فلسطين، بعد دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية، قرر طرد جميع اليهود المهاجرين، المستوطنين في فلسطين، فدمر مستوطناتهم، بعد أن أيقن أنهم مكمن الخطر (وقد ثبت إلى حد ما أن نبوءته هذه أثبتت صحتها... إن أقلية صغيرة منهم بالغة الفعالية، كانت تعمل ضد الدولة العثمانية) [٤٢١].

وفي ١٩١٨/٩/١٩م، تقدمت قوات اللنبي نحو دمشق، وكانت خمسة وأربعين ألف جندي (بريطاني، ونيوزلندي، وأسترالي، وهندي، وفيلق يهودي) وشنت هجومها على القوات العثمانية المدافعة التي يبلغ عددها ثمانية آلاف جندي، وكانت قوات الشريف فيصل تحاصرها، وتقطع خطوط تراجعها، فأصبح الجيش العثماني بين فكي كماشة، وقد استسلمت حامية معان في شرقي الأردن للقوات الأسترالية، خوفا من المذبحة التي قد تتعرض لها على يد قوات فيصل، وقد أمر اللنبي فيصل بن الحسين، أن يتقدم بقواته ليدخل دمشق أولا (لمنع المقاومة من قبل عاصمة إسلامية قد تكون معادية لاحتلال مسيحي)، غير أن الخطة لم تنجح فقد كان فيصل على بعد ثلاثة أيام، وقد خرج الجيش العثماني من المدينة فجأة، واضطرت القوات الأسترالية ثم البريطانية دخولها، ثم دخلها فيصل بترتيب بريطاني دخول الفاتحين! فدخل بتاريخ ١٩١٨/١٠/٣م، وفي نفس اليوم أخبره اللنبي بأن سوريا ستكون تحت الحماية الفرنسية، وأنه لا علاقة له بلبنان الذي سيكون تحت السيطرة الفرنسية، وفلسطين التي ستكون تحت السلطة البريطانية، وقد رفض فيصل وضع سوريا تحت حماية فرنسا رفضا قاطعا، وطلب

---

(٤٢٠) ولادة الشرق ٣٦٠-٣٦١.

(٤٢١) ولادة الشرق ٢٣٤ -٢٣٥.



مارك سايكس وجورج بيكو وزيرا خارجية بريطانيا وفرنسا
وخريطة تقسيم الخلافة العثمانية بين الحلفاء الصليبيين

أن تكون تحت الحماية البريطانية، غير أن اتفاقية سايكس بيكو، البريطانية الفرنسية السرية تقضي بذلك، ولم تكتف فرنسا بإقامة دولة مارونية مسيحية في جبل لبنان، بل ضمت إليها مناطق شاسعة غالبية سكانها مسلمون، وجعلتهم تحت سيادة حكومة مسيحية تحت حمايتها.[٤٢٢]

وقد قامت بريطانيا وفرنسا بإصدار بيان مشترك بتاريخ ١٩١٨/١١/٩م موجه للشعوب العربية جاء فيه: (إن الغاية التي من أجلها خاضت فرنسا وإنجلترا غمار الحرب في الشرق، هي تحرير الشعوب التي رزحت تحت احتلال الأتراك تحريرا تاما نهائيا، وإقامة حكومات قومية تستمد سلطتها من اختيار السكان لها اختيارا حرا، ولتحقيق ذلك اتفقت الدولتان فرنسا وبريطانيا على أن تعينا على إقامة

(٤٢٢) ولادة الشرق ٣٧٢-٣٨٠.

حكومات وطنية في كل من سوريا والعراق، البلدين الذين حررهما الحلفاء، يختارهما السكان، وأن تضمنا عدلا يساوي بين الجميع، ويسهل تنمية البلاد اقتصاديا، ونشر العلم)[٤٢٣].

- احتلال القوات الصليبية لعاصمة الخلافة إسطنبول:

وبينما كانت جيوش الحلفاء تحاول إكمال سيطرتها على الدولة العثمانية باحتلال عاصمتها إسطنبول، ومحاصرتها للخليفة الذي كاد أن يوقع اتفاقية استسلام، قاد مصطفى كمال حرب تحرير الأناضول، بعد أن جمع شتات القوات العثمانية، ووقف معه علماء الدين، الذين أثبتوا أنهم أخلص أنصاره، وقد عصى مصطفى ومن معه أوامر الخليفة وحكومته التي عدها الثوار أسيرة في يد جيوش الحلفاء، وفي الوقت الذي كان الحلفاء في لندن يعقدون مؤتمرهم بتاريخ ٢٨/٢/١٩٢٠م، لتقسيم تركيا بين الحلفاء، فاجأتهم أخبار انتصارات الجيش العثماني بقيادة مصطفى كمال، على الفرنسيين، واليونانيين.[٤٢٤]

وفي هذه الأثناء كانت بريطانيا وفرنسا قد اتفقتا على تقاسم الجزء العربي من الدولة العثمانية، فمصر، والعراق، والجزيرة العربية، وفلسطين، والأردن، تحت السيطرة البريطانية، وسوريا، ولبنان، تحت السيطرة الفرنسية، كما تم تقسيم أجزاء من الأناضول بين اليونان، وأرمينيا، على أن يبقى قسم من تركيا مستقلا اسميا، تحت سلطة الخليفة، وقد وقعت معاهدة سيفر في شهر ٨ سنة ١٩٢٠م، على هذا الأساس.[٤٢٥]

وقد قام الضباط الأتراك بقيادة مصطفى كمال باتخاذ أنقرة مقرا لقيادتهم، وأعلنوا ميثاقهم الوطني الذي نص على إنشاء دولة وأمة إسلامية تركية مستقلة، وأقر مجلس النواب الجديد في إسطنبول في جلسة سرية هذا الميثاق، في يناير سنة ١٩٢٠م، ورفضوا شروط الحلفاء التي قسموا فيها تركيا، وقد تحركت جيوش الحلفاء واحتلت إسطنبول، واعتقلت القادة السياسيين والعسكريين ونفتهم إلى مالطا، فكان ذلك نهاية لسلطة الخليفة العثماني، غير أن قادة المقاومة في أنقرة كانوا بعيدين في هضبة

---

(٤٢٣) الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية ٥/٤٩٩. وهذا البيان بعينه ومضمونه هو البيان المشترك الصادر عن بريطانيا والولايات المتحدة قبل شن الحرب على العراق سنة ٢٠٠٣م واحتلاله بحجة إقامة الديمقراطية وتنمية العراق وتحريره من حكومته!

(٤٢٤) ولادة الشرق ٤٣٥-٤٥٤.

(٤٢٥) ولادة الشرق ٤٥٧.

الأناضول عن قوات الحلفاء، وقد لجأ إليهم أعضاء البرلمان الذين فروا من قبضة جيوش الحلفاء، وتم تأليف برلمان جديد في أنقرة، وتأسيس حكومة وطنية، يرأسها مصطفى كمال، وحلت الفوضى العارمة في تركيا، وهضبة الأناضول، وفي ١٩٢٠/٦/١٥م، هاجمت قوات المقاومة التركية الجيش البريطاني قرب إسطنبول، حيث كان السلطان أسيرا، وقد وافقت بريطانيا على أن تقوم اليونان بالتقدم بجيوشها نحو إسطنبول، وعلى احتلال أزمير، مما دفع السلطان إلى توقيع معاهدة سيفر، وبحثت اليونان مع بريطانيا إمكانية التقدم العسكري نحو الأناضول والقضاء على المقاومة فيها نهائيا، وتقدمت نحو أنقرة، حتى لم يبق ما يحول دون سقوطها، وتراجعت قوات المقاومة خمسين ميلا للخلف، ثم تصدت المقاومة للجيش اليوناني، وفي صيف ١٩٢١م، أذهلت المقاومة التركية العالم بانتصاراتها على الجيش اليوناني، المدعوم من الحلفاء، ومن بريطانيا على وجه الخصوص، والذي أخذ يتراجع أمام ضغط المقاومة، واستمرت قوات المقاومة بالتقدم نحو إسطنبول، وتركيا الأوربية، لتحريرها من جيوش الاحتلال، وقد وقع القائد العام للجيش اليوناني في قبضة الأتراك، وقد دب الرعب في قلوب اليونانيين، حتى كتب رئيس أساقفة أزمير في ١٩٢١/٩/٧م، رسالة يستغيث فيها وجاء فيها:

(الهيلينية في آسيا الصغرى، والدولة اليونانية، والأمة اليونانية، كلها تنحدر الآن إلى الجحيم، وما من قوة تستطيع أن تنتشلها أو تنقذها)!

وقد حاولت أساطيل الحلفاء البحرية، البريطانية، والفرنسية، والإيطالية، والأمريكية، إنقاذ ما يمكن إنقاذه من الفارين من رعايا دولها، ومن الجنود اليونان، الفارين طلبا للنجاة من الغضب التركي، ومع حلول نهاية سنة ١٩٢٢م، كان قد فر مليون ونصف يوناني من تركيا، هربا من قوات المقاومة، وأخذت دول الحلفاء تتنصل من المسئولية عن الكارثة التي حلت باليونانيين والأرمن، التي ورطتهم دول الحلفاء في هذه الحرب، التي كانت تهدف إلى تقسيم تركيا بينها، وإلغائها من الخريطة نهائيا، وقد اعترف وزير خارجية الولايات المتحدة آنذاك بأن (حكومته غير مسئولة بأي شكل من الأشكال عن الأوضاع القائمة، فالولايات المتحدة لم تشترك في مكائد دبرت في القسطنطينية، وليست مسئولة عن الكارثة التي حلت بالجيوش اليونانية، إن دبلوماسية أوربا خلال تلك المدة هي المسئولة عن الكارثة)[٤٢٦].

(٤٢٦) ولادة الشرق ٦٠٧-٦١٥.

وقد واصلت قوات المقاومة التركية تقدمها بعد القضاء على الجيش اليوناني نحو إسطنبول وقوات الحلفاء التي تحتلها، وقد دعت بريطانيا في ١٩٢١/٩/١٦م، إلى عقد مؤتمر للصلح مع تركيا، بشرط توقف تقدم القوات التركية، والقبول بالمفاوضات، وضرورة وقوف أستراليا، ونيوزلندا، وكندا، وجنوب أفريقيا، وغيرها من دول الدمنيون، مع بريطانيا، ضد تقدم القوات التركية، وعبر البيان البريطاني (عن الخوف مما قد يفعله العالم الإسلامي، إذا تبين له أن تركيا الدولة المسلمة الضعيفة نسبيا، تمكنت من إلحاق هزيمة كبيرة بالحلفاء، إذ أن ذلك قد يشجع بقية العالم الإسلامي على التخلص من الحكم الاستعماري)، وقد واجهت القوات التركية الجيش البريطاني في تشنق، واضطر الحلفاء الذين أدركوا خطورة الموقف للتفاوض مع مصطفى، الذي اشترط لقبول المفاوضات تنفيذ ما شرطه الميثاق الوطني التركي من انسحاب الحلفاء عن إسطنبول، والدردنيل، وتراقيا الشرقية، أي من كل الأراضي التركية القومية، وهو ما كان يرفضه من قبل رفضا قاطعا رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج، وونستل تشرشل الذي صرح قبل ذلك لمجلس الوزراء بأنه (إذا أخذ الأتراك شبه جزيرة غاليبولي والقسطنطينية سنكون قد خسرنا كل ثمار الحرب)، وأكد ذلك رئيس الوزراء بقوله: (إننا لن نسمح بأي حال من الأحوال، وتحت أي ظرف أن نسمح للأتراك بالاستيلاء على غاليبولي، إنها أهم موقع استراتيجي في العالم، ويجب أن نقاتلهم لنمنعهم من ذلك)[٤٢٧].

لقد صرح ستانلي بولدوين أحد أعضاء الحكومة من حزب المحافظين في بريطانيا بأن جورج لويد (كان طوال الوقت يتجه إلى الحرب، وقد خطط لجعل بريطانيا تخوض الحرب مع تركيا، لكي تكون حربا مسيحية ضد المسلمين)[٤٢٨].

وإذا كان من العرب من وقف مع الحملة الصليبية وساهم في هزيمة الدولة العثمانية، فقد كان منهم من ساهم في تحرير تركيا بعد سقوط إسطنبول تحت الاحتلال وكان من أبرزهم الزعيم الليبي العظيم السيد أحمد الإدريسي الذي كان يواجه في ليبيا ثلاثة حروب مع الإيطاليين في الشمال والبريطانيين في الشرق والفرنسيين في الجنوب الغربي مما حداه للسفر إلى إسطنبول سنة ١٩١٧م لطلب المدد فما إن سقطت تركيا تحت الاحتلال سنة ١٩١٨م حتى توجه إلى الأناضول واستخدم نفوذه الديني والروحي في

(٤٢٧) ولادة الشرق ٦١٦.

(٤٢٨) ولادة الشرق ٦٢١.

إشعال جذوة الحمية الدينية والغيرة العثمانية التركية للجهاد في سبيل الله (وأخذ يتنقل بين مدن الأناضول وقراه داعيا الناس إلى مؤازرة الغازي مصطفى كمال، وأسهمت جهود إمام السنوسية بالإضافة إلى اسمه المجيد بقسط وافر لا يقاس بنجاح الحركة الكمالية بين فلاحي الأناضول الذين لم تكن الكلمات القومية تعني شيئا بالنسبة إليهم والذين كانوا طوال أجيال يعتبرون شرفا لهم أن يهبوا حياتهم في سبيل الإسلام)[٤٢٩].

وإذا كانت الروح الصليبية هي التي أيقظت أوربا الممزقة من سباتها وكانت وراء وعيها بذاتها ووحدتها الثقافية ومن ثم السياسية والعسكرية التي فاجأت العالم الإسلامي في الحرب العالمية الأولى، فإن فقد الروح الإسلامية وضعفها كان السبب في تشظي دولة الخلافة العثمانية الواحدة بسبب النعرات القومية التركية والعربية التي تشظت هي أيضا إلى نعرات وطنية أشد خطرا وأبلغ أثرا في ضعف العرب، في الوقت الذي ما زالت الروح الصليبية وراء استمرار وجود جيوش الحلفاء وحلف الناتو إلى اليوم للسيطرة على العالم الإسلامي والعربي (إن خيال الحروب الصليبية لا يزال يرفرف فوق الغرب حتى يومنا هذا)[٤٣٠].

---

(٤٢٩) الطريق إلى مكة (إلى الإسلام) للمستشرق المسلم محمد أسد ص ٢٧٧ ط ٨ سنة ١٩٩٤ دار العلم للملايين -بيروت.

(٤٣٠) الطريق إلى مكة (إلى الإسلام) ص ١٨.

الفصل الثالث

الثورات العربية ضد الاحتلال الصليبي
ومؤتمر القاهرة سنة ١٩٢١م
وتأسيس دويلات الطوائف العربية



- الثورات الشعبية العربية والإسلامية بعد الحرب الصليبية:

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨م، وسقوط العالم العربي والإسلامي تحت الاحتلال الصليبي الغربي، ثارت الشعوب العربية والإسلامية ضد الاستعمار، فقام الشعب المصري بثورته سنة ١٩١٩م، بعد أربعين سنة من سقوط مصر تحت الحماية البريطانية سنة ١٨٨٢م، كما ثار الشعب الأفغاني سنة ١٩١٩م، بعد ١٢ سنة من جعله محمية بريطانية سنة ١٩٠٧م، وثار الشعب العراقي ثورة العشرين سنة ١٩٢٠م، ضد الاحتلال البريطاني، الذي احتل البصرة سنة ١٩١٤م، وبغداد سنة ١٩١٧م، حيث هبت القبائل العراقية التي تشكل خمسة وسبعين بالمائة من سكان العراق ضد الاستعمار البريطاني، وتم إعلان الجهاد ضد بريطانيا في بغداد وكربلاء، وعمت الثورة مدن العراق وعشائره، كما ثار الشعب السوري ضد الاحتلال الفرنسي سنة ١٩٢٠م، وكذا ثار الشعب الفلسطيني ضد بريطانيا، وضد حركة الاستيطان اليهودية، وقد اضطرت بريطانيا لمواجهة كل هذه الثورات بكل دموية وعنف، وكانت معاملة بريطانيا للشعوب العربية التي وعدت بتحريرها من الدولة العثمانية أسوأ وأشد ظلما، بشهادة رجالها، كما قال لورنس في مقاله في صحيفة صاندي تايمز حيث جاء فيه:

(حكومتنا أسوأ من النظام التركي البائد، إنها تبقي على أربعة عشر ألف مجند محلي، وتقتل ٢٠٠ عربي سنويا، من أجل المحافظة على الهدوء، إننا نحتفظ بتسعين ألف رجل مع طائرات وسيارات مصفحة، وقطارات، لقد قتلنا في انتفاضة هذا الصيف سنة ١٩٢٠م، نحو عشرة آلاف عربي، وليس في مقدورنا أن نحافظ على هذا المعدل إنه بلد فقير، قليل الكثافة السكانية)[٤٣١].

وهذا ما أكده جون غلوب بقوله: (باشرت بريطانيا فور احتلالها للعراق إلى جني الثمار التي استهدفتها من وراء ذلك الاحتلال، ألا وهي: الضرائب من الشعب العراقي، والتسلط عليه بالقوة، والمبادرة باستغلال ثرواته الطبيعية، وعلى الأخص النفطية منها، ففي الوقت الذي كان فيه الجيش البريطاني يزحف إلى الشرق والغرب والشمال لإكمال احتلال الأراضي العراقية، كانت فرق الجيولوجيين تسير

(٤٣١) ولادة الشرق ٥٥٩، تأمل فيما تقوم به اليوم قوات الحلفاء الصليبية والطيران والجيش الأمريكي ضد الشعب العراقي والمدن التي ترفض وجوده، حتى بلغ عدد القتلى من المدنيين أكثر من مليون قتيل، وأربعة ملايين مهجر، كل ذلك تحت شعار تحرير العراق وإقامة الديمقراطية!

مع الجيش لزاحف للتنقيب عن النفط في كل بقعة من بقاع العراق التي احتلها الجيش البريطاني)[٤٣٢].

لقد حاول البريطانيون تحميل مسئولية هذه الثورات جهات خارجية، بينما كانت الحقيقة أن بريطانيا نفسها هي وراء هذه الثورات (ففي منطقة اشتهر سكانها بكرههم للأجانب، وفي عالم الأغلبية فيه من المسلمين، كان لبلد أجنبي مسيحي أن يتوقع مجابهة الأعداء، إذا حاول أن يفرض حكمه على المنطقة، إن ما واجهته بريطانيا من ثورات منفصلة، لم تكن موجهة من الأجانب، بل كانت موجهة ضد الأجانب)[٤٣٣].

لقد كانت استراتيجية تشرشل -الذي أصبح وزيرا لشئون المستعمرات في مطلع سنة ١٩٢١م- تقوم على أساس (قمع ثورة أهل البلاد، وأن تحكم رعاياها العرب بالإكراه، لا بالإقناع، وكانت هذه الاستراتيجية صدى لتجاربه في حملة كيتشنر في السودان، ولسهولة إخضاع الأسلحة الأوربية الحديثة سكانا محليين مسلحين فقط بأسلحة تقليدية)[٤٣٤].

لقد انسحبت الولايات المتحدة من ائتلاف الحلفاء فيما بين عام ١٩١٩و ١٩٢٠م ورفضت الولايات المتحدة اتفاقيات الصلح بين الحلفاء وتركيا، ورفضت معاهدة فرساي، وكذا رفضت الدخول في عصبة الأمم بعد الحرب، وأصرت على مراعاة مصالحها في المنطقة، وأهم المصالح التي شددت عليها -بالإضافة إلى حماية الكليات والأنشطة الإرسالية التبشيرية المسيحية البروتستانتية- (مصالح شركات النفط الأمريكية، تلك المصالح التي قادت الولايات المتحدة إلى التصادم مع بريطانيا، لقد كانت مختلف الترتيبات التي جرى التفاوض بشأنها بين بريطانيا وفرنسا في زمن الحرب، لاقتسام ثروة النفط في الشرق الأوسط بعد الحرب قد ظلت سرية، وفي مؤتمر سان ريمو في أبريل سنة ١٩٢٠م، عقدت بريطانيا

(٤٣٢) مذكرات هنري جلوب المشهور بغلوب باشا ص ١٠٣.

(٤٣٣) ولادة الشرق ٥٢٦، وانظر كيف يوصف العراقيون ومن يقاومون الاحتلال الأمريكي في العراق -وعلى لسان الحكومة العميلة- بأنهم أجانب إرهابيون بينما يوصف الغزاة المحتلون الصليبيون بالقوات الحليفة والصديقة!

(٤٣٤) ولادة الشرق ٥٦٤، وهذا الذي يفسر الإصرار الغربي الصليبي على حرمان العالم الإسلامي من أي مصدر قوة، ومن القدرة على التصنيع العسكري، ومحاصرته ومنعه من أن يمتلك تكنولوجيا المعلومات والصناعات العسكرية والطاقة النووية ليظل تحت السيطرة الصليبية.

وفرنسا صفقة نفط سرية نهائية اتفقتا بموجبها على احتكار كامل الإنتاج المستقبلي من نفط الشرق الأوسط فيما بينهما، وقد اعتبرت الولايات المتحدة اتفاق سان ريمو ليس مؤذيا فقط لشركة أو شركات، بل مؤذيا لمصالح الولايات المتحدة كدولة، وبدأ ينبثق حل للنزاع بين بريطانيا وأمريكا في صيف ١٩٢٠م عندما أشار مهندسون جيولوجيون على الحكومة البريطانية بأن إمكانات النفط في العراق أغنى مما هو معتقد، وهي ضخمة إلى حد أن بريطانيا تفتقر إلى رأس المال اللازم لتطويرها بنفسها، ولذلك لا بد من الاستعانة بالمشاركة الأمريكية)[٤٣٥].

لقد كتب بعض المهندسين الجيولوجيين الأمريكيين عن النفط في العراق (إنه أكبر إمكانيات نفط متبقية في العالم، وإن الفطيرة كبيرة جدا، إلى حد أنه ينبغي عمل أي شيء، من أجل أن تنال الحقوق التي هي قطعا حقوق المواطنين الأمريكيين)[٤٣٦].

لقد نكث الإنجليز بوعودهم التي قطعوها للعرب وللشريف حسين أمير مكة بإقامة (الولايات العربية المتحدة)، التي كان يطمح الشريف إلى تأسيسها ورئاستها، والتي تضم الجزيرة العربية والعراق والشام، أي القسم العربي الآسيوي من الدولة العثمانية بعد سقوطها وتقاسم الحلفاء أقاليمها، وقد أدرك البريطانيون خطورة تنفيذ مثل هذا المشروع الذي ثار الشريف حسين على الدولة العثمانية من أجل تحقيقه، إذ لم يكن هدف الحلفاء تحرير العرب من الأتراك، بل تحطيم الخلافة والدولة الإسلامية التي تمثل الوحدة لشعوب العالم الإسلامي، والسيطرة على أقاليمها الغنية بالثروات الطبيعية، وبالنفط الذي تم اكتشافه مطلع القرن العشرين، وقبل قيام الحرب العالمية الأولى.

وقد رأت بريطانيا أن تستعيض عن مشروع الوحدة (المملكة العربية المتحدة) الذي وعدت الشريف حسين به، بمشروع التجزئة (المملكة العربية السعودية)، وبمشروعها الجديد للشرق الأوسط الذي أقام دويلات الطوائف على النحو الحالي بعد مؤتمر القاهرة سنة ١٩٢١م، بعد أن أدركت خطورة قيام دولة عربية موحدة في الجزيرة والشام والعراق!

---

(٤٣٥) ولادة الشرق ٥٩٨-٦٠١، وهو ما يفسر عودة التحالف الأمريكي البريطاني لاحتلال العراق مؤخرا للسيطرة على ثرواته النفطية بعد أن ثبت بأن العالم سيحتاج إلى نفط الخليج العربي بشكل كامل بعد ربع قرن!

(٤٣٦) ولادة الشرق ٥٩٩.

- مؤتمر القاهرة سنة ١٩٢١م وتأسيس دويلات الطوائف العربية:

ما إن سقطت الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية بعد انتهاء الحرب الصليبية العالمية عليها سنة ١٩١٨م، وما إن انفرط عقد سلطانها عن أقاليمها التابعة لها، حتى انتشرت بترتيبات بريطانية كيانات سياسية كثيرة على أرض الجزيرة العربية، بعضها يمثل ميناء، وبعضها مدينة، وبعضها جزيرة، وبعضها إقليما، فظهر في وسطها إمارة نجد ويحكمها ابن سعود، وفي شمالها إمارة حائل ويحكمها ابن رشيد، وإمارة الجوف ويحكمها ابن شعلان، وفي جنوبها إمارة عسير ويحكمها الإدريسي، وإمارة أبها ويحكمها آل عائض، وفي غربها مملكة الحجاز ويحكمها الشريف، وفي شرقها إمارة الكويت ويحكمها ابن صباح، والبحرين ويحكمها آل خليفة، وقطر ويحكمها ابن ثاني، وشيوخ ساحل عمان المهادن الستة، ومسقط ويحكمها آل سعيد، واليمن في الجنوب ويحكمها آل حميد الدين، كما كانت هناك مشيخات المكلا والشحر وظفار وعمان، وكان أكثرها قد ارتبط قبل الحرب العالمية أو أثنائها أو بعدها بمعاهدات حماية مع بريطانيا.[٤٣٧]

وقد جعلت بريطانيا من هذه الكيانات السياسية دولا، مع أنها لا تمتلك مقومات الدول، ولا الأسس التي تقوم عليها الدول، إذ لا تعبر عن كيانات قومية، فكل سكانها عرب أقحاح من قومية واحدة، كما لا تمثل كيانات دينية إذ كل سكانها مسلمون، كما لا توجد حدود طبيعية تفصل بينها، فكلها منطقة جغرافية واحدة، فقامت بريطانيا بتقسيمها وفق مخطط صليبي يخدم مصالحها فكانت ولادة دويلات الطوائف الصليبية بعد مؤتمر القاهرة ولادة قهرية قسرية تجاوزت كل الشروط الموضوعية الجغرافية والسياسية والتاريخية لقيام الدول!

(٤٣٧) عبد العزيز وبريطانيا ص١١٩.



تشرشل واللنبي وجعفر العسكري –وزير دفاع أول حكومة عراقية- في مؤتمر القاهرة سنة ١٩٢١م

١- ظهور دولة العراق والمملكة الأردنية الهاشمية:

لقد عقد تشرشل مؤتمرا في القاهرة بتاريخ ١٢/٣/١٩٢١م، وتم عقد خمسين جلسة في المؤتمر، الذي حضره خمسون مسئولا بريطانيا، لمناقشة وضع المستعمرات، وقد رشحت حكومة الهند البريطانية ابن سعود أو أحد أبنائه ليحكم العراق، وقد اعترض تشرشل على هذا الاختيار وقرر المؤتمر تنصيب فيصل بن الحسين ملكا على العراق (مع بذل كل جهد لجعل العرض يبدو وكأنه جاء من السكان أهل البلاد، وليس من بريطانيا، ومن أجل المحافظة على وجود بريطاني في البلاد)[٤٣٨]. [٤٣٩]

(٤٣٨) ولادة الشرق ٥٦٥-٥٧٢.

(٤٣٩) تماما كما بدت الانتخابات العراقية على الدستور ثم على الجمعية الوطنية سنة ٢٠٠٦م فلا يحتاج الاحتلال لإضفاء الشرعية على الحملة الصليبية إلا إلى انتخابات برلمانية صورية مزورة، وفتوى دينية من المرجع، فإذا الاحتلال قد صار تحريرا، والعبودية حرية، والتبعية استقلالا، وإذا الأشراف والسادة الهاشميون الجدد من السنة والشيعة قد صاروا زعماء وقادة للعراق الجديد، تحت حراب قوات الاحتلال، وشعارات يا لثارات الحسين، لا من الاحتلال بل الثأر من الشعب العراقي نفسه! في مشهد ساخر يبرأ منه الحسين وآل بيته الأطهار، بعد أن صارت الخيانة سياسة، والعمالة كياسة، وإذا قوات حكومة آل البيت الديمقراطية تحاصر مدن العراق المقاومة للاحتلال مدينة مدينة من الفلوجة إلى كربلاء لتدكها على رؤوس أهلها مع قوات التحالف الصليبي بدعوى مكافحة الإرهاب، فقتل مليون نسمة، وتهجير خمسة ملايين عراقي، ثمن بخس ليعود الحكم والحق إلى آل البيت ليملأوا الأرض عدلا بعد خراب البصرة وبعد تدمير العراق كله، ثم يكون كل هذا الخزي والعار باسم آل البيت الأطهار في عصر غيبة العقل!



عبد الله بن الحسين مع تشرشل في مؤتمر القاهرة سنة ١٩٢١م

وتم تقسيم أرض فلسطين إلى شرقية وغربية، وذلك بأن يكون غربي النهر وطنا قوميا لليهود، كما تم اختيار عبد الله بن الحسين ملكا على منطقة شرق نهر الأردن، بشرط ألا يساعد الشعب السوري على مواجهة الفرنسيين الذين يحتلون سوريا، وأن (يساعد على ضبط الحركات المعادية لفرنسا والصهيونية)، كما يرى تشرشل، كما أنه (يصلح وكيلا مثاليا لبريطانيا في المنطقة، لأنه شخص لا يتمتع بسلطة كبيرة، وليس من أهل شرق الأردن، ولكنه يعتمد على حكومة بريطانيا في الاحتفاظ بمنصبه) على حد قول توماس لورنس.(٤٤٠)

كما تم في هذا المؤتمر رفع الدعم المالي لحليف بريطانيا في نجد ابن سعود إلى مائة ألف جنيه سنويا، من أجل إرضائه حيث تم تنصيب خصومه الهاشميين في العراق والأردن، وقد اختتم مؤتمر القاهرة أعماله بتاريخ ١٩٢١/٣/٢٣م وزار تشرشل عبد الله، وكتب في تقريره لمجلس الوزراء البريطاني عنه بأنه كان (معتدلا ووديا، وموقفه من المتظاهرين العرب ضد الصهيونية، موقف صحيح، فهو يؤنب المتظاهرين، ويقول إن البريطانيين أصدقاؤه، وأن بريطانيا ستفي بوعودها للعرب واليهود على حد سواء، وقد وافق عبد الله أن يحكم الأردن ستة أشهر، وأن يتلقى النصح من ضابط بريطاني، مع دعم مالي بريطاني، مع قواعد جوية)، كما كتب تشرشل إلى كورزون (لقد تبين لي أن عبد الله انحاز كليا إلى أسلوبنا في معالجة المشكلة العربية، آمل أن لا يحز أنصاره عنقه)، كما كانت الآمال على فيصل لا تقل عنها في عبد الله، الذي سيتم اختياره ملكا على العراق المولود حديثا (على أن يبدو الأمر وكأن فيصل

(٤٤٠) ولادة الشرق ٥٦٥-٥٧٢.

قد اختير اختيارا حرا وعفويا، من قبل الشعب العراقي، وقد تلقى المسئولون البريطانيون ما يطمئنهم إلى أن فيصل مستعد للتعاون)، وقد طلب لورنس بعد مؤتمر القاهرة، من فيصل أن يتوجه من لندن إلى مكة، ومن هناك يراسل الشخصيات العراقية الكبيرة، ويتظاهر بأن هناك من أصدقائه من يحثه على الذهاب للعراق، وأنه بناء على ذلك سيتوجه للعراق لتقديم خدماته للشعب هناك، وقد تم استقبال فيصل بالنشيد الملكي البريطاني، وتم إجراء انتخابات بريطانية حصل فيها فيصل على ٩٦٪ من الأصوات، ليصبح أول ملك للعراق بناء على ترشيح لورنس، ضابط الاستخبارات، وتزكية كرزون وزير الخارجية، وقرار تشرشل وزير المستعمرات، ورعاية كوكس المندوب السامي البريطاني في المنطقة، ودعم من ولسون ممثل شركة النفط الأنجلو - فارسية! (٤٤١)

ولاحظ تكرر المشهد نفسه بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، وإجراء الانتخابات تحت حراسة الجيش المحتل، ليفوز بالانتخابات من جاءوا على ظهر الدبابات الصليبية!



فيصل ابن الشريف حسين يتوج ملكا على العراق بحضور الضباط الإنجليز

وبعد تتويجه ملكا رفض فيصل صيغة الانتداب البريطاني على العراق، تحت ضغط العراقيين الرافضين للانتداب، ووافق على معاهدة بينه وبين بريطانيا، وقد قرر مجلس الوزراء البريطاني الاجتماع للنظر في موضوع فيصل فإما أن يتم عزله، أو تنسحب بريطانيا من العراق، بسبب ضغط الرأي العام البريطاني، وارتفاع تكاليف الوجود البريطاني في المنطقة، غير أن رئيس الوزراء أكد أنه (ضد سياسة الهروب من العراق أو من أي مكان آخر) وقد أشار إلى احتمال اكتشاف احتياطي كبير من النفط في

---

(٤٤١) ولادة الشرق ٥٦٥-٥٧٢.

المنطقة (وإذا تركنا البلد، فقد نجد بعد عام أو عامين، أننا سلمنا الفرنسيين والأمريكيين حقلا من أغنى حقول النفط في العالم)[٤٤٢].

ولاحظ تكرر المشهد نفسه، والجدل الدائر في العراق اليوم حول رحيل أو بقاء قوات الاحتلال، وكيف سينتهي الأمر وفق صيغة جديدة يرتضيها بل يفرضها المحتل، ويصدرها البرلمان، وتنفذها حكومة الاحتلال باسم الشعب العراقي!

وقد رأت بريطانيا بعد ذلك ضرورة الحيلولة دون وحدة العرب في العراق والشام والجزيرة العربية، وضرورة تحديد الحدود بين هذه الكيانات الجديدة المصطنعة في العراق، والأردن، والسعودية، والكويت، حيث تم عقد مؤتمر العقير سنة١٩٢٢م، الذي فرض كوكس فيه على المجتمعين اتفاقية تحديد الحدود بين العراق، والمملكة السعودية، والكويت.[٤٤٣]

وكما نجحت بريطانيا في توظيف بعض الزعماء السياسيين لخدمة مشروعها الاستعماري، فقد نجحت أيضا في توظيف رجال الدين، كما فعلت مع نقيب الأشراف ببغداد السيد عبد الرحمن الكيلاني، ومرجع الشيعة الأعلى السيد محمد كاظم اليزدي، فقد كان المرجع اليزدي كما تقول مس بيل: (يحمل أفكارا تشابه أفكار نقيب بغداد، حيث أنه بالرغم من الضغط الذي تعرض له، إلا أنه رفض أن يدلي بشيء يكون في غير صالح التدخل الأجنبي في العراق، وهذا أقصى ما يؤمل من رجل متفرغ للشئون الدينية تمام التفرغ، ولو تخطى هذا الحد لتعرض تأثيره كرئيس ديني للخطر، فتقل بذلك قيمة تأييده الضمني لنا) [٤٤٤].

هذا في الوقت الذي تصدى علماء آخرون للاحتلال ومخططاته كالسيد يوسف السويدي من علماء السنة، والمرجع الشيعي محمد تقي الحائري الشيرازي حيث أصدر فتواه بتحريم العمل بالوظائف في

---

(٤٤٢) ولادة الشرق ٥٦٥-٥٧٢.

(٤٤٣) ولادة الشرق ٥٦٥-٥٧٢، وقصة السيطرة البريطانية ٤٠٣-٤٠٦، وعبد العزيز وبريطانيا ١٤٨-١٥١.

(٤٤٤) فصول من تاريخ العراق للمس بيل ص ٤٦٣، وانظر إلى ما كتبه بول بريمر حاكم العراق الأمريكي في مذكراته عن تعاون المراجع الدينية معه لتعرف سر مأساة الأمة في زعمائها وعلمائها!

الإدارة البريطانية، كما أفتى بكفر من يريد تأسيس حكومة غير إسلامية، ودعا إلى خروج المظاهرات السلمية لنيل الاستقلال.[٤٤٥]

- الترتيبات البريطانية لإقامة دولة الكويت وتحديد حدودها مع الرياض:

كانت الكويت كميناء، والرياض كمدينة، بلدتين تابعتين لدولة واحدة هي الدولة العثمانية إلى الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م – ١٩١٨م، تلك الدولة التي ورثت العالم العربي والإسلامي، وقامت بحمايته، وحافظت على وحدته نحو خمسة قرون تقريبا، حتى جاء المشروع البريطاني والحملة الصليبية على العالم الإسلامي، التي احتلته ثم قسمته إلى دويلات طوائف، وفق مصالحها الاستعمارية، ليبدأ الصراع بين هذه الدويلات على الحدود المصطنعة، التي سيكون لبريطانيا الدور الرئيس في رسمها وتحديدها، بعد أن أخلفت وعدها للشريف حسين بإقامة مشروع الوحدة (المملكة العربية المتحدة) التي تضم الجزيرة العربية والعراق والشام تحت حكم الشريف حسين، وسيكون البديل مشروع التجزئة (العراق، سوريا، الأردن، فلسطين، لبنان، السعودية، اليمن، عمان، الكويت، البحرين، قطر، ساحل عمان)!

وبعد أن فرغت بريطانيا من ترتيب وضع العراق والأردن وفلسطين، وتركت سوريا لفرنسا، بدأت بريطانيا بترتيب إقامة كيانات في الجزيرة العربية تحت حمايتها، ومنفصلة عن بعضها، بما يخدم الوجود الاستعماري البريطاني في المنطقة!

- بداية ظهور كيان الكويت:

في أثناء الحرب العالمية الأولى في شهر فبراير ١٩١٧م توفي جابر بن مبارك الصباح، وجاء بعده سالم بن مبارك الذي كان أكثر منه ميلا للدولة العثمانية، وأكثر تدينا، على خلاف حال أبيه مبارك، فقد (كان سالم متعصبا للإسلام، وكان يعتقد أن سياسة والده الموالية لبريطانيا موجهة ضد بلد إسلامي هو تركيا، في سبيل تأييد إنجلترا البلد الكافر، وفي تأييده للعثمانيين سمح الشيخ سالم للإمدادات أن تمر من الكويت عبر الصحراء إلى الأتراك في دمشق، وقد تلقى تحذيرا من الحكومة البريطانية بأنها ستسحب

(٤٤٥) فصول من تاريخ العراق للمس بيل ص ٣٨٨ و٤٤١ و٤٦٣.

اعترافها بالكويت كمشيخة مستقلة تحت الحماية البريطانية، كما قامت بخطوة أخرى، وهي محاصرة الكويت اعتبارا من فبراير سنة ١٩١٨م إلى أن انتهت الحرب في ذلك العام)[٤٤٦].

لقد كان سالم الصباح أكثر تساهلا مع قبيلة العجمان، التي كانت تشن غاراتها من جنوب العراق على قبائل ابن سعود عابرة أراضي الكويت، وبتواطئ مع قبيلة العوازم، التي بدأ ابن سعود يأخذ منها الزكاة مدعيا أنها من قبائله، مع وجودها في المنطقة الممتدة ما بين الكويت والأحساء -إذ لم تكن هناك آنذاك حدود، ولم تقم دول أصلا في المنطقة- وهو ما أجج حالة التوتر بين سالم وابن سعود -المشغول في المهمة البريطانية لتحييد حائل والهجوم عليها- وقد دفع ذلك سالم للتحالف مع العجمان، ليستعين بهم على حماية الكويت من جهة الجنوب، بعد تفاقم الأزمة بينه وبين ابن سعود، مما جعل بريطانيا تتدخل لحسم الموضوع.[٤٤٧]

وقد أرسلت الحكومة البريطانية في نوفمبر ١٩١٧م الكابتن هاملتون الوكيل السياسي في الكويت إلى ابن سعود، ثم بعثت بعده جون فيلبي الذي اقترح لحل المشكلة ضم الكويت إلى ابن سعود الحليف الأقوى لبريطانيا في المنطقة -بعد أن كان مبارك هو حليف بريطانيا، الذي كان يسيطر على حركة ابن سعود ويوجهها وفق المشروع البريطاني- فقد قلبت بريطانيا ظهر المجن للكويت، بعد أن تضاءل دورها وأثرها في خدمة المشروع البريطاني، أمام أثر ابن سعود ودوره الذي بات يستحق أن تكون الكويت تحت سيطرته، وميناء من موانئ دولته، كما اقترح ذلك جون فيلبي في رسالة رسمية لحكومته، التي أجلت النظر في الموضوع.[٤٤٨]

وقد أدرك سالم خطورة الوقوف أمام المشروع البريطاني الذي قد يفضي بضم الكويت إلى عدوه، وقبل سالم التفاهم مع ابن سعود، الحليف الرئيسي لبريطانيا بعد مبارك الصباح، وبدأ سالم بالتفاوض في

---

(٤٤٦) الكويت رؤية سياسية لحسن الإبراهيم ٦٦.

(٤٤٧) تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ١٩٧، وقد تحولت هذه القبائل اليوم من سكان أصليين تلجأ إليهم مشيخات المدن لحماية مدنها وتوسيع نفوذها من خلال تحالفها مع تلك القبائل، إلى عنصر دخيل على أرضه في ظل الدولة الحديثة!

(٤٤٨) تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٢٠٠.

شأن العجمان الذين أصر ابن سعود على جلائهم من الكويت، فقررت بريطانيا وضعهم تحت حمايتها إلى ما بعد انتهاء الحرب العالمية لمدة سنة، بشرط أن يخرجوا من الكويت، وأن لا يدخلوها في المستقبل، ولا يتزودون بالمؤن منها، وأن يستقروا في جنوب الزبير، على أن تقوم بريطانيا بإجراء مرتبات لشيوخهم بعد توقيعهم اتفاقية معاهدة مع بريطانيا بهذا الخصوص، ولا تشمل الاتفاقية العجمان الذين يشتغلون في الغوص في الكويت، ومن كان منهم من أهل مدينة الكويت أصلا.(٤٤٩)

- المخطط البريطاني للسيطرة على القبائل وإخضاعها لحلفائها:

ولم تحل تلك الاتفاقية بين العجمان واستمرار هجماتهم على أراضي ابن سعود الذي ما زال يحاول فتح حائل، ففي شهر١٩١٧/٧م تحالفت قبائل من شمر مع العجمان على شن الغارات، وكانت بتواطئ من قبيلة العوازم، لتنفيذ هذه الهجمات عبر أراضي الكويت، مما أثار الأزمة مجددا بين سالم وابن سعود، وقد اقترح جون فيلبي ممثل بريطانيا في الرياض على رؤسائه في بغداد -بعد احتلال بريطانيا لها- أن يتم محاصرة قبيلة أسلم الشمرية وقبيلة العجمان، وأن يتم منعهم من التزود بالمؤن من الأسواق التي تحت سلطة بريطانيا، كما اقترح توجيه إنذارا لسالم الصباح بخلعه من الإمارة إذا لم يلتزم بأوامر بريطانيا بهذا الخصوص.(٤٥٠)

وقد قامت بريطانيا بأخذ تعهد على قبيلة العجمان وقبيلة شمر، وأخذت منهم رهائن للالتزام بالتعهد، واعتبرت أن كل من يخالف التعهد عدوا لبريطانيا وابن سعود، كما أمرت بريطانيا الكويت باحتلال آبار الجهراء والآبار الأخرى قرب مدينة الكويت، وأمرت ابن سعود باحتلال آبار الحفر، والقوات البريطانية باحتلال آبار صفوان.(٤٥١)

---

(٤٤٩) العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٢٠٢، وتاريخ الكويت للرشيد ٢٣٨، وخزعل ٢٠٧/٤.

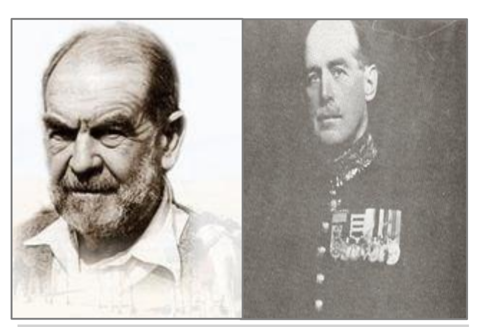
(٤٥٠) تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٢٠٤.

(٤٥١) تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٢٠٦، وهذا يؤكد أنه لم تكن الجهراء من الكويت آنذاك، ولا تحت سيطرة سالم، إلا بعد أن أمرت بريطانيا سالما باحتلال آبارها والسيطرة عليها، لمنع ابن رشيد من العودة إليها بعد أن سيطر عليها عدة أشهر وحاصر الكويت منها قبيل ذلك.

وهذا دليل على عدم تبعية تلك الأراضي آنذاك للكويت أو للرياض، وأنها كانت خاضعة للقبائل التي تتبع تلك الآبار مناطق نفوذها، ولهذا طلبت بريطانيا من حلفائها احتلال تلك الآبار!

وكان الهدف هو محاصرة هذه القبائل ومنعها من الوصول إلى موارد المياه، وهي الآبار التي طالما تزودت منها هذه القبائل منذ مئات السنين!

وكانت هذه إحدى الخطوات التي اتبعتها بريطانيا لتدجين القبائل العربية وترويضها لسلطة حلفائها في المنطقة، ليسهل لها السيطرة عليها بعد ذلك وهو ما تحقق بالفعل.



هاملتون المعتمد السياسي البريطاني في الكويت
وجون فيلبي ممثل بريطانيا في الرياض
اللذان اقترحا طرق إخضاع القبائل لسيطرة حلفاء بريطانيا

كما استخدمت بريطانيا أسلوبا آخر في ترويض القبائل حيث قامت باقتراح من المعتمد السياسي البريطاني في الكويت هاملتون بعد محادثات أجراها مع ابن سعود في الرياض في نوفمبر ١٩١٧م من أجل تعزيز نفوذ ابن سعود بتحويل صرف (كل المخصصات المالية التي تقدمها بريطانيا -بعد سقوط الدولة العثمانية- لقبائل وسط الجزيرة العربية ومن ضمنها قبائل عنزة وعتيبة ومطير وسبيع وبني هاجر وقحطان والدواسر والمناصير والمرة وبني عبد الله من مطير والسهول والعجمان وشمر والظفير، ودفعها من خلال ابن سعود، واعتماد مقيم سياسي بريطاني لديه)[٤٥٢].

فقد أصبحت القبائل -التي كانت تستلم مخصصاتها من الدولة العثمانية مباشرة سابقا، ثم من بريطانيا بعد احتلالها للمنطقة- تحت رحمة ابن سعود بعد أن صار دفع مخصصاتها المالية عن طريقه لإخضاعها لنفوذه وسلطته.

---

(٤٥٢) الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية ٣/٦٧٠.

وقد نجحت الخطة البريطانية في محاصرة هذه القبائل حيث وافق العجمان على الرجوع إلى أراضيهم ودخولهم تحت سلطة ابن سعود، كما انخرط العوازم في حركة الإخوان الوهابية، وهو ما دفع سالم إلى البحث عن حلفاء آخرين فاستمال بعض قبائل مطير للوقوف في صفه.[٤٥٣]

وقد نصت الاتفاقية العثمانية البريطانية لسنة ١٩١٣م التي بموجبها تم تحديد مناطق النفوذ بينهما في مادتها السابعة على أن حدود الكويت مع نجد تبدأ من حفر الباطن مرورا بآبار اللصافة واللهابة والقرعة شرقا، والتي هي أراضي لقبيلة مطير، فكانت تمثل حاجزا قبليا بين سالم وابن سعود، مما حدا سالم إلى التحالف معها ضد خطر ابن سعود.

ولم يتم توقيع تلك الاتفاقية بين بريطانيا والدولة العثمانية بشكل نهائي، حيث قامت الحرب العالمية الأولى بينهما مما أبطل مفعول الاتفاقية، وقد وقعت بريطانيا مع ابن سعود معاهدة في ديسمبر ١٩١٥م -بعد أن ضمنت دخوله تحت حمايتها- نصت في المادة السادسة منها على أن حدود أراضيه سيتم تحديدها مع جيرانه فيما بعد، مما يؤكد أن بريطانيا لم تعترف بالحدود التي أشارت إليها اتفاقية سنة ١٩١٣م غير الموقعة.[٤٥٤]

خاصة أن تلك الحدود التي تضم الصمان إلى الكويت تم ادعاؤها من طرف مبارك بإيعاز من بريطانيا، لتحصل بريطانيا بموجبها على أكبر مساحة من الصحراء لمحميتها الكويت من الدولة العثمانية التي كانت تعيش أضعف مراحل تاريخها في تلك الفترة، إذ لم تكن سلطة شيخ الكويت قبل ذلك تتجاوز حدود أسوار المدينة، حتى بدأ المشروع الاستعماري البريطاني في المنطقة، والذي اتخذ مبارك وسيلة لتحقيق أهدافه، فكان أول شيخ يتطلع إلى الصحراء غربا.

وقد تزوج مبارك الصباح لتعزيز نفوذه غربا ابنة فهد الأصقه الدويش وأسكنها الجهراء.[٤٥٥]

(٤٥٣) تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٢٠٧.

(٤٥٤) تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٢١٤.

(٤٥٥) لوريمر في دليل الخليج القسم الجغرافي ٤/١٦٣٣و٣/١١٠٨.

وكما يقول لوريمر فقد جعل مبارك الصباح (من نفسه حليفا لقبيلة مطير وذلك بالزواج منهم، ومطير لهم شأنهم في نجد، ويعسكرون في الصمان، أو عند رأس خليج الكويت في الصيف)[٤٥٦]، وحيث (يقطن جزء من الصمان التابع للكويت قبيلة مطير فقط، ويخيم عدد كبير منهم في الجهراء كل موسم)[٤٥٧].

فقد كان هدف مبارك واضحا من توطيد علاقته بقبيلة مطير عن طريق التحالف والمصاهرة، إذ تسيطر القبيلة على الصحراء غربا، حيث تمتد الصمان العاصمة الصحراوية للقبيلة، لتشكل بذلك حاجزا قبليا بين كل من الكويت وحائل والرياض، وقد حاول كل من أرد توسيع نفوذ مدينته من شيوخ وأمراء هذه المدن الثلاث كسب القبيلة إلى صفه كما يقول لوريمر: (ففي عام ١٨٧٨م كانت علاقة قبيلة مطير مع ابن رشيد ودية، ولم يكونوا تابعين له في يوم من الأيام، وفي الصراع الطويل الذي نشب بين الأمراء الشمريين والوهابيين انضم رجال مطير إلى الدولة الجنوبية وشاطروها النصر النهائي، وقد أدى التحالف بين ابن سعود وشيخ الكويت أثناء الحرب إلى قيام علاقات أوثق، وكان شيخ الكويت يقوم بترتيب مع ابن سعود وبالنيابة عن ابن سعود بجمع الزكاة من القبيلة التي تعيش ضمن أراضيه، وبعد جمع الزكاة يقوم المزكي بدفع جزء منها للشيوخ الرئيسيين للقبيلة، ويحمل الباقي لشيخ الكويت، وهناك علاقة مصاهرة بين الكويت وقبيلة مطير، ورجال القبيلة مسلحون جيدا بالبنادق كما يليق بحليف للكويت)[٤٥٨].

وقد أدى تنافس المدن الثلاث على كسب ود قبيلة مطير إلى انقسام القبيلة بين حلفائها كما قال لوريمر: (وأثناء الصراع الأخير للسيطرة على أواسط الجزيرة العربية، أيد بنو عبد الله -من مطير-

(٤٥٦) لوريمر في دليل الخليج القسم الجغرافي ١٣٤٣/٤.

(٤٥٧) لوريمر في دليل الخليج القسم الجغرافي ١٣٤١/٤.

(٤٥٨) لوريمر في دليل الخليج القسم الجغرافي ١٦٢٧/٤.

ابن رشيد، بينما وقفت أغلب القبيلة مع ابن سعود، حتى تمت هزيمة ابن رشيد نهائيا فعاد بنو عبد الله إلى هيكل القبيلة العام)[٤٥٩].

لقد أراد سالم الصباح أن يقوم من خلال تحالفه مع بعض قبائل مطير بتأمين حدوده غربا، كما فعل والده من قبل، غير أن بريطانيا -وبعد أن وصلت إلى وسط الجزيرة العربية عن طريق ابن سعود الذي أصبح تحت حمايتها رسميا- لم تعد في حاجة خدمات شيخ الكويت، الذي لا يستطيع منافسة حليفها الجديد، فأصبحت بريطانيا تراهن على ابن سعود في ترسيخ أقدامها في الجزيرة العربية، بعد أن أثبت لها مدى إخلاصه وتعاطفه معها في الحرب العالمية الأولى.

- الحصار البريطاني للكويت:

وقد ازدادت علاقة سالم الصباح سوءا ببريطانيا بعدما ثبت لها عجزه عن قطع طرق الإمداد إلى الجيش العثماني في الشام التي تصل من طريق الكويت، وحيث يبدي سالم تعاطفا مع الدولة العثمانية التي تتعرض جيوشها في دمشق وفلسطين للحصار الاقتصادي البريطاني، وقد فرضت بريطانيا حصارا اقتصاديا على الكويت، وفرضت مراقبة صارمة على كل ما يرد على الكويت أو يخرج منها، وحددت في أواخر سنة ١٩١٧م للقبائل أسواقا خاصة هي الزبير والكويت والخميسية للتزود منها بالمؤن، وجعلت عليها مراقبين بريطانيين مهمتهم فرز القبائل المؤيدة لبريطانيا من المعادية لها، ويتم تزويد القبائل المؤيدة بالرخصة للشراء من هذه الأسواق، وتحرم القبائل المعادية من هذا الحق، خشية أن تهرب هذه القبائل المؤن لحائل أو الشام، والتي ما زالت تحت الحصار البريطاني من أجل احتلالها في المستقبل.[٤٦٠]

وقد حرض ابن سعود بريطانيا على محاصرة الكويت ومراقبتها للحيلولة دون خروج أي قافلة للدولة العثمانية ومن يقف معها، وأنه على بريطانيا أن تقضي على المشكلة في مهدها في الكويت، وقد فرضت بريطانيا حصارا بحريا وبريا على الكويت وهددت سالم المبارك باحتلال الكويت عسكريا، ومنعت أن

---

(٤٥٩) لوريمر في دليل الخليج القسم الجغرافي ١٦٣٣/٤و١١٠٨/٣. والهزيمة النهائية التي يعنيها لوريمر هي معركة الروضة بين ابن سعود وعبد العزيز بن متعب الرشيد في ١١ /٤/ ١٩٠٦م، والتي قتل فيها ابن رشيد وخلفه ابنه متعب على إمارة حائل، كما يقول لوريمر في دليل الخليج القسم التاريخي ١٧٣٨/٣.

(٤٦٠) العلاقات بين الكويت ونجد ٢٠٨، وتاريخ الكويت للرشيد ٢٣٨، وخزعل ١٠٧/٤.

يصل الكويت من الهند شيء من المؤن أكثر من حاجة المدينة وحاجة قبائلها المجاورة لها، والموالية لبريطانيا، واستمر الحصار على الكويت إلى أن انتهت الحرب العالمية الأولى في نوفمبر ١٩١٨م.[٤٦١]

- الاتفاق البريطاني مع قبيلة عنزة:

وفي الوقت الذي تم فيه فرض الحصار البريطاني على الأسواق الرئيسة -التي ترتادها القبائل في الجزيرة العربية والعراق والشام- لقطع الطريق على القوافل التي تزود الجيش العثماني والمناطق العربية التي لا تزال موالية للدولة العثمانية بالمؤن، قامت بريطانيا بدفع الأموال والمؤن لشيوخ القبائل الذين تعاونوا معها، كما فعلت مع شيخ شيوخ قبيلة عنزة فهد الهذال الذي خصصت له بريطانيا منحة مالية وتعهد لها بالمحافظة على السلم ومنع مرور البضائع عبر البادية، ومع أن خطر المجاعة لم تستثن منه البادية، غير أن عشيرة فهد تسلمت كميات كبيرة من الحبوب والتمور بشكل منتظم، فكانت الجموع الجائعة تعبر البادية ملتجئة إلى فهد، وكما قالت المس بيل:

(وما حل كانون الثاني حتى كان مائة ألف بدوي -من قبيلة عنزة وحدها- يخيمون على مقربة من فهد، وادعين سهلي الانقياد، مثل سلالات كلابهم، وخيلهم المشهورة، ولم يحدثوا أي اضطراب، بل قبلوا بمنة المؤونة التي زودوا بها، وعندما ملأ العشب ضروع نياقهم في الربيع أخذوا يرجعون إلى ديارهم) [٤٦٢].

وبذلك نجحت بريطانيا في ترويض القبائل العربية والسيطرة عليها لصالح مشروعها الاستعماري في المنطقة، ومن أجل إقامة (دويلات الطوائف) على أنقاض الخلافة العثمانية!

- معركة حمض بين سالم الصباح وقبيلة مطير:

وفي أبريل سنة ١٩٢٠م قام تراحيب بن شقير الدويش وبعض قبيلة مطير ببناء هجرة (قرية) على آبار قرية، التي كانت موطنا منذ القدم لقبيلة مطير.[٤٦٣]

وقد رأى سالم أن ذلك اعتداء على حدود أراضيه الجنوبية بحسب الاتفاقية الأنجلو عثمانية التي لم توقع، فاشتكى إلى الوكيل السياسي البريطاني في الكويت، كما أمر بمنع قبيلة مطير من دخول مدينة

---

(٤٦١) العلاقات بين الكويت ونجد ٢١٠، وتاريخ الكويت للرشيد ٢٣٩، وخزعل ٤/ ١٣٥.

(٤٦٢) فصول من تاريخ العراق للمس بيل ص ١٣١.

(٤٦٣) العلاقات بين الكويت ونجد ٢١٨.

الكويت للتزود بالمؤن ليخضعها لسلطته، وقد عدت قبيلة مطير ذلك المنع بمثابة إعلان حرب عليها، إذ مدينة الكويت هي مصدر تزود القبيلة بالمؤن منذ قديم الزمان -وهو ما أقرت به الحكومة البريطانية التي حملت سالم تبعات مثل هذا المنع(٤٦٤)- مما حدا القبيلة إلى قطع الطريق بين الكويت ونجد، والإغارة على أطرافها، فأرسل سالم جيشا بقيادة دعيج الصباح وعبد الله الجابر الصباح إلى (قرية)، وذلك ما حدا بابن شقير الدويش إلى طلب النجدة من فيصل الدويش القائد الأعلى للإخوان آنذاك الذي بادر -على رأس ألفين من قواته- لمواجهة دعيج الصباح، فاشتبك الجيشان في معركة حمض، وقتل أكثر جيش دعيج الصباح، بعد أن تعرض لهزيمة شنيعة، وكان عدد القتلى في صفوف قوات دعيج كبيرا، ولم ينج دعيج وعبد الله الجابر الصباح من الموت والأسر إلا بأعجوبة، وغنمت قبيلة مطير أمواله التي تقدر بثلاثين ألف جنيه إسترليني.(٤٦٥)

وقد توجه الدويش بقواته بعد ذلك مباشرة إلى الكويت مما أثار الرعب والهلع في قلوب الناس في القرى المجاورة الذين فروا إلى المدينة، بعد أن بلغتهم أخبار هزيمة دعيج الصباح في حمض، وخبر تقدم الدويش نحو الكويت، وقد أمر سالم بتشييد سور الكويت لحمايتها من الهجوم القادم الذي لم يمنع من وقوعه سوى حرارة الصيف الحارقة، ولم يتحمل سالم نفقات السور، بل بناه أهل المدينة من أموالهم، حيث بنى أهل كل حارة ما يليهم من جوانب السور الذي بلغ طوله نحو خمسة أميال على شكل نصف دائرة من البحر إلى البحر.(٤٦٦)

- اللجنة البريطانية لتحديد الحدود بين الكويت والرياض:

وقد طالب سالم الصباح وابن سعود من بريطانيا التدخل لحل المشكلة، والفصل في موضوع الحدود، فأمرت الطرفين بعدم إثارة المشاكل حتى تفرغ من تشكيل لجنة بهذا الخصوص، فقد كانت بريطانيا سنة ١٩٢٠م تواجه في العراق ثورة العشرين للشعب العراقي مما أشغلها عن مشاكل محمياتها الخلفية.

(٤٦٤) الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية ٥/٣١٩.

(٤٦٥) الكويت وجاراتها لديكسون ١/٢٥٦، والعلاقات بين الكويت ونجد ٢١٨-٢٢٢، وتاريخ الكويت للرشيد ٢٤٨، وتاريخ الكويت لخزعل ٤/٢٢٥.

(٤٦٦) العلاقات بين الكويت ونجد ٢٢٣، وتاريخ الكويت للرشيد٢٥٠، وخزعل ٤/٢٢٦.

وقد نبهت بريطانيا سالم الصباح إلى عدم الاحتجاج في موضوع الحدود بالاتفاقية الأنجلو عثمانية لسنة ١٩١٣م لكونها لم توقع، ولأنه حل محلها المادة السادسة من معاهدة الحماية البريطانية مع ابن سعود لسنة ١٩١٥م، التي أجلت تحديد حدوده مع الكويت إلى المستقبل.[٤٦٧]

وقد أثار سالم الصباح سخط بريطانيا بسبب تعنته في حل مشاكله مع ابن سعود بالطريقة التي تقترحها عليه، حتى بلغ الأمر بأن فكر المسئولون البريطانيون في بغداد بإمكانية عزل سالم ونصب خليفة له أكثر مرونة منه.[٤٦٨]

- الخلاف بين سالم وابن سعود على تبعية قبيلة العوازم:

وقد أرسل ابن سعود رسالة إلى سالم الصباح في يوليو سنة ١٩٢٠م جاء فيها:

(لم يكن في الماضي قضية حدود بين أراضينا، فأرضك باقية في الكويت، وأراضي تحت سيطرة القبائل، لقد بدأ مبارك أولا باستيفاء الزكاة من العوازم حين كنا ضعفاء، وحينما أخضع الأحساء، كان والدك يدفع للدولة العثمانية ستمائة دولار عن زكاة العوازم) [٤٦٩].

وقد رضي الطرفان بتوقيع تعهد يلتزمان فيه بقبول التحكيم البريطاني في موضوع الحدود، وقد طالب سالم أن يشمل التحكيم جميع القضايا المختلف عليها ومنها زكاة قبيلة العوازم التي بدأ ابن سعود بأخذها منهم، والغزوات التي تشنها القبائل على الكويت، فرد عليه المقيم السياسي في الخليج بقوله:

(إن الزكاة اعتادت القبائل أن تدفعها لمن يوفر لها الحماية، أو لمن يكرهها على الدفع، أو لمن تتوفر له هيبة كافية لجعل القبائل تدفعها له دون إكراه، وأما الغزوات والغزوات المضادة فإنها من متطلبات الحياة اليومية في بلاد العرب فليس التحكيم قادرا على إيقافها)[٤٧٠].

وقد أرسل سالم بتعهد بتاريخ ١٩٢٠/٩/٧م حدد فيه الحدود التي يدعيها كما جاءت في اتفاقية سنة ١٩١٣م، ومنها آبار اللهابة واللصافة والقرعة -وهي تقع في الصمان التابع لقبيلة مطير- وانطاع، حيث

(٤٦٧) تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٢٣٢.

(٤٦٨) انظر تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون حاشية ص ٢٣٣.

(٤٦٩) تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٣٥٨.

(٤٧٠) العلاقات بين الكويت ونجد ٢٣٥-٢٣٧، وتاريخ الكويت للرشيد ٢٥٣، وخزعل ٢٤١/٤.

العشائر التي تشرب منها وترد عليها تختاره هو لا ابن سعود، كما طالب في الملحق الرابع من شروط تعهده أن تعطى قبائل البادية حرية الاختيار في أداء زكاتهم لمن يشاءون من الطرفين، على أن يتحمل الطرف الذي يستوفي زكاتهم مسئولية أعمالهم إلى أن يفارقوه ويؤدوا الزكاة لغيره، وفي حال الاعتداء بين قبائل الطرفين، وفي حال الإخفاق في حلها، يحال الأمر لبريطانيا ويلتزمان بحكمها، وأن تظل التجارة حرة بين الطرفين.(٤٧١)

وقد كان هدف سالم -من منح القبائل حرية الاختيار المشروط في المعاهدة- فتح المجال له في المستقبل حين تتغير موازين القوى بانضمامها إليه متى ما شاءت، إذ أدرك بأن حدوده هي حدود قبلية لا جغرافية، وأنها تمتد بامتداد أراضي القبائل الراغبة بالانضمام له بدفع زكاتها إليه، وهو ما نجح ابن سعود في تحقيقه في تلك الفترة.

وقد أكد ابن سعود -في تعهده بالتزام نتائج التحكيم- أن حدود سالم هي أسوار مدينة الكويت طبقا لما كان عليه الحال أيام أسلافه، حين كانت سلطة شيخ الكويت قاصرة على مدينة الكويت ذاتها فقط على حد ما جاء في رسالته للمقيم السياسي البريطاني.(٤٧٢)

- تحالف سالم الصباح وشمر والعجمان:

ولم تباشر بريطانيا بالفصل بين سالم وابن سعود، بعد تعهد الطرفين خطيا بقبول نتائج التحكيم البريطاني، فبادر سالم -كما تؤكد الوثائق البريطانية- إلى تشكيل تحالف ضم قبيلة الأسلم من شمر بقيادة ابن طوالة، التي كانت تستوطن شمال الكويت على آبار صفوان، فانتقلت بناء على طلب سالم إلى الجهراء، لتشكل قوة مشتركة بقيادة دعيج الصباح وابن طوالة لحماية الكويت، كما نجح سالم في التحالف مع بعض قبائل العجمان، وكذا نجح في جذب قسم من قبيلة مطير إلى صفه ممن كانوا ضد الدويش، فاستجابوا لطلب سالم وانحازوا إليه ونزلوا الجهراء، كما ضم إلى تحالفه ابن سويط وقبيلة الظفير.(٤٧٣)

---

(٤٧١) العلاقات بين الكويت ونجد ٢٣٥-٢٣٧، وتاريخ الكويت للرشيد ٢٥٣، وخزعل ٤/ ٢٤١.

(٤٧٢) تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٢٣٧.

(٤٧٣) تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٢٣٨.

- الحل البريطاني لمشكلة الكويت وحدودها:

وقد اجتمع بيرسي كوكس في العقير مع ابن سعود وطرح عليه ابن سعود فكرة فيلبي، التي اقترح فيها ضم الكويت إلى ابن سعود، فلم يرد كوكس عليه جوابا واضحا، كما اجتمع بعدها كوكس بسالم بتاريخ ١٩٢٠/٩/٢٩م، واستطلع رأيه في المشكلة، وقد أصبح كوكس بعد هذه اللقاءات أكثر إدراكا لمعرفة أبعاد الأزمة وكيفية حلها، وقد رأى ضرورة أن يكون لمدينة الكويت مساحة صحراوية خلفية تحميها من الأخطار الخارجية، كما رأى أنه ليس لسالم أن يتشبث باتفاقية سنة ١٩١٣م، بين بريطانيا والدولة العثمانية، إذ لم يكن الهدف منها تحديد حدود الكويت، بل مد النفوذ البريطاني على حساب النفوذ العثماني، وتحديد منطقة نفوذ كل منهما، وبما أن الدولة العثمانية قد خرجت من المنطقة فلا معنى لتشبث سالم بمثل هذه الاتفاقية، كما توصلت التقارير البريطانية إلى ضرورة وجود الكويت بمساحة واسعة لتكون حاجزا بين العراق ونجد، كما توصلت إلى أن ابن سعود أقدر من سالم على السيطرة على القبائل الصحراوية، فمن الأفضل ضم القبائل في جنوب الكويت إلى ابن سعود، وكذلك أكد المقيم السياسي في الخليج العربي أن بريطانيا وإن كانت تعترف بالحدود التي يدعيها مبارك، إلا أنها غير ملزمة بالاعتراف بتلك الحدود لخلفائه، كما أثار الوكيل السياسي البريطاني في البحرين موضوع أن بريطانيا غير ملزمة بنص معاهدة الحماية أن تحمي الكويت من جهة الصحراء، بل توفر لها الحماية البحرية فقط، وهو ما استقر عليه رأي السلطات البريطانية، إلا أن بريطانيا لن تسمح بالهجوم البري على المدينة من أي طرف ليكتسحها، كما رأى الوكيل السياسي في البحرين بأن وجود ابن سعود - الذي قدم خدمات ومساعدات قيمة لبريطانيا في الحرب ضد الدولة العثمانية- على رأس حكومة قوية في نجد سيكون مناسبا لبريطانيا، حيث يصبح جيرانه في خوف دائم منه، يدفعهم إلى الخضوع لرغبات بريطانيا التي تمليها عليهم، غير أنها لن تسمح له في المقابل بضمها وتوحيدها.[٤٧٤]

- معركة الجهراء بين سالم الصباح وفيصل الدويش:

وفي ١٩٢٠/١٠/٧م تحركت قوات فيصل الدويش زعيم الإخوان التي تقدر بأربعة آلاف مقاتل من آبار الوفرة إلى آبار الصبيحية، فتحرك سالم الصباح إلى الجهراء ومعه نحو ثلاثة آلاف مقاتل، لمواجهة الهجوم المتوقع، وكان قد استنجد بضاري بن طوله شيخ قبيلة الأسلم من شمر الذي كان معسكرا قرب

---

(٤٧٤) تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٢٤٠-٢٤٤.

صفوان شمال الكويت، وطلب منه سالم النزول هو وقبيلته على الجهراء فنزل ضاري عليها، وفي تاريخ ١٠/١٠/ ١٩٢٠م اشتبك الجيشان في معركة الجهراء، وقد لجأ سالم ومن معه إلى القصر الأحمر بعد تعرضه لهزيمة ساحقة، ودبت الفوضى في القصر وفي القرية، وقد تم التفاوض بين الطرفين، بعد أن علم فيصل ما كان عليه حال أهل القصر (من الضيق والقلق فرق فيصل الدويش لحالهم، وعزم على أن يقترح عليهم شروط الهدنة التي تتلخص بالعودة إلى حظيرة الدين الإسلامي الصحيح، فلم يعارض الشيخ سالم بفتح باب المفاوضة)، وقد جاء في شروطهم أيضا طرد القنصل البريطاني في الكويت.[٤٧٥]



قصر الحمراء الذي لجأ إليه سالم الصباح وجيشه بعد الهزيمة، وحوصر فيه من قبل فيصل الدويش وجيشه

وقد دار حديث في القصر بين سالم الصباح ومبعوث الدويش الشيخ عثمان بن سليمان قال سالم فيه: (لماذا هذا القتال بيننا وكلنا مسلمون موحدون وأمامنا عدو لدود يريد القضاء علينا جميعا؟ -يقصد بريطانيا- هيا لنرم الضغائن والأحقاد ونكون يدا واحدة عليه، وهذه فكرة جميلة تدل -كما يقول المؤرخ الرشيد الذي كان مع سالم في القصر وأثناء لمفاوضات- على صدق سالم وإخلاصه، ولكن التصريح بها أمام مثل هذا الرجل يدل على السذاجة والبساطة، وقد أكثر سالم القول هناك بما لا أحب ذكره هنا) كما يقول مؤرخ الكويت الرشيد.[٤٧٦]

وهذا يؤكد أن سالم المبارك كان يضمر العداوة لبريطانيا ويرى أنها كانت وراء كل ما كان يتعرض له من حصار وتضييق وحروب بسبب موقفه من الدولة العثمانية، كما دعا سالم الدويش إلى الوقوف

(٤٧٥) تاريخ الكويت لخزعل ٤/٢٦٨، وتاريخ الخليج العربي لزكريا ٣/ ٧١.

(٤٧٦) تاريخ الكويت للرشيد ٢٥٩.

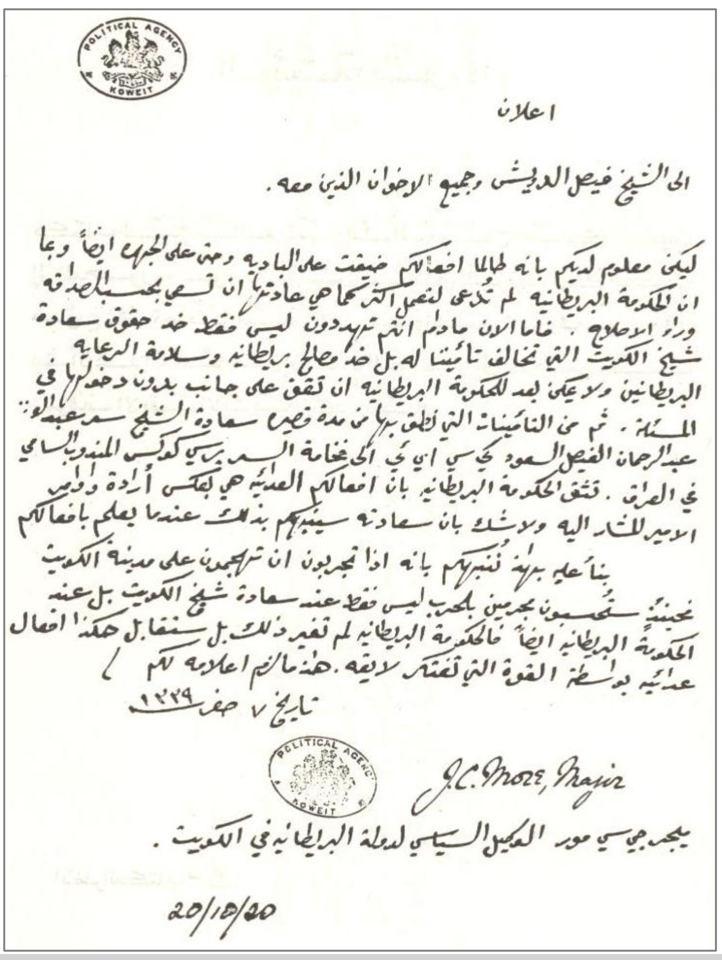
جميعا صفا واحدا في وجه بريطانيا، التي طالب الدويش في شروطه طرد قنصلها من الكويت، واعتذر سالم بأنه لا يستطيع تنفيذ مثل هذا الطلب، وفي الوقت الذي يشترط زعيم الإخوان فيصل الدويش على سالم الصباح التخلص من النفوذ والوجود البريطاني في الكويت، لم يكن الدويش ومن معه يعلمون بأن ابن سعود هو أيضا كان قد وقع اتفاقية سرية منذ خمس سنوات في سنة ١٩١٥م أصبح بموجبها تحت الحماية البريطانية بشكل رسمي!

وبعد الصلح وموافقة سالم على الالتزام بتنفيذ ما اتفق عليه من الشروط ومن ذلك إزالة المنكرات، رفع الدويش الحصار عن القصر، ورحل إلى الصبيحية، وأقام عليها أياما ينتظر مدى التزام سالم بالصلح، وقد أرسل سالم إلى الدويش برسالة مختصرة عندما وصل الكويت جاء فيها (أعداؤكم أعدائي وأصدقاؤكم أصدقائي)، وقد أرسل الدويش برسالة إلى ابن سعود يخبره فيها بالصلح، وأن هدفه من الهجوم على الجهراء كان لمنع سالم من تكرار الاعتداء عليهم كما حدث في حمض.[٤٧٧]

وفي ١٤/١٠/١٩٢٠م أرسل الدويش وفدا -وكان ما يزال على آبار الصبيحية- إلى سالم في الكويت ليتأكد من الوفاء بما التزمه من الشروط في عهد الصلح، ويدعوه إلى الانضمام إلى حركة الإخوان، وقد تعلل سالم بالمرض عدة أيام لعله يجد حلا لهذه المشكلة إذ ما زالت جيوش الدويش قريبة تهدد الكويت، فاضطر إلى طلب التدخل البريطاني لحمايته، فبادرت إلى إرسال سفينتين حربيتين للمرابطة أمام ساحل الكويت، كما أمرت بإرسال بعض الطائرات البريطانية الحربية لقصف مخيمات الدويش ومن معه على الصبيحية، وقد ألقت الطائرات منشورات جاء فيها على لسان المندوب البريطاني في العراق ما يلي: (طالما ظلت النزاعات محصورة في الصحراء أو في الجهراء فإننا لسنا مدعوين لفعل أكثر من بذل مساعينا الحميدة من أجل السلام، لكننا حين نجد التهديد ضد مدينة الكويت فلن نظل والحال هذه مراقبين، إنهم إذا بذلوا أية محاولة للهجوم على مدينة الكويت فسيعاملون من قبل السلطات البريطانية على أنهم مجرمي حرب).

---

(٤٧٧) تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٢٦٠.



اعلان

الى الشيخ فيصل الدويش وجميع الاخوان الذين معه.

ليكن معلوم لديكم بانه لطالما افعالكم ضيقت على البادية وحتى على الجهرا ايضاً وبما
ان الحكومة البريطانية لم تدعى لتعمل الى الآن كما هي عادتها ان تسعى بحسب الصداقة
وراء الاصلاح. فاما الان ما دام انتم تهددون ليس فقط ضد حقوق سعادة
شيخ الكويت التي تخالف تأميننا له بل ضد مصالح بريطانيا وسلامة الرعايا
البريطانيين ولا يمكن بعد للحكومة البريطانية ان تقف على جانب بدون دخولها في
المسألة. ثم من التأمينات التي اطلقت بها من مدة قصيرة سعادة الشيخ سر عبد العزيز
عبد الرحمن الفيصل السعود جي سي اي ي الى فخامة السر برسي كوكس المندوب السامي
في العراق. تثق الحكومة البريطانية بان افعالكم العدائية هي بعكس ارادة ورضى
الامير المشار اليه ولا شك بان سعادته سيخبركم بذلك عندما يعلم بافعالكم

بناءً عليه بهذا نخبركم بانه اذا تجربون ان تهجمون على مدينة الكويت
فحينئذٍ ستحسبون مجرمين بالحرب ليس فقط عند سعادة شيخ الكويت بل عند
الحكومة البريطانية ايضاً فالحكومة البريطانية لم تغير ذلك بل ستقابل حالاً افعال
عدائية بواسطة القوة التي تعتبر لائقة. هذا ما لزم اعلامه لكم

تاريخ ٧ صفر ١٣٣٩

J.C. More, Major

ميجر جي سي مور الوكيل السياسي لدولة البريطانية في الكويت.

20/10/20

نص المنشور الذي ألقته الطائرات البريطانية الحربية على مخيمات الدويش ومن معه في الصبيحية

وقد قامت السلطة البريطانية بنصب بعض المدافع الرشاشة وإقامة مجموعة من الجنود على السور، وقد عقد سالم وبحضور الوكيل السياسي البريطاني لقاء مع وفد الدويش الذي قرر الرحيل عن الصبيحية في ١٩٢٠/١٠/٢٨م بعد أن حملوا سالم مسئولية الإخلال بتنفيذ المعاهدة، كما أرسل المندوب البريطاني في بغداد إلى ابن سعود يأمره بأن تبقى آبار الصبيحية غير محتلة من قبل أي من الطرفين إلى أن يتم حل النزاع، وكذلك اعترف بأن المنطقة المحاطة بالدائرة الحمراء حسب الاتفاقية الأنجلو عثمانية لسنة ١٩١٣م والتي تمتد على شكل نصف دائرة من الخور شمالا إلى ضلع القرين جنوبا أراض كويتية غير قابلة للنزاع، وأما الدائرة التي بعدها باللون الأخضر، فتعد أراض محايدة لا يحق لأحد

احتلال آبارها، وهي التي نصت الاتفاقية على أن تكون قبائلها تابعة لشيخ الكويت لكونه قائمقاما عثمانيا.[٤٧٨]

لقد كان واضحا أن بريطانيا لا تعد الصحراء وقرية الجهراء جزءا من الكويت بحسب المعاهدة التي أبرمتها مع مبارك، وأنه لا يلزمها بناء على ذلك حمايتها والدفاع عنها، وأنها ملزمة فقط بحماية الكويت المدينة فإذا (تعدى الأمر وشملت التهديدات مدينة الكويت والرعايا البريطانيين القاطنين فيها، وتعرضت تأكيدات بريطانيا لشيخ الكويت للخطر، فإن حكومة بريطانيا لا تستطيع أن تبقى مكتوفة الأيدي)[٤٧٩].

ومما يؤكد ذلك ما جاء في خطاب مبارك الصباح إلى صديقه خزعل شيخ عربستان سنة ١٩٠٤م وقد ورد فيه: (نحن الآن في الجهراء وسنحدر إلى بلدك الكويت)[٤٨٠].

وهو ما يؤكد أن الكويت هي المدينة فقط، ولم يكن يطلق على صحرائها اسم الكويت إلا بعد سنة ١٩١٣م حين كادت بريطانيا أن توقع اتفاقية مع الدولة العثمانية لتحديد حدود برية للكويت، بعد أن اتسع نفوذ مبارك الصباح خلال تنفيذه المشروع البريطاني في المنطقة.

وفي شهر ١٢/١٩٢٠م أغار فيصل الدويش على أطراف الكويت فأغار على ابن عمه ابن ماجد الدويش ومعه قبائل من مطير ظلوا حلفاء لسالم الصباح وبطش بهم، وكانوا على الجهراء، كما أغار أيضا على الظفير حلفاء سالم الصباح وأخذهم، ثم توجه إلى الزبير فهددته السلطات البريطانية بطائراتها، فرجع فيصل الدويش ومر بالجهراء مهددا لها ثانية.[٤٨١]

---

(٤٧٨) انظر تفاصيل معركة الجهراء في الكويت وجاراتها لديكسون ١ /٢٥٦-٢٦١، والعلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٢٦٠-٢٦٦و٢٤٧، وتاريخ الكويت للرشيد ٢٦١، وتحفة المشتاق ص ٤١٨، وتاريخ الكويت السياسي لخزعل ٤ /٢٧٦، وتاريخ الخليج العربي٣/٧١-٧٦.

(٤٧٩) الكويت وجاراتها لديكسون ١/٢٦١.

(٤٨٠) تاريخ الكويت السياسي لخزعل ٢/٢٥٠.

(٤٨١) العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٢٦٨، وتاريخ الكويت لخزعل ٤/٢٨٩.

وقد أراد الشيخ خزعل شيخ المحمرة في عربستان التوسط بين سالم وابن سعود، فاقترح الأمر على بيرسي كوكس في العراق، فاقترح عليه كوكس أن يضم الكويت إلى بلده، أو يوافق على ضمها إلى ابن سعود، فرفض خزعل الضم ووافق على السعي في الصلح[٤٨٢].

- بيرسي كوكس وفرض الحدود بين الكويت والسعودية ١٩٢١م:

ولم ير كوكس بعد وفاة سالم الصباح في فبراير ١٩٢١م ما يدعو إلى حل عاجل لقضية الحدود بين الكويت والرياض، غير أن القتال المتكرر بين قبائل المنطقة بدأت تثير القلاقل خاصة بين نجد والحكومة الهاشمية الوليدة في بغداد على يد بريطانيا، مما دفع بريطانيا إلى طرح قضية تحديد الحدود بين الدول التي اخترعتها وحمتها وحددت حدودها!

وقد واجهت بريطانيا مشكلة في غاية التعقيد إذ كما يقول الأستاذ السعدون:

(لم تكن عملية رسم الحدود عملية هينة، إذ لم تعرف هذه المنطقة منذ وجودها شيئا اسمه الحدود، فأغلب مساحاتها صحار شاسعة، تقطنها قبائل بادية، السمة الأساسية لحياتها التنقل الحر طلبا للكلأ والمياه، أو الغزو في ديرة قبيلة معادية، إذ لكل قبيلة مراع وآبار خاصة يمكن تمييزها بالخبرة والعرف المتوارث، ولذلك لم يكن معروفا لدى تلك القبائل مفهوم الوطن الذي نعرفه الآن، فانتماؤها إلى هذا الكيان السياسي أو ذاك يتحدد من خلال علاقات الرهبة والرغبة التي تربط مشايخها برئيس الكيان وهي عرضة للتغيير والتبديل بسرعة كبيرة بحيث لا يمكن القول إلا نادرا بأن هذه القبيلة تنتمي إلى هذا الحاكم أو ذاك بصورة مطلقة وفي كل وقت، وكان من الصعب تقبل أفراد القبيلة فكرة وضع حدود تفصل الكيانات السياسية عن بعضها دون أن تراعي الواقع القبلي الموروث، وسيما وأن تلك الكيانات لم يكن يفصلها عن بعضها معالم طبيعية يمكن تمييزها بسهولة مثل الجبال أو الأنهار، وقد فطن لذلك الأمر ديكسون الوكيل السياسي البريطاني في البحرين الذي كتب إلى المندوب السامي البريطاني في العراق مقترحا أن يتم تحديد الحدود بين نجد والكويت على أساس التعرف على القبائل التابعة لكل طرف، وتمييز الآبار الخاصة بكل قبيلة، ثم تضم بعد ذلك القبيلة والأراضي التي تستخدمها مخيما صيفيا إلى الطرف الذي تدين له بالولاء، وحذر من أن أي محاولة لحل المشكلة على

(٤٨٢) تاريخ الكويت لخزعل ٤/٢٩٦.

أساس رسم خط للحدود على النمط الأوربي سوف تقود إلى معارك قبلية متصلة، إذ لن تطيع القبائل أبدا قرارا يحرمها من حقوقها القديمة) [٤٨٣].

لقد كانت حقيقة المشكلة تتمثل في أن المنطقة تمثل إقليما جغرافيا واحدا، تعيش عليه قبائل تعود إلى أصل قومي واحد، وتتحدث لغة واحدة، وتدين بدين واحد، ولها ثقافة وقيم واحدة، وظلت منذ أن وحدها الإسلام تمثل جزءا من دولة وكيان سياسي واحد على مر العصور، ولم يجرؤ أي حاكم أو سلطان أن يحدد حدودا يفصل فيها بين الشعب العربي المسلم الواحد، على هذه الجزيرة الواحدة، حيث تنتقل القبائل شمالا وجنوبا طلبا للكلأ منذ ما قبل الإسلام حتى جاء الاستعمار البريطاني وخلق هذه الكيانات المصطنعة، لقد كان اقتراح ديكسون في رسم الحدود بحسب الانتماء والامتداد القبلي هو الحل الوحيد، إذ لا يمكن الحل بحسب عامل الجغرافيا، إذ تمثل المنطقة وحدة جغرافية واحدة، ولا بحسب عامل العرق القومي، إذ كل سكانها عرب أقحاح، ولا بحسب العامل التاريخي، إذ لم يسبق أن قامت كيانات سياسية مستقلة تماما، لها حدودها الخاصة، إلا أن المشكلة التي تواجه اقتراح ديكسون هو أن الامتدادات القبلية شاسعة جدا، فقبائل العجمان والعوازم والهواجر والخوالد تمتد من الكويت إلى الأحساء جنوبا، كما تمتد قبيلة مطير من الكويت والخليج العربي شرقا إلى الصمان، ثم الدهناء، ثم القصيم، ثم الحجاز، ثم البحر الأحمر غربا، كما تمتد قبيلة المنتفق والظفير من الكويت جنوبا، إلى العراق شمالا، وكذا تمتد قبيلة شمر من شمال الكويت إلى حائل في الشمال الغربي، مما يجعل تقسيم الحدود كما اقترحه ديكسون مستحيلا مع أنه هو الخيار الوحيد المتاح، إذ لا يمكن تقسيم المنطقة على هذا النحو إلا على حساب القبيلة الواحدة، ووحدة عشائرها، لتكون القبائل هي ضحية هذه

---

(٤٨٣) تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٢٧٩-٢٨٠.

ولاحظ كيف أدرك البريطانيون خطورة وأثر تحديد الحدود على وضع القبائل الذين هم السكان الأصليون للصحراء، والتي لم تعرف في تاريخها الجاهلي والإسلامي كله مثل هذه الحدود التي تحرمها من حقوقها الطبيعية والتاريخية حتى قامت دويلات الطوائف البريطانية، التي استعانت ببريطانيا على ترويض القبائل لسلطتها لتستولي على أراضيها باسم الدولة الحديثة، بينما الواقع هو أن القبائل أرغمت على التخلي عن أرضها لا لشعب تصبح هي جزء منه، بل للأسر الحاكمة الحليفة للاستعمار التي صارت تتصرف في أراضي القبائل الشاسعة كما يتصرف الإقطاعي في أرضه بعد أن كان لا يستطيع أحد المرور فيها والعبور إليها ولا الشرب من مياهها إلا بإذن من قبائلها، لتصبح القبائل العربية غريبة على أرضها دخيلة عليها في ظل دويلات الطوائف في ظل الحملة الصليبية!

المؤامرة الاستعمارية التي راعت بريطانيا فيها مصالحها ومصالح حلفائها على حساب مصلحة شعب وقبائل المنطقة الواحدة، كما أن اقتراح ديكسون بأن يراعى في تحديد إقامة القبيلة مكان استقرارها صيفا لا يحل المشكلة، إذ أن قبيلة مطير التي يستوطن قسم من عشائرها صيفا ومنذ قديم الزمان رأس خليج الكويت والجهراء والوفرة وأم الهيمان وأبو دوارة والطوال قريبا من واره -وهي كلها آبار أصبحت جزء من حدود الكويت الدولة- تستوطن أيضا أقسام آخرى من عشائرها آبار الصمان والحفر والدهناء ... إلخ.

وكذا حال باقي قبائل الكويت، وهو ما يجعل الاعتداد بالاستقرار الصيفي للقبيلة غير ذي جدوى، لانتشار عشائر القبيلة الواحدة في مخيمات استيطانية شبه مستقرة في الصيف قرب الآبار التي تشرب منها.

كما تتمثل الإشكالية الثانية في أن أبناء القبائل لم يتعودوا طاعة أي حكومة، بل ويرفضون وجودها، ويقاومون خضوعهم لمثل تلك الحكومة.[٤٨٤]

فلم يكن ابن صباح في نظر القبائل آنذاك سوى شيخ مدينة، لا يتجاوز نفوذه أسوارها، بل ولا يعادل في نفوذه وسلطتة نفوذ شيوخ القبائل على قبائلهم، كما لا تعادل مساحة الأرض التي له عليها سلطة فعلية، مساحة الأرض التي تسيطر عليها تلك القبائل كمراعي لها منذ قديم الزمان.

كما إن الانتماء هو للقبيلة ذاتها، ولا يوجد أي انتماء آخر بالنسبة للقبائل، وعلاقتها بشيوخ المدن، كعلاقتها بشيوخ القبائل الآخرين على حد سواء، وهذا الذي أدى إلى نشوب الحرب بين الكويت كمدينة، ومطير كقبيلة، كما حدث في معركة حمض حيث اعتبرت القبيلة آبار قرية لها، فنزلت عليها، ورفض سالم ذلك، فنشبت الحرب بينهما، كما تنشب بين قبيلتين، لا بين دولة وقبيلة كما يشيع في الثقافة المعاصرة الزائفة، إذ كان الجميع شعبا واحدا، في وطن واحد، ضمن سيادة الدولة العثمانية إلى الحرب العالمية الأولى!

(٤٨٤) ولادة الشرق لديفيد فرومكين ٥٠٥.

- مؤتمر العقير ومسرحية التقسيم:



الوكيل السياسي البريطاني بيرسي كوكس وعبد العزيز بن سعود

وقد تم عقد مؤتمر العقير في شهر ١١/ ١٩٢٢م بحضور ابن سعود، والوكيل السياسي البريطاني في الكويت الميجر مور نائبا عن أحمد الجابر، وصبيح نشأت وزير المواصلات العراقي نائبا عن ملك العراق فيصل بن الحسين، وبيرسي كوكس الذي كان الحكم بينهم، وقد ادعى ابن سعود تبعية قبيلتي الظفير والعمارات العنزية له واللتين تمتد ديارهما من نجد إلى نهر الفرات، وبعد جدل طويل بين الأطراف، أخذ كوكس القلم وخريطة الجزيرة العربية (وخط عليها بقلم أحمر خطا فولد بذلك لأول مرة في التاريخ خط حدود فصل نجدا عن كل من العراق والكويت)[٤٨٥].

وقد أقر كوكس بحرية قبائل كل طرف بدخول أراضي الطرف الآخر من أجل الوصول إلى الآبار والمراعي، وحرم على الطرفين لذلك بناء القلاع والمراكز الثابتة على طول خط الحدود الفاصل بين البلدين أو على جانبي المنطقة المحايدة، كحل وسط بين مبدأي الحدود على نمط الحدود الأوربية، والحدود القبلية، وقد وهب كوكس بجرة قلم ثلثي مساحة الكويت كما جاء في الاتفاقية الأنجلو عثمانية لسنة ١٩١٣م إلى ابن سعود، كما اقتطع مساحات شاسعة من نجد ووهبها للعراق، مما دفع ابن سعود للبكاء أمام كوكس من هذا الإجحاف الذي لحق بأراضي قبائله التي يدعي تبعيتها له.[٤٨٦]

وقد كان ديكسون حاضرا ذلك المؤتمر وأبدى ملاحظاته على ما قام به كوكس حيث قال:

---

(٤٨٥) تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٢٨٤.

(٤٨٦) العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٢٨٨، وتاريخ الكويت لخزعل ٥/٢٤١.

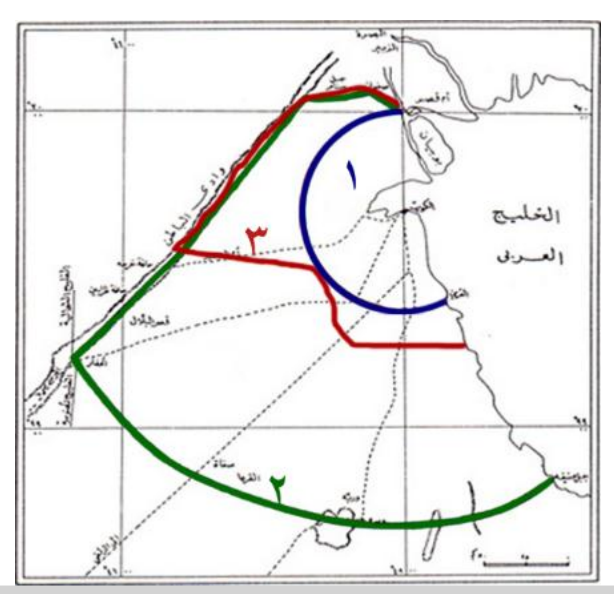
(لقد أخطأ السير بيرسي كوكس في إحضاره فهد بك الهذال، لأن فهد بك ونوري الشعلان يعتبران أنفسهما زعيمي اتحاد قبائل عنزة كلها، ويدعيان أنهما أعلى منزلة من آل صباح في الكويت وابن سعود نفسه، إنه أمر طبيعي أن يمتعض ابن سعود من وجود أحد أفراد القبيلة في المؤتمر ينظر إليه أنه وكأنه أوضع منه نسبا... ومع أن ابن سعود كان يعتبر نفسه حليفا وصديقا لبريطانيا إلا أنه يشعر بأنه مطوق من جميع الجهات بعدد من الدويلات الدمى التي خلقتها حليفته! وفي اجتماع خاص ضم بيرسي كوكس وابن سعود وأنا فقط حيث فقد كوكس صبره واتهم ابن سعود بأنه تصرف تصرفا صبيانيا في اقتراح فكرة الحدود العشائرية، ولم يكن كوكس يجيد اللغة العربية فقمت أنا بالترجمة ولقد أدهشني أن أرى كوكس يوبخ سيد نجد كتلميذ وقح ويبلغه بلهجة قاطعة أنه سيخطط الحدود بنفسه بصرف النظر عن كل اعتبار! وهكذا انتهى هذا الفصل من المسرحية فانهار ابن سعود وأخذ يتودد ويتوسل معلنا أن السير كوكس هو أبوه وأمه وأنه هو الذي صنعه ورفعه من لا شيء إلى المكانة التي يحتلها[٤٨٧]، وأنه على استعداد أن يتخلى عن نصف مملكته بل كلها إذا أمره كوكس بذلك! وفي اجتماع عام للمؤتمر أخذ كوكس قلما أحمر ورسم على الخريطة خطا وأعطى العراق مساحة كبيرة من الأراضي التي تدعي نجد ملكيتها، وإرضاء لابن سعود حرم الكويت بدون شفقة من ثلثي أراضيها تقريبا وأعطاها لنجد بحجة أن سلطة ابن صباح في الصحراء أصبحت أقل مما كانت عليه يوم أن وضعت الاتفاقية البريطانية العثمانية. وفي الساعة التاسعة مساء حدثت مقابلة مدهشة فقد طلب ابن سعود مواجهة بيرسي كوكس على حدة، واصطحبني كوكس معه، فوجدنا ابن سعود واقفا وحده وسط خيمة الاستقبال بادي الاضطراب وبادر مخاطبا كوكس: يا صديقي لقد حرمتني نصف مملكتي الأفضل أن تأخذها كلها وتدعني أذهب للمنفى، وانفجر باكيا وتأثر كوكس وأمسك بيد ابن سعود وأخذ يبكي هو الآخر وقال له: يا صديقي إني أعرف شعورك ولهذا السبب أعطيتك ثلثي الكويت، ولست أعرف كيف سيتلقى ابن صباح الصدمة؟ وظل خط الحدود الذي رسمه بيرسي قائما لم يتغير إلى الآن) [٤٨٨].

---

(٤٨٧) وتأمل في عبارة ديكسون ووصفه لما جرى في المؤتمر بالمسرحية التي ما تزال فصولها تعرض على خشبة المسرح على أرض الخليج والجزيرة العربية منذ ذلك الحين إلى اليوم!

(٤٨٨) الكويت وجاراتها لديكسون ١/٢٧٨-٢٨٣.

لقد تحولت القبائل التي كانت توالي الكويت في عهد مبارك وسالم إلى ابن سعود بعد أن تجاهلها أحمد الجابر، وتجاهل أهمية كسبها إلى جانبه، فقد كانت سلطة أي شيخ على أية أرض إنما يستمدها من نفوذه على القبائل التي تستوطنها، والتي لا توالي إلا من يدعمها ماديا ومعنويا، فالولاء القبلي ليس للإمارة والمدينة بل للأشخاص والزعماء الذين يستميلون هذه القبائل.[٤٨٩]



١-الخط الأزرق يرمز لنطاق السلطة المباشرة لشيخ الكويت كما ورد في خريطة سنة ١٩١٣م.
٢-الخط الأخضر يرمز لحدود خريطة الكويت كما جاء في الاتفاقية الأنجلو-عثمانية سنة ١٩١٣م.
٣-الخط الأحمر يرمز لحدود الكويت كما حددها بيرسي كوكس في مؤتمر العقير سنة ١٩٢٢م.

لقد كانت القبائل وتبعيتها وامتداد ديارها هي الأساس الذي تم بناء عليه تحديد الحدود الزائفة لمنطقة واحدة، وشعب واحد، لم تفصل بين مدنه الحدود والحواجز منذ أن كان هناك عرب في جزيرة العرب، حتى جاء الاستعمار البريطاني بدويلات الطوائف الحديثة التي لا تعبر عن هوية شعب هذه الجزيرة، ولا تمثل إرادته، بل تعبر عن هوية الأسر العشائرية التي تحكمها فقط، وتمثل إرادة الاستعمار التي أوجدها لتحقيق مشروعه بالسيطرة على الخليج والجزيرة العربية.

لقد كان شأن تلك الحدود كما قال ديكسون عنها:

(٤٨٩) تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ٢٨٨.

(إن الحدود الاعتباطية التحكمية بين العراق ونجد كانت في رأيي خطأ كبيرا، إذ أن ابن سعود حصر تنقلات قبائل نجد السنوية ربما ولأول مرة في التاريخ باتجاه الشمال، إن المشكلة قد حلت حسب المقاييس الأوربية وليس حسب تلك المقاييس المفهومة في العالم العربي ولذلك لم ينجم عن تلك السياسة إلا المشاكل)[٤٩٠].

إن تسوية اتفاقية العقير -بشهادة الغربيين أنفسهم- ما هي إلا أفكار أوربية بعيدة عن طبيعة الواقع العربي، حيث الحياة البدوية، والصحاري الواسعة بلا حدود، ففكرة الحدود الثابتة لا يمكن أن تطبق على المساحات الواسعة من البوادي والصحاري في شبه الجزيرة العربية التي لا يعترف بها المجتمع البدوي ولا يقرها بتاتا.[٤٩١]

وقد رأى ديكسون نفسه كيف تتم الرحلة السنوية للقبائل النجدية إلى العراق وقد وصفها فقال عنها:

(وصلنا الشق -منطقة تقع جنوب غرب الكويت- وكانت الجمال سارحة ترعى بعشرات الآلاف، وكانت تأتي من الجنوب الشرقي باتجاه الشق جمال ثقيلة الأحمال تنقل الخيام والأمتعة، إنها الهجرة الشمالية الغربية الكبرى لقبيلة مطير الخارجة من الصمان بعد أن وصلت لها أخبار المراعي الجيدة وبرك الماء الكثيرة)[٤٩٢].

لقد كان تحديد الحدود ذاته، والتحكم في سير هجرة القبائل العربية السنوية شمالا وجنوبا للبحث عن الكلأ، الوسيلة الرئيسة التي استخدمها البريطانيون للسيطرة عليها، كما فطنت لذلك (مس بيل) المسئولة البريطانية عن الإدارة الملكية في العراق بعد الاحتلال البريطاني له، حيث رأت أن السيطرة على قبائل شمر مرهون بقطع طريق هجرتها، حيث قالت:

---

(٤٩٠) الكويت وجاراتها ١/٢٨٤.

(٤٩١) عبد العزيز وبريطانيا ٢٠٣.

(٤٩٢) الكويت وجاراتها ٢/١٨٢.

(لكن سيطرتنا عليهم على كل حال ستتوقف خلال السنوات القلائل القادمة على قدرتنا على قطع طريق هجرتهم شمالا وجنوبا)[٤٩٣].

وكذا فطنت إلى ضرورة ضم القبائل قسرا إلى المدن والموانئ والمشيخات فيها التي ترتاد القبائل مدنهم للسيطرة عليها، حيث تقول:
(إن من الأمور الأساسية أن يجري تفاهم تام مع الأمراء العرب الذين ترتاد قبائلهم الجوالة أطراف البلاد المعمورة، وليس هذا شيئا صعبا أيام السلم، لأنهم يعتمدون في احتياجاتهم المعيشية الضرورية على الأسواق التي يقصدونها لهذا الغرض، ومن الممكن أن يجعل السماح لهم بالاتصال بهذه الأسواق منوطا بمسلكهم الحسن، على أنهم طالما كانوا يحترمون حدود المدينة التي يتصلون بها وحدها فإن التزاماتهم يمكن أن يقال عنها أنها تحققت، فليست هناك أي حكومة يمكنها أن تتوقع السيطرة على ما يفعلونه ضمن ديرتهم)[٤٩٤].

وبهذه الطريقة تمكن البريطانيون من السيطرة على القبائل الرئيسة في الجزيرة العربية التي يمكن أن تهدد وجودهم واستقرارهم في المنطقة، كقبيلة عنزة وشمر ومطير التي ترتحل شمالا وجنوبا، وقد قدرت المس بيل عدد أفراد قبيلة عنزة وحدها بربع مليون نسمة على أقل تقدير[٤٩٥]، في الوقت الذي كان مجموع سكان مدينة الكويت آنذاك لا يتجاوز عشرين ألف نسمة!

- المشروع البريطاني لتأسيس المملكة العربية السعودية:

نجحت بريطانيا في إقامة المملكة العربية السعودية كمشروع تجزئة على أنقاض مشروع الشريف حسين وثورته العربية في مكة التي وعدته بريطانيا أن تقيم له مقابل وقوفه معها ضد الخلافة العثمانية (المملكة العربية المتحدة) التي تضم جزيرة العرب والعراق والشام، وهو ما رأت بريطانيا خطورة تحقيقه بعد سقوط الخلافة العثمانية، فكان مشروع (المملكة العربية السعودية) البديل

(٤٩٣) فصول من تاريخ العراق للمس بيل ص ١٦٦.

(٤٩٤) فصول من تاريخ العراق للمس بيل ص ٨٥.

(٤٩٥) فصول من تاريخ العراق للمس بيل ص ١٢٩.

البريطاني لمشروع (المملكة العربية المتحدة) لتقسيم المنطقة وتسهيل مهمة السيطرة عليها والتحكم بها!

لقد دعمت بريطانيا ابن سعود -الذي خرج من الكويت بعد أن أصبحت تحت الحماية البريطانية المباشرة، وبدعم كامل من بريطانيا ماديا وعسكريا عن طريق مبارك الصباح الذي التزم بموجب معاهدة الحماية أن يلتزم في شئونه الخارجية بالسياسة البريطانية- وقد كان عبد العزيز (ينظر إلى شبه الجزيرة بكاملها باعتبارها من الممتلكات السابقة لعائلته، وأنه يتحتم عليه استعادة كل هذه الأملاك، وقد أوضح ابن سعود هذه الحقيقة للريحاني عندما قال: لا نطلب غير ما كان لآبائنا وأجدادنا قبلنا، ليعلم ذلك أصحابنا الإنجليز وليعلم ذلك الشريف وأولاده)[٤٩٦].

وفي الوقت الذي يؤمن ابن سعود بأن نجدا ملك له فقد (كان البدو -كما يقول جون س- لا ينتمون إلا إلى أنفسهم، كما كانت الصحراء بكاملها موطنا لهم... فلم يكن لهم موطن أو أرض) [٤٩٧].

لقد كانت بريطانيا (تراقب تلك القوة الجديدة، وفي الوقت ذاته تساعدها سرا عن طريق الكويت، لكونها الحليف غير المباشر لبريطانيا ضد الأتراك، وكان ابن سعود بدوره يخطب ود الإنجليز ويرسل لهم في نفس الفترة -سنة ١٩٠٦م- مبعوثا من قبله للتفاوض مع الكابتن بريد وكس المعتمد السياسي في البحرين، طالبا مساعدة بريطانيا للتخلص من الأتراك في الأحساء، ومؤكدا رغبته في عقد معاهدة معهم، وعلى تواجد معتمد إنجليزي في الأحساء والقطيف)، وقد توقعت بريطانيا بأن ابن سعود سيواجه القراصنة في الخليج العربي، وسيساعد بريطانيا على التخلص منهم.[٤٩٨]

---

(٤٩٦) الإخوان السعوديون لجون س ٥٢.

(٤٩٧) الإخوان السعوديون لجون س ٤٦.

(٤٩٨) قصة السيطرة البريطانية لمي الخليفة ص ٣٥٧. والقراصنة اصطلاح بريطاني يطلق آنذاك على كل من كان يقاوم الوجود الاستعماري في المنطقة، وهو كمصطلح إرهابيين الذي يطلق اليوم على كل من يقاوم الحملة الصليبية على العالم الإسلامي أو ويرفض الاحتلال الأجنبي!

ولهذا لجأ ابن سعود بعد قيام حركة الإخوان النجدية الجديدة إلى تقدمها وقيادتها (بصفته زعيما دينيا (إماما) وبصفته أيضا سلطانا).[٤٩٩]

ولا يمكن التوفيق بين هاتين النظريتين بل العقيدتين -عقيدة ابن سعود من جهة، حيث يؤمن بأن الأرض ملك له ورثها عن آبائه وأجداده، وعقيدة عرب الصحراء من جهة أخرى الذين يؤمنون بأن الصحراء كلها وطن لهم لا يمنعهم منها أحد- إلا بإعادة طرح مفهوم الإمامة الدينية التي تسمح بتحقيق هدف ابن سعود باستعادة ملك آبائه من خلال عرب الصحراء أنفسهم الذين يؤمنون بأن الأرض لهم!

- ظهور حركة الإخوان في نجد:

لقد انبعثت الحركة الدينية الجديدة في نجد على يد الشيخ عبد الكريم المغربي الذي كان من كبار علماء البصرة في حضرة شيخ المنتفق فالح السعدون، وبعده صار مع الشيخ مزعل السعدون، ثم رحل إلى نجد وكان متأثرا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقام بإحيائها من جديد بعد أن استقر بالأرطاوية -قبل أن تصبح هجرة رئيسية من هجر الإخوان بعد ذلك- ونشر دعوته في حدود سنة ١٨٩٩م، وبالتأكيد -كما يقول ديكسون- لم يكن لابن سعود -ولا لعلماء نجد- أي يد في ظهور هذه الحركة، ولم يلتفت إليها ابن سعود إلا بعد أن احتل الأحساء سنة ١٩١٣م.[٥٠٠]

أي أن ظهور حركة الإخوان وانبعاثها من جديد كان قبل خروج ابن سعود من الكويت واحتلال الرياض، فلم يكن له ولا للوهابيين في نجد دور في إحيائها، بل كان مجددها هو الشيخ عبد الكريم المغربي الأصل البصري البلد!

ولا يبعد أن يكون السلطان عبد الحميد قد أوعز للسعدون بذلك، إذ كان مشروعه للجامعة الإسلامية، وحركة الإحياء الديني، قد بدأ في هذه الفترة تقريبا، وكان يولي عناية بإحياء الدعوة الدينية في كل إقليم بحسب مذهب كل بلد، وهو ما أشارت له بعض التقارير البريطانية كما سيأتي!

---

(٤٩٩) الإخوان السعوديون لجون س ٥٣.

(٥٠٠) الكويت وجاراتها لديكسون ١/١٤٣.

لقد قدر لحركة الإخوان هذه كما يقول فرومكين: (أن تغير طبيعة الأمور السياسية في شبه الجزيرة العربية لمصلحة ابن سعود، فقد بدأ رجال القبائل يبيعون جمالهم وممتلكاتهم، كي يستقروا في تجمعات زراعية وتعاونية، ويعيشوا حياة دينية وهابية، وعلى الفور وضع ابن سعود نفسه على رأس هذه الحركة، التي وفرت له جيشا من البدو، أعظم المحاربين في شبه الجزيرة العربية، وأخذت تتقلص سلطة شيوخ كل قبيلة ضمن حركة الإخوان، ويتقلص معها الانفصال بين القبائل، بينما أخذت تنمو سلطة ابن سعود)[٥٠١].

لقد حاولت بريطانيا بعد ذلك معرفة كل تفاصيل حياة الإخوان الجدد، وأفكارهم، وغاياتهم (وفي الوقت الذي بدأت تتسرب فيه الأخبار عن حركة الإخوان، كانت هذه الأخبار قد تشوهت، إما عن طريق المبالغة في رواية هذه الأخبار، أو عن طريق تحريفها عن قصد، أو عن طريق التضليل)[٥٠٢].

وقد قال عنهم ديكسون نفسه:
(برغم ما كتب عن قسوة الإخوان ورعبهم لا بد أن أسجل الرأي الذي يقول إن كل ذلك كانت تجري المبالغة فيه بحذق وعناية خدمة لأهداف سياسية في ذلك الوقت، كنت أكن للإخوان دائما إعجابا حاقدا، ويحتمل أن يكون السبب في ذلك هو أن هناك سحرا عجيبا يحيط بهؤلاء الرجال الصادقين، المؤمنين بالله حقا، وأنا أعترف بأني ما تعرفت على أحد هؤلاء الإخوان حتى اكتشفت أن الفرق بينهم وبين الأنواع الطيبة من العرب البدو في الأماكن الأخرى يسير جدا)[٥٠٣].

وهذا ما أكده الوكيل السياسي البريطاني في البحرين في تقرير رسمي بتاريخ ١٩٢٠/٦/٧م عن الشائعات حول قتل الدويش للنساء والأطفال بعد معركة حمض بين مطير وابن صباح:
(أما فيما يتعلق بالروايات الواردة بشأن مقتل النساء والأطفال على يد مطير، فقد ظهر أنها كما كان متوقعا قصة لا أساس لها من الصحة مطلقا، والواقع أن امرأة وطفلين قتلا مصادفة برصاصة طائشة، وأنا شخصيا لم أصدق ما قيل عن وقوع مذبحة للنساء، فهذا أمر لا يفعله العرب مطلقا، وحتى في

---

(٥٠١) ولادة الشرق لديفيد فرومكين ص ٤٧٤.

(٥٠٢) الإخوان السعوديون لجون س ٦١.

(٥٠٣) الكويت وجاراتها ١٤٢/١، والإخوان السعوديون لجون ٦١.

عملية نهب كربلاء سنة ١٨٠١م التي قام بها سعود الكبير، لم تمس امرأة واحدة وهذا أمر موثق رسميا)[٥٠٤].

لقد بدأت حركة الإخوان في سنة ١٨٩٨م تقريبا، وفي سنة ١٩١٢م، وكما يقول جون س: (نشأت أول هجرة في الأرطاوية، وبعدها بوقت قصير أنشئت الهجرة الثانية في الغطغط، وقد أدى شيوع صيت هاتين الهجرتين اللتين كانتا تسكنهما أقوى قبيلتين في نجد مطير وعتيبة إلى بدء سباق قامت به قبائل نجد الأخرى ليكون لكل منها هجرته)[٥٠٥].

وقد تحولت الأرطاوية في وقت قصير إلى مدينة يقطنها نحو ٣٥٠٠٠ نسمة من الإخوان وأسرهم.[٥٠٦]

وبقيام الأرطاوية في شمال شرق الرياض، والغطغط في الجنوب الغربي لها، كمدن عسكرية جهادية تؤمن بفكرة الإخوان العقائدية والسياسية التي تقوم على التوحيد المطلق دينيا وسياسيا، بتوحيد الدين لله، وتوحيد الأمة في دولة واحدة، حدثت التحولات الكبرى المعاصرة في تاريخ نجد والحجاز (فمن وجهة النظر السياسية العسكرية -كما يقول جون- فإن ذلك الالتزام من قبل فيصل الدويش، العدو التقليدي لعائلة الرشيد، قلل من أهمية قدرات ابن رشيد في مواجهة ابن سعود، والسبب في ذلك أن قبيلة مطير بدأت تضع ثقلها في مواجهة عاصمة بن رشيد في حائل، وبنفس الطريقة فإن قبيلة عتيبة تحت قيادة سلطان بن بجاد في الغطغط راحت تحمي الجناح الغربي من الهجمات التي يحتمل أن تأتي من الحجاز، هذان المركزان بحكم موقعهما الاستراتيجي، كانا بمثابة منارتين تصدر عنهما إشارات الصحوة الإسلامية مصحوبة بكل حماس الحركة العسكرية الفتية الناجحة... وخلال عقد ونصف من تأسيس أول هجرتين تم إنشاء ما يزيد عن مائتي هجرة)[٥٠٧].

وقد بلغ عدد سكان تلك الهجر أربعين ألفا في هجر قبيلة مطير، وثلاثين ألفا في هجر قبيلة حرب، واثنين وعشرين ألفا في هجر قبيلة عتيبة، وخمسة عشر ألفا في هجر قبيلة العجمان، وكذا مثله في

(٥٠٤) الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية ٥/٣٢٠.

(٥٠٥) الإخوان السعوديون لجون س ٩٥.

(٥٠٦) الإخوان السعوديون لجون س ٩٩.

(٥٠٧) الإخوان السعوديون لجون س ١٠٨.

هجر قبيلة العوازم، وكذا بلغ عدد سكان هجر قبيلة شمر خمسة عشر ألف نسمة أيضا، وعشرة آلاف في هجر قبيلة المرة.[٥٠٨]

وبلغ عدد المقاتلين في هذه الهجر التي استوطنها الإخوان من كل قبيلة كما في تقارير جون س كالآتي: قبيلة مطير نحو (١٣٠٠٠) مقاتل، وعتيبة نحو (١٢٠٠٠)، وحرب نحو (١٠٠٠٠)، وقحطان نحو (٨٠٠٠)، والعجمان نحو (٦٠٠٠)، وشمر نحو (٥٠٠٠)، والعوازم (٤٠٠٠)، ويام نحو (٤٠٠٠)، والدواسر نحو (٣٠٠٠)، والمرة والهواجر نحو (٣٠٠٠). [٥٠٩]

وهذه أعداد المقاتلين من القبائل التي أمكن تقدير عدد مقاتليها، وهناك قبائل أخرى كان لها نشاط في هذه الحركة الفكرية ولها هجر خاصة بها كقبيلة السهول، وعنزة، والظفير، وسبيع، وبني خالد.[٥١٠]

وقد قدرت قوات الإخوان في الجزيرة العربية في أوج قوتها بنحو ثلاثمائة ألف مقاتل.[٥١١]

وسيكون لهذه الحركة فيما بعد الدور الرئيسي في توحيد وسط الجزيرة العربية وضم المدن الرئيسية فيها، فقد نجح الدويش وقبيلة مطير في حصار حائل عاصمة ابن رشيد وضمها، وكذا نجح الدويش في محاصرة المدينة المنورة وانتزاعها من الشريف، كما نجح سلطان بن بجاد بقبيلة عتيبة في حصار مكة عاصمة الشريف وضمها.

---

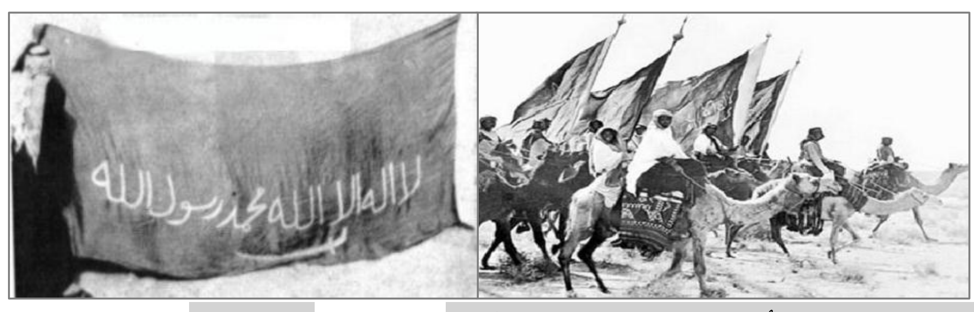
(٥٠٨) الإخوان السعوديون لجون س ١٣٢.

(٥٠٩) الإخوان السعوديون لجون س ٢٩٥ الجدول التاسع.

(٥١٠) الإخوان السعوديون لجون س ٢٨٣ الجدول الثامن.

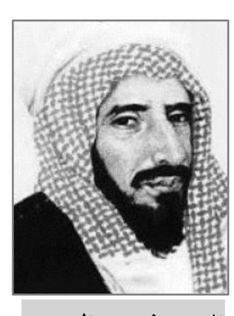
(٥١١) الإخوان السعوديون لجون س ١٣٣.

وقد كان أول مشاركة للإخوان كقوة عسكرية مؤثرة في سنة ١٩١٤م في معركة جراب بين ابن سعود وابن رشيد، وكان ذلك أول ظهور لهم بشكل عسكري (الذي أدى بعد ذلك إلى تغيير ميزان القوى في شبه الجزيرة بأكملها)[٥١٢].



معركة جراب شهدت أول ظهور للإخوان كقوة عسكرية

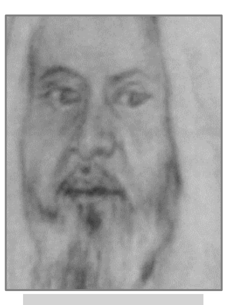
بيرق الإخوان



الشيخ فيصل الدويش



الشيخ سلطان بن بجاد



الشيخ محسن الفرم



الشيخ ضيدان بن حثلين

وقد كان أبرز زعماء الإخوان هم فيصل الدويش -أبرز شيوخ قبيلة مطير الذي كان بمثابة القائد العسكري الأعلى لهذه الحركة- وسلطان بن بجاد وهو أبرز شيوخ قبيلة عتيبة، ومحسن الفرم وهو من أبرز شيوخ قبيلة حرب، وضيدان بن حثلين أبرز شيوخ العجمان.[٥١٣]

وفي الوقت نفسه وفي ٢٦ كانون الأول عام ١٩١٥م كما يقول جاك بيربي: (وقع عبد العزيز مع بريطانيا معاهدة مشابهة لتلك التي تربط كلا من البحرين والكويت بإنجلترا، وهو الأمر الذي يجهله على العموم، أو يغفل عن ذكره كثير من المؤرخين، إذ أنه مقابل مساعدة مالية شهرية قدرها خمسة آلاف جنيه إسترليني، اعترف سلطان نجد للبريطانيين بحق الإشراف على علاقاته الخارجية، وتعهد عبد العزيز بألا يتنازل عن أي شبر من أراضيه وألا يقيم علاقات مع أي دولة إلا بعد الحصول على موافقة

(٥١٢) الإخوان السعوديون لجون س ١١٧.

(٥١٣) الإخوان السعوديون لجون س ١٢٨.

الحكومة البريطانية على ذلك، وتعهدت بريطانيا من جانبها بحماية ابن سعود من كل اعتداء خارجي مهما كانت الظروف)[٥١٤].

- التخوف البريطاني من حركة الإخوان:

وقد أبدى المسئولون البريطانيون تخوفهم من هذه الحركة حيث كتب المندوب السامي البريطاني في مصر ريجينالد وينجات إلى آرثر جيمس ميلر في أكتوبر سنة ١٩١٨م تقريرا حول هذا الموضوع جاء فيه:

(ليست لدي معلومات كافية عن قوة الإخوان وأهدافهم، ولكني تعلمت من تجربتي في السودان مدى الخطر الذي يشكله تنظيم سري يعمل تحت عباءة الدين بين سكان غير متحضرين، ففي وقت الشدة يلجأ هذا المسلم إلى الدين مثلما يلجأ بعض أفراد النصرانية إلى الخمر، ويكون المسلم أكثر تعرضا لالتقاط الشرارة الأولى من شرر التشدد الذي يتحول إلى حريق إذا ما أذكاه زعيم غير حصيف أو مضلل أو يستحيل السيطرة عليه بأي حال من الأحوال)[٥١٥].

وقد كانت السلطات البريطانية تخشى أن تكون الدولة العثمانية وراء قيام هذه الحركة في نجد لمواجهة بريطانيا في المنطقة بإذكاء الروح الإسلامية التي ترفض الوجود الأجنبي، غير أن السلطات البريطانية رجحت أن تكون الحركة ردة فعل على الاضطراب السياسي الذي تعيشه الجزيرة العربية منذ عقود.[٥١٦]

وقد كتب ريجينالد أيضا رسالة إلى جمس بلفور بناء على تقارير فيلبي إليه جاء فيها:
(إن هناك اضطرابا دينيا كبيرا في بعض أجزاء وسط الجزيرة العربية يجري فيه تحريض الناس على إخوانهم الذين باعوا أنفسهم للنصارى، وبخاصة ضد الملك حسين -شريف مكة الذي قام بالثورة العربية ووقف مع بريطانيا ضد الدولة العثمانية-)[٥١٧].

---

(٥١٤) جزيرة العرب لجان جاك بيربي ٥٣.

(٥١٥) الإخوان السعوديون لجون س ٦٢.

(٥١٦) الإخوان السعوديون لجون س ٦٣.

(٥١٧) الإخوان السعوديون لجون س ٦٥.

وقد وصف الضابط السياسي البريطاني في بغداد في مايو سنة ١٩١٨م حركة الإخوان بقوله:

(إنها حركة اشتراكية بمعنى أن الأغنياء يتعين عليهم أن يقتسموا بضاعتهم وسلعهم مع عامة الناس، وقد وردت حالات كثيرة لمشايخ تعين عليهم أن يسلموا ما لديهم من إبل إلى أتباعهم)[٥١٨].

لقد تحولت قوة الإخوان إلى شبح يخيف السلطات البريطانية حين كثرت تقارير ضباطها السياسيين التي تؤكد أن ابن سعود ليست له أي سيطرة على هذه القوة (كما تزايد عدد الإنذارات -من الضباط البريطانيين- بالقياس إلى قوة الإخوان العسكرية)[٥١٩].

وبدأ القلق البريطاني يزداد من تلك القوة التي بدأت تتطلع إلى ما وراء الخطوط الحمراء البريطانية في العراق والشام، والتي كان ابن سعود لا يطمح إليها وليست في رأيه من ملك آبائه وأجداده، كما أنها تحت سيطرة بريطانيا التي هو تحت حمايتها، بينما كان الإخوان يرون توحيدها ضمن دولة واحدة هو هدف استراتيجي وأصل عقائدي يقوم على الإيمان بالتوحيد الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ووحد به العرب دينيا وسياسيا في الجزيرة العربية!

- هجوم الإخوان على الشريف وهزيمته في تربة:

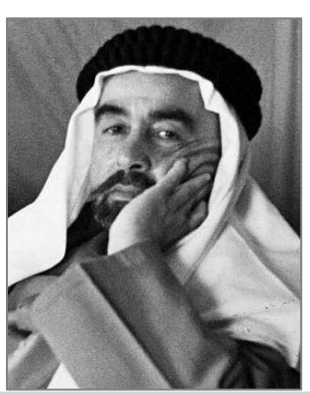
لقد واجه الإخوان الشريف عبد الله بن حسين في تربة ٢٥/ ٥/١٩١٩م (وكان على رأس حملة قوامها خمسة آلاف رجل من الجيش الحجازي المدرب، ومعه الأسلحة الحديثة التي زوده بها البريطانيون خلال الحرب العالمية الأولى، ووصلت قوة من الإخوان قوامها ١١٠٠ رجل، من الهجانة، انطلقت قبل تحرك قوات ابن سعود بعملية استكشافية، فهاجمت معسكر عبد الله بالسيوف، والرماح، والبنادق القديمة، وكانت هزيمة قوات الشريف حسين هزيمة كاملة، مما استدعى مجيء بريطانيا لإنقاذه، فأرسلت طائرات بريطانية للحجاز، وأرسلت إنذارات إلى ابن سعود، الذي تفادى المجابهة، وتظاهر بالنزول على رغبات بريطانيا، مدعيا أنه يبذل قصارى جهده لضبط الإخوان، وتمكنت من عقد هدنة بينهما في شهر ٨ سنة ١٩٢٠م).

---

(٥١٨) الإخوان السعوديون لجون س ٦٤.

(٥١٩) الإخوان السعوديون لجون س ١١٥.

وقد صرح مسئول في الخارجية البريطانية مدافعا عن سياسة الوقوف مع الشريف، في مواجهة ابن سعود الذي هو حليفهم أيضا، فقال: (سنبدو كلنا حمقى إذا ما هزم صنيعتنا بمثل هذه السهولة)[٥٢٠].



الشريف عبد الله الحسين الذي واجه جيش الإخوان في معركة تربة وهُزم



كسب عبد العزيز بن سعود للإخوان سيرجح كفته عند الإنجليز مقابل كفة الشريف حسين

لقد كان بوسع بريطانيا أن تضبط حركة حليفيها، لولا الصراع الخفي بين حكومة الهند البريطانية التي تشرف على شرق الجزيرة العربية وتدعم ابن سعود، والمكتب العربي للمندوب السامي البريطاني في القاهرة الذي يشرف على شئون غرب الجزيرة العربية ويدعم الشريف حسين!

إلا إن دخول الإخوان كحركة دينية للمسرح السياسي والعسكري، سيرجح كفة ابن سعود، بعد أن تخلت بريطانيا تماما بعد ذلك عن الشريف، الذي فشل في مواجهة جيوش الإخوان التي (جعلت قوات الملك حسين عاجزة عن حماية الطائف، ومكة، والمدينة، وجدة، لقد استعمل حسين الطائرات التي يقودها المرتزقة في مواجهة هؤلاء الإخوان... كما جعلت القوات العراقية جيدة التدريب والتي كان

(٥٢٠) ولادة الشرق ٤٧٥.

يقودها ضباط بريطانيون عاجزة عن مسايرة أولئك الإخوان حتى في مرحلة ما بعد غارات الطائرات والمركبات المدرعة والحملات الميكانيكية على هؤلاء الإخوان ... إن القوات جيدة التدريب في الأردن عجزت هي الأخرى عن التعامل مع الإخوان، ورضيت بالتنسيق بين كل من ابن سعود والبريطانيين في كل من الأردن والعراق لإخضاع الإخوان)[٥٢١].

لقد نجحت تلك الحركة باعتراف الضباط والسياسيين البريطانيين بتحقيق الأمن والسلم في كل المناطق التي سيطرت عليها وعلى حد قول جون س: (إن الإخوان كانوا جنودا متشددين لا يخشون الموت ولا ينشدون متع الحياة وإنهم بقدر ما كانوا يدخلون الرعب في قلوب أعدائهم كانوا يعيدون السلام والأمن للمناطق المضطربة)[٥٢٢].

وقد كتب فيلبي في يناير سنة ١٩٢٩م عن ذلك فقال:

(في كل أنحاء الجزيرة العربية الوهابية بطولها وعرضها يسود الآن جو من السلام والأمن لم تشهده البلاد في أية مرحلة من المراحل السابقة... فقد امتد ظلال الجيش الوهابي المخبأ في مستقرات الإخوان إلى كل أنحاء الصحراء، وأصبحت تغمر الجزيرة العربية كلها، كما أن الجيش هو الذي يزرع خضرواته وتموره وحبوبه في مستقراته وقت السلم)[٥٢٣].

إلا أن ذلك كله لن يشفع لهذه الحركة عند بريطانيا، حيث قررت بعد ذلك ضرورة القضاء عليها، وعلى كل القوى المسلحة في الجزيرة العربية، ليبدأ فصل جديد من عصر العبودية في ظل دويلات الطوائف...

---

(٥٢١) الإخوان السعوديون لجون س. ١٣٨.

(٥٢٢) الإخوان السعوديون لجون س. ١٤٠.

(٥٢٣) الإخوان السعوديون لجون س. ١٤٠.

- الدعم البريطاني للرياض لاحتلال حائل والحجاز:

بدأت قبضة بريطانيا على وسط جزيرة العرب تزداد بازدياد نفوذ ابن سعود، لقد (بدت شبه الجزيرة العربية، منذ سنة ١٩١٩م، أنها من بين كل أراضي الشرق الأوسط منطقة محظورة على غير البريطانيين، فسواحلها البحرية الطويلة يسهل على الأسطول البريطاني أن يسيطر عليها، واثنان من سادتها الرئيسيين، الشريف حسين في الغرب، وابن سعود في الوسط والشرق، هما بحماية بريطانيا، ويتلقيان دعما ماليا كبيرا منتظما من الحكومة البريطانية، لقد بقيت الساحة خالية لبريطانيا)[٥٢٤].

لقد كانت السياسة البريطانية -كما يقول جون س- تقوم في شبه الجزيرة العربية على عدة اعتبارات تغيرت مع تغير الأوضاع الدولية هي كالآتي:

أولا: قبل الحرب العالمية الأولى كان مفروضا على السياسة البريطانية أن تعترف بسيطرة الدولة العثمانية على الجزيرة العربية، وألا تفعل ما يخالف هذه السياسة.

ثانيا: أثناء الحرب العالمية الأولى كان هناك تخطيط بريطاني لقيام ثورة عربية في الجزيرة العربية ضد الدولة العثمانية في الحجاز يقوم بها الشريف حسين، وحرب ضد حليف الدولة العثمانية ابن رشيد في حائل يقوم بها ابن سعود.

ثالثا: بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وسقوط الخلافة العثمانية تغير الموقف من ابن رشيد، إذ أصبح وجوده يعيد توازن القوى التي تحافظ بريطانيا على استمراره في المنطقة حتى لا تستفرد قوة واحدة عليها مما قد يهدد مصالح بريطانيا.

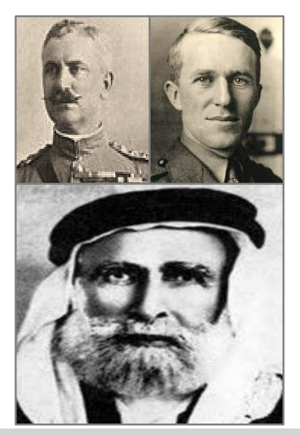
---

(٥٢٤) ولادة الشرق لديفيد فرومكين ٤٧٣.

- الخلاف بين حكومة الهند ولندن في دعم ابن سعود والشريف حسين:



فيلبي وأرلوند ولسون يمثلان
حكومة الهند البريطانية
ويدعمان عبد العزيز بن سعود



لورنس العرب ووينغيت يمثلان
حكومة لندن
ويدعمان الشريف حسين

وقد زاد من تعقيد الوضع أن الضباط والسياسيين البريطانيين في الجزيرة العربية انقسموا في مواقفهم إلى قسمين بحسب الجهات التي يتبعونها، فبينما كانت حكومة الهند البريطانية تدعم ابن سعود وتشرف على الجهة الشرقية من الجزيرة العربية، حيث كان فيلبي وولسن يؤيدان ابن سعود، كان المندوب السامي البريطاني في مصر ريجينالد وينغيت، ولورنس العرب في مكتب بغداد التابع للخارجية البريطانية في لندن، التي تشرف على شئون الحجاز، يقفان مع الشريف حسين.[٥٢٥]

وقد زادت حدة الصراع بين الشريف وابن سعود خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى (حتى اضطر مجلس الوزراء البريطاني للاعتراف بأن سياسته في شبه جزيرة العرب قد اختلت، فالخصومة بين حليفي بريطانيا، الشريف حسين الذي يتلقى ١٢ ألف جنيه شهريا من الدعم البريطاني، وابن سعود الذي يتلقى بدوره خمسة آلاف جنيه، كانت على أشدها)[٥٢٦].

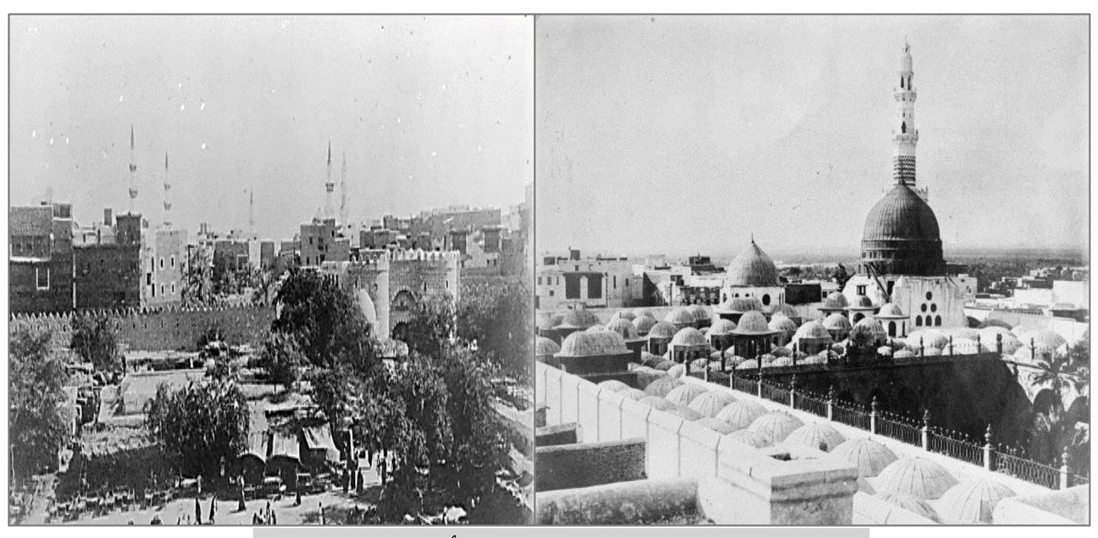
وعلى حد قول جون س لقد (كانت الحكومة البريطانية تستغل كلا من الملك حسين وابن سعود لتحقيق أهدافها الحربية في شبه الجزيرة العربية، وخاصة احتواء القوة التركية في المنطقة، وإشغال

(٥٢٥) الإخوان السعوديون لجون س ١٥٦.

(٥٢٦) ولادة الشرق ٤٧٣.

القوات التركية الموجودة على الجبهة في الجزيرة العربية حتى لا تتفرغ للعمل على الجبهتين الأوربية وجبهة الهلال الخصيب اللتين لهما طابع استراتيجي أكثر من الجزيرة العربية، وما إن تحقق هذا الهدف وبعد هزيمة الأتراك مباشرة، قررت الحكومة البريطانية السماح بانغماس الملك حسين وابن سعود في التطورات الداخلية، وذلك طبقا للتعليمات التي أرسلت للسير ريجينالد وينجات بعد استسلام المدينة -لقوات الشريف حسين التي كانت تحت إشراف الضباط البريطانيين ودعمهم العسكري، حيث خرج الجيش العثماني الذي كان يدافع عن المدينة النبوية- وبناء على تغير الظروف واستسلام حامية المدينة فلن تجني الحكومة البريطانية شيئا من التدخل في النزاع الدائر بين ابن سعود والملك حسين -كما ورد في التعليمات- وقد ألغيت التعليمات الخاصة بتوجيه إنذار إلى ابن سعود)[٥٢٧].

لقد احتل البريطانيون المدينة النبوية ونجحوا في إخراج الحامية العثمانية منها بواسطة قوات الشريف حسين، كما احتلت بريطانيا القدس بدعم قوات الشريف فيصل بن الحسين!



المسجد النبوي والمدينة المنورة سنة ١٩٠٨م أثناء الحكم العثماني

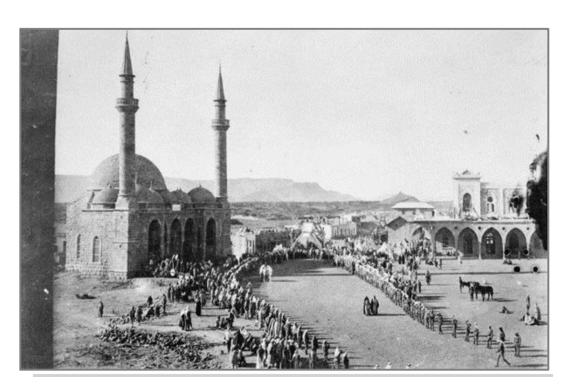
(٥٢٧) الإخوان السعوديون لجون س ١٦٧ بتصرف.



اجتماع بين فخري باشا –القـائد العسكري التركي في المدينة – مع ابن الرشيد –حاكم حائل- بالقرب من المدينة سنة ١٩١٧م



فخري باشا يصافح عبد الله ابن الشريف حسين بعد استسلام الحامية العثمانية –بعد حصار بريطانيا للمدينة وتجويعها لإرغام الحامية على الاستسلام لقوات الشريف-



قوات الشريف حسين تصطف استعدادا لدخول المدينة بعد استسلام الحامية العثمانية التي كانت تدافع عنها



دخـول قوات الشريف حسين إلى المـدينة المـنورة تحت إشراف الضباط البريطانيين ودعمهم العسكري

وقد كتب ابن سعود بتاريخ ٢/٨/١٩٢٠م رسالة إلى بريطانيا –التي كانت تمده بخمسة آلاف جنيه إسترليني شهريا، وبترسانة من الأسلحة والذخيرة- قال فيها:

(ساندوني وأنا أضمن ألا أسمح برواج المؤامرات المضادة لبريطانيا بين العرب، إنكم تسبغون على أصدقائكم الخونة الألقاب –يعني الملك حسين- وتمنحونهم الأراضي الخصبة –يعني الشام والعراق- وأنا صديقكم المخلص أظل أفقر مما كنت عليه من قبل! أرجوكم أن تطلبوا إلى حكومة صاحبة

الجلالة زيادة إعانتي وأن تزيد من مساعداتها المالية لي، أنا لا أستطيع الاستمرار، ردوا علي، علموني كيف أقاوم وأتحمل)[٥٢٨].

لقد كانت المشكلة الرئيسية التي واجهها ابن سعود هي في إصرار الإخوان بقيادة فيصل الدويش على البدء بقتال الشريف حسين لكفره في نظرهم بتحالفه مع بريطانيا والنصارى، بينما كان ابن سعود بتوجيه بريطاني يحاول صرف أنظارهم عن الشريف حسين رجل بريطانيا في غرب الجزيرة العربية، وتوجيههم نحو حائل وابن رشيد الذي كان حليفا للدولة العثمانية وعدوا لبريطانيا، وقد عقد ابن سعود مؤتمرا عاما في مدينة شقراء، حضره الزعماء من البدو والحضر، وقد أعلن ابن سعود عن موقفه بضرورة قتال ابن رشيد بدعوى أنه أضعف عسكريا من الشريف حسين وكما يقول جون س من خلال الوثائق:

(طالبت المعارضة بزعامة فيصل الدويش شيخ قبائل مطير والناطق باسم الإخوان أن يقوم الإخوان بالهجوم على الإنجليز، والملك حسين، الذي سلحه الإنجليز والذي يهدد إخواننا في العقيدة في الخرمة)[٥٢٩].

ولم يستطع ابن سعود الاعتراض على هذه الحجة -بإعلان أن المشكلة ليست مع الإنجليز ولا بتحالف حسين مع الإنجليز، إذ كان هو نفسه حليفا لهم، وتحت حمايتهم، ويستقبل دعمهم- بل برر تحفظه على مثل هذا الرأي الذي يطالبه به الإخوان والدويش بحجة أن الشريف أقوى عسكريا، وأن حائل أشد خطرا، وقد نجح في آخر المؤتمر في إقناع المعارضة (وأن يثبت ولاءه للبريطانيين مع تقوية أمن ممتلكاته في آن واحد)[٥٣٠].

وفي الوقت الذي يدور النزاع بين ابن سعود والشريف في الحجاز تحت إشراف بريطاني في جهة الغرب وقع صراع آخر شرقا وكما يقول جون س:

---

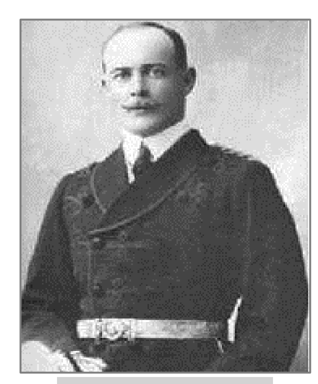
(٥٢٨) الإخوان السعوديون لجون س ١٥٠.

(٥٢٩) الإخوان السعوديون لجون س ١٥١.

(٥٣٠) الإخوان السعوديون لجون س ص ١٥٢.

(نشب الخلاف -بين الإخوان وسالم الصباح- عندما أرسل سالم قوة من رجاله لإجبار الإخوان من قبيلة مطير في موقع اسمه قرية على تركها من منطلق أنها أراضي كويتية، وأعقب ذلك نشوب العديد من المعارك التي كان أشهرها معركة الجهراء في أكتوبر ١٩٢٠م، بقيادة فيصل الدويش الذي خرج منها منتصرا، وقد أدت حشود الكويتيين وربما الهجوم الضاري الذي قام به الإخوان على مدينة الكويت نفسها إلى إرسال بعض سفن المدفعية البريطانية، إلى المياه الكويتية لوضع الطيران في موضع الاستعداد، في إشارة قوية من بريطانيا إلى التزامها بالدفاع عن محميتها والحفاظ عليها، وقد أدت عمليات الإخوان العسكرية هذه إلى إخلاء تلك المنطقة وإلى الأبد من الرعاة الكويتيين وقطعانهم، كما نتج عنها أن أصبحت تلك الأراضي جزء لا يتجزأ من نجد، ومعترفا به دوليا، بناء على اتفاقية الحدود النجدية الكويتية التي أبرمت في العقير في ٧/١٢/ ١٩٢٠م)[٥٣١].

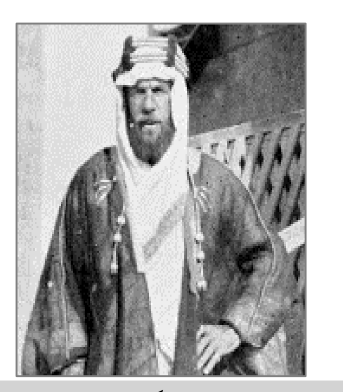
- سقوط حائل وضمها للمشروع البريطاني:



النقيب وليام شكسبير



الكولونيل هاملتون



عميل المخابرات بمكتب المستعمرات البريطانية جـــون فيـلبـي

منذ بداية الحرب العالمية الأولى ووقوف حائل ضد الحملة الصليبية على الدولة الإسلامية العثمانية، قررت بريطانيا إسقاطها واحتلالها على يد عبد العزيز بن سعود، وقد خطط وليم شكسبير لهذا الهدف، وقد قتل في معركة جراب بين ابن سعود وابن رشيد سنة ١٩١٥م، ثم واصل الكولونيل هاملتون مهمة شكسبير وزار الرياض سنة ١٩١٧م لتنفيذ هذا المخطط، ثم حل مكانه فيلبي الذي وصل قادما من بغداد إلى الرياض في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩١٧م لتحقيق هدفين الأول إسقاط حائل وضمها للرياض، والثاني توثيق التحالف بين ابن سعود والشريف حسين في مكة لمواجهة الدولة العثمانية التي ما تزال

(٥٣١) الإخوان السعوديون لجون س ١٨٣.

حاميتها العسكرية تسيطر على المدينة المنورة، وقد قدر فيلبي احتياجات ابن سعود لينفذ المهمة في حرب ابن رشيد بخمسة عشر ألف رجل مسلح، وعشرة آلاف رجل احتياطي، وخمسين ألف جنيه نفقات شهرية، وعشر آلاف بندقية، وأربعة مدافع ميدان، وعشرين ألف جنيه للمواد الغذائية، وكتب فليبي هذا التقرير لحكومته وأكد على ضرورة زيادة الدعم لضمان نجاح ابن سعود في مهمته.[٥٣٢]

وقد تحفظ المندوب السامي البريطاني في القاهرة ريجينالد وينغيت على زيادة الدعم خشية أن يستخدم الإخوان هذا الدعم في مهاجمة الشريف في الحجاز الذي كان يتبع في شئونه المندوب البريطاني في القاهرة، بينما أكد كوكس المقيم البريطاني في بغداد الذي يتبع حكومة الهند البريطانية ضرورة زيادة الدعم خاصة وأن ابن سعود قد أصبح تحت الحماية البريطانية بمعاهدة رسمية سنة ١٩١٥م في دارين، وأن الهدف الذي تسعى إليه بريطانيا (ينصب على رؤية نهاية سريعة لابن رشيد، والإبقاء على ابن سعود والشريف كقوتين سياسيتين في وسط وغربي الجزيرة العربية، لما يشكلانه من ثقل في السياسة البريطانية في تلك المنطقة)[٥٣٣].

وبعد هزيمة الدولة العثمانية، وانتهاء الحرب العالمية سنة ١٩١٨م، خففت حكومة الهند من اندفاعها فكتب كوكس إلى مرؤوسيه في لندن (إننا لا نريد أن ندفع ابن سعود الذي لا يعتبر عبقريا عسكريا في عمليات خطيرة مثل محاصرة حائل)[٥٣٤].

إلا إن فيلبي ظل متمسكا بضرورة دعم احتلال ابن سعود لحائل، إذ (سيساهم ذلك -كما جاء في تقرير فيلبي- في تعزيز سلطة ابن سعود في قلب الجزيرة العربية، ومن ثم يخلق توازنا بين حليفي بريطانيا الحسين وابن سعود) [٥٣٥].

وقد أكد ديكسون الوكيل السياسي البريطاني في الكويت في تقرير له عن رغبته في احتلال ابن سعود لحائل بالوسائل الدبلوماسية حيث كتب في تقريره:

---

(٥٣٢) عبد العزيز وبريطانيا ص ١٠٨-١٠٩.

(٥٣٣) عبد العزيز وبريطانيا ص ١٠٩-١١٠، نقلا عن الوثائق البريطانية.

(٥٣٤) عبد العزيز وبريطانيا ص٢١٠.

(٥٣٥) عبد العزيز وبريطانيا ص٢١٠.

(إن حكومته تحبذ رؤية ابن سعود سيدا على قلب الجزيرة العربية، وأن قوة ابن سعود ستزيد من هيمنة بريطانيا على الساحل الشرقي للجزيرة العربية، مما يجعل المشيخات هناك في ذعر دائم من ابن سعود، وسترنو دائما نحو بريطانيا لحمايتها)[٥٣٦].

وقد توجه فيصل الدويش ومعه ٢٠٠٠ مقاتل من قبيلة مطير من الإخوان نحو حائل، وجرت بينه وبين قوات محمد بن طلال ابن رشيد معركة عنيفة في الجثامية على بعد خمسة أميال من حائل كان النصر فيها حليف الإخوان، وتراجع بعدها ابن رشيد إلى عاصمته، وتمت محاصرته، وطلب الصلح من ابن سعود الذي اشترط عليه الدخول في حلف مع بريطانيا.[٥٣٧]

لقد أصبحت حائل بعد سقوط الخلافة العثمانية محصورة بين فكي الكماشة ففرنسا في الشام وبريطانيا في العراق والرياض والحجاز وكما يقول المستشرق النمساوي المسلم محمد أسد الذي كان بمعية ابن سعود وعاصر تلك الأحداث:

(وإذ فقد ابن رشيد مؤازرة الأتراك وأصبح محصورا في الشمال بالأراضي التي كانت تديرها بريطانيا وفرنسا، فإنه لم يعد يستطيع أن يبدي أي مقاومة فعالة ضد ابن سعود، واستطاعت قوى الملك بقيادة فيصل الدويش الذي كان في ذلك الحين أعظم قادة ابن سعود أن تستولي على حائل في عام ١٩٢١م)[٥٣٨].

وكما يقول جوس س:

(في ٢٠/ ١١/ ١٩٢١م سقطت حائل في يد ابن سعود بعد حصار دام خمسة وخمسين يوما، وكان لفيصل الدويش وقبيلة مطير اليد الطولى في حصارها وفتحها، وبذلك سقطت عاصمة نجد الشمالية أمام جيوش الإخوان التي سيطرت على المنطقة الشمالية إلى حدود الشام وعمان، وهي الخطوط الحمراء، حيث يرابط البريطانيون والفرنسيون، وقد قام البريطانيون بمواجهة قوة منهم تقدر بألف وخمسمائة مقاتل وقصفتهم بالطيران، وقتلت أكثرهم) وحينها أيقن الإخوان كما يقول جون س: (أن المسيحيين موجودون في كل مكان، فهم يحمون سالم الصباح، وهم الذين أنقذوه من العقاب العادل على أيديهم،

---

(٥٣٦) عبد العزيز وبريطانيا ص٢١١ نقلا عن الوثائق البريطانية.

(٥٣٧) عبد العزيز وبريطانيا ص ٢١٢.

(٥٣٨) الطريق إلى مكة (إلى الإسلام) ص ١٨٠.

وهم الآن على أعتاب شرق الأردن حماة عسكريين للأمير عبد الله الذي أنزلوا به الهزيمة بالأمس في تربة)[٥٣٩].

- مشروع المملكة العربية تحت النفوذ البريطاني:

لقد كان المشروع البريطاني كما رسمه كيتشنر في مذكرته التي رفعها إلى مجلس الوزراء البريطاني بتاريخ ١٤/ ٣/ ١٩١٥م يقوم على النحو التالي:
(خلق مملكة مستقلة في شبه الجزيرة العربية تشتمل على مكة والمدينة، على أن تكون تحت رعاية بريطانيا، فقد كان أمرا جوهريا أن تكون كذلك لتتحقق لبريطانيا السيطرة على القيادة الروحية للعالم الإسلامي)[٥٤٠].

وفي ربيع سنة ١٩١٧م تم (تخلي مسئولين بريطانيين عن حماستهم زمن الحرب لحاكم مكة، مقابل وضع منافسه عبد العزيز بن سعود، الذي دعمته حكومة الهند البريطانية طوال الوقت)[٥٤١].

كما تراجع المسئولون البريطانيون في مطلع سنة ١٩١٨م، عن تشجيعهم للشريف حسين بإعلان نفسه خليفة للمسلمين، بل وحذروه من خطورة هذه الخطوة، تلك الخطوة التي شجعوه عليها سابقا، إيمانا منهم بأن (القوة في الشرق لا تعني شيئا، وإن الدين هو كل شيء)[٥٤٢].

لقد قرر البريطانيون التخلص من الشريف حسين كزعيم للقضية العربية، لصالح ابنه فيصل الذي صار يدور في الفلك البريطاني، والذي انقطع عن والده وأسرته في الحجاز، طمعا في حكم الشام، مما جعل والده يتهمه بالخيانة له، ولأمته، وشرفه.[٥٤٣]

---

(٥٣٩) الإخوان السعوديون لجون س ١٨٦.

(٥٤٠) ولادة الشرق ١٥٥.

(٥٤١) ولادة الشرق ٣٦٣.

(٥٤٢) ولادة الشرق ٣٦٤.

(٥٤٣) ولادة الشرق ٣٦٦.

لقد حضرت بريطانيا مؤتمر الصلح في باريس سنة ١٩١٩م، بعد توقف الحرب العالمية، وهي تسيطر (على مشيخات الخليج العربي، التي جرى تنظيمها خلال الحرب، ولها وضع متميز في الجزيرة العربية، الذي ضمنه تحالف بريطانيا مع الحسين وابن سعود، وقد جعل منهما هذا التحالف حاكمين مشمولين بحمايتها)[٥٤٤].

لقد قررت بريطانيا التخلص من الشريف حسين وإنهاء نفوذه بالحجاز بعد إلحاحه على بريطانيا تنفيذ وعودها له بإقامة (المملكة العربية المتحدة) في الجزيرة والشام والعراق ليكون خليفة عليها، وبدأ التوجه البريطاني لحسم الموقف لصالح ابن سعود خاصة بعد تحرك فيصل بن الحسين للإعلان عن الجهاد لمواجهة فرنسا في الشام وهو الخط الأحمر الذي لن تقبل به بريطانيا نفسها، إذ أن إسقاط الخلافة ومنع عودة فكرة الجهاد أهم أسباب القضاء على الخلافة العثمانية!

وفي سنة ١٩٢٠م بعد أن أدرك الشريف فيصل بن الحسين أبعاد اتفاقية سايكس بيكو وأن سوريا قد أصبحت تحت الاحتلال الفرنسي قام بالدعوة إلى الثورة وإعلان الجهاد، وكتب إلى ابن سعود بذلك، وقد أخبر ابن سعود ديكسون في لقاء تم بينهما في الأحساء بتاريخ ١٥ فبراير (عن توجيه دعوة له لإعلان الجهاد ضد المسيحيين، وأن شعبه يؤيد هذه الدعوة، وأن أفضل حل لمواجهة هذه الدعوة التي يقودها فيصل ووالده في الحجاز يكون بدعم بريطانيا له هو، وأنه سيقف أمام علماء بلده بكل قوة إذا ما قرروا الوقوف مع الجهاد ضد الحلفاء)[٥٤٥].

- تخلي بريطانيا عن الشريف وضم الإخوان للحجاز:

وبعد إعلان شريف مكة نفسه خليفة للمسلمين -وهو ما سبق أن حذرته منه بريطانيا التي دعمته ضد الدولة العثمانية- قامت بريطانيا التي كانت وراء فكرة القضاء على الخلافة بإسقاط الشريف، وكما قال ديكسون:

(كان الملك حسين ملك الحجاز بعناده ورعونته يكتب نهايته بيده فعندما زار شرق الأردن وأعلن نفسه هناك خليفة في العالم الإسلامي أعلن ابن سعود عليه الحرب)[٥٤٦].

---

(٥٤٤) ولادة الشرق ٤٤٢.

(٥٤٥) الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية ٥/١١٩-١٢٣ تقرير ديكسون حول المقابلة.

(٥٤٦) الكويت وجاراتها ١/٢٩٣.

وإنما كانت تلك الحرب بتوجيه بريطاني بعد أن تجاوز الشريف حسين الخط الأحمر المحظور على العالم الإسلامي كله وهو إعادة الخلافة فكان يخط نهايته ونهاية حكمه ووجوده بيده بمثل ذلك الإعلان!

لقد تم بعد ذلك الإعلان الذي قام به الشريف حسين في شرق الأردن بإعادة الخلافة، عقد مؤتمر في الرياض في ١٩٢٤/٦/٥م جمع كبار رؤساء القبائل من الإخوان، وعلماء الدين، وترأسه عبد الرحمن بن فيصل والد عبد العزيز بن سعود، وقد أصدر المؤتمر بيانا أشار فيه إلى (الاستفزاز الذي تمثل في تعيين الملك حسين نفسه خليفة)، وتحركت قوات الإخوان نحو الحجاز، واحتلت الطائف في شهر ١٩٢٤/٩م، وتقدم الإخوان الذين كان جلهم من قبيلة عتيبة بقيادة سلطان بن بجاد نحو مكة، ودخلوها بلا كبير مقاومة، ودون إطلاق طلقة واحدة، حيث انسحب الشريف من مكة إلى جدة (وكان يخوض حربا خاسرة فقد استطاع أن يصمد لحصار جدة ولكن سقوط المدينة المنورة بأيدي قوات الإخوان بقيادة فيصل الدويش في سنة ١٩٢٥م أدى إلى تنازله عن العرش)[٥٤٧].

كما نجح الإخوان بعد حصار جدة سنة كاملة من السيطرة عليها، وقد بدأ الإخوان حين سيطروا على الحجاز يفاوضون القنصل البريطاني والإيطالي والهولندي والإيراني في جدة ويتعهدون لهم بضمان الأمن لهم ولرعاياهم، وكما يقول جون س:

لقد (كان الإخوان يسيطرون على الموقف تماما، فقد كان هؤلاء البدو غير المتحضرين يتعاملون بالفعل مع أعيان الحجاز وممثلي الدول الكبرى قبل وصول زعيمهم إلى المدينة)، في الوقت الذي كان ابن سعود في الرياض لم يتصور سرعة سقوط مكة على هذا النحو، وقد جاء من الرياض ليدخلها دخول الفاتحين في نصر كان (الإخوان هم الذين مكنوه من تحقيقه، ولكنهم لم يأخذوا مقابل ذلك سوى القليل، إن لم يكن شيئا على الإطلاق، ومع ذلك لو فشل الإخوان لكان من السهل على ابن سعود الذي كان لا يزال في الرياض، أن يزعم أنهم هجموا على الطائف ومكة دون إذن منه أو علم له بذلك، وما داموا قد فعلوا ذلك فإن الله لم ينصرهم، وربما كان ذلك العذر مقبولا أيضا لدى أصدقائه البريطانيين، وقد استشعر الإخوان -كما يقول جون- فيما بعد أن ابن سعود لم يعترف على الملأ قط بالدور الذي لعبه الإخوان في الاستيلاء على الحجاز، وقد غضب الإخوان من المزاعم التي تقول إن ابن سعود وأسرته والقرويين

(٥٤٧) الكويت وجاراتها ١/٢٩٤.

من غير الإخوان هم الذين استولوا على الحجاز، مع أن هاتين المعركتين -الطائف ومكة- لم يشارك فيهما قروي واحد من القرويين المستقرين، والتسجيلات المدونة تؤكد ذلك)[٥٤٨].

(٥٤٨) الإخوان السعوديون لجون س ص١٩٤-١٩٥.

الفصل الرابع

الترتيبات البريطانية للقضاء على حركة الإخوان النجدية

- الخلاف بين الإخوان وابن سعود:

بدأت الفجوة تتسع -بعد ضم حائل والحجاز- بين الإخوان وابن سعود أكثر فأكثر (لقد بدأوا يشعرون بالضيق منه لزيادة اتصالاته بالإنجليز)[٥٤٩].

ولم يكن الإخوان يعلمون أنه كان تحت الحماية البريطانية وفق معاهدة رسمية منذ سنة ١٩١٥م، واتفاقية سرية منذ سنة ١٩١١م مع حكومة الهند البريطانية، كما كان تحت إشرافهم منذ خرج من الكويت إلى الرياض سنة ١٩٠٠م، وقد بدأ شكهم في علاقاته مع الإنجليز يزداد بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى مباشرة، حيث كتب النقيب نورمان -الذي كان يتابع الوضع عن قرب إلى حكومة الهند البريطانية سنة ١٩١٩م- يقول:

(ابن سعود غير متأكد من وضعه الخاص وهو خائف من النتائج، لقد أعاد تأسيس الإخوان ليوفر لنفسه وسيلة للدفاع عن النفس ضد الهجوم).

وبعد سنوات كتب ألويس ميوسيل تقريرا جاء فيه:

(إن الإخوان وقائدهم -فيصل الدويش- سيكونون أول من يرفض ابن سعود إذا ما أخفق في اتباع مبادئ المذهب الذي يتبعونه، إنهم الآن يتهمونه باعتداله الشديد، وبطاعته المفرطة للأوربيين)[٥٥٠].

- الإجراءات البريطانية السعودية للسيطرة على حركة الإخوان:

١- المواجهة الفكرية والثقافية:

لقد كانت الإجراءات والترتيبات التي اتبعتها بريطانيا لمواجهة حركة الإخوان بالتنسيق مع ابن سعود في سنة ١٩١٩م تتمثل في إيفاده جماعة من العلماء والدعاة ليقولوا للإخوان:

(إن الزراعة والحرف والتجارة والصناعة لا تتعارض مع الإسلام، وأن المسلم القوي خير من المسلم الضعيف، وأن الإسلام يشجع على جمع الثروة والممتلكات عن طريق العمل، وفي النهاية سلم الإخوان

(٥٤٩) الإخوان السعوديون لجون س ١٤٤.

(٥٥٠) الإخوان السعوديون لجون س ص ١٤٤-١٤٥.

بهذا التفسير، وقد فاقت مستقرات الإخوان من حيث الزراعة والصناعة المدن والقرى المستقرة القديمة صاحبة الخبرة الأكبر)[٥٥١].

كما عقد العلماء في الرياض بأمر من ابن سعود مؤتمرا توصلوا فيه إلى أن الهجرة ليست واجبة على البدو الذين لم يستقروا بعد كالإخوان، وأعيد تفسير كلام محمد بن عبد الوهاب حول وجوب الهجرة من أرض الشرك إلى أرض الإسلام -بما يتناسب مع تطور الأحداث الجديدة في المنطقة بوحي من الإنجليز- وقد تم طباعة فتاوى علماء المؤتمر ونشرها على الإخوان في كل مكان.[٥٥٢]

وطباعة الفتاوى ونشرها أسلوب بريطاني لا عهد للمنطقة به قبل ذلك، فقد حدث في نفس الفترة سنة ١٩٢١م -كما ذكر ديكسون في كتابه الكويت وجاراتها- أن قام الطيران البريطاني بقصف مسجد الإمام علي وضريحه بالكوفة، فانتشر الخبر، وثار الشيعة في كل مكان في العالم الإسلامي، فتوجه ديكسون بأمر كوكس إلى المرجع الشيعي الأعلى كاظم اليزدي الذي كان ديكسون يستشيره كثيرا، وطلب منه المساعدة على تهدئة ثورة الشيعة، واعتذر ديكسون عن وقوع الحادث وأنه تم بالخطأ غير المقصود، وفاجأه كاظم اليزدي حين قال له: ومن قال إن المسجد قد قصف؟ هذه كذبة يراد منها تشويه سمعة بريطانيا!

فطلب ديكسون منه إصدار فتوى بذلك لطباعتها ونشرها على الشيعة في كل مكان في الهند وإيران، وتم له ذلك وهدأت ثورة الشيعة بحيلة كاظم اليزدي وفتواه وطباعة بريطانيا لها ونشرها![٥٥٣].

---

(٥٥١) الإخوان السعوديون لجون س ١٤٥. فبريطانيا كقوة استعمارية ترفض وجود قوة عسكرية قد تقف ضدها، فعملت على تجريدها من قوتها العسكرية، تماما كما تفعل في العراق اليوم حيث تم حل الجيش العراقي وتفكيكه، وكما تم إلغاء التجنيد الإجباري في الكويت، وتهميش درع الجزيرة في نفس الفترة، إذ يرفض الاستعمار الأجنبي أن يتدرب الشعب الذي يقع تحت سيطرته على حمل السلاح! ولهذا بدأت الترتيبات من جديد لعودة التجنيد الإلزامي في الكويت، والاهتمام من جديد بدرع الجزيرة لتحل محل القوات الأمريكية التي ستنسحب من العراق، لتقوم الشعوب الخليجية نفسها لا بحماية أوطانها وحريتها وكرامتها، بل بحماية الأنظمة الاستبدادية التي أقامها الاحتلال لتكريس وجوده ومشروعه في السيطرة على المنطقة بيد شعوبها!

(٥٥٢) الإخوان السعوديون لجون س ١٤٧.

(٥٥٣) الكويت وجاراتها ١/٢٦٨.

لقد أشكل على الإخوان -الذين كانوا يحسنون الظن بالعلماء- كيف وجبت عليهم الهجرة ابتداء من البدو إلى الهجر حيث يتعلمون الدين والتوحيد، بينما لا تجب على البدو الذين ما زالوا كذلك في نجد والعراق والشام وأطراف الجزيرة العربية؟!

وما الذي يجعل محاولات فتح حائل وغيرها من المدن واجبا وجهادا في سبيل الله وطريقا إلى الجنة، بينما يحرم عليهم فتح العراق والشام وضمها إلى بلد التوحيد؟!

لقد كان الإخوان يستلهمون أهدافهم من مبادئهم التي اعتنقوها، والأصول العقائدية التي حفظوها، دون أن يعلموا بأن السلطة في الرياض تتبع للتاج البريطاني، وتحت الحماية البريطانية رسميا، وملتزمة بمعاهدة سرية مع بريطانيا، تقضي بأن تكون شئونها الخارجية تحت إشرافها!

وقد اطلع بعض المؤرخين النجديين على بعض تفاصيل تلك المعاهدة مبكرا حيث ذكرها ابن بسام في تاريخه، في حوادث سنة ١٣٢٩هـ-١٩١١م فقال:

(وفيها عقدت معاهدة بين الإمام والإنجليز على أن يحتل الإمام الأحساء والقطيف ودارين والعقير، ويمنعون عنه الإنجليز أي دولة تأتيه من البحر، ولقاء ذلك يكون تابعا لهم، ولا يحدث محاربات دون علمهم ولا يحارب بدون إذنهم، ولهم حق التفتيش على المعادن في جزيرة العرب واستخراج ذلك، وإذا أراد الإنجليز أن يسير لحرب أي جهة يسير لها وهي تمده)[٥٥٤].

وهذه الاتفاقية هي قطعا قبل معاهدة سنة ١٩١٥م، فهي تتحدث عن احتلال الأحساء الذي تم سنة ١٩١٣م، والاتفاقية كانت قبل ذلك بسنتين وقد أرخها ابن بسام في سنة ١٩١١م، بينما الاتفاقية الرسمية كانت سنة ١٩١٥م وهي اتفاقية دارين التي جعلت بريطانيا بعدها من ابن سعود (واحدا من الشيوخ الخاضعين لحمايتها والمرتبطين معها بمعاهدات مانعة، وكانت المعاهدة تشمل معظم المواد التي ذكرت في المعاهدات المانعة التي عقدتها بريطانيا مع شيوخ الخليج مثل عدم التنازل وعدم التأجير أو الرهن لأي قسم من أراضيه إلا بموافقة الحكومة البريطانية، وكذلك عدم الاتصال بالحكومات الأجنبية، وحماية ابن سعود من أي اعتداء يقع عليه من أي دولة أخرى)[٥٥٥].

---

(٥٥٤) تحفة المشتاق ص ٤١٠.

(٥٥٥) تاريخ الخليج العربي لزكريا ٣/ ٣٤.

وما ذكره ابن بسام هو المعاهدة السرية التي على أساسها احتل ابن سعود الأحساء سنة ١٩١٣م، ثم تم توقيع الاتفاقية الرسمية سنة ١٩١٥م.

٢-المواجهة البريطانية المسلحة لقوات الإخوان:

وقد واصل الإخوان سنة ١٩٢٣م إرسال دعاتهم الدينيين قبل وصول مجاهديهم -كما هي عادتهم - إلى دمشق وسيناء، مما أثار تشرشل الذي كان حينها وزيرا للمستعمرات، فطلب من اللنبي ووزارة الخارجية تقريرا حول الموضوع وعن حجم انتشار حركة الإخوان وأفكارهم في المنطقة، وقد أمر اللنبي القوات البريطانية والمصرية باستخدام القوة ضد الإخوان وقواتهم التي تتقدم نحو الشمال، مما أسفر عن اتفاق بريطاني نجدي بشأن تحديد الحدود بشكل رسمي في العقير، ثم تم بشكل نهائي في اجتماع الهدا بتاريخ ٨/١١/ ١٩٢٥م.(٥٥٦)

وقد عبر الإخوان إلى شرق الأردن، لمهاجمة عبد الله في سنة ١٩٢٢م، وقد تصدت لهم الطائرات والمصفحات البريطانية.(٥٥٧)

وبعد رسم الحدود مع الكويت، والعراق، والشام -وفق الإرادة البريطانية، وما تقتضيه مصالحها في المنطقة، ودون أن يكون لشعب المنطقة العربي أي دور في ذلك التقسيم لجزيرتهم العربية، الذي هو الأول من نوعه في تاريخها كله، ودون رضا الإخوان الذين ما يزالون يؤمنون بضرورة وإمكانية توحيد الجزيرة العربية والشام والعراق- لم يبق أمام ابن سعود إلا الحجاز (باعتباره إرثا شرعيا وقد أوضح عن ذلك في الكثير من تصريحاته العامة والخاصة، وكان كل ما يحتاجه هو مجرد سبب من الأسباب الداعية للحرب)(٥٥٨).

(٥٥٦) الإخوان السعوديون لجون س ١٨٦.

(٥٥٧) ولادة الشرق ٥٧٧.

(٥٥٨) الإخوان السعوديون لجون س ١٨٧.

وقد ساعد ابن سعود على تحقيق ذلك تحول السياسة البريطانية بحسب ما تقتضيه مصالحها (من سياسة موالية للشريف حسين، إلى موقف محايد من النزاع بين ابن سعود والملك حسين الذي كان كل منهما صديقا للتاج البريطاني)[٥٥٩].

وهو ما لم يكن يعلم عنه الإخوان الذين كانوا يخوضون حرب تحرير وتوحيد ضد الإنجليز، وضد الشريف وابن صباح اللذين تحالفا مع بريطانيا، ولم يدركوا أنهم هم أنفسهم يتبعون سلطة تقع تحت حماية بريطانية ودعم عسكري ومالي منها! وهو الخلل الخطير الذي ستكون نتائجه دموية ومأساوية على النحو الذي سيحصل بعد سنوات قريبة من استكمال بريطانيا وابن سعود لمشروعيهما من جهة، وتطلع الإخوان لاستكمال مشروعهم بتوحيد الجزيرة والشام والعراق وتحريرها من الإنجليز من جهة أخرى!

- المخطط البريطاني السعودي للقضاء على الإخوان:

لقد رأت بريطانيا ضرورة القضاء على حركة الإخوان، فلم تعد هناك مبررات لوجودها كقوة عسكرية قد تهدد الوجود البريطاني في المنطقة، وكما يقول جون س:

(وبعد وصول الإخوان إلى البحر الأحمر انتهت قصتهم البطولية عنده، لقد وصلوا الذروة وانتهى مبرر وجودهم، ولم يبق لهم إلا أن يستعرضوا أنفسهم على مسرح التاريخ، فقد بدأوا يتسببون في إحراج ابن سعود، وبعد أن حقق ابن سعود حلمه، أراد إعادة الإخوان إلى نجد اعترافا بجميلهم، ومعهم مكافآت مجزية من المعاشات والأراضي، وكل هذه الغنائم لم يكن الإخوان يريدونها، بل كانوا يريدون ويتطلعون إلى ما لم يكن بوسع ابن سعود أن يأذن لهم به، لقد كانوا يريدون استمرار المسيرة الدينية، ولكن المسيرة إلى أين بعد أن وصلوا فعلا إلى حدود التوسع المسموح لهم به؟ وكان إمامهم قد وضع توقيعه على ترسيم الحدود الذي يتعين عليه أن يحترمه، أو أن تفرض عليه القوة العسكرية التابعة للتاج البريطاني هذا الاحترام، وسرعان ما أدرك الإخوان أنهم غير مرغوب فيهم في الحجاز، وبعد أن

---

(٥٥٩) الإخوان السعوديون لجون س ١٨٧.

حرموا من ثمار انتصارهم الأخير في دخول المدينة وجدة، اكتشفوا أن علماء نجد الوهابيين قد حلوا محلهم، وأصبحوا ذراع ابن سعود اليمنى)[٥٦٠].

- إعلان الإخوان الجهاد على بريطانيا وابن سعود:

لقد أدرك قادة الإخوان بذكائهم الفطري بأن بريطانيا وراء كل هذه الترتيبات، وكما يقول جون س أيضا (لقد كان من بين أكثر الإخوان استياء فيصل الدويش قائد الحملة على المدينة، الشيخ الأعلى في قبيلة مطير القوية، وقد حث فيصل الدويش سلطان بن حميد الشيخ الأعلى لقبيلة عتيبة، وضيدان بن حثلين الشيخ الأعلى لقبيلة العجمان على قسم اليمين لمساندة بعضهم بعض، وقد قام فيصل الدويش بحملة دعائية واسعة النطاق ضد ابن سعود مشيرا إلى أن وجود المراكز على الحدود مع العراق دليل على أن ابن سعود قد باع حقوق بلاده إلى البريطانيين، وقد فعلت حملة فيصل فعلها، فبدأت القبائل تستحث بعضها على الجهاد)[٥٦١].

ولم يكن الإخوان في نجد يعرفون أبعاد الصراع بين ابن سعود والشريف حسين، وأنه صراع بين حكومة الهند البريطانية التي تشرف على شئون نجد والعراق وشرق الجزيرة من جهة، والخارجية البريطانية التي تشرف على شئون الحجاز وغرب الجزيرة العربية من جهة أخرى، وكما يقول فرومكين:
(وقد بدا واضحا أكثر فأكثر أن في لندن قوتين متنافستين، تصارع إحداهما الأخرى، من أجل حصة من الإمبراطورية العثمانية، وهاتان القوتان هما المندوب السامي البريطاني في القاهرة، ونائب الملك البريطاني في الهند)[٥٦٢].

وكما عبر عن تلك الأزمة بين حكومة الهند البريطانية وحكومة لندن الضابط البريطاني في العراق برترام توماس في مذكراته حيث يقول عن أثر الصراع بين الجهتين (جاءت النتيجة بأن مسرحي

---

(٥٦٠) الإخوان السعوديون لجون س ١٩٦.

(٥٦١) الكويت وجاراتها لديكسون ١/٢٩٥.

(٥٦٢) ولادة الشرق ١٥٥. وهذا يذكر بالصراع بين وزارة الخارجية الأمريكية بقيادة كولن باول ووزارة الدفاع بقيادة رامسفلد حول من يدير شئون العراق بعد احتلاله سنة ٢٠٠٣م؟!

الفعاليات الحربية أصبح من مسئولية دائرتين أجنبيتين مختلفتين... وعندما انتهت الحرب كانتا هناك وجهتا نظر حول السياسة التي يجب أن تتبع في البلاد العربية)[٥٦٣].

- إقامة دولة دينية في الحجاز تحت التاج البريطاني:

كما لم يكن الإخوان يعلمون بأن بريطانيا قد قررت تعويض المسلمين -بعد إسقاط الخلافة الإسلامية، التي تمثل وحدة العالم الإسلامي- بإقامة دويلة إسلامية مستقلة تحافظ على مكة والمدينة تحت سيطرة بريطانيا، لا سيطرة أي جهة أخرى حتى وإن كانوا الإخوان الذين قاموا بالاستيلاء عليهما وحمايتهما!

لقد كانت بنود الاتفاقية السرية البريطانية الروسية في ١٢ مارس سنة ١٩١٥م تجعل لروسيا حق السيطرة على إسطنبول عاصمة الخلافة الإسلامية، وهو ما سيؤدي إلى ثورة المسلمين في الهند ضد بريطانيا إذا عرفوا بالاتفاقية السرية، وعلموا أن بريطانيا شاركت في تدمير آخر دولة إسلامية مستقلة ذات أهمية وقد كان رئيس الوزراء البريطاني قد كتب عند بدأ الحرب العثمانية يقول:
(قليلة هي الأشياء التي تمنحني سرورا أكبر من سروري برؤية الإمبراطورية العثمانية وهي تختفي نهائيا من أوربا، ورؤية القسطنطينية وقد أصبحت روسية، وهذا ما أظن أنه قدرها المناسب)، وفي مارس ١٩١٥م أكد موافقته على طلب روسيا ضم القسطنطينية (إسطنبول) إلى روسيا مقابل دخولها في الحرب بصف بريطانيا وفرنسا، ضد ألمانيا والدولة العثمانية.[٥٦٤]

ذلك الاتفاق الذي طال نقاشه في مجلس الوزراء البريطاني حين بحثوا مستقبل أقاليم الدولة العثمانية بعد سقوطها حتى وصف رئيس الوزراء البريطاني نفسه تلك المناقشات بأنها (أشبه بما يدور بين عصبة من القراصنة)[٥٦٥].

---

(٥٦٣) مخاطر ورحلات في الجزيرة العربية ص ٧٣.

(٥٦٤) ولادة الشرق ١٥٢.

(٥٦٥) ولادة الشرق ١٥٦.

لقد حرص المسئولون البريطانيون على أن يبقى الاتفاق سرا (وعلى بريطانيا أن تعوض المسلمين عن تدمير الإمبراطورية العثمانية بإقامة دولة إسلامية في مكان آخر، وأنه من وجهة نظر دينية، ولوجود مكة والمدينة، لا يمكن التفكير في إقامة هذه الدولة سوى في شبه الجزيرة العربية)[٥٦٦].

لقد كانت بريطانيا تعالج آثار كارثة إسقاط الخلافة على العالم الإسلامي نفسيا وروحيا بإيجاد دويلة في الجزيرة العربية ذات طبيعة دينية تحت الحماية البريطانية شبيهة بدولة الفاتكان تحت السيادة الإيطالية!

لقد قام اللورد كتشنر القائد العام في الهند بعد نشوب الحرب العالمية الأولى (بالاتصال بذوي النفوذ في تراث الخلافة الإسلامية ومن خلال المسلمين الهنود، وفي مصر من خلال حركة القومية العربية، ورأى إمكانية إعادة الخلافة، وسيسمح ذوو النفوذ في المنطقة لبريطانيا أن تفد إليهم بعد أن يعلنوا الجهاد)![٥٦٧]

وقد انتهى كل ذلك بعد سيطرة بريطانيا على المنطقة، وإنهاء وجود الشريف حسين نفسه، بعد تمرده على بريطانيا، وجاء الدور على الإخوان ليتم التخلص منهم بعد أن أدوا المهمة التي كان يطمح ابن سعود إلى تحقيقها منذ ربع قرن وكما يقول جون س:

(ها هم يعودون إلى نجد يحملون معهم استياءهم من ابن سعود والبريطانيين... وليس من الغرابة أن تتفجر تلك القوة الديناميكية على شكل تمرد بعد أن أعيدت إلى نجد وهي في ذروة قوتها ونجاحها)[٥٦٨].

لقد انتهى الدور الذي أرادت بريطانيا مع ابن سعود أن يقوم به الإخوان من حيث لا يشعرون، كما يجري اليوم في أفغانستان حين رأت الولايات المتحدة وباكستان أن حركة طالبان الدينية قد قامت بالمهمة، حتى إذا نجحت في السيطرة على أفغانستان وقضت على منافسيها تم القضاء عليها من قبل

(٥٦٦) ولادة الشرق ١٥٤.

(٥٦٧) مخاطر ورحلات في الجزيرة العربية ص ٧٣.

(٥٦٨) الإخوان السعوديون لجون س ١٩٨.

الولايات المتحدة وباكستان وحلفائها العرب لترسم فصول مشهد جديد يتكرر في العالم الإسلامي منذ سقوط الخلافة العثمانية إلى اليوم!

- بداية ثورة الإخوان في نجد:

لقد كان الإخوان وقادتهم يعيشون حالة من الزهو بانتصاراتهم التي حققوها باسم الإسلام وكان فيصل الدويش كما يقول أسد (استولى على حائل سنة ١٩٢١م وفي عام ١٩٢٥م أخذ المدينة المنورة ولعب دورا حاسما في فتح جدة، والآن في صيف ١٩٢٧م كان يجلس على أكاليل مجده في هجرته الأرطاوية غير بعيد عن حدود العراق)[٥٦٩].

إلا أن هذا الابتهاج بالنصر لن يدوم، كما يقول جون س: (لقد شعر الإخوان -بعد عودتهم إلى نجد سنة ١٩٢٥م- بقيادة فيصل الدويش وابن بجاد أنهم هم المسئولون عن الانتصارات العسكرية الكبيرة التي أوصلت ابن سعود إلى مركز السلطة، ولولاهم لما احتفظ بسلطته وسيطرته على الجزيرة العربية... وعندما عاد الدويش إلى نجد مرة ثانية معززا بالسلطة والنفوذ اللذين كان يحظى بهما في قبيلة مطير، وبروز الأرطاوية، والمركز المرموق الذي يحتله باعتباره الذراع اليمنى لابن سعود، ومما لا شك فيه أن فيصل الدويش قد أصبح أسطورة بين الإخوان، والقبائل الرعوية المرتحلة (البدو) والمستقرة (الحضر)، وعاد سلطان بن بجاد العتيبي عودة الأبطال أيضا فقد خلص الإخوان التابعين له الكثير من مناطق الحجاز من أيدي الملك حسين، وسرعان ما بدأ ضيدان بن حثلين شيخ قبيلة العجمان المضطربة يشعر بالسخط بتحريض من الدويش وابن بجاد، وكان يتحين الفرصة ليثأر من ابن سعود للقمع الذي مارسه على قبيلة العجمان في الأحساء)[٥٧٠].

- مؤتمر الإخوان في الأرطاوية سنة ١٩٢٦م:

وفي سنة ١٩٢٦م عقد الإخوان مؤتمرهم في الأرطاوية وحضره شيوخ قبيلة مطير وعتيبة والعجمان وكانت أبرز اعتراضاتهم على ابن سعود:

---

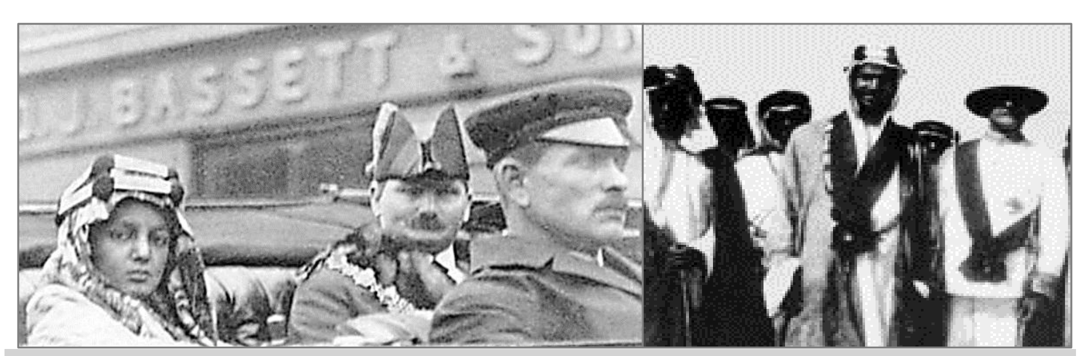
(٥٦٩) الطريق إلى مكة (إلى الإسلام) ص ٢١٤.

(٥٧٠) الإخوان السعوديون لجون س ٢٠٢.

أولا: علاقته مع الإنجليز وإرسال ولده فيصل إلى لندن.

ثانيا: الضرائب الموجودة في الحجاز ونجد.

ثالثا: المنع الذي فرضه ابن سعود على التجارة مع الكويت.



من اعتراضات الإخوان على عبد العزيز بن سعود العلاقة بالإنجليز وإرسال ولده فيصل للندن، وفي الصورة فيصل عندما كان في لندن وعمره ١٦ سنة

- هجوم الإخوان على القوات البريطانية في العراق:

لقد قرر الإخوان مواجهة بريطانيا، ورأوا بأن أقرب قاعدة لها هي قاعدة الشعيبة الجوية في البصرة، فقرروا مهاجمتها دون علم ابن سعود الموجود في الحجاز، وقد عاد ابن سعود من الحجاز وكان الوضع السياسي قد تغير كما يقول غلوب باشا: (وقد تحقق لدى الإخوان بأنهم هم الذين اقتحموا الحجاز، وليس ابن سعود الذي لم يكن له جيش نظامي، وفي شتاء سنة ١٩٢٦ – ١٩٢٧م قام الإخوان بغارات مكثفة وقد وصلت إحدى هذه الغارات إلى نقطة لا تبعد سوى خمسة وعشرين ميلا عن محطة القوة الجوية البريطانية في الشعيبة خارج البصرة، والحقيقة أن الإخوان لو واصلوا غزوهم لاستطاعوا أن يدمروا تلك المحطة برمتها، لقد فشلت القوة الجوية البريطانية فشلا ذريعا في معالجة هذه المشكلة)[٥٧١].

(٥٧١) مذكرات غلوب باشا ١٥٩.

- مؤتمر الإخوان في الرياض سنة ١٩٢٧م:

وفي مطلع سنة ١٩٢٧م تم عقد اجتماع في الرياض حضره ثلاثة آلاف شيخ وقائد من شيوخ الإخوان وقادتهم من قبيلة مطير، وعتيبة، والعجمان، وقحطان، وشمر، وحرب، وعنزة، والهواجر، والمرة، والدواسر، وسبيع، والسهول.[٥٧٢]

وقد تم مناقشة الاعتراضات، وتم توجيه الأسئلة للعلماء النجديين، الذين أجابوا عن كل الأسئلة المطروحة، إلا قضية العلاقة بالإنجليز، التي لم يجب عنها العلماء النجديين، ولم يكن العلماء ولا الإخوان يعلمون عن أساس هذه العلاقة التي تتمثل في معاهدة الحماية التي تجعل من نجد محمية ومستعمرة بريطانية!

وقد انتهى المؤتمر بتجديد ابن سعود تعهداته للجميع بالعمل بالشريعة المطهرة والحكم بها، وتم تجديد البيعة له.

كما تم الاتفاق ثانية بين ابن سعود وزعماء المعارضة الثلاثة (الدويش - ابن حميد - ابن حثلين) لعقد مؤتمر في مدينة بريدة، وعندما حان موعد اللقاء تم (تأجيل الاجتماع حتى يتمكن ابن سعود من التباحث مع البريطانيين في خلافاته مع الإخوان)[٥٧٣].

فقد كثرت التقارير البريطانية عن خطورة الوضع وقد كان جون جلوب (غلوب باشا) (لا يتردد في التعبير عن كراهيته الشديدة للإخوان فقد كان متعاطفا مع ابن سعود)[٥٧٤].

- إعلان فيصل الدويش للجهاد ضد الإنجليز وابن سعود:

وقد بدأت حركة التمرد الفعلي على سلطة ابن سعود بقيادة فيصل الدويش، وكانت تهدف إلى استكمال مهمة الجهاد -ولو أدى إلى المواجهة مع الوجود البريطاني في الكويت والعراق والأردن- والذي التزم ابن سعود في معاهداته مع بريطانيا بإيقافه، وقد امتد نطاق التمرد حيث هاجم تراحيب بن شقير

(٥٧٢) الإخوان السعوديون لجون س ٢٠٤.

(٥٧٣) الإخوان السعوديون لجون س ٢١٢.

(٥٧٤) الإخوان السعوديون لجون س ٢١٠.

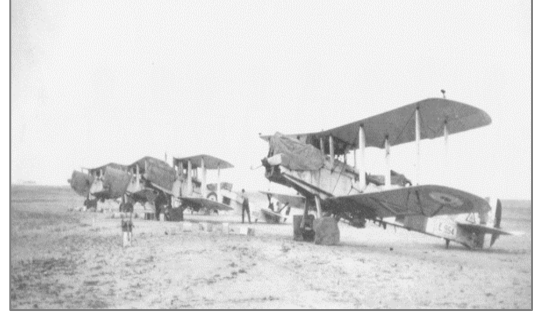
الدويش وابن لامي الكويت، وتقدم فيصل الدويش بقواته وعبر الحدود العراقية وكما يقول ديكسون (إن المعلومات الموثوقة المتوفرة حتى نهاية سنة ١٩٢٧م تشير إلى أن قبيلة مطير وحدها كانت خارجة عن السيطرة)[٥٧٥].

- الطيران البريطاني في مواجهة حركة المعارضة:

وفي يناير سنة ١٩٢٨م وقعت معركة الرقعي -وهي ثالث معركة تقع بين مدينة الكويت وقبيلة مطير بعد حمض والجهراء- حيث هاجم الكويت بقواته علي بن عشوان من شيوخ العبيات من قبيلة مطير ومعه نحو أربعمائة من الإخوان، وقد طاردتهم السيارات المسلحة وخرجت من الكويت في أثرهم، وقد قتل في تلك المواجهات علي السالم الصباح، وأصيب قائد القوة علي الخليفة الصباح بجراح خطيرة، وقد نجح الطيران البريطاني في تتبع قوات ابن عشوان وقصفها، وبعد مدة تصدى الطيران البريطاني عدة مرات لعدد من مجموعات الإخوان القتالية وقصفها على الحدود العراقية السعودية الكويتية، وقد نجح الإخوان في إسقاط طائرة بريطانية وقتل قائدها، وقد أسقط الطيران البريطاني قنابله أحيانا على مخيمات البدو.[٥٧٦]

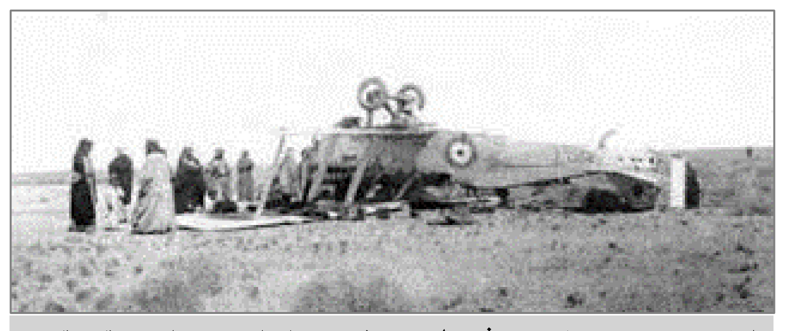


تواجد الطيران البريطاني في معركة الرقعي



(٥٧٥) الكويت وجاراتها لديكسون ١/٣٠٠.

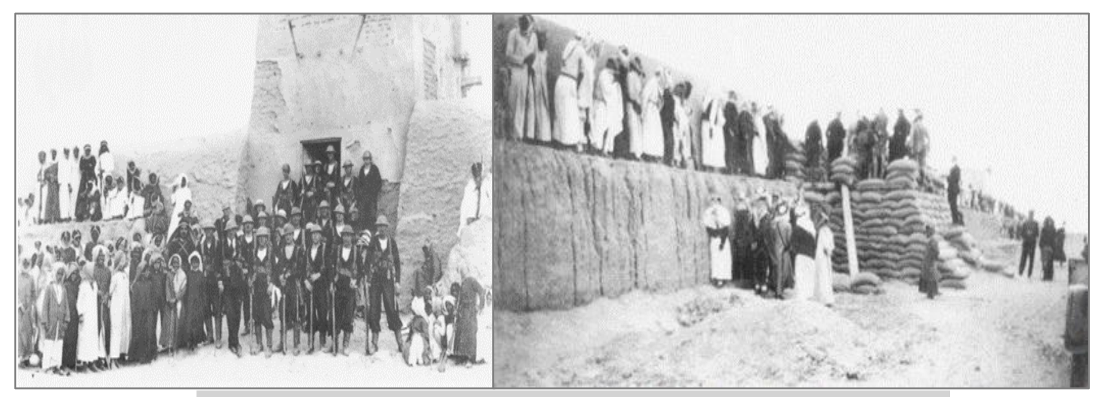
(٥٧٦) الكويت وجاراتها لديكسون ١/٣٠٠-٣٠٢، وما زال بعض كبار السن يذكرون تلك الحوادث التي تعرضت لها القبائل لقصف من الطيران البريطاني العشوائي لترويضها للمشروع البريطاني!



بالرغم من ضعف تسليحهم، نجح الإخوان في إسقاط طائرة بريطانية وقتل قائدها



المدفعية البريطانية كانت حاضرة في معركة الرقعي، ويظهر تدريب الإنجليز للكويتيين على إستخدامها



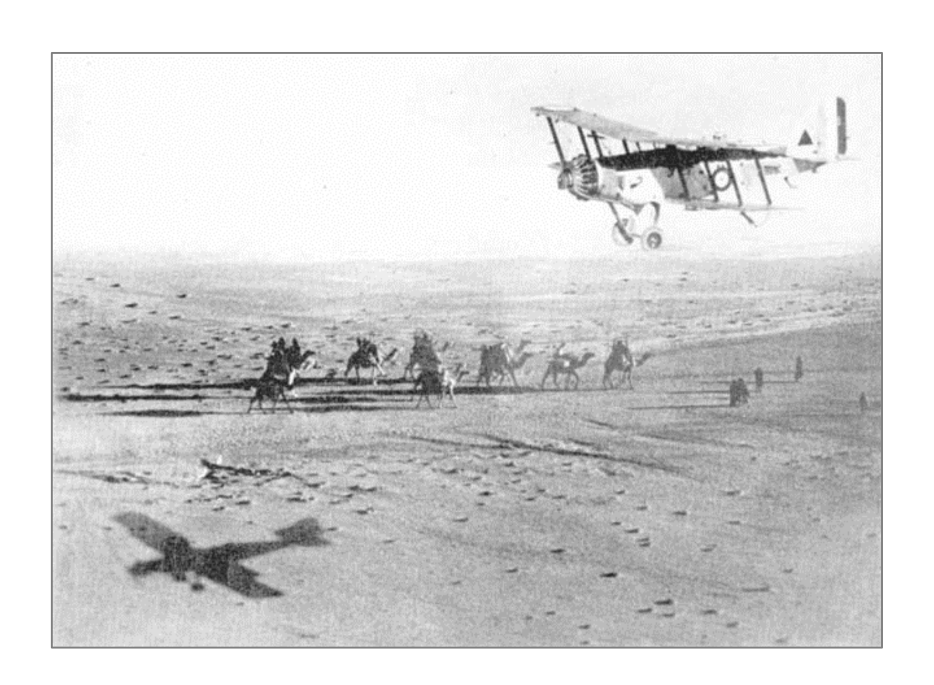
الحماية البريطانية لأسوار مدينة الكويت والتواجد العسكري البريطاني داخلها

لقد تم التصدي لهجوم ابن عشوان وأتباعه (وتعرضت قواتهم لهجوم قاس من سلاح الطيران الجوي البريطاني الذي اتخذ من الكويت قاعدة له مؤقتة، كما وضعت ثلاثة طرادات حربية على سواحل

الكويت، ومع ذلك فقد أوضحت الحكومة البريطانية أنه على الرغم من اتخاذها جميع وسائل الحماية إلا إنها مع ذلك ليست ملزمة بمسئولية الدفاع عن الكويت أكثر مما كان قد تقرر لها سنة ١٩١٤م)[٥٧٧].

أي لا تتجاوز الحماية حدود أسوار المدينة، إذ لم يكن يطلق آنذاك على ما وراء الأسوار اسم الكويت، بينما المعاهدة قد تمت سنة ١٨٩٩م قبل أن يمتد نفوذ مبارك خارج مدينة الكويت، وقبل أن يطلق على صحرائها اسم الكويت، إذ لم يتقرر ذلك إلا بعد المعاهدة البريطانية العثمانية سنة ١٩١٣م.

- المجازر البريطانية الوحشية ضد القبائل العربية:



لقد مارس الطيران البريطاني وحشية مفرطة في قصفه وضربه خيام البدو دون تمييز ودون إدراك للأزمة التي تعيشها القبائل العربية وهي تتعرض لخطر يهدد صميم وجودها جراء الوضع الجديد وتحديد الحدود على أرض آبائهم وأجدادهم لخدمة المشروع الاستعماري البريطاني للمنطقة وعلى حد قول محمد أسد: (لقد كانت تلك الحدود مسرحا لغارات البدو المستمرة الناشئة عن هجرات العشائر طلبا للعشب والماء، وفي سلسلة من الاتفاقات بين ابن سعود والبريطانيين كمسئولين عن العراق تقرر عدم إقامة أية عراقيل في وجه تلك الهجرات إلا أن الحكومة العراقية في صيف سنة ١٩٢٧م

(٥٧٧) تاريخ الخليج العربي لزكريا ٨٨/٣.

قامت ببناء القلاع على طول الحدود وسرت موجة من القلق بين القبائل في شمال نجد إذ وجدوا أنفسهم مهددين في صميم وجودهم معزولين عن الآبار التي كانوا يعتمدون عليها الاعتماد كله)[٥٧٨].

لقد كانت بريطانيا تعد العدة لمحاصرة القبائل وقطع طرق تحركها والسيطرة على آبار المياه التي ترد عليها بهدف إخضاعها كلية للحكومات الجديدة، وهو ما رفضته القبائل وقامت بالهجوم على القلاع الحدودية مما حدا ببريطانيا للتدخل وكما يقول محمد أسد: (فقد أعلم المندوب السامي البريطاني ابن سعود بأنه سيرسل فرقة جوية حيوية لمعاقبة الإخوان من قبيلة الدويش لإجبارهم على طاعة ملكهم... واجتازت فرقة جوية بريطانية الحدود وألقت قنابلها على الأراضي النجدية فأنزلت الدمار بمضارب خيام مطير وقتلت دون تمييز الرجال والنساء والأطفال والمواشي)[٥٧٩].

وفي هذه الفترة من التاريخ في سنة ١٩٢٨ - ١٩٣٠م الذي تحاول بريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى إخضاع حركة الإخوان الدينية والقبائل في الجزيرة العربية لمشروعها بقوة الطيران البريطاني، كانت إيطاليا هي أيضا تمارس الحرب الإجرامية نفسها ضد الحركة السنوسية الدينية والقبائل العربية في ليبيا، وكما يقول محمد أسد وهو شاهد عيان على تلك الأحداث وقد ذهب في مهمة لمساعدة عمر المختار سنة ١٩٣٠م:

(كان الموقف في برقة كما يلي: كانت جميع المدن الساحلية في قبضة الإيطاليين، وكانوا يسيّرون بين هذه النقاط المحصنة دوريات مستمرة من السيارات المصفحة وعددا كبيرا من المشاة تدعمها أسراب جوية، كانت تقوم بغارات متكررة على الأرياف، وكان البدو الذين يشكلون نواة المقاومة السنوسية غير قادرين على أن يتحركوا دون أن يكتشفوا حالا، وتفتح عليهم النار من الجو، وكثيرا ما أن طائرة استطلاعية أبرقت إلى أقرب مركز إليها بوجود مخيم للبدو بينما كانت مدافع الطائرة الرشاشة تمنع الناس من التفرق كانت السيارات المصفحة تندفع جارفة في طريقها بيوت الشعر والجمال والناس،

(٥٧٨) الطريق إلى مكة (إلى الإسلام) ص ٢١٤.

(٥٧٩) الطريق إلى مكة (إلى الإسلام) ص ٢١٥.

فتقتل دون تمييز كل ما يعترض طريقها من النساء والأطفال والمواشي، وما تبقى من الناس والمواشي كان يساق نحو المعسكرات)[٥٨٠].

وتمكنت إيطاليا من محاصرة الثوار في ليبيا عن طريق قطع الإمداد عنهم من طريق مصر، وهو ما سهل لها القضاء على عمر المختار وقواته المجاهدة حيث سيتم إعدامه كخارج على القانون، وهو ما سيحدث مثله وفي السنة نفسها لحركة الإخوان في نجد وللقبائل العربية فيها على يد الجيش البريطاني، غير أن الاحتلال الإيطالي وجد من يفضحه ويكشف للعالم كله مدى بشاعة جرائمه بحق الشعب الليبي وثورته، بينما ظلت جرائم بريطانيا الوحشية بحق القبائل العربية في الجزيرة طي الكتمان إلى اليوم!

- المؤتمر البريطاني السعودي في جدة للقضاء على حركة الإخوان:

وقد قررت بريطانيا القضاء على حركة الإخوان النجدية، وتم في ١٩٢٨/٥/٧م عقد مؤتمر في جدة بين وفد ابن سعود برئاسة حافظ وهبة، ووفد بريطاني برئاسة جلبرت كلايتون والنقيب جون جلوب للتباحث حول مشكلة الحدود العراقية النجدية، والقتال بين القبائل التي ترتحل بين الحدين، وقد طالب وفد ابن سعود بمعاهدة لتسليم اللاجئين السياسيين، وقد تعهدت بريطانيا في هذا المؤتمر بعدم السماح لفيصل الدويش باللجوء السياسي في حال قرر ابن سعود مقاتلته، وهذا هو الشيء الوحيد الذي أسفرت عنه المفاوضات التي دامت عشرة أيام؟![٥٨١].

لقد كان مناقشة موضوع فيصل الدويش هو الهدف الرئيسي لهذا المؤتمر، وكل ذلك بعد مؤتمر الرياض الذي تم فيه الاتفاق بين المعارضة وابن سعود، والذي أزال أسباب التوتر بين الطرفين، كما تم الاتفاق بين قادة المعارضة على لقاء ابن سعود في مدينة بريدة، وفجأة وقبل عقد الاجتماع طلب ابن سعود تأجيله ليتمكن من معرفة وجهة النظر البريطانية، حيث تم الاتفاق في جدة بين ابن سعود والبريطانيين على حرمان فيصل الدويش حق اللجوء السياسي، فيما لو أراد ابن سعود القضاء عليه كزعيم للمعارضة السياسية في نجد، في الوقت الذي رفضت بريطانيا تسليم أي لاجئ سياسي آخر، وفي الوقت الذي لم ترفض المعارضة لقاء بريدة ؟!

(٥٨٠) الطريق إلى مكة (إلى الإسلام) ص ٢٨١.

(٥٨١) الإخوان السعوديون لجون س ٢٠٩.

لقد كان الهدف البريطاني من المؤتمر هو القضاء على حركة المعارضة، لكونها كانت ترفض وجود الإنجليز والارتباط بهم!

وبعد ذلك المؤتمر في جدة، تدهورت العلاقات بين المعارضة وابن سعود حيث كانوا كما يقول جون س: (يتهمونه بأنه قد باع نفسه للنصارى والإنجليز، وأنه تحالف معهم، على حساب التزامه من قبل بنشر الإسلام، ومحاربة الكفار)[٥٨٢].

وكما يقول ديكسون: (ومهما كان الأمر فمشاعر قبائل الإخوان في نجد كانت تغلي، وكانت مطير تمقت سياسة ابن سعود بمنع الغزوات -أي الجهاد- وأثار حنقهم قصف الطائرات البريطانية لهم، وادعوا أن إمامهم أصبح أداة في أيدي الإنجليز، وكان هناك خطر حقيقي من ثورة تقوم بها قبائل نجد بقيادة فيصل الدويش وسلطان بن حميد، لأن كلا القائدين يطالب ابن سعود بأن يثبت إيمانه بالله عن طريق إعلان الجهاد)[٥٨٣].

لقد كان من أكبر أسباب السخط والعداوة التي أبداها الإخوان لشريف مكة هي تحالفه مع بريطانيا، فاكتشفوا فجأة بأن ابن سعود نفسه تحت حماية الإنجليز، وحليف لهم، في الوقت الذي كانوا هم -أي الإخوان- الذين وحدوا نجد والحجاز، نصرة للإسلام، وحماية للحرمين من الإنجليز والنصارى الذين جاء بهم الشريف؟!

وعلى حد جون س: (لقد كان الإخوان يتمتعون بشعبية بين كثير من رعايا ابن سعود، نظرا لنجاح فيصل الدويش وسلطان ابن بجاد في الحملة التي قاما بها بين القبائل والتي مفادها أنهما يمثلان مصالح الإسلام الشرعية، وأنهما كانا يدافعان عن قضية الدين، في حين أن ابن سعود بعد أن استولى بفضل شجاعتهم على الحجاز باع نفسه للإنجليز وللنصارى)[٥٨٤].

لقد نجحت دعاية ابن سعود وإعلامه الديني في إخفاء أسباب الخلاف الرئيسية بينه وبين المعارضة واخترع فكرة أن الأسباب الكامنة وراء تصرفات قادة المعارضة الثلاثة (لم تكن غيرتهم على الدين

(٥٨٢) الإخوان السعوديون لجون س ٢١٢.

(٥٨٣) الكويت وجاراتها لديكسون ١/٣٠٧.

(٥٨٤) الإخوان السعوديون لجون س ٢١٣.

وإنما تطلعاتهم الشخصية نحو السلطة، وأنهم اتفقوا فيما بينهم على الإطاحة به، وأن يصبح فيصل الدويش حاكما لنجد، ويتولى سلطان بن بجاد حكم الحجاز، ويصبح ضيدان بن حثلين حاكما للأحساء، وهذا التوزيع كان منطقيا من وجهة نظر توزيع القبائل ونفوذ كل شيخ من الشيوخ في المنطقة التي تخصه من تلك المناطق)[٥٨٥].

كما أمكن بالدعاية حصر أسباب الخلاف بين ابن سعود والإخوان برفضهم لدخول البرقية والسيارة دون الحديث عن الأسباب الحقيقية للخلاف والصراع!

- مؤتمر الرياض الثاني بين علماء نجد وشيوخ الإخوان:

وقد قام ابن سعود بعقد مؤتمر عام في الرياض باسم الجمعية العمومية ومؤتمر أعيان الرياض بتاريخ ٥/ ١١/ ١٩٢٨م حيث حضره أكثر من عشرة آلاف من أعيان نجد من شيوخ الإخوان، وشيوخ العشائر، وأمراء الهجر، والقرى، والمدن، والعلماء، وقد كتب النقيب جلوب تقريرا عن المؤتمر -الذي كانت وراءه بريطانيا الذي سبق أن رتبت جمعية عمومية في العراق- وقد تم إسكان أعيان البدو من الإخوان وغيرهم في خيام خارج مدينة الرياض، بينما تم إسكان أعيان الحضر القادمين من القرى والمدن داخل الرياض، وتم إغلاق أسوار المدينة، وتوزيع السلاح والذخيرة على من بداخلها، كما تم احتجاز أعيان الإخوان والبدو خارج الرياض وعدم السماح لهم بالرجوع إلى بلدانهم، حتى تمت المراسلة بين ابن سعود وقادة المعارضة، وهم الدويش وابن حميد وابن حثلين الذين لم يحضروا هذا المؤتمر، ولم تتم دعوتهم إليه! إلا إن الدويش أرسل ابنه عبد العزيز مندوبا عنه لحضور المؤتمر.[٥٨٦]

- إقصاء الدين عن الصراع وإثارة الروح الفئوية:

لقد أدرك ابن سعود أهمية إقصاء الروح الدينية جانبا في هذه المرحلة، إذ لن يكون الموقف في صالحه، وقد أذكى في مقابل ذلك الروح الفئوية بين البدو والحضر، ليستثمره في مواجهة المعارضة الشعبية الكبيرة ضد ارتباطه بالإنجليز وعلى حد قول جون س فقد (استضاف ابن سعود الحضر الذين يؤيدونه داخل المدينة، واحتفظ بقيادات الإخوان رهائن تحت ستار الضيافة والكرم، كما يتناسب مع التقاليد

---

(٥٨٥) الإخوان السعوديون لجون س ٢١٢.

(٥٨٦) الإخوان السعوديون لجون س ٢١٣، والكويت وجاراتها ١/ ٣٠٧.

القبلية، وقد أدى ذلك الإجراء العملي إلى إبعاد رؤساء الإخوان عن التآمر مع كل من فيصل الدويش وسلطان بن حميد، ومن تنسيق جهودهم معهم)[٥٨٧].

وقد تم انتخاب ثمانمائة من مجموع الحضور لعقد المؤتمر، وتم جمع أعيان الحضر في قاعة خاصة، والإخوان البدو في قاعة خاصة، ورجال الدين في قاعة ثالثة، وبعد بدء المؤتمر -الذي جلس فيه ابن سعود وأسرته في الصدر، والعلماء في الصف الأول، وخلفهم الحضر، وأمامه الإخوان- طلب ابن سعود من المجتمعين أن يختاروا حاكما لهم غيره ممن شاءوا، وقام العلماء وأقسموا (أنهم لم يكتشفوا قط أي فتور في غيرة ابن سعود على الدين، أو في إخلاصه لنشر الإسلام، وإن وقع منه خطأ فلأنه لا معصوم إلا النبي صلى الله عليه وسلم... ثم تكلم شيوخ الإخوان الذين يمثلون قبيلة مطير، وتكلم المندوبون عن فيصل الدويش، كما تكلم نيابة عن قبيلة حرب الفرم والذويبي وابن نحيت، كما تحدث ابن ربيعان نيابة عن قبيلة عتيبة، وابن حشر نيابة عن قحطان ... وقد ذكّروا ابن سعود بأنهم تركوا حياة البدو، وهجروا قبائلهم، وتركوا ثرواتهم، تلبية لنداء الجهاد في سبيل الله، ونصرة للدين الصحيح، وأن سيوفهم ودماءهم هي التي جلبت له النصر، وأنهم لن يتبعوه بلا قيد أو شرط، لأنهم يخشون غضب الله أكثر من ابن سعود، وأنهم يريدون أن يستوضحوا عن بعض الأمور من العلماء، حيث أنه سبق أن طرحوا أسئلة من قبل اقتنع بعض الإخوان بالإجابة عنها، وبعضهم لم يقتنع، وأقسموا أنهم سيتبعون ما يحكم به العلماء)[٥٨٨].

لقد رفض فيصل الدويش وابن بجاد وهما زعيما المعارضة حضور المؤتمر فقد أعلنا -كما يقول المستشرق النمساوي محمد أسد الذي كان بمعية ابن سعود- (أن ابن سعود ضال في الدين، أولم يعقد المعاهدات مع الكفار؟ وأعلن العلماء المجتمعون في الرياض وبالإجماع بأن المعاهدات مع غير المسلمين مستحسنة إذا جلبت للمسلمين السلم والحرية)[٥٨٩].

لقد كان من أهم الأسئلة التي وجهها الإخوان في هذا المؤتمر:

(٥٨٧) الإخوان السعوديون لجون س ٢١٤.

(٥٨٨) الإخوان السعوديون لجون س ٢١٥.

(٥٨٩) الطريق إلى مكة (إلى الإسلام) ص ٢١٦.

١- قضية المراكز الحدودية التي أقامها البريطانيون بين نجد والعراق، وهل يجوز شرعا ترسيم مثل هذه الحدود في أرض آبائهم وأجدادهم التي عاشوا عليها على مر الأجيال؟

٢- وبعد تعهد ابن سعود للنصارى على عمل مثل هذه الحدود، كيف يسمح لهم بإقامة المراكز فيها مع أن المعاهدة تمنع من إقامة مثل هذه المراكز في مناطق رعي القبائل وآبارها بين الحدود؟

٣- وإذا سكت الإخوان عن مثل هذا، وترتب عليه ضرر بالدين، أو ضرر بالمسلمين، هل يكونون آثمين عند الله؟ وقد أقسموا أنهم لن يسمحوا بمثل هذا الأمر إذا كان فيه تهديد لدينهم أو أرضهم.

٤- ولماذا تم وقف الجهاد، ومنع الإخوان من إكمال فتوحاتهم، لنشر الدين الصحيح، ولماذا أوقف ابن سعود نشر كلمة التوحيد؟

وقد وجهوا حديثهم إلى ابن سعود بقولهم: إن البريطانيين يعززون مراكزهم على الحدود، وإن ديننا وحياتنا في خطر، وإن البريطانيين هم الذين بدأوا بالشر.

وقد أجاب العلماء عن الأسئلة، وأيدوا موقف الإخوان بالنسبة لخطر البريطانيين ومراكزهم الحدودية.

وقد تعهد ابن سعود بالعمل بما قاله العلماء، أما بالنسبة للجهاد فقد قال إنه لن يستطيع التحدث في هذا الموضوع علانية، وطلب عقد جلسة سرية حضرها خمسون رجلا من المؤتمرين وعلماء الدين، لم تنشر تفاصيل ما دار فيها، غير أن الجميع خرج وقد اتفقوا على مواجهة فيصل الدويش وسلطان بن بجاد.[٥٩٠]

---

(٥٩٠) الإخوان السعوديون لجون س ٢١٨-٢٢٢.

لقد خرج المؤتمرون -كما يقول جون س- وقد أعلنوا وقوفهم مع ابن سعود (إلا أنهم كانوا مقتنعين تماما بأن المتمردين كانت لديهم مظالم شرعية لم يحلها ابن سعود حلا مناسبا، وقد أدركت عناصر الرياض غير الإخوانية تلك المظالم أيضا)[٥٩١].

وقد أرسل فيصل الدويش رسالة إلى ابن سعود يسأله فيها عن سبب منعه من الجهاد في سبيل الله الذي طالما أيده ابن سعود من قبل، وعن الحدود والمراكز التي ستقضي على حياة القبيلة، التي ظلت تنتقل على مر العصور طلبا للمرعى والكلأ بين نجد والعراق دون أن يمنعها أحد، وعن السبب في مهادنة النصارى ودينهم ومراكزهم الحدودية، في الوقت الذي تجرد السيوف على الإخوان وشيوخهم؟[٥٩٢]

- مؤتمر الزلفي بين ابن سعود والإخوان:

لقد اضطربت الأوضاع في نجد كلها، مما حدا ابن سعود إلى عقد مؤتمر آخر في الزلفي، وكما يقول ديكسون: (لقد طالب قادة الإخوان بحسم خلافهم مع ابن سعود وفق حكم الشريعة وبتحكيم علماء الدين، وكانت حجتهم هي أنك يا ابن سعود طالما كنت تدعو إلى الجهاد وقتال الكفار، ولطالما رددت الآيات القرآنية التي تحث عليه، وتحل الغنائم التي تؤخذ بهذا الجهاد، والآن وبأمر من الإنجليز الكفار أنفسهم تدعونا إلى إعادة ما أخذناه لأنك تعتبر ما فعلناه خطأ، فإما أن تكون قد خدعتنا، أو يكون القرآن باطلا، وليحكم علماء نجد بيننا، وقرر الملك أن يقابلهم في عقر دارهم، فدعا إلى مؤتمر خارج مدينة الزلفي، ومما لا شك فيه أن الرعب دب في قلبه بحيث أنه لم يفكر قط في عرض القضية على أي هيئة من علماء الدين الوهابيين، وبدل أن يقرر القطيعة مع البريطانيين، قرر ضرب الإخوان بسرعة مرة واحدة وإلى الأبد، وأقام ابن سعود معسكرا لجيشه في الزلفي، ثم جاء فيصل الدويش من الأرطاوية ومعه فرقة صغيرة وخيم في سهل السبلة المكشوف قرب الزلفي، حيث انضم إليه بعد ثلاثة أيام ابن حميد الذي حضر ومعه قوة كبيرة، وخيم بالقرب من الدويش، وبموجب ترتيب سابق ظل ضيدان بن حثلين يحرس ميسرة الإخوان من أي هجوم طارئ يشنه فهد بن جلوي آل سعود

---

(٥٩١) الإخوان السعوديون لجون س ٥٢.

(٥٩٢) الإخوان السعوديون لجون س ٢٢٣.

ابن أمير الأحساء، وقد خيم ابن حثلين مع ابن شقير الدويش وابن لامي قرب (قرية) على بعد ١٣٠ ميلا إلى الجنوب من الكويت، وقد استخدم ابن سعود كل مهاراته الدبلوماسية لمنع ابن حثلين من أن يرمي بثقله مع الزعيمين الثائرين، وظلت قبيلة العوازم القوية في الأحساء موالية للملك)[٥٩٣].

- معركة السبلة بين ابن سعود والإخوان:

ولم تنفع الرسائل التي بعثها شيوخ المعارضة، ولا طلب عقد لقاء للصلح، في تخفيف حدة التوتر بين المعارضة وابن سعود، حيث كانت الخطة البريطانية تقضي بوجوب القضاء على الإخوان، وتقابل الجيشان في منطقة السبلة، بين الأرطاوية والزلفي، وقد نجح ابن سعود في كسب أكثر شيوخ القبائل من الإخوان من قبيلة مطير، وحرب، وعتيبة، إلى صفه، بعد أن أقنعهم العلماء بحرمة الخروج عن طاعة الإمام، وكان من أبرزهم ابن ربيعان من شيوخ عتيبة، الذي أيد ابن سعود وعلى حد قول جون.س: (جاء ذلك التأييد بمثابة انتصار حاسم رجح كفة الميزان ناحية ابن سعود، ولو انضم إلى ابن بجاد شيخ قبيلة عتيبة لجاءت النتيجة الأخيرة لمعركة السبلة مختلفة تماما)[٥٩٤].

وفي ٣٠/ ٣ /١٩٢٩م، فاجأ ابن سعود قوات الإخوان في السبلة، الذين انسحب أكثرهم قبل المعركة بأيام، ظنا منهم أن الطرفين قد توصلا إلى صلح -خاصة بعد أن زار فيصل الدويش ابن سعود في مخيمه داعيا إلى المصالحة، بل وراغبا في إقناع ابن بجاد في ذلك- ودارت الحرب التي أراد الضباط السياسيون البريطانيون لها أن تدور، لتحطيم القوة العسكرية التي طالما رصدوها، وحذروا من خطر تركها بلا مواجهة فكان على ابن سعود -الذي ما زال تحت الحماية البريطانية وتحت إشراف وتوجيه المندوبين البريطانيين لديه- أن يقضي عليها بالدعم المالي والعسكري البريطاني؟!

وكان الأمر كما يقول ديكسون: (هاجم ابن سعود بجيشه قائدي الإخوان دون سابق إنذار، وقد أُخذ الدويش مع فرقته الصغيرة على حين غرة وهم يهيئون طعام الإفطار، وأصيب الدويش بجراح خطيرة في معدته دون قتال، كما تمكن ابن حميد أن ينسحب وأن يشق طريقه إلى الوراء بمهارة فائقة في القتال، ومن المؤكد أن ابن سعود قبل أن يشن الهجوم المفاجئ أعطى تأكيدات جازمة بأنه سيجتمع مع الدويش

---

(٥٩٣) الكويت وجاراتها لديكسون ١/٣١٤-٣١٦.

(٥٩٤) الإخوان السعوديون لجون س ٢٢٦.

مرة ثانية لبحث الأمور بموجب الشريعة، وقد تم نقل الدويش إلى الأرطاوية، وعاد ابن حميد إلى الغطغط حيث تبعه عبد الله بن عبد الرحمن شقيق الملك، فاستسلم دون قتال، ونقل إلى الرياض سجينا، وتم تدمير الغطغط، وبعد أن اطمأن ابن سعود إلى أن الثورة قد سحقت، وأن الدويش يحتضر متأثرا بجراحه، ذهب إلى مكة ليؤدي فريضة الحج، ويمكن إرجاع ثورة الدويش التالية التي كلفت الملك كثيرا إلى هذه الحيلة غير الملكية لأن العربي لا ينسى)[٥٩٥].

- السياسة البريطانية السعودية الجديدة بعد معركة السبلة:

وبعد معركة السبلة جمع ابن سعود العلماء ورؤساء القبائل الذين وقفوا معه، ليعلن عليهم خطابا جديدا لم يعهده الإخوان من قبل وجاء فيه:

١- يجب أن لا يسمحوا لرجالهم أن يعقدوا اجتماعا لمناقشة مسائل الدين أو الدنيا إلا بإذن من الملك وموافقته.

٢- ويجب احترام المسلمين، ومن يحميهم المسلمون، كما هدد وتوعد الحضور بأنهم سيلاقون ما لقيه الإخوان المعارضون إذا قاموا بمثل ما قاموا به.[٥٩٦]

لقد كان المقصود بحماية من يحميه المسلمون، أي البريطانيين الذين كان ابن سعود نفسه تحت حمايتهم!

(٥٩٥) الكويت وجاراتها لديكسون ١/٣١٤-٣١٦.

(٥٩٦) الإخوان السعوديون لجون س ٢٣٠.

- ثورة الإخوان الثانية وقضاء بريطانيا عليها:

- أسباب ثورة الإخوان الثانية سنة ١٩٢٩م:

ضيدان بن حثلين شيخ العجمان المغدور به



ولم تكن معركة السبلة -كما يقول ديكسون[٥٩٧]- قد فلت من قوة الإخوان، إذ سرعان ما عادت لفيصل الدويش قوته ونفوذه، كما تمرد العجمان في الأحساء بعد أن غدر فهد بن عبد الله بن جلوي آل سعود -ابن أمير الأحساء- بشيخهم ضيدان بن حثلين، بعدما دعاه للمحادثة، فألقى القبض عليه، ثم أمر بحبسه ثم بقتله، وثارت قبيلة العجمان فقتلت فهد بن جلوي آل سعود، ثم خرجت شمالا لتنضم إلى الإخوان من قبيلة مطير بقيادة فيصل الدويش، لقد أدى اغتيال ابن حثلين إلى انتفاضة عارمة، وكما يرى ديكسون أن الانتفاضة كانت (بسبب تصرفات فهد بن جلوي الحمقاء الذي اشتهر بالغدر والقسوة، والذي دعا ابن حثلين ليتباحث معه، رسالة تلقاها من ابن سعود، وأرسل له كتاب أمان بخط يده، وعقد ضيدان مجلسا لقبيلته وعرض عليهم الرسالة فنصحوه بعدم الذهاب لأن رائحة الغدر كانت تفوح من الرسالة كما قالوا، وذهب ضيدان ومعه اثنا عشر رجلا، فاستقبله فهد بحفاوة ولكنه عندما قام ليغادر المكان، ألقى القبض عليه وكبله بالأصفاد، وتمكن أحد مرافقيه من الفرار لينذر قبيلة العجمان، فتحركت قوة من العجمان قوامها ألف وخمسمائة رجل بقيادة حزام بن حثلين نحو معسكر فهد بن جلوي آل سعود، ولما شعر فهد أنه سيخسر المعركة أمر عبده بقطع رأس ضيدان، وعندما أراد فهد بن جلوي الفرار على فرسه قام شاب من العجمان وهو عبد الله بن عيد المخيال بإطلاق النار عليه، وكان في معيته ممسكا له عنان فرسه، وقتله انتقاما لمقتل ضيدان، وكانت خسارة ابن جلوي جسيمة إذ أبادت قبيلة العجمان كل أفراد القوة التي كانت مع ابن جلوي، وانتشرت أنباء الاغتيال المخجل كالنار وحركت المشاعر في شمال شرق الجزيرة العربية، وانقلب الكثيرون على ابن سعود مع أن المسئولية تقع على عبد الله بن جلوي الذي كان ابنه فهد ينفذ أوامره، وقد وصل فرحان بن مشهور من شيوخ قبيلة الرولة من عنزة وأحد زعماء الإخوان البارزين، ومؤيد سابق لعبد العزيز بن سعود، إلى آبار الصبيحية في الجهة الجنوبية من الكويت، ومعه عدد كبير من الجمال اغتصبها من ابن مساعد بن جلوي آل سعود أمير حائل، ثم تحرك ابن مشهور إلى الجهراء، حيث قابل أحمد الجابر، وصرح بأنه تلقى كتاب أمان من ابن سعود، وأنه أرسل رسولا لمعرفة شروط الصلح، وبموجب تعليمات الحكومة البريطانية أمر الشيخ أحمد

---

(٥٩٧) الكويت وجاراتها لديكسون ١/٣١٦-٣٢٧.

الجابر فرحان بن مشهور أن يغادر الجهراء، بعد أن تزود هو ورجاله بمؤن تكفيهم حتى الوصول إلى الرياض، وقد عبر الحدود ولكنه بدل أن يتوجه إلى الرياض -كما يقول ديكسون- انضم إلى قبيلة العجمان في وسط الأحساء، وكان فيصل الدويش يتماثل للشفاء في الأرطاوية -من إصابته بمعركة السبلة- وما زال ابن حميد أسيرا في الرياض، حين رفعت قبيلة العجمان القوية مستوى الثورة يدعمها ابن مشهور وغيره من زعماء الإخوان، ولم يمض زمن طويل حتى كان شمال نجد كله من جبل شمر إلى الخليج العربي في أيديهم، وتحركت قبيلة العجمان بقيادة نايف بن حثلين وخيمت في الوفرة، في منطقة الكويت المحايدة، ومعها فرحان بن مشهور، وتلقى الشيخ أحمد الجابر تعليمات من الحكومة البريطانية أن لا يسمح للعجمان ولا لغيرهم من الثوار بالحصول على المؤن من الكويت، أو أن يأتي أحد إليها، وأبلغ ابن سعود بذلك، وفي هذه الفترة عُيّنتُ -أي ديكسون- وكيلا سياسيا في الكويت، وفي الثاني من حزيران أرسل ابن سعود احتجاجا شديد اللهجة اتهم فيه الكويت بتزويد قوات العجمان وابن مشهور بالمؤن والذخائر خلافا لتعليمات الحكومة البريطانية، وبعد تحقيقات دقيقة قمت بها بنفسي تبين لي أن اتهامات ابن سعود لا أساس لها من الصحة، بالرغم من أن بعض التهريبات كانت تتم سرا عن طريق الأقرباء والمؤيدين المقيمين في الكويت، وقد أثبت بالدليل القاطع أن الشيخ أحمد الجابر كان ينفذ تعليمات الحكومة البريطانية بهذا الصدد بكل أمانة، وفي ١٤ حزيران غادرت قوة كبيرة من ثوار العجمان معسكرها في الوفرة إلى جهة مجهولة في الجنوب، وبعد خمسة أيام كشف فيصل الدويش القناع عن وجهه مستغلا غياب ابن سعود في مكة، وانضم إلى العجمان، فبعد أن جمع حوالي خمسة آلاف رجل ومائة ألف جمل من مطير والعجمان وعتيبة، وصل إلى قرية العليا على بعد ثمانين ميلا من حدود الكويت في التاسع عشر من حزيران، وقد رفعت عودة الفارس الجريح معنويات الثوار وزادت في قوتهم، ولما علم ابن سعود بذلك جمع السيارات الموجودة في مكة وأسرع بالعودة إلى الرياض، وجمع قوة قوامها ثمانية آلاف رجل، وحرص على أن يحصل على تأكيدات من الحكومة البريطانية للتعاون في منع الثوار من الفرار إلى العراق أو الكويت في حال هجومه عليهم، وكان أول عمل قام به فيصل الدويش لدى وصوله إلى شمال الأحساء هو دعوة الشيخ أحمد الجابر للانضمام إلى الثوار واعدا إياه بإعادة الأراضي التي اقتطعت من الكويت، وأرسل برسالة يطلب فيها السماح له بالقدوم إلى الكويت لشرح خططه والتزود بالمؤن، وأبلغت الحكومة البريطانية أحمد الجابر فورا أن يضع مطير في نفس منزلة العجمان، وأن يمنع الدويش وأيًا من أتباعه من عبور الحدود، وأنهم سيتعرضون للقصف إذا ما حاولوا ذلك، وحاول الدويش مرة أخرى في ٢٨ حزيران أن يحمل الشيخ أحمد على الانضمام إلى الثوار، وبعث له برسائل مع عدد من كبار زعماء الإخوان بمن فيهم ابنه عبد العزيز الدويش وذلك لإقناع الشيخ أحمد باتخاذ نهج قوي، وقد صيغت تلك الرسائل -كما يقول ديكسون- بلغة فصيحة وبيان بليغ تركت أثرا عميقا في نفس حاكم الكويت، لقد حفز الشيخ

أحمد لكي يلعب دور رجل الموقف ويتصرف كما كان مبارك يمكن أن يتصرف، وقال الدويش إن كل ما يطلبه الثوار هو المؤن والذخائر، وإذا ما اشتركت الكويت معهم فهو يتعهد بالباقي، ومن حسن حظ جميع المعنيين بالأمر -على حد قول ديكسون- بقي الشيخ أحمد أمينا لوعوده التي قطعها لي بصفتي وكيلا سياسيا لحكومة صاحب الجلالة -ملك إنجلترا- بالرغم من أن الإغراء للهجوم ضد العائلة السعودية، واستعادة المناطق الجنوبية وخاصة القبائل التي عليها كالعوازم والعجمان ومطير كان شديدا لا يقاوم، فلو أنه انضم إلى الثوار واتخذت الحكومة البريطانية موقفا محايدا لكان من المحتمل جدا خلع ابن سعود لأن القوات المقاتلة في نجد كانت إلى جانب الثائرين، وقد نقلت قطاعات العجمان ومطير وابن مشهور عائلاتها وجمالها إلى الجنوب من البصرة في ١٥ تموز، وقطعت فرق من العجمان خط الرياض الهفوف وتوغلت قريبا من الرياض، وفي تلك الفترة أخذ اللاجئون النجديون البارزون المقيمون في بغداد يتدفقون إلى الكويت في طريقهم للانضمام إلى الثوار، وحصلنا على إذن من الحكومة البريطانية باعتقال وإرجاع كل من يصل من العراق ويشك في أنه يرغب في الانضمام للثوار، وكان من بين أولئك الأشخاص البارزين علي أبو شويربات أحد زعماء بريه من مطير، والذي يشك أنه كان يحمل معه دعما ماديا ومعنويا من بغداد للثوار، وعبيد بن حميد العتيبي الذي كان يقوم بدور الرسول بين فيصل الدويش ونايف بن هندي بن حميد زعيم عتيبة السابق الذي فر من نجد قبل ثلاث سنوات وأقام في بغداد، وكان فيصل الدويش في ذلك الوقت يعسكر مع قوات الثوار الرئيسية في الطوال الجنوبي وهو مكان مستطيل في الوسط تشكله آبار الصفا ووبرة والقرعا وحبة ومن ذلك المكان كان بإمكانه أن يضرب نجد والأحساء متى شاء، وقد شن من هناك هجوما على قوات ابن سعود في القاعية قرب الأرطاوية ودمرها، وقد شاعت أخبار هذه الغزوة فأثارت الرعب في كل مكان مما حمل قوات ابن سعود المتقدمة على الانسحاب من حفر العتش إلى الرياض، وقد عامل الثوار الأسرى معاملة طيبة ورحبوا بهم، وفي ١٠ آب تلقى الشيخ أحمد وتلقيت معه رسائل من ابن سعود يشكرنا فيها على جهودنا في قطع المؤن عن الثوار، وقطع جماعة من الثوار بقيادة محمد بن خالد بن حثلين الطريق على قافلة قادمة من الهفوف تحمل أمتعة خاصة بسعود الابن الأكبر للملك، مما أدى لتدمير ١٦ سيارة شاحنة، وشهد شهر آب انتصارات للثوار في كل مكان بينما كان ابن سعود في موقف المدافع وكانت سياسته في تلك الفترة تقوم على الاحتفاظ بالمدن إلى أن يأتي فصل البرد وكانت استراتيجية صحيحة غير أنها تعني أنه سيخسر أكثر فأكثر من أتباعه البدو، وكان سيد الموقف في ذلك الوقت فرع الروقة من قبيلة عتيبة الكبيرة بقيادة الشيخ ابن ربيعان، الذي كان الملك والثوار يتنافسان على خطب وده وكسب رضاه، وقد وقف فرع برقا بقيادة ابن حميد مع الثوار، وأصبح واضحا أن الغلبة ستكون للجانب الذي تنضم إليه الروقة، حيث يشكل تحالف برقا وروق أقوى اتحاد في وسط الجزيرة العربية، وفي ٢٢ آب انتقل فيصل الدويش إلى حفر الباطن واستطاع أن يستميل إلى جانبه فرع بريه الكبير من قبيلة مطير، الذين حملوا خيامهم

البالغ عددها ثمانمائة خيمة وساروا نحو الأحساء وانضموا إلى الثوار، وبعد عدة أسابيع دخل قسم من بريه أراضي الكويت وخيموا في الجهراء، وقد تسببت أنا في طردهم من هناك، وقد اجتمعت بفيصل الدويش الذي يعتبر أكبر مخطط عسكري بدوي بعد ابن سعود شهدته الجزيرة العربية، بعد أن دفعت ضرورة إيجاد مراع جديدة للأعداد الضخمة من الجمال والأغنام فيصل الدويش وأتباعه إلى غزو أراضي الكويت من الجنوب بصورة مفاجئة في ٣٠ آب، وأقاموا لأنفسهم معسكرا ضخما حول الصبيحية والآبار الملاصقة لها، ولقد قدرت قوتهم بخمسة آلاف مقاتل، وألفي خيمة، ومائة ألف جمل، وكان ذلك منظرا رائعا، وطلب مني أن أحذر فيصل الدويش من أنه إذا لم ينسحب عبر الحدود خلال يومين فإن طائرات السلاح الجوي البريطاني المقيمة بالبصرة ستقصفه مع رجاله وممتلكاته، وقد استقبل الرسول الأول الذي أرسلته إلى الصبيحية باستهزاء، ولكي أتجنب وقوع كارثة مقيتة هناك لاسيما وهناك عدة آلاف من الأطفال والنساء مختلطون بالرجال المقاتلين، دعوت فيصل الدويش ليقابلني في ملح في اليوم التالي على بعد خمسة عشر ميلا جنوب مدينة الكويت، وعلى بعد ثلاثة أميال جنوب المقوع، وتبعني الشيخ أحمد الجابر وقابلنا فيصل الدويش على رأس تلة تشرف على الآبار الواقعة إلى الشرق من المكان الذي ينزلون فيه، ومعه أربعون من أبرز زعماء الإخوان من الرجال المتعصبين الأشداء، ذلك الرجل الذي فعل أكثر من أي عربي آخر ليساعد ابن سعود على الارتقاء إلى أعلى مراتب الشهرة والسلطة، كان قصير القامة عريض المنكبين، له رأس وأنف كبيران، كان يسير بعزم وثقة، وكأنه محدودب الظهر قليلا، عبوسا صامتا بطبيعته، وقلت له ما جئت من أجله، وأضفت بأنني أستطيع إرجاء عملية القصف لمدة يومين ضنا مني بأرواح النساء والأطفال، ورجوت فيصل من أجلهم أن يعدني بالتراجع عبر الحدود ضمن المهلة المحددة، وتردد أن يفعل ذلك لمدة ساعة كاملة، قال خلالها إنه ليس على خصام مع البريطانيين، وأنه وقبيلته كان ولاؤهم في السابق لشيخ الكويت، وأنهم يعانون نقصا رهيبا في الأغذية والمؤن، وكان يأمل بالسماح له أن يشتري الطعام من الكويت، ومع أنني تأثرت كثيرا بكلامه إلا إنني تصرفت بقسوة قلب، وأقنعته أخيرا بأن يعطيني كلمته ففعل، وعندما غابت الشمس قال بأنه يريد أن يصلي، فدعا إلى الصلاة بنفسه، وأم رجاله ومرافقيه في صلاة المغرب، واضعين بنادقهم أمامهم على طريقة الإخوان، وبعد أن انتهت تلك الصلاة الهادئة استدار الزعيم الصحراوي الكبير نحو مرافقيه وهو لا يزال على ركبتيه وأدى السلام، وقبل أن ينهض واجهني وقال أعدك بأنني سأفعل ما طلبته مني اذهب بسلام، وحافظ فيصل على كلمته)[٥٩٨].

---

(٥٩٨) الكويت وجاراتها لديكسون ١/٣١٦-٣٢٧.

وقد طلب فيصل الدويش من أحمد الجابر (إذا لم يوافق على طلبه -بالوقوف مع الإخوان ضد ابن سعود- فهو يرجو منه أن يجري اتصالا مع الوكيل البريطاني في الكويت على أساس ألا تتدخل الحكومة البريطانية في حركته ضد ابن سعود)[٥٩٩].

لقد كان (من المؤكد أن الشيخ أحمد الجابر حاول استغلال هذه الحركة لاسترداد مقاطعاته التي انتزعت منه خلال مؤتمر العقير، ففي تقرير من ديكسون الوكيل البريطاني في الكويت ذكر فيه أن أحمد الجابر أكد له أنه سيبتهج لو هزم ابن سعود، إذ يشعر أن قبائل مطير والعوازم والعجمان ستعود إلى ولائها القديم للكويت، وأن ابن سعود تمادى في أعمال ضد الكويت من شأنها تجريدها من كثير من قبائلها وأراضيها واستحوذ على المراعي الرئيسية لمطير والعجمان بناء على قرارات مؤتمر العقير)[٦٠٠].

- المواجهة البريطانية السعودية لحركة الإخوان:

وقد قررت بريطانيا القضاء على الإخوان عسكريا، وقام ابن سعود -كما يقول جون س- بمواجهة الإخوان من قبائل مطير والعجمان بعد أن ضمن وقوف بريطانيا معه للقضاء عليهم وإخضاعهم (ودفع كل جهوده وإمكانياته العسكرية إلى المعركة، مستفيدا من تنسيق خططه العامة وعملياته مع البريطانيين... وقرر ابن سعود وضع حد فاصل لتمرد الإخوان، باستعمال كل ما لديه من قوة عسكرية، وتأييد دبلوماسي، والوسائل الآلية الحديثة المتاحة لديه، ولا يمكن لأي حملة من الحملات التي يشنها على الإخوان أن تنجح بدون التعاون مع البريطانيين، ومن ثم استطاع قبل مغادرته الحجاز -بعد الحج- أن يحصل من البريطانيين على وعود بأنهم لن يسمحوا لأي من البلدان الثلاثة التي يحكمونها وهي الكويت والأردن والعراق أن تعاون الإخوان، أو تساندهم أو تؤويهم)[٦٠١].

وقد كان الهاشميون في العراق والأردن، وكذا شيخ الكويت، يميلون للوقوف مع قوات الإخوان بقيادة فيصل الدويش لمواجهة خطر ابن سعود، وكانوا يطمحون إلى قيام إمارة تحت حكم الدويش في المثلث الواقع بين الكويت والعراق ونجد، وقد وصل بعض الدعم للإخوان ولفيصل الدويش من بعض تلك

---

(٥٩٩) تاريخ الخليج العربي ٣/٩٢.

(٦٠٠) تاريخ الخليج العربي ٣/٩٣.

(٦٠١) الإخوان السعوديون لجون س ٢٣١-٢٣٣.

الجهات، غير أن الحكومة البريطانية كانت قد قررت الوقوف بكل قوتها مع ابن سعود، حيث جهزت قواته العسكرية بثلاثة آلاف بندقية متطورة، وألف صندوق ذخيرة، وأمدته بسفن عسكرية لنقل قواته من جدة إلى العقير، وقد قام ابن سعود -بتوجيه بريطاني- باتخاذ إجراءات داخلية حيث قرر:

١- ضرب قبيلة عتيبة، وبني عبد الله من مطير.

٢- وتجريد القبائل غير الموالية له من أسلحتها، وكذا تجريدها من خيولها وجمالها.

٣- وإخلاء وتهجير أهل الهجر والقرى المعارضة لسياسته، ومنعهم من التجمع في مكان واحد.

٤- كما قرر تجنيد الجميع وحشدهم كرها، لمواجهة فيصل الدويش ومن معه من قبيلة مطير، وابن حثلين ومن معه من العجمان، في الشمال الشرقي من نجد.

٥- ورفع شعار (من يحارب معنا ينتمي إلينا، ومن يتخلف عن القتال معنا فسيقتل، وتسحب أسلحته وحصانه)، وقد أرسل الدويش رسالة يطلب فيها من ابن سعود المصالحة وحل الخلاف، لكونه يرفض اللجوء للعراق أو الكويت، حيث يحكمهما الإنجليز والنصارى، وهو ما لا يجوز له -أي الدويش- شرعا عمله، أو الوقوع فيه.[٦٠٢]

- الترتيبات البريطانية لمحاصرة الثورة وتسليم قادتها:

وعندما تحرك ابن سعود بقواته لمواجهة الدويش وابن حثلين ومن معهما، طلبا من الحكومة البريطانية السماح بتوفير الحماية من أجل إرسال النساء والأطفال للكويت، حتى يستطيع الإخوان مواجهة ابن سعود وجها لوجه، وقد رفض البريطانيون هذا الطلب، وبدأ الطيران البريطاني قصف عشائر قبيلة مطير والعجمان، التي ظلت تؤيد الدويش وابن حثلين، عندما حاولت اللجوء إلى الكويت فرارا بالنساء والأطفال من الحرب الوشيكة الوقوع بين الطرفين، لقد توجه الدويش -كما يقول ديكسون- ومن معه إلى المنطقة الشرقية ونجح في السيطرة على ثلاثة أرباع مقاطعة الأحساء، بعد أن أحرز نصرا كاملا على أتباع ابن سعود، وبعد أن فر قائد قوات ابن سعود، وقد زجت بريطانيا بثقلها مع ابن سعود، حيث (وضعت في جزيرة تاروت بمحاذاة القطيف بجنوب الأحساء عدة طائرات مقاتلة حصل عليها

(٦٠٢) الإخوان السعوديون لجون س ٢٣٣-٢٣٩.

ابن سعود من الحكومة البريطانية وكان يقودها طيارون سابقون في سلاح الجو الملكي البريطاني... لقد أعطت معركة نقير الثوار ثلاثة أرباع مقاطعة الأحساء، لكن هذا النصر طغت عليه الأنباء القائلة إن ابن سعود قد أحرز نصرا ساحقا على عتيبة في غرب نجد، وفي ٣٠ تشرين الأول أرسل الدويش يطلب مقابلة الشيخ أحمد الجابر ومقابلتي، وعبر الحدود بنفسه مع عدد من مرافقيه، وخيموا بالقرب من الجهراء، وعملا بتعليمات الحكومة البريطانية أبلغته أن ينسحب فورا، واتضح أنه كان يرغب في توجيه الأسئلة الثلاثة التالية التي عاد فأرسلها برسالة خطية وهي:

١- إذا تحرك جنوبا إلى نجد وترك نساءه وجماله في شمال الأحساء، فهل تعد الحكومة البريطانية بأن لا تقصفهم، وألا تسمح للقبائل العراقية بمهاجمتهم؟

٢- وإذا هاجم ابن مساعد نساءه في الغرب أثناء غيابه فهل تسمح الحكومة البريطانية لهن باللجوء إلى الكويت والبقاء هناك بحماية الشيخ أحمد الجابر؟

٣- وإذا ما أسقط رجاله طائرة من طائرات ابن سعود التي يقودها بريطانيون فهل تعتبر الحكومة البريطانية الثوار مسئولين عن ذلك؟

وبعد أن أحلت الأسئلة إلى الحكومة البريطانية أبلغت أن أعطي جوابا غامضا بالنفي عن السؤالين الأولين، وجوابا قاطعا بالإيجاب عن السؤال الأخير، وأصيب الدويش تبعا لذلك بخيبة أمل مريرة، وبعث الدويش برسالة جوابية يقول فيها طالما أن الحكومة لبريطانية تقف إلى جانب ابن سعود، وطالما أنه لا يستطيع الهجوم على نجد لحسم الموقف مع الملك في الوقت الذي تكون فيه نساؤه ومؤنه وجماله تحت رحمة القبائل العراقية بموافقة الحكومة البريطانية، فلا خيار لديه إلا أن يتوصل إلى شروط مرضية مع ابن سعود.

إن مما لا شك فيه أن أجوبة الحكومة البريطانية على الأسئلة الثلاثة كانت تعني نهاية الثورة، فمنذ ذلك اليوم لم يعد فيصل الدويش يبذل أي جهد لمقاتلة ابن سعود، بل كان ينصح علنا كل من يرغب في القتال في الانفصال عنه، وعقد صلح منفصل مع الملك، لقد كان جواب الحكومة البريطانية بأن لا تأخذ على عاتقها منع القبائل العراقية من مهاجمة النساء والاستيلاء على المؤن في غياب الدويش

يعني أن الحكومة البريطانية ستشجع على مثل تلك الأعمال، ولذلك وجد الدويش أنه من المستحيل أن يقوم بأي عمل ضد نجد)[٦٠٣].

ولما رأى الدويش أن بريطانيا قد حاصرته بطيرانها من جهة الكويت والعراق، وأخذت بقصف القبائل التي تبحث عن ملجأ، سمح لمن معه من أتباعه بالانصراف كل في سبيله، وطلب كثير منهم العفو من ابن سعود، وفي مطلع شهر ١١/ ١٩٢٩م طردت بريطانيا -كما يقول جون س- البقية الباقية من الإخوان الذين لجأوا للكويت إلى ابن سعود ليستسلموا إليه (في حين غادر آخرون منهم الكويت على شكل خليط من البشر بلا زعامة، ونظرا لنقص إمدادات الماء والغذاء لدى الإخوان أنفسهم، فإنهم لم يتمكنوا من رعاية إبلهم ودوابهم التي نفقت بالمئات بسبب العطش، وعندما اقترب جيش ابن سعود، كان البريطانيون قد أرسلوا طائراتهم، وعرباتهم المدرعة لاستطلاع الإخوان، ووضعهم تحت المراقبة المستمرة، لعرقلة هروبهم نحو العراق أو الأردن، اللذين كانا تحت الإدارة البريطانية)[٦٠٤].

- إلقاء بريطانيا القبض على زعماء الإخوان وتسليمهم للرياض

لقد نجحت بريطانيا في محاصرة الثوار في نجد، وقطع طرق الإمداد عنهم وعن قبائلهم سواء من طريق الكويت أو العراق أو الأردن، وبدأت الحلقة تضيق على قادة المعارضة، حيث أدركوا بعد فوات الأوان أن كل ما يتعرضون له ومنذ انتهاء الحرب العالمية الأولى، هو بترتيب بريطاني لفرض مشروعها الاستعماري في المنطقة!

- الحرب الدعائية والإعلامية ضد الإخوان:

وقد بدأت الحرب الدعائية والإعلامية ضد الثوار لتشويه سمعتهم، وكما يقول ديكسون: (وفي ١٩ تشرين الثاني وصل الشيخ حافظ وهبة ممثل ابن سعود في لندن إلى الكويت، وبدأت حملة دعاية مضادة واسعة النطاق ضد الثوار)[٦٠٥].

---

(٦٠٣) الكويت وجاراتها لديكسون ١/٣٢٨.

(٦٠٤) الإخوان السعوديون لجون س ٢٣٩.

(٦٠٥) الكويت وجاراتها لديكسون ١/٣٣٠.

- قصف الطيران البريطاني للثوار:

وقد بدأت بريطانيا تقصف بطيرانها مخيمات الإخوان بما فيها من نساء وأطفال بكل وحشية، وكما يقول ديكسون: (وفي ٢٣ تشرين الثاني وبعد أن بدأت مستنقعات الماء تجف في الصحراء أخذت جمال الثوار تصل إلى الجهراء في الأراضي الكويتية للحصول على الماء، ولكن خطوات حاسمة -من طرف بريطانيا- اتخذت لمنع ذلك في المستقبل -أي قصفهم بالطيران حتى لا يصلوا للجهراء واستقاء الماء- وكانت قوات الثوار تنتقل على طول شعيب الباطن، وتقيم على جانبي الباطن إلى الرقعي حيث تلتقي الحدود الكويتية العراقية في أقصى الجنوب، وبدأ الدويش مفاوضات رسمية مع ابن سعود، وفي الثامن والعشرين من كانون الأول وعند الغروب تقدم محسن الفرم شيخ قبيلة حرب والتي تشكل القوة الغربية والجناح الأيسر لقوات ابن سعود من شعيب فليج بقوة كبيرة من حرب وشمر والظفير وهاجم الثوار عند الفجر، وأخذوا فيصل الدويش على حين غرة، فيما كان ينتظر شروط الصلح مع ابن سعود، ولم تحدث خسائر كبيرة، فقد تجمع الثوار بسرعة وصدوا المهاجمين، لقد شن الفرم هجومه -كما يقول ديكسون- دون أوامر من الملك ورد على أعقابه، ومع ذلك صور مؤرخو مكة الحادث بأنه معركة عظيمة ونصر حاسم للحملة وذلك ليس صحيحا على الإطلاق! وتجمعت القوات الأرضية لسلاح الجو الملكي البريطاني والسيارات المسلحة من العراق بالقرب من الرقعي؛ لتمنع عبور الثوار إلى الكويت أو العراق، وفي ٣٠ كانون أول انضمت مطير إلى العجمان في أم عمارة حيث قابلهم قائد القوة الجوية الملكية البريطانية في العراق تشارلز ستوارت الذي خيرهم بين الاستسلام أو العودة عبر الحدود، وبعد محادثات طويلة رفض الثوار شروط تشارلز للاستسلام، وعادوا جنوبا عبر الحدود دون أن يعرفوا مدى قرب جيش ابن سعود، وقمت -أي ديكسون- بزيارة معسكر العجمان في وادي الباطن في الأراضي الكويتية وألححت على نايف بن حثلين أن يرمي بنفسه تحت رحمة ابن سعود، وقلت له: إذا كانت لديك القوة الكافية للقتال فقاتل، وإلا دع القتال من أجل نسائك وأطفالك، ولم يصغ إلى كلامي! ووصلت قوات ابن سعود إلى الرقعي في الخامس من كانون الثاني فعاد الثوار وغيروا اتجاههم ثانية نحو الشمال الشرقي، وشقوا طريقهم بصورة اضطرارية إلى واحة الجهراء تاركين آلاف الأغنام والجمال تموت في الطريق، وتخفيت أنا وعدد من رجال الشيخ أحمد الجابر بثياب البدو وسرنا معهم في الليل، وكنت أبلغ سلاح الجو الملكي البريطاني باتجاه سيرهم، وفي اليوم التالي فاجأتهم قوة مشتركة من الطائرات والسيارات المسلحة قرب الأطراف على بعد عشرة أميال إلى الغرب من الجهراء، فوجدتهم في حالة من

الفوضى يهربون في كل اتجاه، وخشي الثوار وهم في هذه الحال من هجوم جيش ابن سعود عليهم، وفي السابع من كانون الثاني انتقلوا إلى الجهراء حيث قامت الطائرات بإلقاء قنابلها حول القرية في فترات منتظمة لتجميعهم![٦٠٦] وهناك توجهت لزيارة فيصل الدويش، معرضا سيارتي لنيران الطائرات البريطانية، وتوسلت إلى الدويش مدة ساعتين كاملتين أن يستسلم لسلاح الجو لملكي وأن لا يحاول شق طريقه كما يريد أن يفعل لئلا يدخل في معركة حاسمة مع قوات ابن سعود التي تنتظره عند حدود الكويت الجنوبية، وتركته دون أن أستطيع إقناعه، وبعد عدة مراسلات سرية مع نايف بن حثلين أقنعته أن يستسلم في التاسع من كانون الثاني، إلى فرقة السيارات المسلحة التابعة لسلاح الجو الملكي، الأمر الذي دفع فيصل الدويش إلى تغيير رأيه في شق طريقه عبر قوات ابن سعود للاستيلاء على نجد، واستسلم الدويش ومعه صاهود بن لامي -شيخ قبيلة الجبلان من مطير- في العاشر من كانون الثاني ١٠ يناير، وركب معي فيصل الدويش بصورة احتفالية مؤثرة إلى معسكر القيادة الجوية البريطانية حيث سلم سيفه، وأُرسل الزعماء الثلاثة إلى البصرة بطريق الجو، وهناك نقلوا إلى سفينة حربية بريطانية في شط العرب، وأبلغ فلول الثوار من مطير ومعظمهم من الدوشان والدياحين، والقسم الأكبر من العجمان أن ينتقلوا شمالا إلى منطقة الروضتين في دولة الكويت على بعد خمسة عشر ميلا جنوب صفوان حيث بقوا بحراسة السيارات المسلحة البريطانية التابعة لسلاح الجو الملكي إلى أن يصبح بالإمكان تسليمهم إلى ابن سعود! وبدأت بالعمل لتأمين الطعام والملابس لنساء وأطفال الثوار الذين تركوا في حالة بائسة من الجوع والحرمان بين بساتين النخيل في الجهراء، وكان بين أولئك نساء فيصل الدويش زوجته عمشا وشقيقاته الثلاث وابنتان صغيرتان وسبع وعشرون من قريباته وكلهن من الدوشان ومن ذوات المولد الرفيع، وقبل أن ينقل من البصرة ترك الدويش نساءه في عهدتي وكانت كلماته الأخيرة لي: أسلم حريمي لك يا ديكسون من ذمتي إلى ذمتك! ونقل أولئك النسوة إلى القصر الأحمر في الجهراء، حيث اعتنت بهن زوجتي)[٦٠٧].

(٦٠٦) يحاول ديكسون هنا أن يخفي جرائم الطيران البريطاني ولا يعترف بها صراحة فيقول: (إجراءات اتخذت) دون أن يصرح بأنه قصفهم بالقنابل وقتل النساء والأطفال في خيامهم، ويزعم بأن قصفهم في الجهراء كان بهدف تجميعهم في مكان واحد لا بهدف القضاء عليهم!

(٦٠٧) الكويت وجاراتها لديكسون ١/٣٣٠-٣٣٤.

- نهاية الثورة وتسليم بريطانيا قادتها إلى ابن سعود:

لقد نجحت بريطانيا في القضاء على الثورة وتم حسم المعركة بسلاح الجو البريطاني وكما يقول المستشرق النمساوي محمد أسد الذي كان بمعية ابن سعود: (وهكذا أرسلت الطائرات والمصفحات البريطانية لمنع الدويش من التراجع مرة أخرى إلى الكويت وأدرك الثائر أنه خسر قضيته وبعد معركة حارب فيها الثوار إلى آخر نفس دحروا نهائيا)(٦٠٨).

وكما يقول جون س وفي ظل (غياب الزعامة الاسمية انتهت ثورة الإخوان، وبدأ البريطانيون يواجهون مشكلة إعادة جماعات الإخوان، وطي قيد الزعماء الرسميين، وقد كان البريطانيون قد عاهدوا ابن سعود من قبل على أنهم سيسلمون له قادة الإخوان بشرط أن يبقي على حياتهم ويعاملهم معاملة إنسانية، وبعد أن أصبح الإخوان في قبضة البريطانيين فعلا حاولوا أن يحنثوا في عهدهم، وفي ١٩٣٠/١/١٧م صدرت التعليمات من وزارة الخارجية البريطانية للعقيد بسكو المندوب المقيم في الخليج أن يصحب كل من ديكسون وبيرنت لمقابلة ابن سعود، ومناقشته في مصير الثوار، الذين أصبحوا في أيدي البريطانيين، وقد ناقشوا إمكانية نفي زعماء الإخوان إلى قبرص، أو إلى أي مستعمرة بريطانية أخرى، وتم نقل كل من الدويش وابن حثلين وابن لامي بالطائرة إلى البصرة، ومنها تم نقلهم إلى البارجة لوبن التابعة للبحرية البريطانية والتي كانت في شط العرب، وأما بقية الإخوان من مطير والعجمان فقد صدرت إليهم التعليمات بالتجمع في منطقة صفوان على مسافة خمسة عشر ميلا من حدود الكويت، حيث قامت بحراستهم العربات المدرعة للقوات الملكية البريطانية، إلى أن يتم تسليمهم إلى ابن سعود، وبعد وصول الزعماء الثلاثة إلى البارجة، طار العقيد بسكو من الكويت إلى ابن سعود لمناقشة موضوع تسليم الزعماء وعدم الحاجة إلى نفيهم وبرر بسكو هذا الموقف بما يلي:

١- أن بريطانيا زودت ابن سعود بالأسلحة والذخيرة والطائرات بل وبالأفراد مساعدة منها له على إخضاع الإخوان.

٢- أن بريطانيا قد اتخذت إجراءات صارمة لضمان عدم تقديم أية تسهيلات للقبائل الثائرة على ابن سعود.

(٦٠٨) الطريق إلى مكة (إلى الإسلام) ص ٢٣٨.

٣- أن موقف بريطانيا هو موقف الاستعداد للمساعدة في مقاومة الثوار.

وفي ١٩٣٠/١/٢٨م تم نقل الزعماء الثلاثة من البارجة إلى أحد المهابط الجوية بالقرب من خباري وضحا في إحدى الطائرات البريطانية، وبصحبتهم ديكسون، وقد أودع الزعماء الثلاثة ابن بجاد، وفيصل الدويش، وابن حثلين، في سجن الرياض... وبالإضافة إلى مساعدة البريطانيين ابن سعود بتسليمه الزعماء الثلاثة الرئيسيين، فقد ساعدوه أيضا في مطاردة معظم المتمردين الثمانية عشر الآخرين الذين كانوا على قائمة المطلوبين...)[٦٠٩].



الشيخ صاهود بن لامي والشيخ فيصل الدويش والشيخ نايف بن حثلين على متن السفينة البريطانية

وقد روى ديكسون الذي كان في تلك البعثة البريطانية تفاصيل تسليم قادة الثورة بقوله: (وتقرر إيفاد بعثة إلى ابن سعود الذي كان مخيما في خباري وضحا على بعد ٩٣ ميلا إلى الجنوب الغربي من الكويت وتتألف من بيسكو المقيم السياسي في الخليج منذ سنة ١٩٢٩م ونائب مرشال الجو بيرنيت وأنا لبحث وسائل وطرق تسليم الزعماء الثائرين وأتباعهم، وبعد أن وقع ابن سعود والسير بيسكو على شروط الاستسلام عادت البعثة إلى الكويت في ٢٧ كانون الثاني، وفي اليوم الثاني أنزل الزعماء الثائرين الثلاثة من السفينة البريطانية لوبين ونقلوا إلى مخيم ابن سعود بطريق الجو تحت إشرافي، وتعرضت قوات الثوار أثناء إبعادها في شمال الكويت لغزوات ليلية قاسية سلبتهم جمالهم وأغنامهم على مرأى من سلاح الجو الملكي، وقد اقتادتهم السيارات المسلحة التابعة لسلاح الجو البريطاني عبر طريق معين باتجاه المناقيش على الحدود حيث تم تسليمهم إلى مبعوثي ابن سعود، وتم نقل الزعماء الثلاثة إلى الرياض ومصادرة مواشي الثوار وتقديرا لحياده ورفضه مساعدة الثوار تلقى الشيخ أحمد الجابر سنة

---

(٦٠٩) الإخوان السعوديون لجون س ٢٣٩-٢٤٤ بتصرف واختصار.

١٩٣٠م وساما رفيعا مع تقدير الحكومة البريطانية، وتوفي فيصل الدويش في الرياض في الثالث من تشرين الأول سنة ١٩٣١م، وقد ظل يشكو لمدة شهر من ألم بسبب تورم في حنجرته، وفيما كان يمشي مع ابن حثلين في باحة السجن سقط على الأرض والدم ينزف من فمه بسبب انفجار الورم، وظل فاقد الوعي حتى المساء، وعندما استعاد وعيه لمدة قصيرة طلب أن يرى الملك ولكن ابن سعود رفض أن يأتي إليه، وأرسل إليه الدويش تحية الوداع غافرا له الأخطاء التي ارتكبها ابن سعود في حقه قائلا إن الحكم الأخير لن يصدر قبل أن يقفا كلاهما أمام الله، ثم فارق الحياة وغسل ودفن في تلك الليلة، وقد نقلت أخبار الوفاة بالتفصيل بحيث لم يبق شك بأنه قد توفي، لقد أحس جميع البدو -كما يقول ديكسون- بأسى عميق لوفاة ذلك الزعيم الصحراوي الكبير الذي كان ملكا بين شيوخ العرب، فهو وشيوخ الدوشان في مطير من قبله يمكن مقارنتهم بصانعي الملوك في إنجلترا في القرون الوسطى، وخلال تاريخهم تجرأوا وحاولوا أن يصنعوا وأن يكسروا وأحيانا بنجاح الحكام السعوديين في نجد، إن مساعدة مطير وحدها بقيادة جد فيصل الذي كان يحمل نفس الاسم هي التي مكنت القائد المصري إبراهيم باشا من مهاجمة واحتلال المملكة الوهابية في أوائل القرن الماضي، إن الجزيرة العربية لم تنجب فارسا أو مقاتلا أعظم من فيصل الدويش الذي لم يكن لابن سعود من أتباعه واحدا أكثر إخلاصا منه، إلى أن دفعت السياسة فيصل إلى الثورة، وظل زعماء الثورة الآخرون في السجن في الرياض حتى سنة ١٩٣٤م حين اتهموا بمحاولة الفرار عندما كان ابن سعود يقاتل يحي إمام اليمن، ونقلوا إلى الهفوف حيث سجنوا في الدياجير التركية المظلمة تحت الأرض، وانقطعت أخبارهم منذ ذلك الوقت)[٦١٠].

لقد كانت آثار تلك الحرب التي رتبت بريطانيا لها للقضاء على الثوار أعمق في الوجدان الاجتماعي والثقافي، وكما يقول جون س: (لم تنته مشاكل ابن سعود بانتهاء قمع الإخوان، فقد أحس كثير من الإخوان الذين لم يشاركوا في الثورة بأن ابن سعود قد خانهم، وخان دينهم، وتأكد لهم أن ابن سعود استخدمهم كأداة لتحقيق أهدافه الشخصية وتحقيق طموحه)[٦١١].

---

(٦١٠) الكويت وجاراتها لديكسون ١/٣٣٧-٣٤٢.

(٦١١) الإخوان السعوديون لجون س ٢٤٦.

وكما يقول ديكسون: (لقد أخمدت الثورة ويعود الفضل في انتشال ابن سعود من الوضع السيء الذي كان فيه إلى الحكومة البريطانية، فلولا جهودها في إبقاء الكويت والعراق على الحياد، ووضعها قوة كبيرة على حدود الكويت الجنوبية أجبرت الثوار على الاستسلام لما تمكن ابن سعود من سحق الثورة، ولكان تعرض هو والبيت السعودي إلى أخطر النتائج، وبانهيار الثورة ووفاة فيصل الدويش يمكن القول إن مذهب الإخوان الحماسي قد ولى إلى غير رجعة، وفهم عامة الإخوان الآن أن ابن سعود أطلق صرخة الدين سنة ١٩١٤م لأغراضه الخاصة، ولذلك شعروا بالندم والألم لأنهم استخدموا كمطية، فلم تعد لديهم رغبة في الولاء والاندفاع، ولم يعد الملك بالنسبة لهم بطلا ولا أبا لشعبه، كان المرء -كما يقول ديكسون- يجد شعورا أشبه بخيبة أمل مريرة حتى بين القبائل الموالية له كشمر والسهول وسبيع والعوازم فضلا عن القبائل الثائرة عليه، ويرجع السبب إلى واحد أو أكثر من الأسباب التالية:

١- كان الشعور السائد أن ابن سعود لم يقف مع الإخوان كما كان مفروضا، فهم الذين رفعوه إلى المكانة التي احتلها وكانوا مسلمين صالحين.

٢- أنه طلب مساعدة البريطانيين وبمساعدتهم تمكن من سحق رعاياه المسلمين.

٣- أنه عامل فيصل الدويش ونايف بن حثلين وسلطان بن حميد وهم ثلاثة من أعظم زعماء الجزيرة العربية بقساوة لا داعي لها في الوقت الذي كانت طرق الشهامة كافية لمواجهة القضية.

ومع مرور الزمن لم يعد البدو يطلقون على ابن سعود لقب الإمام، ولست أعتقد أن مذهب الإخوان سينتعش ويعود للحياة مرة أخرى، مع أنه ليس من الحكمة التنبؤ في بلاد أعاد التاريخ فيها نفسه مرات ومرات)[٦١٢].

لقد قامت بريطانيا بالقضاء على القوة الوحيدة التي نجحت في توحيد نجد والحجاز بعد ثورة الشريف حسين وسقوط الخلافة العثمانية وتقسيم أقاليمها، تلك القوة التي قامت في نجد قبل مجيء ابن سعود من الكويت، كما اعترف بذلك جون س بقوله: (إن توحيد ابن سعود لشبه الجزيرة العربية كان أمرا مستحيلا في غياب الإخوان، وأعمال الإخوان العسكرية الفذة غير العادية، هي أبرز ما في الأمر، إن عددا صغيرا منهم فقط هم الذين شاركوا في المعارك والغزوات مشاركة فعلية، كان هناك حزب من

---

(٦١٢) الكويت وجاراتها لديكسون ١/٣٤٢-٣٤٤.

قبيلة عتيبة بزعامة ابن بجاد يتمركز في الغطغط، وعناصر من قبيلة مطير بقيادة الدويش في الأرطاوية، يعاونها مشايخ مستقلين، هذه العناصر هي التي تحملت الدور الرئيسي في مسئوليات الإخوان العسكرية، أما بقية الإخوان فقد كانوا يعيشون في هجر صغيرة، وأسهموا بنصيب قليل في نشاط الإخوان)، كما لم تكلف قوات الإخوان ابن سعود شيئا بعد مبايعتها له إماما، فقد كان الإخوان البدو المجاهدون (يتسلحون في معظم الأحيان ببنادق عتيقة، أو برماح بدائية محلية الصنع، ويقتاتون على حفنة من التمر، وصاع من الدقيق، وقاموا بحملات عسكرية لم تكلف الخزانة العامة شيئا)، بل إن ما كانوا يغنمونه في فتوحاتهم لا يأخذون منه شيئا، بل كانوا يأتون به إلى الخزينة العامة بكل أمانة وإخلاص، فلم تكن الغنائم (هدفا رئيسيا لمحاولتهم الخاصة التي كانوا يرمون من ورائها إلى استعادة الإسلام الصحيح، ونشره بين أولئك الناس الذين كانوا يعدونهم مسلمين مارقين وغير حقيقيين، إن حياة الإخوان شخصيا بعد الغزوات التي قاموا بها، لم تتغير عن تلك التي كانوا يحيونها قبل القيام بالغزوات، ولم يستغلوا موارد الأرض التي فتحوها لصالحهم، ولم يخرب الإخوان أي منطقة تخريبا اقتصاديا، ولم يتلفوا المحاصيل كيدا وحقدا، ولم يحرقوا أو يدمروا أي مدينة من المدن...)[٦١٣].

لقد تم القضاء على تلك القوة لسببين رئيسيين:

الأول: رفضهم للوجود البريطاني في الجزيرة العربية ومحيطها، سواء في الرياض، أو الكويت، أو الخليج، أو العراق، أو الشام.

الثاني: رفض الاستعمار البريطاني لوجود أي قوة وطنية في أي بلد تحت حمايته قد تشكل خطرا على وجوده في المستقبل.

وكما يقول جون س: (فقد بات الإخوان يشكلون تهديدا للمصالح البريطانية على ساحل الخليج العربي والعراق وشرقي الأردن... وروج فيصل الدويش ضد ابن سعود بأنه قد باع نفسه لبريطانيا بلد الكفر، خصوصا بعد أن استقبل كلايتون في المدينة المنورة عام ١٩٢٧م، وعدوا الأخير قد نجس الأراضي المقدسة للمسلمين... كما اعترض الإخوان على إرسال ابن سعود نجله فيصل إلى بريطانيا عام ١٩٢٦م وجولاته هناك، وعلى علاقة ابن سعود مع مصر التي كانت تخضع للإنجليز آنذاك)[٦١٤].

---

(٦١٣) الإخوان السعوديون لجون س ٢٥٢-٢٥٤.

(٦١٤) عبد العزيز وبريطانيا ٣٠٢.

(لقد وقفت بريطانيا إلى جانب ابن سعود في تصديه للإخوان لاعتقادها بأنه لو فقد السيطرة عليهم فإن جميع القبائل في الصحراء سوف تعلن تمردها كذلك، مما يؤدي تهديد كيان حكومتي العراق والأردن وقد يصل إلى الكويت، لذا أمدت ابن سعود بالأسلحة والتأييد السياسي، وألقت القبض على زعيم الإخوان فيصل الدويش، وسلمته لابن سعود، وساهمت في القضاء على هذه الحركة)(٦١٥).

كما كان من أسباب ثورة الإخوان اتفاقية جدة بين ابن سعود وبريطانيا سنة ١٩٢٧م الذي اعترف ابن سعود فيها لبريطانيا بمركزها ونفوذها في الخليج العربي.(٦١٦)

وقد واكب مخطط القضاء على الإخوان - كقوة توحيد وتحرير في بداية أمرها، وكقوة معارضة سياسية ضد ابن سعود في نهايتها- حرب إعلامية شرسة صورتهم في أبشع صورة، سواء من قبل حلفاء بريطانيا وأعداء ابن سعود في البداية كالشريف حسين، وابن صباح، أو من ابن سعود في النهاية، وكما يقول ديكسون: (وبالرغم مما كتب عن قسوة الإخوان وفظاظتهم ولكن رأيي هو أن ذلك مبالغ فيه بقصد لكي يتلاءم مع الغايات السياسية في ذلك الوقت)(٦١٧).

لقد أثبتت الوثائق والتقارير أن الإخوان لم يرتكبوا أي جرائم حرب في كل معاركهم التي خاضوها وكانت تحت قيادتهم، وقد دخلوا الحجاز دون أن يقع منهم أي تجاوزات تذكر، وذلك بخلاف المعارك التي كانت بقيادة الملك عبد العزيز أو أحد أفراد أسرته كما جرى في حربه مع العجمان أو معركة السبلة أو ما جرى في حروب السيطرة على عسير ونجران بعد القضاء على الإخوان!

- تخلي علماء الإخوان عنهم ووقوفهم مع ابن سعود:

لقد نجحت بريطانيا وابن سعود بضرب حركة الإخوان بالدعاية الإعلامية حين تم تصوير معارضتهم السياسية له على أنها حول إدخال البرقية والسيارة، لإظهار مدى تخلفهم، مع أن هذه القضايا لم تكن هي السبب الرئيسي في الموضوع، وقد تم تجاوزها بعد فتوى العلماء في إباحتها، ولم تؤد إلى القتال بين الطرفين، غير أن السبب الرئيسي في الخلاف السياسي بين الإخوان وابن سعود هو علاقته بالإنجليز،

---

(٦١٥) عبد العزيز وبريطانيا ٣٠٤.

(٦١٦) عبد العزيز وبريطانيا ٣٢١، وجزيرة العرب لجان بيربي ٥٨.

(٦١٧) الكويت وجاراتها لديكسون ١/١٤٢.

التي بدأ الإخوان يشعرون بها، وبمدى تأثيرها على مواقف ابن سعود وسياسته، دون أن يعلموا بأنه قد عقد معهم معاهدة حماية كتلك التي عقدها معهم مبارك الصباح، وشيوخ ساحل الخليج العربي، حيث أصبح تحت الاحتلال البريطاني باسم معاهدات الحماية!

وهي القضية التي لم يجب عنها علماء نجد في كل مؤتمراتهم، والتي كان الإخوان يخشون عواقبها المستقبلية[٦١٨]، حتى انبرى علماء الرياض ضدهم مؤكدين أنهم لم يروا ما يريبهم، ولا حرج في توقيع معاهدات الحماية مع الإنجليز، -بعد أن كان علماء نجد يفتون بكفر أهل الخليج لدخولهم تحت حماية الإنجليز حيث أفتى عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ فتوى في أهل الخليج جاء فيها: (وانتقل الحال بهم حتى دخلوا في طاعتهم، واطمأنوا إليهم، وطلبوا صلاح دنياهم بذهاب دينهم، وهو بلا شك أعظم أنواع الردة... وقد قال تعالى: {تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ}، وقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}... فكل من دخل في طاعتهم، وأظهر موالاتهم، فقد حارب الله ورسوله، وارتد عن دين الإسلام ووجب جهاده ومعاداته)[٦١٩].

وكذا كان يفتي عبد الله بن عبد اللطيف وإبراهيم بن عبد اللطيف وسليمان بن سحمان بأن الدخول تحت الحماية البريطانية ردة عن الإسلام[٦٢٠]- فكان الإخوان بفطرتهم أصدق إيمانا، وأبعد نظرا، وأقدر على إدراك الخطر المحدق بهم، وبدولتهم التي أقاموها بسيوفهم ودمائهم، من بعض علماء نجد الذين تحالفوا مع السلطة ليجنوا -من تضحيات الإخوان وجهادهم- ثروة وجاها ونفوذا لم يكن لهم يد في صناعته، مقابل توظيف الدين والفتوى في خدمة السلطة وأهوائها وخدمة الاحتلال من ورائها!

لقد كشفت الرسائل التي بين علماء نجد وابن سعود بخصوص الخلاف بينه وبين الإخوان أن الأزمة أعمق من خلاف فقهي أو سياسي، بل هي أزمة أخلاقية واجتماعية كانت تفتك بالمجتمع، حيث كانت

---

(٦١٨) وانظر رسالة عبد العزيز بن فيصل الدويش لعبد العزيز بن سعود بخصوص إرسال أبنائه لبريطانيا، في كتاب (لسراة الليل... الملك عبد العزيز دراسة وثائقية) لعبد العزيز التويجري ط١ ص ٣٦١.

(٦١٩) الدرر السنية ٨/ ١١.

(٦٢٠) الدرر السنية ١٠/ ٤٣٥.

تتحكم وتؤثر فيه الفئوية والعصبية الجاهلية، أكثر من تأثير الدين وقيمه، فقد تنصل بعض علماء نجد الذين كانوا يحرضون الإخوان على مواجهة ابن سعود والتصدي له وتخلوا عنهم، وكان الإخوان يعظمونهم ويرجعون إلى أقوالهم، ولم يكتف العلماء بالتخلي عن الإخوان فقط، بل حرضوا على قمعهم، وتبرءوا منهم، وكان أشد ذلك خطرا هو نظرة الاحتقار والازدراء القائمة على أساس فئوي وعنصري، تلك النظرة التي كان ينظر بها هؤلاء العلماء لأتباعهم من الإخوان كما كشفته الوثائق والرسائل!

فقد جاء في رسالة الشيخ عبد الله العنقري مفتي الإخوان إلى ابن سعود، وكان العنقري من كبار علماء الإخوان الذي يرجع الإخوان إلى قوله خاصة زعمائهم كفيصل الدويش وابن حميد، وكان قاضيا في الأرطاوية، وكان عبد العزيز قد اطلع على دوره في تهييج الإخوان ضده، فأرسل العنقري رسالة سنة ١٩٢٥م يتنصل فيها من ذلك ويقول: (من قبل كتابنا لابن حميد فأنت تعلم أدام الله وجودك أني صاد في جلاجل ولا أدري عن كثير من الأخبار... أما الدين فالفضل لله ثم لكم علينا وعلى أهل نجد، وأما الدنيا فأنا بالخصوص معروفكم علي كبير، ولا أنا بشيء إلا بالله ثم بكم، وأما البدو فلا عندي أبغض منهم ومخالطتهم... ومن طرف مجيء الدويش إلي فوالله إن أروع الروعات يوم جاءني ولكن أنا رجل أستحي... ونحن لسنا في شك من طرفكم حتى نطاوع خفخاف بدو لا معهم علم ولا دين ولا أدب، ويوم جاءنا ابن الدويش وبخناه وأبوه كذلك... وعلى كل فالمرجو المسامحة من جنابكم إن كان هناك شيء غارنا، لأن الإنسان محل الزلل)[٦٢١]!

لقد دفع الإخوان ثمن صدقهم وإخلاصهم، دماءهم وأموالهم ظنا منهم أنهم يقيمون مجتمع الإيمان والأخوة والإسلام الذي كانوا يتطلعون إلى إقامته في جزيرة العرب، فكانت المفاجأة أن تحالف علماؤهم والسلطة وبريطانيا على القضاء عليهم باسم الإسلام والتوحيد والسنة!

- الإعلان عن قيام المملكة العربية السعودية:

وبعد القضاء على الإخوان وعلى مشروعهم السياسي، تم الإعلان مباشرة عن قيام مشروع (المملكة العربية السعودية)، فلم يعد ابن سعود إماما كما كان قبل القضاء على الإخوان سنة ١٩٣٠م، بل صار

(٦٢١) انظر الرسالة في كتاب (لسراة الليل... الملك عبد العزيز دراسة وثائقية) لعبد العزيز التويجري ط١ ص ٣٢٥.

ملكا، بعد أن طلب من بريطانيا تسميته بذلك، ووافقت بريطانيا عليه، كما في الوثائق البريطانية[٦٢٢]، أسوة بالملكية الصورية التي سمحت بها بريطانيا قبل ذلك للشريف فيصل في العراق، وللشريف عبد الله في الأردن، مع كونهم تحت الاحتلال البريطاني، وتم الاستعاضة عن مشروع الشريف حسين الوحدوي (المملكة العربية المتحدة)، بمشروع التجزئة (المملكة العربية السعودية) ليقوم المجتمع السعودي بعد ذلك على أساس طبقي وفئوي يقوم على التمييز العنصري في كل شئون الدولة والمجتمع، بما في ذلك شئون الدين نفسه، التي سيقتصر الأمر في الإشراف عليها وإدارتها على فئة اجتماعية محددة، حيث أصبحت مهمة فهم الدين وتفسيره شأنا خاصا بأسر دينية نجدية محددة بصورة كهنوتية، يتحالف فيها السياسي بالديني بشكل غير مسبوق في تاريخ الإسلام!

لقد انتهى بالقضاء على حركة الإخوان في نجد كل خطر يمكن أن يهدد الوجود الاستعماري البريطاني في الخليج والجزيرة العربية، وستظل المنطقة تحت الاحتلال البريطاني حتى الحرب العالمية الثانية وضعف الإمبراطورية البريطانية، حيث سيحل الاحتلال الأمريكي شيئا فشيئا مكانها في المنطقة وسيرث مستعمراتها، وبتحالف أيضا بين الاحتلال الأجنبي والسلطة ورجال الدين، وستدفع شعوب الخليج العربي والجزيرة العربية حريتها واستقلالها ثمنا لهذا التحالف المشئوم وإلى اليوم!

---

(٦٢٢) ستجد تفاصيل ذلك في الكتاب الوثائقي الموسوعي للمؤلف (الدويلات الصليبية في الخليج والجزيرة العربية).

الفصل الخامس

إقامة بريطانيا لدويلات الخليج العربي

وقمع الثورات الشعبية فيها

- ظهور البحرين وقطر:

كانت مدن ساحل الخليج العربي كالقطيف، وقطر، وجزيرة البحرين، تتبع هجر والأحساء منذ دخولها في الإسلام، ثم مدة عهد الخلافة الراشدة، فالخلافة الأموية، فالخلافة العباسية في بغداد، ثم الخلافة العباسية في مصر المملوكية.

وفي عام ٩٢٢هـاستولى البرتغاليون على البحرين، والقطيف، وقطر.

وفي عام ٩٤٣هـجهز السلطان سليمان بن سليم القانوني أسطولا بقيادة سليمان باشا وزير مصر، لمحاربة البرتغاليين، فسار في سبعين سفينة مسلحة بالمدافع الضخمة، ومعه عشرون ألف جندي، فطرد البرتغاليين من عدن، ومسقط، والبحرين، وقطر، والقطيف.

وفي سنة ٩٦٣هـجهز السلطان سليمان القانوني جيشا لفتح الأحساء بقيادة محمد باشا فروخ ففتحها، فتمت للدولة العثمانية السيادة على جميع جزيرة العرب، التي كانت تتبع للخلافة العباسية في عهدها المملوكي بمصر.

وفي سنة ١٠٨٠هـاستولى بنو خالد على الأحساء، والقطيف، وما جاورها، برئاسة آل مسلم، وقامت إمارة ابن عريعر التي امتدت من عمان إلى البصرة مدة قرن تقريبا.

وفي سنة ١٢٠٨هـاستولى عبد العزيز بن محمد بن سعود على قطر، بعد سيطرته على الأحساء.

وبعد سقوط الدرعية، صارت قطر تحت نفوذ آل خليفة شيوخ البحرين.

وفي سنة ١٢٦٧هـاستولى فيصل بن تركي على قطر، وجعل فيها حامية، وفر ابن خليفة إلى البحرين، ولما استعادت الدولة العثمانية سلطتها على الأحساء ثانية سنة ١٢٨٨هـاستولت على قطر، وجعلت فيها حامية، وصارت قائمقامية عثمانية، تابعة لمتصرفية الأحساء، يتم إرسال حاكم شرعي لها كل سنتين ونصف، واستمر الوجود العثماني في قطر إلى سنة ١٣١٠هـ، وقد جعلت الدولة العثمانية قاسم بن محمد آل ثاني قائمقاما، وكان يدين بالطاعة للخلافة في إسطنبول.[٦٢٣]

(٦٢٣) تحفة المستفيد للأنصاري ٢٥.

وكما يقول لوري: (فيما بين سنة ١٨٧٢ - ١٨٧٦م على طول الساحل الغربي للخليج العربي ظلت الأمور هادئة، وظل الأتراك مسيطرين على الأحساء، بينما لم يكن لبريطانيا سوى اتصالات قليلة، كما لم تنشأ أي علاقات بأي سلطة محلية في المنطقة إلا بشيخ البحرين، فقد بلغ وقوع البحرين تحت النفوذ البريطاني حدا جعل شيخها يتعود تنفيذ نصائح الحكومة البريطانية في الشئون الخارجية، كما كان يعتمد عليها في توفير الحماية له ضد أي هجوم من الخارج، وفي سنة ١٨٧٤م تهددت البحرين بغزو البدو من ناحية قطر، لكن البحرية البريطانية قامت بمناورة رادعة صدت الهجوم، وفي السنة التالية استجاب شيخ البحرين لنصح بريطانيا، وفصل مصالحه عن مصالح سكان البر القطري، وكان ما يزال يزعم لنفسه حق السيادة عليه، وفي سلطنة عمان كما في البحرين ازداد نفوذ بريطانيا، وأصبحت علاقة ممثليها بالسلطة المحلية هناك وثيقة، وقد كان وصول المدد البحري البريطاني للسلطان متأخرا فلم يحل دون إذعانه لمطالب قوة متمردة من البدو هددت مسقط سنة ١٨٧٤م، ولكن بعدها بشهر قامت السفن البريطانية بقمع ثورة حدثت في إقليم الباطنة، وأرغمت المتمردين على التراجع)[٦٢٤].

- التدخل البريطاني لتنصيب عيسى بن خليفة على البحرين:

وقد كانت بريطانيا قد فعلت في البحرين ما فعلته بعد ذلك في الكويت حين رفض محمد الصباح توقيع معاهدة حماية معها لكونه قائمقاما عثمانيا، فقامت بتحريض أخيه مبارك عليه وترتيب الانقلاب الذي أودى بقتل مبارك لأخويه، ثم توليه مشيخة الكويت وتوقيعه مباشرة معاهدة حماية مع بريطانيا، وكذا ما فعلته مع شيخ المحمرة في الأحواز العربي الشيخ خزعل الذي اغتال أخاه مزعل، ووقع معاهدة حماية مع بريطانيا، وكما يقول ديكسون: (إن الشيخ عيسى بن خليفة مدين للبريطانيين بتوليه الحكم، لأنهم نصروه ضد فرع آخر من العائلة أعلى مقاما ظلوا يحاولون الاستيلاء على الحكم، ولم يوقع البريطانيون معاهدة ملزمة مع البحرين إلا سنة ١٨٦٧م زمن الشيخ عيسى

---

(٦٢٤) دليل الخليج العربي للوريمر القسم التاريخي ٤٢٩/١. تأمل الدور البريطاني الاستعماري في التدخل المباشر لحماية حلفائها ضد إرادة شعوب المنطقة، وما زال التدخل منذ ذلك اليوم وإلى اليوم قائما على حساب مصالح الشعوب وحرياتها!

الذي ظل يحكم إلى سنة ١٩٢٤م، حين عزله الوكيل البريطاني الميجر دالي الذي كان يأتمر بأمر حكومة الهند، وعين ابنه حمد خلفا له الذي ظل في الحكم إلى سنة ١٩٤٢م)[٦٢٥].

وقد قام كوكس في فبراير سنة ١٩٠٥م بمحاصرة البحرين بثلاث سفن حربية، ووجه مدافعه نحو الجزيرة، وهدد بقصفها إذا لم يستجب الشيخ عيسى بن علي للشروط المفروضة من قبل المقيم السياسي وحكومة الهند، والتي تتضمن نفي الشيخ علي بن أحمد، ومعاقبة بعض رجال الدين المؤيدين للشيخ في طلب استقلاله عن النفوذ البريطاني، لمنع أية معارضة قد تكون بداية لجهاد إسلامي ضد الإنجليز.[٦٢٦]

وهو الجهاد الذي كان الخليفة العثماني السلطان عبد الحميد الثاني يهدد أوربا بإعلانه في حال شنت الحرب على الدولة العثمانية.

- فرض القوانين الوضعية في دويلات الخليج العربي:

وكما نجحت بريطانيا في خلق كيانات سياسية في الخليج العربي على غير أساس طبيعي، كذلك نجحت في فرض نظمها وقوانينها الوضعية، وإقصاء الشريعة لإسلامية التي كانت هي أساس القضاء في كل أقاليم الدولة العثمانية قبل دخول الاستعمار الأجنبي، وقد فرضت بريطانيا على البحرين سنة ١٩٠٩م منح صلاحيات لمعتمدها السياسي في البحرين بتطبيق قانون المحاكم الخاصة بالأجانب، ثم تطور بإدخال النظام والقانون القضائي البريطاني المدني، والذي تم صياغته لتطبيقه على محميات بريطانيا في سواحل الخليج العربي، والذي تأخر تطبيقه بسبب الحرب العالمية الأولى إلى سنة ١٩١٩م، ولم تجد محاولات شيخ البحرين ورفضه هذا القانون شيئا، وقد حاول أن يجعل من صلاحياته اختيار القضاة تبعا لنظام المحاكم الشرعية، دون تدخل المعتمد أو المقيم البريطاني (وقد رفضت بريطانيا ذلك محتجة بأنها هي الذي عينتهم شيوخا على البحرين، وما كان ذلك ليتحقق لهم لولا بريطانيا، ولأن

(٦٢٥) الكويت وجاراتها لديكسون ١/٧٨.

(٦٢٦) قصة السيطرة البريطانية لمي الخليفة ٣٨١-٣٨٧.

الشيخ استغل موارد البحرين لمصلحة آل خليفة، ولمصلحة أسرة أو أسرتين من العائلات العربية فيها)[٦٢٧].

وقد صدر أمر باسم ملك بريطانيا الملك جورج بتطبيق ذلك القانون، وتضمن بنودا مدونة في خمسين ورقة جاء في مقدمتها: (بناء على الصلاحيات الملكية الناتجة عن المعاهدات والامتيازات التي تعطي صاحب الجلالة الملك حق إقامة النظام القضائي في البحرين، لذا وبناء عليه فإن صاحب الجلالة يعتمد في تطبيق هذا القانون على النظام الخاص بالقانون الأجنبي)[٦٢٨].

وهذه الصلاحيات التي ثبتت لملك إنجلترا جورج الخامس هي بناء على معاهدات الحماية التي تجعل المحميات مستعمرات تابعة للتاج البريطاني، والتي وقعتها كل مشيخات الخليج العربي مع بريطانيا من عمان وإمارات الساحل جنوبا، مرورا بالبحرين وقطر والرياض، وانتهاء بالكويت شمالا!

- التغيير البريطاني لديمغرافيا الخليج العربي:

لقد وجدت بريطانيا أن وجودها في المنطقة وسيطرتها عليها مرهون بتغيير تركيبتها السكانية بما يخدم مصالحها الاستعمارية، وقد وجدت بأن المشكلة الرئيسة مع العالم الإسلامي الذي يؤمن بالخلافة العثمانية، ويرفض الاحتلال الأجنبي هو في شيوع مفهوم الجهاد، وبسببه واجهت بريطانيا أشرس الحروب في الهند وأفغانستان تحت راية الجهاد من قبل المسلمين السنة، ولهذا دعمت بريطانيا الحركة القاديانية في الهند، لنبذها مفهوم الجهاد، ورفضها استخدام العنف ضد الاحتلال الأجنبي، وقد وضعت بريطانيا سنة ١٨٧١م قانونا جنائيا لمواجهة الثورة في الهند يخول للسلطات احتجاز القبائل

---

(٦٢٧) قصة السيطرة البريطانية لمي الخليفة ٣٤١-٣٤٩.

وما زالت الأسر الحاكمة في المنطقة مع الأسر الحاشية حولها تستأثر بالسلطة والثروة في ظل الحماية الصليبية الاستعمارية على حساب حقوق شعوب المنطقة!

(٦٢٨) قصة السيطرة البريطانية لمي الخليفة ٣٣٩.

فإذا كانت بريطانيا الصليبية هي التي أقامت وتقيم تلك الحكومات، وهي التي تختار من يحكمها، وهي التي تضع النظم القضائية والتشريعية لها باسم ملك انجلترا، فكيف لا يصدق عليها بأنها دويلات الحملة صليبية، حيث كان للحملة الصليبية الاستعمارية البريطانية الدور الرئيسي بل الوحيد في إيجادها سياسيا، وتحديد حدودها، وتنصيب شيوخها، وحمايتها وإدارة شئونها ووضع قوانينها؟!

الخارجة على القانون، أو حصارها في معسكرات خاصة وفرض الإقامة القسرية عليها، أو نفيها وتهجيرها.[٦٢٩]

كما مارست التهجير للسكان كما فعلت في جزيرة (دييغو غارسيا) لتتخذها قاعدة عسكرية لها، وقد مارست كل هذه الجرائم مع القبائل العربية في الخليج والجزيرة العربية، كما فعلت مع قبيلة العجمان، ثم مع قبائل الإخوان، وقبيلة آل بو علي... إلخ.

وقد وجدت بريطانيا في الخليج العربي حسا إسلاميا طاغيا يقف مع الخلافة العثمانية ضدها، وبعد الحرب العالمية الأولى وسقوط الخلافة، وتقسيم المنطقة وخضوعها للاحتلال البريطاني، تنامى الحس الإسلامي والعربي الوطني ضد هذا الوجود، وهو ما زاد خشية بريطانيا على نفوذها في ساحل الخليج العربي، فاتبعت أسلوب التغيير السكاني بما يخدم مصالحها كما جرى في جنوب أفريقيا، وكان المسئولون البريطانيون بعد احتلال العراق في الحرب العالمية الأولى قد اقترحوا استجلاب الهنود إلى العراق لاستصلاحه زراعيا، وتأمين وجودهم عسكريا، إلا أنهم نفذوا هذه السياسة في ساحل الخليج العربي الذي يعاني فقرا سكانيا، ففتحوا الهجرة أمام الهنود إلى ساحل عمان والإمارات العربية، وأمام الإيرانيين، خاصة الشيعة لعدم إيمان أكثرهم بمفهوم الجهاد حتى يخرج المهدي ويقيم الدولة، وهو ما شجع بريطانيا على فتح باب الهجرة لهم إلى الخليج، والتي زادت بشكل كبير بعد الحرب العالمية الأولى خاصة بعد سنة ١٩٢٠م إلى الكويت والبحرين.

- تهجير قبيلة الدواسر من البحرين:

وكان من نتائج فرض القوانين البريطانية على البحرين ظهور أزمة قبيلة الدواسر سنة ١٩٢٣م التي تم التضييق عليها وتهجيرها من البحرين مع أنها (أكبر القبائل في المنطقة ومن أكثر القبائل العربية المتنفذة جاها وثراء في البحرين، برغم اعترافهم بسلطة شيخ البحرين، إلا أنهم كرهوا عدم المشاركة في إدارة الأمور الداخلية وسياسة البلاد الخارجية، ورفضوا أنظمة وقوانين حكومة الهند البريطانية

(٦٢٩) انظر (الاستعمار... الكتاب الأسود) لعدد من المؤلفين.

التي تفرضها على البحرين في شئون القضاء والضرائب، وطالبوا بإدخال إصلاحات حديثة على أنظمة الغوص والمالية والشرطة والتعليم)[٦٣٠].

وقد توجه الدواسر في هجرتهم إلى الدمام واستقروا فيها قريبا من بلدهم البحرين، ووجدوا دعما من ابن سعود في طلبهم للإصلاحات في البحرين والعودة إليها واسترجاع أراضيهم فيها، غير أن بريطانيا بتحريض من شيخ البحرين أرسلت سفينة حربية مقابل الدمام، ورفضت عودة القبيلة إلى موطنها في البحرين، بل وطلبت من ابن سعود أن يقوم بإجلائهم من الدمام إلى مكان أبعد، حتى لا يهددوا البحرين، وقد طلب ابن سعود منهم الخروج من الدمام إلى منطقة الجبيل، وتحت الضغط البريطاني قرر بعض الدواسر سنة ١٩٢٧م العودة إلى البحرين وفق معاهدة حضرها الوكيل السياسي البريطاني في البحرين وممثلون سياسيون بريطانيون نصت على اعترافهم بالحكم في البحرين للخليفة، ومنح شيخ البحرين بتعيين رؤسائهم عليهم متى كان ذلك ضروريا، والقبول بوجود نقطة عسكرية في مناطقهم.[٦٣١]

وهي شروط مجحفة حالت دون رجوع كثير منهم إلى البحرين.

لقد (كانت بريطانيا تسعى إلى فصل الدواسر عن البحرين وإبعادهم عنها إضعافا من بريطانيا للحركة الوطنية المناهضة لها)[٦٣٢].

وفي مقابل تهجير القبائل والأسر العربية السنية التي رفضت الاستعمار البريطاني للبحرين، تم فتح الباب أمام هجرة الإيرانيين الشيعة، الذين ظلوا حلفاء للسلطة، وحاشية لشيخ البحرين الخاضع للبريطانيين، وهو ما سيخل في التركيبة السكانية للبحرين وإلى اليوم!

وفي الوقت ذاته استخدمت بريطانيا هذه السياسة في الكويت حيث كانت تواجه معارضة وطنية لوجودها الاستعماري، فأوعزت إلى أحمد الجابر الصباح بفتح باب الهجرة للإيرانيين الشيعة، لإحداث

(٦٣٠) عبد العزيز وبريطانيا ٢١٥.

(٦٣١) عبد العزيز وبريطانيا ٢١٧-٢١٨.

(٦٣٢) عبد العزيز وبريطانيا ٢١٨.

تغيير ديمغرافي للسكان تضمن له ولها من خلال هذه الجالية سيطرتها على المنطقة ومواجهة المعارضة الوطنية!

وهو ما سيكون له تداعياته على الواقع السياسي في الكويت، التي كانت قبل ذلك لا تعرف هذه الإشكالية، كما يقول جان جاك بيربي المؤرخ الفرنسي (الكويتيون الأصليون كلهم عرب ومسلمون سنيون)[٦٣٣].

وقد تحدث خالد العدساني سكرتير المجلس التشريعي الأول سنة ١٩٣٧ - ١٩٣٨م، عن الدور البريطاني في خلق هذه الأزمة السياسية الديمغرافية في الكويت حيث يقول في مذكراته:
(أما المجلسيون فقد كانت وجهة نظرهم ترمي إلى صيانة الشئون الداخلية للإمارة من التدخل الأجنبي الذي يؤول حتما في آخر الأمر إلى السيطرة التامة وحرمان الوطنيين من إدارة شئونهم الذاتية طبقا لميولهم ومنافع قومهم، فالتساهل مثلا في أمر المعارف واختيار المعلمين وإرسال البعثات إلى المدارس الخارجية بغير تدبير الكويتيين واختيار المعلمين وإرسال البعثات إلى المدارس الاستعمارية، كما حدث ذلك في مصر والبحرين وغيرهما، وانتخاب الرجال الفنيين من قبل السلطة الأجنبية فمعناه جلبهم من الإنكليز والهنود الذين لا يتحركون إلا طبقا لما توحيه لهم السلطة التي جلبتهم فضلا عما تكلفه رواتبهم ومخصصاتهم الضخمة من تكاليف تنوء بها مرافق الإمارة الضئيلة.

تلك كانت وجهة نظر المجلسيين ومبلغ حرصهم على الأمانة التي اؤتمنوا، ولن نتعرض للإنكليز ولا لمصالحهم المكتسبة في حدود المكاتبات والاتفاقيات المبرمة، ولكننا لا نرى لزاما علينا الرجوع إلى رأي القنصل واستشارته في الشئون الخاصة التي تتصل بأمورنا وأحوالنا الداخلية خاصة وقد كان يكرر على الكويتيين القول حتى من جانب كبار المسئولين الإنكليز "إن الكويتيين مستقلون تمام الاستقلال في أمورهم الذاتية".

وقد جاءني ذات يوم أحد الشباب المتحمسين وسألني وهو يرتجف غضبا: "ما بالكم وكل هذا التردد والتخوف في مواجهة الأمير وقد بدا منه ما بدا في التمنع والتلكؤ في توقيع القوانين؟"، قلت: "إن أعضاء المجلس يا صاحبي بين أمرين، إما التفاهم مع الأمير ومداراته في الشئون التي لا تمس جوهر الإصلاح

---

(٦٣٣) جزيرة العرب لجان جاك بيربي ٢٥٤.

فيسلموا على بلادهم وكيانهم من تدخل الإنكليز الذين لا سبيل لهم إليه ما دام الراعي والرعية على وفاق، أو التفاهم التام مع الإنكليز ولو ضيعوا في ذلك استقلالكم وكيانكم، وعندها يسلمون على أنفسهم وكراسيهم إلى أبد الآبدين، وقد اختار المجلسيون التفاهم مع أميرهم فإن وفقوا في ذلك وفقنا جميعا إلى ما فيه سعادة الكويت وأهلها أما إذا فشلوا فقد برّأوا ضمائرهم وأدوا الأمانة التي في أعناقهم وحسبكم منهم ذلك".

ذلك هو المنهج الذي اختاره أعضاء مجلس الأمة في بداية أمرهم، وقد عملوا كل جهد من جانبهم للتفاهم مع الأمير على تقدم شئون بلادهم والسير بها حثيثا في مضمار الإصلاح والرقي ولكن سموه جاملهم في بداية الأمر مسايرة للظروف...

وبينما كانت الأمور تجري على هذا المنوال شجرت فتنة بين شاب (هو منصور موسى المزيدي) من مناصري المجلس وشاب آخر أحسائيا جعفريا اشتهر بدسائسه الكثيرة ضد المجلسيين لأنه كان شريكا لعبد الله الملا في بعض المصالح المادية العديدة فاتخذ هذا الشاب الجعفري من المشاجرة الشخصية التي وقعت بينه وبين الشاب السني وسيلة لتحريض بني مذهبه ضد المجلسيين وجعل يتباكى على عادته المعروفة عند الجعفرية من الإيرانيين والأحسائيين المستوطنين قديما في الكويت، مدعيا أن اعتداء وقع عليه بسبب مذهبه، وقد صادف هذا التحريض الباطل هوى في نفوس الإيرانيين الذين طغت عليهم نفحة القومية العربية في عهد المجلس، وحمسهم المهيجون فتوافدوا إلى الحسينية كيما يجمعوا أمرهم على رأي ويطالبوا بحقوقهم المهضومة حسب زعمهم، أما الأحسائيون وهم الجماعة الذين ينتمي إليهم الشاب الجعفري فقد تبينوا حقيقة المشاجرة التي حصلت ولم يجدوا فيها وجهًا للتعصب المذهبي المزعوم، كما إنهم كانوا يعلمون حقيقة الشاب المذكور وصلاته بعبد الله الملا صالح فتبرءوا من تلك الحركة الانتهازية التي أريد لهم التورط فيها لا سيما وقد كانوا يدركون مكانتهم المحمودة عند باقي إخوانهم الكويتيين إذ كانوا من العرب الأقحاح.

أما الإيرانيون فركبوا شيطان العنصرية وعلت أصواتهم بالهتافات والتصفيق داخل الحسينية لخطبائهم الذين كانوا يحرضونهم على المظاهرات والإضراب، وأخيرا حرر أحد علمائهم المعروف كتابا إلى المجلس التشريعي يتضمن مطالبة هؤلاء بتخصيص بعض المقاعد لهم في مجلسي البلدية والمجلس التشريعي، كما طالبوا مساواتهم بالوظائف الحكومية جميعها، وكانت هذه أول بادرة من بوادر الحذر

التي يخشاها الكويتيون من استفحال أمر الهجرة الإيرانية إلى الكويت، وقد عرف من نية هؤلاء أنهم يبيتون القيام بمظاهرة كبيرة وإضراب شامل ما لم ينالوا كافة مطالبهم.

لكن المجلسيون غضبوا لهذا الاستغلال الشائن بدافع النعرة العنصرية وتناسي هؤلاء عاطفة الأخوة الإسلامية وحقوق البلاد التي آوتهم فآمنتهم من خوف وأطعمتهم بعد جوع وأدركوا أن التساهل مع هؤلاء وأكثرهم من الحمالين والغوغاء قد يؤدي إلى نشوب فتنة عنصرية تكون لها نتائجها البعيدة في تاريخ الكويت، لذلك أجمعوا أمرهم إلى إهمال الكتاب المذكور وأصدروا أمرهم إلى بعض رجال القوة بالطوفان في الشوارع بالسيارات المسلحة لإرهاب من تحدثهم أنفسهم بالقيام بالمظاهرات والأعمال العدائية بينما ذهب فريق من أعضاء المجلس إلى العالم الديني الذي تطوع بعرض تلك المطالب يناقشونه في رأيه وأمر تلك المطالب التي عرضها، إذ كان يدرك أن الإيرانيين القدماء في الكويت قد دعوا كسائر الكويتيين إلى الانتخابات والتصويت فيها فلم يعترض أحد منهم في شيء لا قبل الانتخابات ولا بعدها، فماله اليوم يخرج من صفته الدينية للولوج في مثل هذه الأمور التي قد تجر إلى تفرقة وبلايا ليس من صفة أهل الدين التورط فيها؟

غير إن العالم المذكور وقد أدرك لهجة الجد اعتذر متنصلا من الحركة وقال إنه إنما طلب إليه أن يعبر بكتابه عن رغبة المجتمعين المحتشدين في الحسينية فقط، وليس له من رأي خاص في هذا الأمر. أما المهيجون فقد انكمشوا في أماكنهم لما شاهدوه من حزم سريع، واعتذر بعضهم بينما زعم آخرون أنهم إنما زج بهم في هذه الحركة بإيعازات خارجية معروفة.

وقد طاف بعد ذلك خدم القنصلية البريطانية وكانوا جميعا من الإيرانيين على جماعتهم يرغبونهم بالتجنس بالجنسية (الإنكليزية الهندية) طالبين منهم رفع عرائض جماعية إلى دار القنصلية في الكويت، وقد فهم الناس أن هؤلاء الخدم لا يمكن لهم القيام بمثل هذا العمل لو لم يكونوا بطبيعة الحال مدفوعين إلى ذلك من القنصل نفسه، وهو الذي كان يعتمد عليهم ويصغي إلى كثير من تقولاتهم ضد المجلسيين، وتهافتت العرائض بعد ذلك إلى دار القنصلية البريطانية بالمئات فالألوف من هؤلاء الإيرانيين طالبة التجنس بتلك الجنسية التي قيل لهم عنها إنها تمكنهم من نيل كثير من الامتيازات في المعاملات التجارية والحقوقية في الكويت.

ولما كان في تجنس هؤلاء جميعا وهم يبلغون ما يوازي ثلث سكان الكويت بجنسية واحدة (هي الجنسية الهندية الإنكليزية) خطر عظيم على كيان الكويت والكويتيين خاصة وأن تلك الجنسية تمثل الحكومة ذات النفوذ الفعلي في الكويت، فقد أثار ذلك اهتمام الكويتيين أجمع وجزعهم بما فيهم الفئة الغيورة من المعارضين أنفسهم.

لهذا تداول أعضاء المجلس طويلا في هذا الأمر ووجدوا أنهم لا يسعهم الجمود إثر هذا الخطر الداهم فقرروا علاج الأمر بوسيلتين:

الأولى: أنهم أصدروا هذا القرار الجريء وأعلنوه في كل جانب من جوانب الكويت:

"كل من تثبت عليه محاولة التجنس بجنسية أجنبية يجب عليه الاستعداد لمغادرة الكويت خلال شهرين من تاريخ تلك المحاولة مع حرمانه كليا من حقوق امتهان أية مهنة أو تملك أي عقار داخل حدود إمارة الكويت"

والثانية: هو ذهاب فريق من أعضاء المجلس إلى دار القنصلية ومقابلتهم القنصل فيها، حيث كشفوا له مبلغ جزع عموم الكويتيين من محاولة هذا الفريق الكبير التجنس بجنسية تمكنهم من الامتياز على الكويتيين الأصليين داخل بلادهم في كثير من الحقوق والمعاملات، وأن هذه المحاولات ربما أدت إلى نشوب فتن وحوادث ليس من صالح أحد إثارتها في مثل هذا اليوم، وأنهم من جهتهم معتمدين عدم التساهل مع هؤلاء الذين يجب عليهم الرحيل عن البلد الذي لا يرون الانسجام مع أهله الأصليين وحسن التفاهم معهم.

وقد ناقش القنصل هؤلاء الأعضاء في المطالب التي تقدم بها الإيرانيون ولماذا لا يجابون إلى ما طالبوا في المساواة؟

فلما قيل له: "إن الكويتيين لا يعترفون بحق الذين نزحوا إلى الكويت بعد الحرب العالمية في اكتساب الجنسية الكويتية أما أولئك القدامى فلهم ما لنا وعليهم ما علينا من حقوق وواجبات".

قال: "إنه لم يشجع أحدا على طلب التجنس بالجنسية الهندية ولكنه لا يسعه أن يرفض أي طلب أو عريضة أو كتاب يتقدم به صاحبه إلى دار القنصلية مهما كان موضوعه، أما الحصول على الجنسية الهندية فإنه يعتقد أن ذلك ليس من السهل الحصول عليه إلا لمن تتوفر فيه الشروط الخاصة التي ينص عليها القانون الهندي". وانتهى الأمر عند هذا الحد ولكن هذا الحادث بل والتحدي زاد بطبيعة

الحال من فتور العلاقات بين القنصل وأعضاء المجلس إذ أنه كان الاحتكاك المباشر الأول بين الطرفين.

فلما جاء المقيم البريطاني عقيب هذه الحوادث إلى الكويت طلب أن يجتمع بلجنة تمثل المجلس بحضور سمو الأمير وسعادة رئيس مجلس الأمة فانتدب المجلس كل من سليمان العدساني ومشاري الحسن والسيد علي السيد سليمان واجتمع الجميع بقصر الأمير الساحلي (قصر السيف) يوم ١٥ أكتوبر ١٩٣٨م الموافق ٢١ شعبان ١٣٥٧هـ وحضر الاجتماع الكابتن دكوري قنصل بريطانيا في الكويت وكان يتولى مهمة الترجمة بين المقيم البريطاني وباقي المجتمعين، وقد جرت عدة محادثات عامة كان أهمها البحث في أمر شركة الزيت إذ طلب المقيم أن يكون اتصال الشركة مع سمو الأمير مباشرة ولا صلة للمجلس بها، ولكن المجلسيين تشبثوا في حجتهم محاولين إقناع المقيم بصورة منطقية شذوذ هذه الخطة عن الأصول السليمة، ولما حاول المقيم إقناعهم أن يجربوا هذا الأمر لمدة شهرين فقط حتى إذا وجدت صعوبة يرجع إلى رأيهم، غير أنهم رجوا منه أن تكون التجربة الأولى على الوجه المستقيم الذي يرونه هم فإذا حدث ما يستوجب التغيير كان للجانب الأقوى وهم الإنكليز أن يعدلوا في الخطة... وسكت المقيم عند هذه النقطة، وفهم أن سكوته كان سكوت الاقتناع.

ثم تحدث المقيم عن مقام سمو الأمير، فأشار إلى ضرورة اعتباره الحاكم الأعلى الذي تجرى معه أو بواسطته جميع المخابرات السياسية وغيرها من الأمور الجوهرية في البلاد! فرد أعضاء المجلس قائلين: "إن ذلك هو الدعامة الأولى التي ترتكز عليها سياسة المجلس طبقا للأصول الملكية النيابية وليس فيهم من يتصور غير ذلك".

ثم جاء الكلام عن الإيرانيين المقيمين في الكويت، وما هو تقدير عددهم والتدابير المتخذة من جانب المجلس معهم، فتكلم أعضاء المجلس قائلين: "إن هذه الهجرة التي استفحل أمرها ليس لها ما يماثلها في بلدان العالم بالنسبة إلى كثرتها وانطلاقها من غير شروط"!!

فقال المقيم: إنه لا يعنيه الآن اتخاذ المجلس بعض التدابير لتسفير المهاجرين الجدد إلى خارج الكويت ولكنه ينصحهم أن يتم ذلك بصورة تدريجية وهادئة كيلا يؤدي هذا الأمر إلى تذمر الحكومة ذات

الشأن فيضطر هو إلى التدخل، فأفهمه أعضاء المجلس إن التدابير التي اتخذت حديثا ليست إلا لتوقيف الهجرة الغير مشروعة أما تسفير المهاجرين فلم يتقرر شيء منه حتى الآن)[٦٣٤].

- قضاء بريطانيا على المعارضة في الكويت والبحرين:

وكما قضت بريطانيا على الثورة والمعارضة في نجد قبيل الحرب العالمية الثانية حين قمعت ثورة الإخوان سنة ١٩٣٠م، كذلك قامت بضربها في الكويت والبحرين مطلع الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٨م لضمان استقرار مستعمراتها في حال انشغالها بالحرب مع ألمانيا، حيث كان العرب يؤيدون ألمانيا في حربها ضد بريطانيا الاستعمارية، وقد كان الشعب الكويتي للتو بدأ تجربة المجلس التشريعي التي كانت تعزز إرادة الشعب، وهو ما يرفضه الاحتلال الذي يريد تعزيز أنظمة الحكم التي أقامها وتحالفت معه، ولهذا أوعزت بريطانيا للشيخ أحمد الجابر بالقضاء على هذه التجربة، كما قضت عليها في البحرين، وقد أشار إلى ذلك خالد العدساني في مذكراته، حين تحدث عن المفاوضات بين المعارضة والسلطة فقال:

(وعند هذا انتحى أعضاء المجلس وحدهم ناحية للتداول في أمر هذه الوعود، فأدركوا أنها وعود خاوية ولكنهم عرفوا من المتصلين بالجانب الآخر أن الحركة مبررة من أيد أجنبية... فلا ترجى فائدة من المكابرة التي قد تؤدي بالكويتيين جميعا إلى الرزوح تحت نير الأجنبي المتربص لتركيز نفوذه الفعلي في الكويت، كما حدث ذلك في مسقط والبحرين وغيرهما من إمارات الساحل العربي... وبمثل هذا التدبير قضي على حياة ذلك المجلس العتيد الذي سيبقى تاريخه المجيد غرة في تاريخ الكويت لما نهض به من إصلاحات ومشاريع كبرى هيهات أن ينسى أثرها المنصفون لا سيما في وقت كان الناس فيه لا يفقهون من الحياة والنظم البرلمانية ما يفهمونه منها اليوم).

لقد كانت بريطانيا وراء ضرب الحياة النيابية في الكويت لصالح الاستبداد حفاظا على مصالحها ولو على حساب شعوب المنطقة، وكما يقول العدساني: (أما الأسباب الأصلية التي تسببت في سقوط المجلس، وربما خفي أمرها على الكويتيين، فهي قبل وبعد كل شيء تحول وجهة النظر الإنكليزية، لتخوف الإنكليز من الوطنيين الكويتيين على النفوذ والمصالح البريطانية، فضلا عن الذعر الذي

---

(٦٣٤) انظر مذكرات العدساني سكرتير المجلس التشريعي.

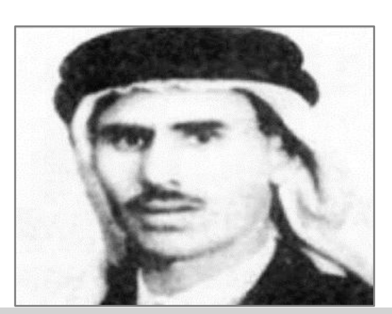
أصابهم بعد ما شاهدوه من سرعة انتقال العدوى إلى جميع شعوب الإمارات العربية والهندية الخاضعة لنفوذهم كما أسلفنا)!!

- استخدام بريطانيا وحلفائها للدين وشيوخه في مواجهة القوى الشعبية المعارضة:

لقد نجحت بريطانيا في ترسيخ مشروعها الاستعماري في المنطقة من خلال حلفائها وتوظيفها للدين في إضفاء المشروعية على وجودها ووجود حلفائها، وقد وظفت لذلك بشكل غير مباشر ومن خلال المشيخات شيوخ الدين سواء شيوخ الدين السنة في نجد والكويت، أو الإباضية في عمان!

ففي الكويت وقف الشيخ يوسف بن عيسى ضد أعضاء المجلس التشريعي، كما يقول العدساني: (وكان الشيخ يوسف بن عيسى زعيم القناعات من أشهر رجالات المجلس وأبرزهم لدى الرأي العام نظرا لمكانته الدينية الطيبة ومواقفه الإصلاحية التي لا تنكر، وهو شيخ دين درس في الأحساء وقضى الشطر الأكبر من حياته في خدمة معارف الكويت خدمة نزيهة متصلة لوجه الله والدين، كما ساهم في أكثر الشئون الإصلاحية والخيرية التي قامت في الكويت، وكان صاحب الفضل الكبير في رعاية المشاريع النافعة والإشراف عليها، بيد أنه وللأسف زج نفسه في السياسة وكان معتدا بآرائه عنيدا فيها في الوقت الذي اشتهر فيه بالخور تجاه السلطة والإنكليز، فعرض نفسه لكثير من الشك والتجريح، وكان يكابر المجلسيين ويأبى الرضوخ لقرارات المجلس الجوهرية التي تخالف رأيه حتى لو أجمعوا جميعا عليها، لا سيما تلك التي تتسم بالتصلب في الحقوق العامة تجاه السلطة لأنه يعتقد أن الأصل في كافة الحقوق العامة هي ملك للحاكم وليس للشعب، فما تنازل عنه الحاكم فهو منة وكرما منه، وما منع أو امتنع عنه لا تصح مطالبته أو الإلحاح عليه فيه! وقاده هذا الرأي إلى أن يكون داخل المجلس ملكيا أكثر من الملك كما يقولون، فلا تعرض حادثة أو ينشب أمر يحاول الأعضاء إقناع سمو الأمير بتعديله أو التساهل فيه لصالح الشعب حتى ينتصب فيهم مدافعا عن حق الحاكم ومثبطا العزائم في حجج وأقاويل يلمسون الوهن والخور فيها، أما تجاه الإنكليز ففي رأيه لا يصح مطلقا المناقشة معهم فما على المجلس إذا أمر الإنكليز إلا أن يطيعوا دون التشبث حتى في مراجعتهم وإقناعهم بالحسنى، وقد سبب هذه المواقف والآراء الخائرة من الشيخ يوسف وهو زعيم قومه وذو المكانة المرموقة لدى الجميع مصاعب جمة لأعضاء المجلس) وكان له دور بعد ذلك في التفاوض بين المعارضة والشيخ أحمد الجابر والتوسط بينهما، ثم وقوفه مع الشيخ أحمد والاصطفاف بجانبه بعد أن تم خديعة المعارضة

حين سلموا أسلحتهم بتعهد من الشيخ يوسف بن عيسى، وتم قتل بعضهم والقضاء على المجلس فيما عرف بعد ذلك بثورة المجلس سنة ١٩٣٨م!



خالد سليمان العدساني سكرتير المجلس التشريعي الأول سنة ١٩٣٧-١٩٣٨م، اضطر للهروب إلى البصرة متنكرا بعد تعطيل المجلس.

- التدخل البريطاني في عمان وقمع الثورة وتوظيف الدين وشيوخه:

وكما كانت بريطانيا تتدخل في كل شئون إمارات الخليج، كانت تخوض الحروب ضد شعوب المنطقة لصالح الحكومات التي تأتمر بأمرها، ففي عام ١٩١٥م (عندما ثارت القبائل في الداخل، لم يستطع سلطان مسقط إخماد ثورتها إلا بمساعدة القوات البريطانية الهندية، وبقيت الثورة تزمجر حتى توقيع معاهدة السيب في عام ١٩٢٠م بين سلطان مسقط وإمام عمان التي احتفظت لقبائل الداخل بحقهم في نوع من الاستقلال الذاتي)[٦٣٥].

لقد دعمت بريطانيا سلطان مسقط فيصل ثم ولده تيمور بن فيصل بن سعيد ضد الثوار وزعماء القبائل بقيادة الإمام الإباضي سالم الخروصي بعد أن ثار الشعب العماني ضد السلطان والبريطانيين، وقد كادوا يسقطون السلطان ويسيطرون على مسقط سنة ١٩١٣م، لولا التدخل البريطاني الذي ضرب قوات الثورة، وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى، ودخول الدولة العثمانية فيها، أعلن الإمام الخروصي إمام الإباضية الجهاد ضد بريطانيا، ووقوفه مع الخلافة العثمانية، وبعد أن قمعت بريطانيا ثورة الشعب العماني بالمدافع والطيران، رأى زعماء الثوار عقد اتفاقية مع السلطان اشترطوا فيها أن تكون

(٦٣٥) جزيرة العرب لجان جاك بيربي ٢١٣.

المحاكم في كل الشئون القضائية والمدنية والجنائية وفق الشريعة الإسلامية، وتطبيق العدل على الجميع بلا تمييز بين السكان، وإلغاء الضرائب، ومنع الخمر والدخان، ورفع الحظر عن السلاح الذي تفرضه بريطانيا، وأن يدير الإمام أمور عمان بالشريعة، ويعترف بسلطة السلطان حاكما على مسقط وعمان، وأن يحل السلطان قواته، وأن ينسحب البريطانيون من عمان ومسقط.

لقد أعلنوا بأن السلطان لم يعد يمثل الشعب العماني (لأنه خالف الطريقة الإباضية في الحكم... بالإضافة إلى اتهامه بالكفر والإلحاد، وبالفساد والمحسوبية، وتبديده للأموال التي ينفقها على أقاربه)، وقد رفض السلطان بعض هذه الشروط.

وقد استنجد الإمام الخروصي سنة ١٩١٦م بالحامية العثمانية في اليمن، لمساعدته في ثورته ضد الإنجليز، وقد وعدوه بالمدد لولا أن بريطانيا كانت قد فرضت حصارا على المنطقة، وقد استطاع الثوار سنة ١٩١٨م السيطرة على المقاطعات الداخلية ومدينة الرستاق الرئيسية، وبعد الحصار البريطاني للثورة، تم عقد مفاوضات سنة ١٩١٩ م بين الإمام والسلطان، بتدخل بريطاني، وفجأة تم اغتيال الإمام الخروصي سنة ١٩٢٠م، واختير مكانه الخليلي الذي مال إلى الصلح.[٦٣٦]

وقد حاول السلطان (أن يجعل من نفسه حاكما وإماما على الرغم من أن المذهب الإباضي لا يقر توارث الحكم، وقد كان في نيته أن يسيطر على منصب الإمامة ومن ثم تحويله إلى منصب وراثي، وقد استعان بمحاولاته هذه بالتأييد البريطاني، كما حاول بعد ذلك الحصول على التأييد الأمريكي بعد أن نشب الصراع بين الشركات البريطانية والأمريكية المستغلة للنفط في ممتلكاته)[٦٣٧].

وكما نجحت بريطانيا في توظيف بعض رجال الدين ومراجعه الشيعة في النجف، والعلماء السنة في نجد لخدمة مشروعها في السيطرة على المنطقة وتعزيز الحكومات التابعة لها، نجحت كذلك في توظيف بعض رجال الدين في عمان لذات الغرض!

فمن أجل مواجهة نفوذ الإمام الخليلي قام السلطان باتخاذ الشيخ سليمان الباروني مستشارا للشئون الدينية، وألف الكتب في المذهب الإباضي لسحب البساط من تحت أقدام الخليلي، وطلب من

(٦٣٦) تاريخ الخليج العربي ٣/٣٥٠-٣٧٨.

(٦٣٧) تاريخ الخليج العربي ٣/٣٩٦.

البريطانيين الموافقة على إقراره في هذا المنصب بقوله: (إن خبرته ومعرفته بمبادئ عقيدتنا الإباضية ستكون ذات فائدة لنا)[٦٣٨].

لقد تمكنت بريطانيا من خلال حلفائها في السلطة من إصدار الفتاوى ضد كل من يرفض الوجود البريطاني أو يقاومه، كما حصل في نجد في الفترة نفسها، حيث جمع ابن سعود علماءه ليصدروا الفتاوى ضد الثوار، ولم يقتصروا في فتاواهم على تجريمهم بل وصل بهم الحال إلى الحكم بكفرهم وردتهم كما في كتاب تذكرة أولي النهى (وقد سئل أئمة علماء الدعوة –الوهابية- ما قولكم في الدويش والعجمان ومن تبعهم... فكان الجواب: إن العجمان والدويش ومن تبعهم لا شك في كفرهم وردتهم... ومن أبى عن جهادهم فهذا حكمه حكمهم... وأما الدهينة والخضري وولد فيصل بن حميد وأتباعهم –من قبيلة عتيبة- الذين قدموا من عند الشريف يدعون إلى ولايته فهؤلاء لا شك في ردتهم، لأنهم دعاة إلى الدخول تحت ولاية المشركين، فيجب على جميع المسلمين قتالهم وجهادهم... وأملاه محمد بن عبد اللطيف، وسليمان بن سحمان، وصالح بن عبد العزيز، وعبد العزيز بن عبد اللطيف، وعمر بن عبد اللطيف آل الشيخ، ومحمد بن إبراهيم، وعبد الملك بن إبراهيم، وعبد الرحمن بن سالم، وعبد العزيز الشثري، ومحمد بن عبد الله بن عبد اللطيف)[٦٣٩]!

فلم يتردد شيوخ الوهابية في تكفير قادة الإخوان بذريعة أنهم يدعون إلى الدخول تحت ولاية الشريف، بينما كانت بلدهم وإمامهم ابن سعود تحت حكم بريطانيا!

ويلاحظ كيف تتكرر الحادثة كلما واجه الاحتلال الأجنبي أو حلفاءه في المنطقة أزمة سياسية أو حركة ثورية، وكيف يتم توظيف الدين ورجاله والفتوى في خدمة السلطة لمواجهتها!

---

(٦٣٨) تاريخ الخليج العربي ٣/٣٩٧. ويلاحظ هنا دور السلطة المحلية ومن ورائها الاستعمار في توظيف الدين ورجاله في خدمة الاستبداد والاستعمار من خلال نشر ثقافة دينية أكثر قبولا لهما ولسياساتهما، وهو مشهد يتكرر في كل دويلات الطوائف إلى اليوم فقد صار الدين ورجاله الأداة التي تستخدمها حكومات المنطقة للسيطرة عليها!

(٦٣٩) كتاب تذكرة أولي النهى والعرفان لإبراهيم بن عبد المحسن ٣/٢٣١ .

وقد طلب سلطان عمان من بريطانيا دعمه عسكريا لضم عمان لمسقط، فأشاروا عليه بأن يفعل كما فعل ابن سعود (الذي استطاع أن يحرز نجاحا كبيرا في السيطرة على قبائل البادية بالأموال أكثر من السلاح)[٦٤٠].

وقد أكد السلطان أنه لا يريد (استبقاء نظام الإمامة- الذي يقوم على الانتخاب كما هو المذهب الإباضي- وإنما سيعمل على إلغائه، وربط مقاطعات عمان بمسقط، تحت نظام الحكم الوراثي)، وهو ما تم فعلا، وفي سنة ١٩٤٥م، قامت بريطانيا بدعم عسكري كبير للسلطان وحملته العسكرية، وقام سلاح الجو البريطاني بمهمته، للسيطرة على مقاطعات عمان الداخلية.[٦٤١]

لقد ظل النفوذ البريطاني مسيطرا على عمان ومسقط بعد ذلك، فقد وقفت بريطانيا مرة أخرى مع السلطان ضد الشعب العماني في ثورة ١٩٥٧م (عندما سارعت القوات البريطانية الجوية والبرية لنجدة السلطان ضد ثورة القبائل العمانية في الداخل، وهذه السلطنة التي لا تعرف لها حدودا ثابتة، كيان سياسي فريد، فهي تعتبر نظريا مستقلة، مع أن قواتها المسلحة تخضع لقيادة ضباط بريطانيين، ووزير خارجيتها يدعى السيد نيل إينز ويساعده قنصل خاضع لسلطة المقيم السياسي البريطاني، والاسم نفسه الذي يطلق على الدولة مبهم، فهو يجمع بين اسم العاصمة التي يبلغ عدد سكانها ثلاثة آلاف، وداخل البلاد التي تزيد مساحتها على مائتي ألف كيلو متر مربع، وقد احتاجت سلطة السلطان مرارا إلى مساندة البريطانيين كي تفرض نفسها في الداخل في جبال عمان، التي تسكنها قبائل بالغة القسوة)[٦٤٢].

- سيطرة بريطانيا على الإمارات العربية:

وقد ظلت مشيخات ساحل عمان المهادن -الإمارات العربية- تحت السيطرة البريطانية المطلقة، حتى في الشئون الداخلية، حيث تصدر إليهم التعليمات كنصائح يجب عليهم تنفيذها، (وفي المشيخات

(٦٤٠) تذكرة أولي النهى والعرفان لإبراهيم بن عبد المحسن ٣ / ٤٠٢.

(٦٤١) تذكرة أولي النهى والعرفان لإبراهيم بن عبد المحسن ٣ / ٤٠٣.

(٦٤٢) جزيرة العرب لجان جاك بيربي ٢٠٢.

المهادنة -الإمارات العربية السبع- كانت تنظيماتها الداخلية تبدو كأنها صادرة من الشيوخ أنفسهم، إلا إنها كانت تفرض صراحة من الموظفين البريطانيين)[٦٤٣].

لقد تم الإعلان عن استقلال دويلات الطوائف في الخليج العربي عن بريطانيا ظاهريا منذ ستينيات القرن الماضي، إلا إنها ظلت فعليا ترزح تحت الاحتلال، وكما يقول جان بيربي: (عملت بريطانيا على تعزيز مركزها بالإبقاء على قواعد عسكرية وبحرية وجوية كبيرة، والتوسع في إنشائها، بقصد قمع الحركات الوطنية التحررية، وتأييد الأنظمة القائمة، والمحافظة على استقرارها... وأخذت بريطانيا -للتغطية على وجودها الاستعماري- منذ عام ١٩٦١م تمنح إمارات الخليج مظهر الدول المستقلة، وتحت ستار ذلك تحاول الحفاظ على مصالحها في المنطقة بمساندة الولايات المتحدة... وقد قامت بالإطاحة ببعض الشيوخ الذين تجد منهم اتجاهات أو تطلعات تتعارض مع مصالحها، فقد بادرت بخلع شخبوط بن سلطان حاكم أبو ظبي، والشيخ صقر حاكم الشارقة حينما أبدى تجاوبا مع مصر والجامعة العربية)[٦٤٤].

وهو ما حصل أيضا مع الملك سعود في المملكة العربية، وعبد الله المبارك في الكويت، بسبب ميلهما إلى مصر وجمال عبد الناصر!

وما زالت دويلات الخليج والجزيرة العربية تحت سيطرة النفوذ الاستعماري البريطاني الأمريكي منذ ذلك الحين إلى اليوم، وما زالت القواعد العسكرية خاصة الأمريكية تسيطر سيطرة عسكرية كاملة على المنطقة، كما لا يزال الخليجيون يعيشون تحت أنظمة حكم شمولية أسرية استبدادية، في ظل الاحتلال الأمريكي وعصر الديمقراطية وحقوق الإنسان! ليكتشف الخليجيون أن الاستقلال الصوري الذي فرحوا به في النصف الثاني من القرن العشرين ما هو إلا وهم فضحته الحوادث والأيام، فإذا القوى الاستعمارية هي التي تتصرف في المنطقة وبشعوبها وثرواتها وحرياتها واستقلالها، لا تملك حكوماتها من أمرها شيئا، وقد كان وزير خارجية قطر أصدق الجميع لهجة -في التعبير عن واقع العلاقات بين دويلات الطوائف والولايات المتحدة القائمة على التبعية- حين اعترف بعد احتلال

(٦٤٣) جزيرة العرب لجان جاك بيربي ٤/ ٢٣.

(٦٤٤) جزيرة العرب لجان جاك بيربي ٤/٢٦.

العراق بأن حكومات الخليج العربي تتعامل مع أمريكا كما يتعامل الفداوي -الخادم- مع سيده المعزب[٦٤٥]!

---

(٦٤٥) في مقابلة له في قناة الجزيرة بعد حرب احتلال العراق سنة ٢٠٠٣م.

الفصل السادس

تجليات أزمة الهوية

لشعب الخليج والجزيرة العربية

- تجليات أزمة الهوية سياسيا:

- تجميد النخب الحاكمة:

أدرك المسئولون البريطانيون بعد تقسيم المنطقة العربية إلى دويلات، ليسهل السيطرة عليها، أنهم خلقوا مشكلة خطيرة، سيكون لها تداعياتها على المدى البعيد، حيث لم يراع الاستعمار الأجنبي مصالح شعب المنطقة الواحد، ولا الوحدة الجغرافية لأقاليمه، بل تم تقسيمها بشكل عبثي فوضوي، مما أدى إلى تفاقم أزمة الهوية، وكما يقول فرومكين:

(إن بريطانيا بحمايتها عبد الله بن الحسين، إنما جزأت في الواقع عالم عرب الصحراء بين أسرتين مالكتين متخاصمتين، وجعلت من الحدود الأردنية خط التجزئة، والبلدان اللذان لا تزال تسميتهما تدل على أنهما ملك عائلي، هما المملكة العربية السعودية، والمملكة الأردنية الهاشمية، والخط الدولي لا يزال هو خط التجزئة بين أسرتي شبه الجزيرة العربية المالكتين)[٦٤٦].

وقد كان لهذا الواقع -الذي فرضه الاستعمار البريطاني الفرنسي للمنطقة العربية ولخريطة الشرق التي اشترك البريطانيون والفرنسيون في تقسيمها وترسيمها على هذا النحو- تداعياته الخطيرة حيث لم تستطع كل هذه الدويلات المصطنعة أن تعبر عن هوية الشعب العربي في الجزيرة العربية، لا هويته القومية العربية، ولا هويته الدينية الإسلامية، ولم تستطع إيجاد هوية بديلة، وكان الحال كما قال فرومكين:

(وهكذا فإن بريطانيا، شأنها شأن فرنسا في منطقة نفوذها في الشرق الأوسط، أنشأت دولا، وعينت أشخاصا يحكمونها، ورسمت حدودا فيما بينها، وقد عملت معظم ذلك في سنة ١٩٢٢م، لقد تحقق للدول الأوربية ما أرادت أن تفعله منذ زمن طويل، أي أن تأخذ بأيديها المصائر السياسية لشعوب الشرق الأوسط... وفي كل مكان من العالم أدى الاحتلال البريطاني إلى تدمير البنى السياسية لأهالي السكان الأصليين، وإبدالها ببنى جديدة ذات أشكال أوربية، والإدارة الحكومية كانت على نمط أوربي، وبموجب قوانين أوربية، ووفقا لمفاهيم أوربية، ومع ذلك ثمة تساؤل عما إذا كان الاحتلال الأوربي سيحدث في الشرق الأوسط ما أحدثه في أمكنة أخرى من أثر عميق ودائم، وسبب هذا السؤال ليس

---

(٦٤٦) ولادة الشرق ٥٧٧.

فقط لأن الشرق الأوسط منطقة حضارات عريقة، يفخر بها أصحابها، ومعتقدات عميقة الجذور في الماضي، بل لأن التغييرات التي تقترح أوربا إدخالها هي من العمق بمكان بحيث يجب أن تمر أجيال قبل أن تضرب هذه التغييرات جذورها في الأرض)[٦٤٧].

لقد تم تغييب شعوب المنطقة -بل شعبها الواحد- عن تقرير مصيرها وتم تهميش إرادتها، وفرض الاستعمار عليها ليس فقط حكومات كان هو الذي أوجدها وأقامها ودعمها بكل إمكانياته المادية والعسكرية، بل وفرض هوية لم يكن لها قبل ذلك أي وجود، لقد تم خلق هويات قطرية ووطنية زائفة -وتم نسبتها إلى أسرة أو مدينة أو جزيرة أو أقليم- لشعب واحد لا يرى في هذه النسبة أي مدلول تاريخي أو ثقافي أو قومي يعبر عن هويته، وتم تقسيم القبيلة والأسرة الواحدة بين عدة دول، وكما يقول بشير نافع: (لقد ترك هذا التطور أثرا بالغا على أنماط الاجتماع والهوية في العالمين العربي والإسلامي، ولأن هذا التطور قد فرض أصلا على المنطقة بفعل السيطرة الاستعمارية المباشرة، ولم يكن للشعوب العربية والإسلامية دور ملموس في صياغته، فقد تسبب في ولادة نظام الدولة الحديثة في بلاد مثل العراق، وسوريا، والأردن، والسعودية، والكويت، وفي إيقاع اضطراب هائل في حياة شعوب هذه البلدان، فقد أدخل نظام الدولة الحديثة مفهوم الجنسية الحصرية، وجواز السفر، والقيود على التنقل عبر الحدود.... وفجأة وجدت عشائر كشمر وعنزة نفسها قد انقسمت بين دول كسوريا والعراق والكويت والسعودية، وأن هذا الانقسام يتطلب حمل جنسيات مختلفة ويفرض قيودا قاطعة على تحركها عبر الحدود... إن النظام الجديد يتطلب منهم الولاء لدول لا تعبر بالضرورة عن هويتهم الثقافية ولا تشبع حاجات هذه الهوية، هذا التمايز والافتراق ولد اضطرابا عميقا وعواقب إنسانية باهضة، في حياة أبناء العشائر العربية على جانبي خط الحدود)[٦٤٨].

---

(٦٤٧) ولادة الشرق ٦٢٩. فديفيد فرومكين يدرك -أكثر من المسلمين أنفسهم- مدى خطورة التغييرات العميقة التي أحدثتها الحملة الصليبية الاستعمارية التي أسقطت الخلافة والدولة الإسلامية، وأقامت مكانها دويلات الحملة الصليبية التي تعبر عن إرادة الاستعمار وما يريده أكثر من تعبيرها عن إرادة الأمة وشعوبها، ويرى أن تلك التغيرات لن يكتب لها البقاء لأنها مصادمة لحقائق الدين والتاريخ والجغرافيا والديمغرافيا التي لا يمكن تجاوزها عند الحديث عن الأمم والدول التي تعبر عن هويتها!

(٦٤٨) تاريخ العراق لبشير نافع فصل عروبة العراق ص ٢٩ نسخة مصورة.

لقد دفعت القبيلة العربية، والأسر العربية، والشعب العربي الواحد، ثمنا باهظا جراء الخريطة الاستعمارية الصليبية، فصار الجميع يتطلع إلى قيام الدولة العربية الواحدة، وما يزال هذا الحلم قائما تعبيرا عن رفض هذا الواقع، وعدم الإيمان بمشروعيته!

لقد ترتب على هذا الواقع الذي فرضه الاستعمار أوضاعا كارثية تمثلت في:

١. أنه جمد -كما يقول خلدون النقيب- القيادات والحكم في أيدي من وقعوا على المعاهدات، ثم بيد ورثتهم من بعدهم، ومن دخل تحت الحماية البريطانية منهم، كما أدى إلى توسيع سلطة الحاكم نفسه ومن جاء بعده، فقد كانت سلطة الشيخ قبل ذلك محدودة، إذ الولاء السياسي لم يكن مرتبطا بالأرض بل بالبشر، ولذلك كانت البيئة والحالة الطبيعية تضع قيودا على سلطة الشيخ، تتمثل في القدرة على الارتحال من بلده والانتقال إلى مكان آخر عند نشوب نزاع مع الشيخ، وإمكانية التمرد عليه وخلعه عند الخلاف معه من قبل الفئات الاجتماعية القوية، فضمنت المعاهدات البريطانية للأسر الحليفة لها استمرار الحكم فيها لتعطل بذلك دورة وحركة التطور السياسي الطبيعي في المجتمع من خلال التدخل المباشر لفرض سلطة هذه الأسر (إن أهم نتائج انهيار الحالة الطبيعية في مجتمع الخليج والجزيرة هي توقف دور النخبات القبلية، وتبلور نظام الحكم السلالي -الوراثي- في المنطقة، كنتيجة طبيعية للنفوذ الأجنبي، إذ لم يقتصر تأثير المعاهدات على حفظ السلام بين المشايخ والأمراء، وإنما أدت إلى تثبيت سلطتهم، والاعتراف بشرعية سيادتهم على مناطقهم وشعوبهم -التي لم يكن لهم عليها أصلا أي نفوذ أو سلطة قبل تحالفهم مع الاستعمار- كأسر حاكمة، فلم يعد ظهور واختفاء الأسر الحاكمة مرتبطا بالدورة السلالية التي تكلم عنها ابن خلدون -التي قد تصل من ثلاثة إلى أربعة أجيال- أو مرتبطا بانتعاش أو انحسار التجارة والحالة الاقتصادية، بل بالمعاهدات التي وفرت لهم ولأسرهم الحاكمة الحماية الكاملة من شعوبهم ومنافسيهم من الشيوخ الآخرين، وقد تدخلت بريطانيا أكثر من مرة لحماية الحكام في المنطقة، ففي عام ١٨٦١م أعادت بريطانيا في مسقط السلطان المخلوع إلى عرشه، وقامت بتوفير الحماية له من جيوش الإمام الإباضي، كما قامت ثلاث مرات بإنقاذ حكم آل خليفة في البحرين...)[٦٤٩]، وكذا بالتدخل بالدعم المالي حين تواجه هذه الأسر عجزا ماليا، كما

(٦٤٩) المجتمع والدولة لخلدون النقيب ص٩٥-١٠٠ بتصرف يسير واختصار.

حدث ما بين سنة ١٩٤٠-١٩٤٢م حين تحملت الولايات المتحدة دفع ميزانية المملكة السعودية، وأعلنت بأن الدفاع عنها يمثل مصلحة حيوية لها، مما سمح بالتحويلات المالية الرسمية من خزانة الولايات المتحدة إلى السعودية مباشرة.[٦٥٠]

لقد أصبح الواقع السياسي اليوم لشعوب الخليج والجزيرة العربية يرضخ للإرادة الاستعمارية التي تعهدت للحكومات التي أوجدتها بضمان الحكم الوراثي لها ولمن جاء بعدها على حساب حقوق شعوبها، ولو أدى ذلك إلى شن الحروب ضد الشعوب نفسها لتظل تحت سيطرة تلك الحكومات، وكما يقول المؤرخ الفرنسي جان بيربي: (ونتيجة لتعهداتها القديمة التي تفرض عليها حماية علاقاتها وامتيازاتها، ترى بريطانيا نفسها مضطرة لحماية استقلال إمارات ومشيخات رجعية التركيب، في الوقت الذي يتطور فيه رعاياها بسرعة مذهلة ويفتحون عيونهم على ما يجري حولهم، وأي ضعف أو تهاون في المساندة البريطانية معناه انهيار نظام قائم على بضعة أشخاص مخلصين للصداقة البريطانية، وللاحتفاظ ببترول الخليج والأرباح الطائلة التي يدرها، تجد بريطانيا نفسها ملزمة أكثر فأكثر في وجوب تقديم مساندة مسلحة لكل أصدقائها في الخليج، مهما كانت نوعية تلك الدواعي، لقد عزمت وقررت نهائيا أن تربط بها مصير جميع الإمارات والمشيخات العربية الواقعة على الخليج العربي، دون أن تأخذ بعين الاعتبار كبر هذه الكيانات أو صغرها، وإنتاجها النفطي، وإمكاناتها الحياتية، في هذه المنطقة التي لا حدود لها فاصلة)[٦٥١]، وكما يقول فرد هوليداي (لقد بقي سلطان عمان في السلطة بمساعدة أصدقائه -الغربيين- وكذا أقرانه الملكيون في الدول الخليجية لا سيما في العربية السعودية)[٦٥٢].

وكما يقول الدكتور أحمد الخطيب وهو يتحدث عن دور بريطانيا في ترسيخ حكم أتباعها في المنطقة (فهم -أي الإنجليز- حكام المنطقة بلا منازع، ومشايخ المنطقة يعلمون أن بقاءهم في السلطة مرهون برضا المعازيب عنهم، وإلا فإنهم سيلاقون مصير سعيد بن تيمور، وشخبوط، وبعض حكام البحرين الذين تمت إزالتهم، فالحركة الإصلاحية في البحرين سنة ١٩٥٦م قام النظام بضربها بشدة بمشاركة

(٦٥٠) انظر المصدر السابق حاشية ص ٩٩.

(٦٥١) جزيرة العرب لجان جاك بيربي ٢٢٩.

(٦٥٢) دراسات في الشرق أوسطية ص ٩٢.

المستشار البريطاني، وهي التي قامت بنقل المساجين بسفنها الحربية إلى المنفى، كذلك تعرضت الحركة الإصلاحية في دبي لمجزرة بشعة أمام أنظار السلطة البريطانية الحاكمة دون أن يهتز لها ضمير، حيث قام حاكم دبي بدعوة أعضاء المجلس المنتخب لحفلة زواج ابنه ولما حضروا الحفل أمر قواته بإطلاق النار عليهم، فأرداهم قتلى برضا السلطات البريطانية ومباركتها، والحركة الإصلاحية في الكويت عام ١٩٣٨م ضربت بتشجيع من السلطات البريطانية، وسمحت بدخول قوات من السعودية لمساعدات السلطات في ذبح هذه الحركة، فبقاء هذه الأنظمة هو قرار بريطاني يضمن مصالح بريطانيا في المنطقة)[٦٥٣].

- تجليات أزمة الهوية اجتماعيا:

١- ربط الولاء السياسي بالأرض والحدود الثابتة عليها،كما يقول خلدون النقيب: (وهو أحد أهداف السياسة الاستعمارية البريطانية التي وضعت موضع التنفيذ بعد الحرب العالمية الأولى، مما كان له نتائج مدمرة على مجتمع الخليج والجزيرة من زاويتين: الأول: الخلاف العبثي على الحدود التي ليس لها أساس تاريخي، والجدال الذي لا يمكن حسمه حول قضية المواطنة وشروطها، في كيانات لا يفصل بينها فاصل قومي أو عرقي أو حضاري، وفي الفترة ما بين ١٨٥٣-١٨٩٩م وضعت الأسس المادية لتمزيق مجتمع الخليج والجزيرة، ليس بجيوش الاحتلال الأجنبي، وإنما بسلاح الاستقلال الوطني... وقد جاءت اتفاقية العقير سنة ١٩٢٢م لتكمل نهائيا ما بدأته معاهدة السلام الأبدي عام ١٨٥٣م -بين بريطانيا وشيوخ ساحل عمان- من تجميد لدور النخبات القبلية، فترسيم الحدود بين البلدان كان القصد منه أساسا منع القبائل -كالإخوان في نجد- أو بقية الأفراد من التنقل بحرية بين هذه البلدان، والمنع من الالتجاء إلى حاكم هربا من حاكم آخر، وكان العنصر الأشد في قوته التدميرية هو أن أيا من هذه البلدان لم يكن في يوم من الأيام طوال تاريخه سوى إقليم، ولم يمثل أي منها أمة مستقلة بحد ذاتها، حسب المفهوم الحديث للأمة والدولة الوطنية، كما أن حدود أي من هذه الأقاليم لم ترسم في أي من الأيام على الأرض، فلم تكن هناك أسس أثنية أو جغرافية، أو تاريخية، أو لغوية، لهذه الحدود، ويأتي مؤتمر العقير ليفرض أساسا جديدا على هذه البلدان حسب مقتضيات السياسة الدولية وأهواء الدول الإمبريالية -كما يقول جون مارلو-

---

(٦٥٣) الكويت من الإمارة إلى الدولة للخطيب ص ٢٠٤.

بكل اعتباطية واستهتار بتاريخ المنطقة وتطلعاتها القومية)[٦٥٤]، وعلى حد تعبير هوليداي: (تحول حكام الخليج تحت الوصاية البريطانية من أمراء في قرى ساحلية صغيرة إلى حكام دول)[٦٥٥].

٢- أنه فرض التجزئة على المنطقة وحال دون وحدتها واتحادها كهدف استعماري لاستمرار السيطرة عليها والتحكم بها، من خلال الحلقات الأساسية لاتفاقية سايكس بيكو وهي معاهدة دارين سنة ١٩١٥م بين بريطانيا وابن سعود، التي جعلت نجد محمية بريطانية مماثلة تماما لمحمياتها في الخليج، ثم في اتفاقية العقير سنة ١٩٢٢م وهي الأشد خطرا، التي تم فيها ترسيم الحدود بين دول المنطقة، بشكل لم يسبق في التاريخ وكما يعلل خلدون النقيب ذلك بقوله: (لأن اتفاقية العقير قد أدخلت ترسيم الحدود على الأرض، وربطته بمفهوم السيادة الوطنية، التي لم تكن معروفة قبل ذلك في المشرق العربي والجزيرة العربية طوال تاريخها، واحتوت بذرة العنصر المدمر الذي سيقوض الأساس الذي بنيت عليه كل المطالب القومية العربية منذ ذلك الحين إلى اليوم)[٦٥٦].

٣- كما ضمن للاستعمار الأجنبي وجوده بوجود حلفاء دائمين في المنطقة، مرتبطين به أشد الارتباط (من خلال محاور ارتكاز لأنظمة حكم مستبدة، ولكنها موالية للإدارة الاستعمارية الغربية، التي استطاعت أن تقيم محورا ثابت الولاء للغرب في الجزيرة العربية)[٦٥٧].

٤- كما أنه فرض على شعوب الخليج والجزيرة حالة من الاستبداد المطلق بالسلطة والاستئثار بالثروة، لا لأسر حاكمة كما هو الحال في بريطانيا، بل لعشائر حاكمة يبلغ عددها الآلاف من الأفراد الذين يسيطرون سيطرة شبه كاملة على مرافق الدولة الحساسة السياسية والاقتصادية والإعلامية، ولم يقبل شيوخ البحرين وقطر والإمارات تحت ضغط بريطانيا بأقل من ثلث دخل النفط لهم دون شعوبهم، بينما لا تزال السعودية وعمان لم تحسم هذه النسبة، وكما يقول هوليداي: (ربما

---

(٦٥٤) المجتمع والدولة لخلدون النقيب ٩٩ -١٠٠ و١١٠-١١٢ باختصار وتصرف يسير.

(٦٥٥) دراسات في الشرق أوسطية ص ٩٧.

(٦٥٦) المجتمع والدولة ص ١١١-١١٢.

(٦٥٧) المجتمع والدولة ص ١١٢.

يذهب ثلثا عائدات النفط في المنطقة إلى شيوخ الخليج)[٦٥٨]، لتقوم الدول في الخليج والجزيرة لا على أساس الأرض والشعب بل على أساس (الأسر الحاكمة كمؤسسات سياسية مركزية، وكل مؤسسات الدولة الأخرى هي امتداد وظيفي للأسر الحاكمة، بحيث يترجم الولاء للدولة في النهاية على أنه ولاء شخصي للأسرة الحاكمة)[٦٥٩].

ولم تكتف العشائر الحاكمة بذلك بل امتد نفوذها (للاستئثار بالسلطة والثروة وإلى منع قيام قوى اجتماعية وسياسية مستقلة عن الدولة، ومعبرة عن مصالح وطموحات فئات السكان المختلفة، فمنعت قيام الأحزاب السياسية، وحرمت قيام الحركات الاجتماعية والسياسية غير الموالية لها، وامتدت هذه الجهود إلى اختراق جميع مؤسسات المجتمع المدني، وفرض القبضة الحديدية على مناهج الدراسة في المدارس، وعلى وسائل الإعلام والتواصل الجمعي، واختراق المؤسسة الدينية واخضاعها للسلطة المباشرة لوزير الأوقاف)[٦٦٠].

لقد تحولت الدويلات في الخليج والجزيرة إلى إقطاعيات، وسكانها رعايا وعبيد لدى حكوماتها، وصارت الثروة ملكا خاصا لهم، كما تقول اليزبيث ستيفنز: (والجانب المثير في اتفاقيات الامتياز هو أنه تم توقيعها باسم الشيوخ لا باسم الدول التي يحكمونها، ويرى بعض المحللين أن شركات النفط بتوقيعها تلك الاتفاقيات مع أولئك الشيوخ جعلت موارد النفط وكأنها ملك شخصي لهم)[٦٦١]، وكما يقول بيربي عن الوضع في الجزيرة العربية: (ما زال يدير البلاد سيد، ويتصرف بالممتلكات والسكان كأنه يتصرف بأملاكه الخاصة)[٦٦٢].

٥- خلق هوية زائفة لا تعبر عن كل مكونات المجتمع بقدر ما تعبر عن فئة محدودة صغيرة، هي العشائر الحاكمة ومن حولها من الأسر الحواشي، ليتم بعد ذلك فرض هويتها الخاصة بها بثقافتها

---

(٦٥٨) دراسات في الشرق أوسطية ص ٩٢.

(٦٥٩) المجتمع والدولة ص ١٤٧.

(٦٦٠) المجتمع والدولة ص ١٤٩.

(٦٦١) العلاقات العسكرية والاقتصادية بين دول مجلس التعاون الخليجي والاتحاد الأوربي ص ١٤.

(٦٦٢) جزيرة العرب لجان جاك بيربي٦١.

وقيمها وطموحاتها العشائرية والأسرية الخاصة على كل مكونات المجتمع العربي بقوميته، والمسلم بديانته، وذلك بنسبة جميع المكونات والفئات الاجتماعية إليها، وفرض التبعية لها عليها، فالكويت نسبة إلى كوت وحصن صار ميناء صغيرا وقرية لا تتجاوز مساحتها ميل ونصف في ميل ونصف يوم أن صارت محمية بريطانية، والتي كما يقول حسن الإبراهيم: (كانت حتى عام ١٩١٤م جزءا غير متميز عن الإقليم العربي في الإمبراطورية العثمانية، ولم يكن الباب العالي مهتما ببلدة صغيرة فقيرة محاطة بصحاري شاسعة، وقد كانت السيادة مفقودة، نظرا لأن إقليم الكويت -والصحيح أنه مدينة وليس إقليما- حتى بداية القرن العشرين كان معترفا به كإقليم خاضع للنفوذ المطلق للباب العالي، وفي عام ١٩١٤م أعلنت الكويت محمية من قبل الحكومة البريطانية، وظلت حدودها غير واضحة حتى مؤتمر العقير عام ١٩٢٢م بين السعودية والعراق والكويت، والذي آل إلى تقليص الإقليم المسكون سابقا بالقبائل الكويتية)[٦٦٣]، إنها كما يقول بيربي: (دولة المدينة التي حملت اسم الكويت)[٦٦٤]، ولم يكن يطلق على ما وراء أسوار مدينة الكويت اسم الكويت، ولم تكن معاهدة الحماية البريطانية ملتزمة بحماية ما وراء أسوار مدينة الكويت، لأنها أصلا ليست من الكويت كقرية الجهراء، ثم تحولت هذه النسبة إلى هوية، وصار أهلها الذين هم جزء من شعب الخليج والجزيرة العربية شعبا مستقلا وكيانا مختلقا، وتم ضم كل الصحراء بقبائلها وسكانها إليها، ونسب الجميع إلى المدينة لا إلى الهوية الأصلية التي تعبر عن كيانهم الاجتماعي قبل هذا الضم المصطنع، فمن صاروا كويتيين بعد الجنسية والهوية الجديدة لم يكونوا كويتيين قبلها، مع أنهم كانوا سكان الأرض التي تم ضمها للمدينة، ولم يكن آباؤهم ينتمون إلى هذه الهوية والجنسية، بل كانوا ينتمون إلى أسرهم وقبائلهم ومدنهم كباقي العرب، ولم تكن الكويت بالنسبة لهم إلا مدينة من مدن وطنهم الكبير (الجزيرة العربية) وأهلها جزء منهم، كحال أهل الأحساء، وأهل حائل، وأهل الزبير... إلخ، ومع ذلك لم تصبح هذه المدن -قبل مؤتمر العقير البريطاني- دولا ولا أهلها شعبا مستقلا، لأنها لا تملك مقومات الدولة، فصارت المدن والأقاليم في جزيرة العرب دولا لأن الاستعمار أرادها أن تكون كذلك!

(٦٦٣) الكويت لحسن الإبراهيم ٢٦.

(٦٦٤) جزيرة العرب لجان جاك بيربي ٢٥٥.

وكما يقول الدكتور الإبراهيم: (إن الكويت تفتقر إلى معظم العناصر اللازمة لبناء الدولة، ومع ذلك برزت كدولة مستقلة)[٦٦٥]، وهذا أيضا حال البحرين وقطر والسعودية والإمارات وعمان!

لقد فرض الاستعمار البريطاني خريطته على المنطقة دون مراعاة حقوق شعبها ومصالحه، ولقد أصبحت بريطانيا بسبب مصالحها وتعهداتها (مضطرة أن تحافظ على زعماء هذه الدويلات الصغيرة ومساندتهم، لأن أجدادهم كانوا قد وضعوا مصيرهم بين يدي التاج البريطاني)[٦٦٦].

٦- أنه فرض حالة من التبعية والرعوية على سكان الأرض وشعبها الواحد للعشائر التي تحالفت مع الاستعمار الصليبي للمنطقة، فلم تقم العلاقة بين الحكومات والسكان على أساس مبدأ المواطنة التي تقتضي المساواة في الحقوق والواجبات بين الحاكم والمحكوم، وما يترتب على المواطنة من حق اختيار الشعب لمن يحكمه، بل قامت العلاقة على أساس التبعية المطلقة لتلك الأسر العشائرية بقوة النفوذ الاستعماري الصليبي، ومن ثم صار الحكم والسلطة حقا مطلقا لتلك العشائر وحدها، لتغيب الدولة في العشيرة! لقد صار من يمنح الهوية في الدويلات الجديدة هو شيخ العشيرة أو شيخ المدينة الصغيرة، وصارت قبائل الصحراء -التي ضمت بالتبعية للأسرة أو للمدينة، تلك القبائل التي كان امتدادها أوسع جغرافيا، ووجودها أقدم تاريخيا، وسلطة شيوخها ونفوذهم أقوى سياسيا[٦٦٧]- تحت رحمة هذه الهوية الجديدة، فلم يصبح أبناء القبائل ولا عامة السكان في المدن والمناطق الحضرية مواطنين وفق مبدأ المواطنة التي تقتضي المساواة في الحقوق والواجبات بين سكان الوطن الواحد، بل صاروا رعية تابعة لمن يمنحهم هوية المدينة أو الأسرة أو الجزيرة التي صارت دولة! فلم يكن لهذه الهوية أي قدرة على خلق الانتماء الروحي لها، لأنها لا

---

(٦٦٥) الكويت لحسن الإبراهيم ٢٠.

(٦٦٦) جزيرة العرب لجان جاك بيربي ٢٣٧.

(٦٦٧) ولا أدل على ذلك من المقارنة بين نفوذ ابن هذال شيخ شيوخ قبيلة عنزة، وعدد أفراد قبيلته التي قدر عددها المسئولون البريطانيون أثناء الحرب العالمية الأولى على أقل تقدير بربع مليون نسمة، ولها نحو خمسين شيخا، وتسيطر على مساحات شاسعة من الأرض ما بين شمال نجد والعراق وسوريا تبلغ نحو ألف ميل طولا، ومدينة الكويت التي لا يتجاوز عدد سكانها في نفس الفترة عشرة آلاف نسمة، على مساحة ميل ونصف طولا في ميل ونصف عرضا!

تعدو أن تكون مجرد اسم أسرة أو اسم مدينة لا تعبر بالضرورة عن الهوية الثقافية والتاريخية لسكان الأرض التي نسبت إليها، لتتجلى إشكالية أهل المدينة، ومواطنو الدولة، فإلى اليوم لم يتم في الكويت الاتفاق على من هو الكويتي الذي له كامل الحقوق وعليه جميع الواجبات نحو الوطن! إذ ما زال الواقع السياسي يؤكد بأن الكويتي هو فقط من كان يسكن يوما ما داخل سور مدينة الكويت التي لا تتجاوز مساحتها الميل ونصف طولا وعرضا، دون إدراك بأن الكويت (الدولة) تجاوزت حدود الكويت (المدينة) عشرة آلاف مرة لتشمل أراضي قبائل كانت تسكن على هذه الأرض منذ مئات السنين، وقبل بناء مدينة الكويت نفسها، وقبل الهجرات الوافدة إليها، وما زالت آبار تلك القبائل موجودة إلى اليوم شاهدة على ذلك، ووثائق الخارجية البريطانية، وكتب تاريخ المنطقة تؤكد هذه الحقيقة، فصحراء الكويت لم تكن خالية من السكان قط، حتى هاجر البدو إليها بعد النفط كما يشيع في الثقافة الزائفة، بل كانت تعج بعشرات القبائل العربية التي كانت تجوب هذه الصحراء شمالا وجنوبا وشرقا وغربا إلى حدود السور كقبيلة الرشايدة ومطير والعوازم والعجمان والظفير... إلخ فهذه أرض آبائهم وأجدادهم منذ أن وجد العرب على جزيرتهم العربية، حتى جاء الاستعمار البريطاني الذي فرض خريطته الحالية ليسهل له السيطرة عليها، ولهذا لم يتم تحديد حدودها إلا على أساس امتداد القبائل التي نجح مبارك في كسب ولائها، وعندما خرج مبارك الصباح لحرب ابن رشيد في معركة الصريف لم يجد سوى هذه القبائل ليشكل منها جيشه، والتي كانت تقطن في الصحراء التي ضمت بعد ذلك إلى مدينة الكويت، ومع ذلك ما زال الشعب الكويتي يعيش أزمة هوية من هو الكويتي؟ وما هي الكويت؟ هل هي المدينة وسورها؟ أم الدولة وحدودها؟ وقد كان لهذه الأزمة تداعياتها في جميع مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، أدت إلى ظهور طبقية خطيرة استأثرت فيها العشيرة الحاكمة وبعض الأسر حولها بالقرار السياسي، والثروة الاقتصادية، والتوجيه الثقافي والإعلامي، والوظائف المهمة في الدولة، على حساب الأكثرية، بدعوى أنها أحق بالكويت المدينة، مع أن الأكثرية هي الأحق بالكويت الدولة! فصار هناك مصطلح كويتي أصيل وكويتي دخيل، دون تحديد ما المقصود بالكويت فالمدينة بأسوارها لا تمثل ١/١٠٠٠٠ من نسبة مساحة الكويت الدولة بحدودها الدولية، وكل ثرواتها وحقولها النفطية هي في الصحراء التي كانت تقطنها القبائل العربية الأصيلة منذ مئات السنين، والتي صارت فجأة دخيلة في دويلات الطوائف! وهذه الإشكالية هي ما يواجهه اليوم الشعب السعودي

أيضا، فهل السعودية هي الأسرة أو العشيرة الحاكمة التي تؤمن بأن لها وحدها الحق في الحكم والسيطرة والتمتع بكل الامتيازات والثروات بما في ذلك أراضي القبائل والمدن التي توحدت على أساس الأخوة الإسلامية، أم الدولة والشعب الذي تم نسبته إليها والذي صار مرتبطا بالأسرة الحاكمة بعلاقة التبعية والرعوية، لا بعلاقة المواطنة التي تقتضي المساواة في الحقوق والواجبات؟ وهل السعودي هو ابن الأسرة الحاكمة، أم ابن الشعب والدولة التي يطلق عليها السعودية؟ وهل يتمتع السعودي الثاني بما يتمتع به السعودي الأول من حقوق؟ وهل يشعر السعودي الثاني -ابن الدولة- بالانتماء لهذه الهوية وهذه النسبة كما يشعر الأول -ابن الأسرة-؟ وهل الأرض والثروة والسلطة في نجد والحجاز والأحساء وعسير ملك للسعودي الأول أم للسعودي الثاني؟ وكذا تتجلى هذه الإشكالية في قطر والبحرين وفي كل دويلات الطوائف التي أقامتها الحملة الاستعمارية الغربية الصليبية في الخليج والجزيرة العربية!

- تجليات أزمة الهوية اقتصاديا:

١- تحجيم النشاط الاقتصادي وتعطيل نموه بسيطرة العشائر الحاكمة وأتباعها عليه بشكل شبه كامل واحتكاره لتظل لها السيطرة السياسية المطلقة على المجتمع، وكذلك استنزاف ثروات المنطقة ونهبها حتى بلغ ما تم تسجيله بأسماء أفراد من العشائر الحاكمة ألف مليار دولار (ترليون) أي ما يعادل ميزانية بلد نامي مدة ألف سنة! وقد أصبحت تلك الأموال المنهوبة مكدسة في البنوك الغربية، لتظل المنطقة من أفقر دول العالم في النمو والتطور، والسبب في ذلك كما يقول خلدون النقيب يعود إلى (هيمنة البيروقراطية المركزية على الاقتصاد والمجتمع، بشكل يمنع أو يحد من إمكانات التنمية الحقيقية خوفا من زعزعة هذه التنمية للترتيبات التي تضمن للنخبة الحاكمة استمرار استئثارها بمصادر القوة والثروة في المجتمع، والرخاء والازدهار اللذان يولدهما الدخل من النفط هما رخاء وازدهار ظاهريان، حيث أن تجزئة الوطن العربي أدت إلى خلق كيانات مستقلة، وهذه الكيانات وبخاصة في الخليج والجزيرة العربية، تمثل أسواقا محدودة جدا من حيث ضيق القاعدة الإنتاجية، ومن حيث حجم الاستهلاك، ومن حيث مجالات الاستثمار، مما شجع على تصدير رؤوس الأموال العربية إلى أسواق أوربا الغربية وشمال أمريكا، مما حرم بلدان الجزيرة العربية والمشرق العربي من فرص واسعة للاستثمار المجدي في الموارد البشرية والطبيعية والتكنولوجية، وعمق التبعية للغرب... إن الرخاء والازدهار اللذين شهدتهما بلدان الخليج

والجزيرة العربية كانا ظاهريين وسطحيين، لأنهما اعتمدا على الإنفاق الحكومي، من دون أن يصحبه توسيع للقاعدة الإنتاجية للاقتصاد)[٦٦٨]، لقد عجزت بل فشلت دول الخليج مع ثرواتها النفطية الهائلة أن تحقق ما حققته الحكومة الماليزية خلال ربع قرن من نمو وتطور جعل من ماليزيا دولة صناعية، وجعل تجربتها رائدة على المستوى العالمي، في الوقت الذي تعاني دول الخليج من أسوأ صور التخلف، حيث تعتمد المنطقة اعتمادا شبه كامل على الخارج في كل ما تحتاجه، مما يجعلها عرضة للسقوط في أي لحظة، مع أن النفط الذي هو المصدر الرئيسي والوحيد للثروة قد ينضب خلال نصف قرن، لتكتشف شعوبها أنه تعرضت لأكبر سرقة في التاريخ الإنساني تعرضت لها أمة من الأمم، دون أن يوجد البديل الصناعي القادر على أن يكون بديلا للنفط بعد نضوبه! وعلى حد قول هوليداي: (يتلقى الأمراء الجشعون ما يعرف بالخصوصية التي تبلغ نصف مليون دولار سنويا لكل واحد منهم، ولا يحظون بمحبة التجار الحجازيين، أو الجنود القبليين النجديين في القوات المسلحة، ، والتجار في الكويت والبحرين لا تروق لهم إدارة عائدات النفط التي يقوم عليها آل صباح وآل خليفة، ولا تسير الأمور في عمان على ما يرام بسبب ادعاءات التبذير)[٦٦٩]،



انتشار مظاهر الفقر في دول الخليج النفطية من تجليات أزمة الهوية اقتصاديا

وكما يقول الصنيتان عن الوضع في السعودية: (لقد نشأ ما يعرف بالأحياء الشعبية وأحزمة الفقر من ذوي الدخل المحدود... ولو أدير التدفق المالي إدارة حسنة وبمسئولية ووزع توزيعا عادلا لأصبحت المملكة قوة صناعية إقليمية، غير أن صرف المعظم منها على الهبات والأعطيات، ونفقات الأسرة الحاكمة وبعض العائلات المحدودة التي خصت برواتب ابتداء من الولادة إلى الوفاة، التي لا يوجد مبرر لتميزها من بقية قبائل وأسر المجتمع السعودي، وكذلك مخصصات

(٦٦٨) المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية للنقيب ١٦٩-١٧٠.

(٦٦٩) دراسات في الشرق أوسطية ص ١٠٤.

ونفقات وسفريات وأثاث وقصور ومصاريف وشراء أمزجة كثير من الدول أهدر فرصا لتنمية شاملة عادلة تردم الفجوة بين الطبقات)[٦٧٠].

٢- خلق واقع طبقي فئوي خطير يجعل فئات المجتمع الواحد عرضة للاصطدام، وذلك من خلال سياسة الإقصاء والتهميش لفئات اجتماعية عريضة، وحكر المناصب الوزارية والوظيفية على فئات محدودة دون أي اعتبار لمبدأ الأكفأ والأجدر، وتكاد تتجلى هذه المشكلة في كل دويلات الطوائف في الخليج العربي، وكما يقول الدكتور الصنيتان في دراسته الاجتماعية: (وعلى الرغم من التطورات النوعية ذات الصعد الاجتماعية والاقتصادية في بنى المجتمع السعودي بشرائحه وبأسره، وبالذات القبائل التي يتكون معظم السكان منها، فإن مشاركتها في النخبة الوزارية تكاد تكون معدومة على الرغم من حصول بعض أبنائها على أعلى المؤهلات العلمية، وقد بدأوا يعون لما يتعرضون له من تهميش... ومن المفارقة أن هذه الظاهرة غير الوطنية تلبس بإصرار وقصد على القبيلة بدافع تهميشها، إن الإحساس وإدراك الواقع شملا كل الأوساط المحرومة من التنمية ومن المشاركة في فرص التعليم العالي، والوظائف العليا، والحظوظ في دخول الكليات العسكرية)[٦٧١]، وقد شمل الحرمان والتهميش كما أثبتته الإحصائيات التي عرضها الصنيتان في كتابه بالإضافة إلى القبائل مناطق حائل والجوف والأحساء والجنوب... إلخ، وهذه ظاهرة خطيرة في كل دويلات الطوائف الخليجية بدأ الجميع يدرك خطورتها على وحدة المجتمعات واستقرارها، وكما يقول خلدون النقيب: (إن الاحتكار الفعال لمصادر القوة والثروة التي تمارسه النخب الحاكمة يخلق منغلقات للحراك الاجتماعي سيؤدي إلى زيادة الاحتكاك بين الطبقات والدرجات الاجتماعية، فإذا أخذنا تركيبة الحكومات والفئات العليا من البيروقراطية الحكومية، وجدنا أن التوظيف في هذه المناصب يتم من فئات معينة لا تتجاوز حدود الأسرة الحاكمة وكبار التجار، وبعض أبناء الطبقة الوسطى الذين ينتمون إلى أسر عرفت بعلاقاتها الوطيدة إما بالأسر الحاكمة، أو بكبار التجار كزبائن للمعازيب، ويقابل هذا المنغلق منغلق آخر في القطاع الخاص والمشترك، إذ يحتكر فيه أبناء الأسر الحاكمة والنخبة التجارية عضوية مجالس الإدارات في الشركات المساهمة

(٦٧٠) النخب السعودية دراسة في التحولات ص ١٤٨.

(٦٧١) النخب السعودية دراسة في التحولات ص ٥٨-٦٩.

والكبيرة... وهي منغلقات تمنع أبناء الطبقة الوسطى والدنيا من تحقيق طموحها، لما يشهدونه من استئثار النخب الحاكمة بالسلطة والثروة بشكل مثير، مما يؤذن باندلاع صراع اجتماعي واسع النطاق بين النخب الحاكمة والسكان)[٦٧٢].

لقد أدى التحول الخطير للسكان في الخليج والجزيرة العربية والفريد من نوعه في التاريخ الإنساني من حالة الارتحال والبداوة إلى الاستقرار والحضارة بشكل سريع وجماعي إلى عجز فاضح عن استيعاب المدن للسكان الأصليين للجزيرة العربية، حيث بدأ النظر إليهم على أنهم مهاجرين ودخلاء على المدن التي أصبحت فجأة دولا على أرضهم وأرض آبائهم وأجدادهم، وأصبحت الصحراء التي كانت مساكنهم منذ آلاف السنين مناطق لامتياز شركات النفط التي صارت تحاصرهم في كل مكان، لتستخرج النفط من أرضهم ومن تحت أقدامهم، غير أنهم مع كونهم يمثلون أكثر من ثمانين بالمئة من مجموع سكان دول المنطقة كلها إلا أنهم ينظر إليهم لا فقط كمهاجرين إلى المدن التي استوطنوها، بل صاروا يعاملون كمهاجرين في الدول التي قامت على أرضهم وصاروا يحملون جنسياتها! لقد فضحت الدراسات الاجتماعية مدى التمييز الخطير الذي تتعرض له الفئة الأكثر عددا والأقدم وجودا على أرض الجزيرة العربية، وعجزت الدولة المدينة، والحكومة الأسرة، في دويلات الطوائف، أن تحقق لهم العدل والمساواة في الوظائف العامة، والخدمات العامة في مناطقهم، والتمثيل العادل لهم في التشكيل الوزاري ومجالس الشورى، والبرلمانات، كما عجزت عن توزيع الثروة بشكل عادل بين السكان، حيث تم حرمان فئات عريضة منهم لصالح أسر محدودة تتمثل في الأسر الحاكمة ومن حولها، وهو ما ينذر بصراع طبقي خطير، وقد تنبأ له جان بيربي بقوله: (ليس من المعقول أن يجري القفز عشرة قرون من الزمن دون ضرر، لدى بدو هم خلايا حيوية في جسم اجتماعي، إن البدوي لا بد سائر نحو خسران قوته وسبب الحياة نفسه، والشؤم يكمن في سرعة التطور نفسها، وقد كتب روبير مونتاي بجلاء ووضوح حيث يقول: (لنسرع ونراقب اليوم وجود القبائل البدوية المتنقلة في الصحراء، إنها منذ اليوم مهددة، إن لم يكن بالزوال، فعلى الأقل بضعف مخيف)، إننا اليوم نجد كثيرا من المدافعين البسطاء يعلنون إعجابهم بنتائج اللقاء بين الحضارة الغربية والحياة البدوية في قلب الجزيرة العربية، وهؤلاء من الكتاب الأمريكيين الذين تربطهم علاقات وثيقة بالشركات البترولية التي لا تخفى على أحد، أما المراقبون

---

(٦٧٢) المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية ١٧٠ -١٧١.

الرصينون فقد فضلوا قرع نواقيس الخطر أمام هذه التطورات القسرية القاسية في التركيب الاجتماعي والاقتصادي للبدو، والانقلابات الحتمية الفائقة السرعة التي تقتلع جذور شعوب عشائرية العقلية، وهي الخميرة التي ستقوم بثورات المستقبل، والذي يقلق ليس تطور البدو وانتقالهم من البداوة إلى الحضارة، بل كون هذا التغير يقوم على ثروة مؤقتة مع العلم أن الحاجات التي ستنشأ عن التطور لا مجال للهرب منها، إن المشكلة الأساسية في الصحراء العربية أن تطورا اجتماعيا سريعا يحدث ويستمر دون أن يكون له أسس اقتصادية متينة)[٦٧٣].

٣- خلق ثقافة وخطاب ديني وثقافي زائف يضفي الشرعية على كل مظاهر الانحراف المذكورة آنفا، فالمؤسسات الدينية، والمنابر الثقافية والفكرية والأدبية، والمؤسسات التعليمية كلها توظف في إضفاء المشروعية على استبداد الأنظمة، وعلى الاستئثار بالثروة، وعلى الوجود الاستعماري العسكري الذي يسيطر عليها، وعلى الظلم الاجتماعي والتهميش المقصود لفئات واسعة من المجتمع، وعلى انتهاك حقوق الإنسان، وعلى الظلم الاقتصادي حتى صارت البنوك والمؤسسات الربوية الحكومية أكثر المؤسسات تحكما في الاقتصاد وبات عامة الأفراد في المجتمعات الخليجية تحت وطأة المديونيات، ومع ذلك لا تجد من الخطاب الديني الرسمي الحكومي أو الشعبي اعتراضا أو رفضا حازما لكل تلك المظاهر الخطيرة! لقد تم توظيف الدين نفسه في خدمة الفساد والظلم والاستبداد، وأصبحت الأنظمة في المنطقة -كما يقول هوليداي- تدعي (حماية النظام الإسلامي، وأسهل الآيات استخداما هي تلك التي تأمر بالمعروف وترشد المؤمن إلى طاعة الله والرسول وأولي الأمر، والاحتجاج بأن كل أشكال الحكم الأخرى غير الملكية معادية للإسلام كالنظام الجمهوري والديمقراطي)[٦٧٤].

إنها إشكالية في غاية التعقيد بسبب أزمة الهوية وما يترتب عليها من آثار وتداعيات، وما تشكله من ثقافة زائفة بسبب المصطلحات الخادعة التي كان للاستعمار البريطاني الصليبي اليد الطولى في اختلاقها وصياغتها وترسيخها على هذا النحو!

---

(٦٧٣) جزيرة العرب لجان جاك بيربي ٧٦-٧٨.

(٦٧٤) دراسات في الشرق أوسطية ص ٩٢.

فإنه لم تنته الحرب العالمية الأولى حتى (خضع جميع رؤساء الخليج للسيطرة البريطانية وللنفوذ البريطاني فيما يتعلق بشئون علاقاتهم الخارجية، بل إنهم مدينون إلى حد كبير بوجودهم في الحكم بفضل اتحادهم مع الإنجليز) كما جاء في منشورات الخارجية البريطانية سنة ١٩١٩م.[٦٧٥]

لقد رسخت أزمة الهوية التي تعيشها شعوب الخليج اليوم الثقافة الزائفة التي تم فرضها عليها منذ قيام الدول الحديثة، وتم خلالها طمس تاريخ سكانها وتاريخ قبائلها الأصلية التي كانت موجودة على هذه الأرض قبل قيام الدول الحديثة فيها، وقد تم ربط الشعوب بالحكومات لا العكس! وصار تاريخ المنطقة يبدأ فقط من سنة ١٩٠٠م أي منذ أن بدأ الاستعمار البريطاني مشروعه في المنطقة على يد حلفائه الذين جعل منهم بعد ذلك ملوكا وأمراء على دويلاته التي اختلقها، حتى نشأت أجيال جديدة لا تعرف تاريخها وجذورها والكارثة التي تعرضت لها، وأسباب المحنة وجذور الأزمة التي تعيشها، حتى بلغ الزيف وطمس الهوية بشكل رسمي حكومي وتعليمي وإعلامي أن يشاع -كما في الكويت- أنه لم يكن على أرض الكويت ولا في صحرائها أحد حتى بدأت الهجرات إليها، وأن القبائل الموجودة اليوم مهاجرة جاءت إلى هذه الأرض بعد ظهور النفط!

لقد أقام الاستعمار البريطاني دويلاته في الجزيرة والخليج العربي لا على أساس الدولة والشعب وعلاقة المواطنة، حيث يكون انتماء المواطن للدولة التي تتمثل بالأرض والشعب والسلطة، كما حدث في أوربا حيث قامت الدول القومية الحديثة على أنقاض الإمبراطورية الرومانية وسلطة الكنيسة حين (حطم نظام الدولة الحديثة في أوربا الإمارات الإقطاعية والطبقات حين توارت الكنيسة والولاءات الأسرية ليحل محلها الولاء للدولة ذاتها)[٦٧٦].

ولا على أساس المشاركة السياسية للشعب في علاقته بالسلطة وحقه في اختيارها ومشاركتها في إدارة الدولة كما هو حال الأنظمة في الدول الحديثة حيث (تتصف الدولة الحديثة بعقلنة السلطة، وتعديل البنيان التنظيمي، والمشاركة العامة فيها)[٦٧٧].

---

(٦٧٥) تاريخ الخليج العربي ٣/٤١.

(٦٧٦) الكويت لحسن الإبراهيم ٢٠.

(٦٧٧) الكويت لحسن الإبراهيم ٢١.

وإنما أقام الاستعمار دويلاته في المنطقة العربية على أساس الرعوية وتبعية الشعوب للمشيخات والأسر التي تحالفت معه، فأصبح سكان كل إقليم بقبائله ومدنه يخضع بقوة الاستعمار لهذه الأسرة أو تلك الأسرة، لتنشأ علاقة ممسوخة وهوية زائفة تتمثل في غياب مبدأ المواطنة ليحل محلها مبدأ التبعية والرعوية، حيث ما زالت الأسر الحاكمة في الخليج العربي ترى أن هذه الأرض التي أخضعها لها الاستعمار هي أرضها الخاصة بها لا أرض الشعب الذي كان موجودا عليها منذ آلاف السنين قبل وجود هذه الأسر!! وصارت الأسر الحاكمة تتصرف فيها وفي ثرواتها كما يتصرف الإقطاعي في أرضه، وصارت هذه الأسر هي التي تمنح من تشاء الجنسية وتسحبها ممن تشاء، فأصبح الارتباط بالأسر لا بالدول ولا بالأرض، وما زالت دويلات الخليج العربي إلى اليوم تتحكم في أخطر موضوع على الإطلاق وهو موضوع المواطنة دون وجود أي ضمانات دستورية تصون حق المواطن في جنسيته وهويته، فليس للسلطات التشريعية والقضائية أي دور في التدخل في هذا الموضوع، بل الأمر كله منوط في يد الحكومات التي تمثل الأسر الحاكمة، أكثر من تمثيلها للشعوب، وهو خلل دستوري خطير الهدف منه إخضاع شعوب المنطقة وسكانها لهذا الواقع الذي فرضه الاستعمار الغربي عليها، لقد بلغ الأمر أن يتم ابتزاز سكان الجزيرة والخليج العربي الأصليين، من خلال تهديد كل معارض بسحب الجنسية! ولم يحتج الموضوع أكثر من جرة قلم لتتحول قبيلة كاملة من أعرق قبائل الجزيرة العربية إلى لاجئين على أرضهم وأرض آبائهم وأجدادهم، لتتجلى أزمة الهوية في الخليج العربي في أوضح صورها، وليتحول سكانها الأصليون إلى (هنود سمر) تحت رحمة الأسر التي دعمها الرجل الأبيض! وهي الإشكالية التي أكدها ما ورد في تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٤م حيث ورد فيه: (لعل أقصى أشكال الإقصاء خارج المواطنة هو إمكان سحب الجنسية من المواطن العربي الذي تتيحه بعض التشريعات العربية بمقتضى قرار إداري من مسئول حكومي دون مستوى الوزير في بعض الحالات)[٦٧٨]!

لقد ظل النظام العشائري الأسري هو الذي يسيطر على نظام الحكم في الخليج العربي كما هو الحال في الكويت إلى اليوم (ولعل أفضل وصف لنظام الكويت جاء على لسان السير روبرت هاي، إذ قال: إن النظام الحكومي أسروي، وفيه يشغل أعضاء الأسرة الحاكمة مراكز الدولة العالية، وفي الواقع كان كل واحد من هؤلاء الشيوخ كيانا قائما بحد ذاته)، وهكذا فلم يكن في الكويت، كما هو الحال في الخليج

(٦٧٨) تقرير التنمية الإنسانية العربية ٢٠٠٤م، ص ٩.

العربي، أي فرق بين الحاكم والدولة (في الكويت الحاكم هو الدولة، وله وحده الحق في تخصيص العائدات وفق ما يراه مناسبا، كما يقول روبرت هاي)[٦٧٩].

وإذا كان هذا هو حال الكويت التي تعد من أكثر دويلات الخليج العربي تطورا فكيف بباقي دوله؟!

إن تاريخ سكان مدن الخليج العربي العريقة، وتاريخ سكان الصحراء تعرض للمسخ والطمس المتعمد، من أجل استمرار حالة التبعية للحكومات الحديثة، ولتهميش دور شعوب المنطقة خاصة القبائل التي كانت المؤثر الرئيس في تاريخ المنطقة كلها منذ ظهور الإسلام إلى سقوط الخلافة العثمانية، كما أنها تمثل الأغلبية، في كل دولها، حتى نجح الاستعمار في إخضاعها لحلفائه، ومع أنها تحضرت واستقرت في المدن، إلا أنها مع ذلك تتعرض لما يتعرض له الهنود الحمر في أمريكا من تهميش، وأصبح السكان الأصليون غرباء على أرض أجدادهم، كل ذلك بتأثير الثقافة الزائفة التي تم فرضها على شعوب المنطقة منذ الاستعمار البريطاني، والتي ما زالت تؤثر تأثيرا مباشرا على واقعنا السياسي؟!

وكان الحال على حد فرومكين: (فصانعوا السياسة البريطانية بعد أن قضوا على النظام القديم في المنطقة، ونشروا الجنود والمصفحات والطائرات، في كل مكان، من مصر إلى العراق، فرضوا على الشرق الأوسط تسوية لم يعد أكثرهم مؤمنا بها)[٦٨٠].

- الخليجيون والثورة العربية:

لقد أصبح العرب الخليجيون في جزيرة العرب اليوم أكثر إدراكا لأزمة الهوية التي يعيشونها، وأكثر شعورا بآثارها الخطيرة على واقعهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي والحقوقي، فهي التي أدت إلى:

١- ترسيخ الواقع الطبقي حيث تستأثر الأسر الحاكمة وحاشيتها ومن حولها بكل شيء، بالقرار السياسي والنفوذ الاقتصادي والمالي والإعلامي والوظيفي!

---

(٦٧٩) الكويت لحسن الإبراهيم ١٤٨.

(٦٨٠) ولادة الشرق ٦٢٣.

٢- ارتهان الخليج والجزيرة العربية وشعوبها وأرضها وثروتها لصالح الاحتلال الأجنبي وقواعده العسكرية ونفوذه الاستعماري، من خلال تحالفه ودعمه للأسر التي فرضها لتحكم شعوب المنطقة! ففرطت باستقلالها وأمنها، بدعوى أحقيتها المزعومة في الحكم دون إرادة شعوبها!

٣- استلاب الحرية السياسية، وانتقاص الحقوق الإنسانية، وتهميش الإنسان الخليجي، ليظل رعية تحت حكم الراعي، لا مواطنا له كما لأفراد الأسر الحاكمة كل حقوق المواطنة!

٤- تكريس تجزئة المنطقة الواحدة والشعب الواحد، ليسهل على القوى الخارجية التدخل في شئون كل بلد خليجي، وتعريض أمن المنطقة كلها للخطر، بعد أن فقدت حكوماتها أي قدرة على اتخاذ قرار سيادي تاريخي يعيد للمنطقة وحدتها وقوتها لمواجهة الخطر الخارجي، وتأمين شعوبها التي باتت في مهب الريح أمام الصراع الدولي والإقليمي (الغربي - الإيراني) على المنطقة!

لقد أصبح الخليجيون أشد رفضا لهذا الواقع وأشد إصرارا على تغييره نحو واقع أفضل يقوم على قيم إسلامية وإنسانية حيث يتساوى فيه الجميع في الأرض والسلطة والثروة والمواطنة والحقوق والواجبات، كما كان عليه واقعها قبل الاستعمار البريطاني حتى في عصور انحطاطها وتخلفها، حيث كانت العلاقة قائمة بين مكونات المجتمع الخليجي على أساس قبلي يتساوى فيه الجميع، تقوم فيه رابطة الدم بفرض قيم المساواة، ورابطة الانتماء والمدافعة عن القبيلة بفرض قيم الحرية والمشاركة بالرأي، إذ لا استبداد في ظل النظام القبلي الذي يستطيع الفرد فيه الارتحال حين تنتهك كرامته، فقد كانت القبيلة العربية تمارس حقها في اختيار من يرأسها إذا توافرت فيه صفات السيادة، كما قال الأعرابي: (لا يسود فينا الرجل حتى يحل لنا عرضه، ويوطئنا فراشه، ويملكنا ماله)، فلا يسود فيهم بخيل بماله، ولا جبان لا يستطيع القتال دونهم وحمايتهم بنفسه، ولا جهول لا يصبر عليهم بحلمه وسعة صدره، ولا أناني لا يؤثرهم بمكانه ومجلسه!

كما لا تعرف القبيلة نظام التوارث في المشيخة، بل لا يشيخ فيهم إلا من اختاروه شيخا لهم لكفاءته، حتى إذا ضعف وعجز عن القيام بمسئولياته، وتصدى لها من هو أكفأ منه انتقلت المشيخة إليه، فتنتقل من بيت إلى بيت، ولهذا يتقدم لقيادة القبيلة العربية الأكفأ والأقدر حين ترضاه القبيلة!

لقد حطم الاستعمار البريطاني تلك العلاقة ليقيم علاقة طبقية يفرض فيها الاستعمار الأسر التي تتحالف معه -بقوة الطيران والمدافع- على المجتمع، ليخلق واقعا طبقيا خطيرا شبيها بالطبقية الهرمية الهندية، كما يؤكد الدكتور اليوسف: (إن النظام القبلي أقرب إلى النظام الديمقراطي المعاصر من حيث المدافعة والمساءلة والحفاظ على حقوق الأفراد، فابن القبيلة كان يمارس دورا في قبيلته، وقبيلته كانت تمارس دورا في تجمع القبائل، فلم تكن هناك هيمنة لأحد، حتى وإن تفاوتت موازين القوى بين القبائل، فالكل كان له صوت وحق، أما النظم الخليجية الحالية فهي عبارة عن اختزال للنظام القبلي في أسرة واحدة، تخلت مع ظهور النفط والوجود الأجنبي عن بقية القبائل ماليا وأمنيا، وأصبحت -بتحالفها مع الأجنبي- تستفرد بالثروة والقرار إلى يومنا هذا، وأصبحت شبيهة بالنظام الطبقي في الهند، هذا الاختلال الذي حصل في موازين القوى بين شعوب المنطقة والأسر الحاكمة يؤكده الباحث علي الكواري بقوله: أدت تلك التغيرات إلى انتقال نظام الحكم في دول المنطقة من التحالف القبلي التقليدي حيث يكون الشيخ هو الأول بين متساوين، إلى حكم أسر يقوم على الغلبة، بسبب المعاهدات التي أبرمتها بريطانيا مع شيوخ المنطقة، وقد أدت إلى تراجع المشاركة السياسية بشكل عام، عندما ضعفت القبائل والعائلات، وقوي مركز الأسر الحاكمة)[٦٨١].

لقد أصبح الخليجيون اليوم يتطلعون إلى تحرير أوطانهم وشعوبهم من الاحتلال الأجنبي والوجود العسكري الاستعماري، وهو ما تعبر عنه حركات الرفض والاحتجاج التي تشهدها المنطقة منذ أكثر من ثلاثة عقود، وكما يقول فرد هاليداي حين تحدث عن ضعف النظم السياسية في الخليج العربي خاصة (هشاشة ما تبقى من حلفاء للغرب في المنطقة، فكل حلفاء الغرب حول الخليج عبارة عن أنظمة ملكية تحكم دون موافقة شعوبها بفساد هائل وتوزيع للثروة غير متكافئ، وقد أوضحت أحداث إيران أن الأنظمة التي تبدو مضمونة في الظاهر قد يطاح بها بسرعة عندما تبدأ الحركة الشعبية في النمو)[٦٨٢].

لقد صار المشروع الاستعماري البريطاني المتمثل في دويلات الطوائف كله عرضة للتغيير بعد أن ظهرت آثاره الكارثية، فلا هو حافظ على الوضع القائم لشعب الجزيرة والخليج العربي يوم أن خرجت

---

(٦٨١) انظر كتاب (مجلس التعاون الخليجي في مثلث الوراثة والنفط والقوى الأجنبية) للدكتور اليوسف ص ٣٥-٣٦.

(٦٨٢) السياسة السوفيتية في قوس الأزمة ٢٤.

الدولة العثمانية من المنطقة، حيث كان الجميع يمثلون شعبا واحدا، في منطقة جغرافية واحدة، وكانت كل مدينة وكل قبيلة تمثل جزءا لا يتجزأ من هذا الشعب العربي الواحد في أصله ولغته وتاريخه ودينه وثقافته، لا تحول بينهم الحواجز والحدود، ولا تفرق بينهم الألقاب والرسوم، بل كانوا أحرارا في جزيرتهم كما كانوا منذ وجودهم عليها إلى أن وحدهم الإسلام، وجعل العلاقة بينهم علاقة قائمة على الأخوة والمساواة!

ولا هو بالذي أقام واقعا جديدا تكون العلاقة فيه قائمة على أساس المواطنة التي تقتضي المساواة في الحقوق والواجبات كما هو الحال في الدولة الحديثة المعاصرة!

ولا هو بالذي حررها من الاستعمار وحماها من الخطر الأمني الخارجي!

وقد أدى ذلك كله إلى تنامي حركة الرفض لهذا الواقع الطبقي الاستبدادي الاستعماري الممسوخ الذي لن يكتب له الدوام أبدا، لأن ما أقيم على باطل فهو باطل، وهذا ما تنبأ به فرومكين حيث يقول: (أصبح الشرق الأوسط على ما هو عليه الآن من اضطراب، لأن الدول الأوربية أخذت على عاتقها أن تعيد تشكيله من جهة، ولأن بريطانيا وفرنسا أخفقتا في ضمان استمرار الأسر الحاكمة، والدول، والنظم السياسية، التي أوجدتاها، بعد أن قضتا خلال الحرب العالمية الأولى قضاء مبرما على النظام القديم في المنطقة، وحطمتا الحكم العثماني للشرق الأوسط العربي تحطيما لا خلاص منه، ولكي تأخذ الدولتان مكان النظام القديم، أوجدتا بلدانا، وعينتا حكاما، ورسمتا حدودا، وأدخلتا نظام دول، ولكنهما لم تقضيا على كل معارضة محلية هامة لقراراتهما، ولا تزال إلى يومنا هذا قوى محلية ذات بأس في الشرق الأوسط غير موافقة على هذه الترتيبات، وقد تطيح بها، إن ثمة مطالب هي أكثر صلة بالجوهر، وهذه الخلافات لا تقتصر على الحدود فحسب، بل تطرح أيضا حق الوجود لبلدان انبثقت عن القرارات البريطانية الفرنسية في أوائل العشرينات من القرن العشرين، وهذه الخلافات تذهب إلى غور أعمق، وتبحث مسائل تبدو مستعصية على الحل وهي: هل يستطيع النظام الحديث الذي ابتكرته أوربا ونقلته إلى المنطقة، ومن مميزاته تقسيم الأرض إلى دول علمانية مستقلة أساسها مواطنية قومية؟ إن الأفكار السياسية الأوربية ومنها الحكومة المدنية العلمانية، تعد عقيدة غريبة على منطقة أكد معظم سكانها، ولمدة تربو على ألف عام، إيمانهم بشريعة دينية تحكم كل جوانب الحياة، ومنها الحكومة والسياسة، لقد أقر فعلا رجال الدولة الأوربيون في زمن الحرب العالمية الأولى بوجود المشكلة

وبأهميتها، فما إن بدأ قادة الحلفاء يخططون لضم الشرق الأوسط إلى دولهم، حتى أدركوا أن سلطة الإسلام على المنطقة هي الخاصية الرئيسية للخريطة السياسية، التي يتحتم عليهم أن يجابهوها، وقد شن كيتنشر عام ١٩١٤م سياسة هدفها جعل الإسلام تحت سيطرة بريطانيا، فلما ظهر أن هذه السياسة لن تنجح، رأى معاونو كيتنشر البديل في رعاية ولاءات أخرى، لاتحاد شعوب عربية، أو لأسرة الشريف حسين، أو لبلدان كان عليها أن تخرج للوجود كالعراق، وأن تكون هذه الولاءات منافسة للوحدة الإسلامية، والحقيقة أنهم عندما صاغوا تسوية الشرق الأوسط لما بعد الحرب، كان هذا الهدف نصب أعينهم، بيد أن فهم المسئولين الأوربيين في ذلك الحين للإسلام كان ضئيلا... لا وجود في الشرق الأوسط للإحساس بالشرعية، وليس في المنطقة إيمان يشارك فيه الجميع بأن الكيانات التي تسمي نفسها بلدانا، والرجال الذين يدعون أنهم حكاما، لها أو لهم حق الاعتراف بهم كبلدان أو كحكام، ولا يمكن القول بأن الذين خلفوا السلاطين العثمانيين، قد نصبوا في مناصبهم بصفة دائمة، مع أن هذا ما اعتقد الحلفاء أنهم فاعلوه بين عامي ١٩١٩ و١٩٢٢م)[٦٨٣].

ويقول فرومكين أيضا وهو يتنبأ عن مستقبل المنطقة في ظل الأزمة التاريخية التي تعيشها سواء أزمة الهوية من جهة، أو أزمة الشرعية السياسية من جهة أخرى: (إذا استمر زخم التحديات، لتسوية ١٩٢٢م فإننا سنرى يوما ما الشرق الأوسط الذي عرفناه في القرن العشرين في وضع يشبه وضع أوربا في القرن الخامس الميلادي، عندما ألقى انهيار الإمبراطورية الرومانية في الغرب، شعوب الإمبراطورية في خضم أزمة حضارة، لقد احتاجت أوربا إلى ألف وخمسمائة عام لتحل أزمة هويتها الاجتماعية والسياسية بعد زوال الإمبراطورية الرومانية، منها نحو ألف سنة لكي يستقر النظام السياسي على شكل الدولة الأمة، ونحو خمسمائة سنة أخرى لتقرير من هي الأمم التي تملك الحق في أن تشكل دولا، وهل يكون الولاء للسلالات الأسرية، أو للدولة القومية، أو لدول المدن؟ لقد تبين أن موضوع أزمة الشرق الأوسط المستمرة في زمننا، هو مثيل موضوع أزمة أوربا الغربية، وإن لم يكن بنفس العمق وطول الزمن، فكيف تستطيع شعوب متنوعة أن تعيد تجميع نفسها لخلق هويات سياسية جديدة، بعد انهيار نظام إمبراطوري طويل العهد اعتادت عليه؟ لقد اقترحت دول الحلفاء في مطلع العشرينيات من القرن العشرين شكلا للمنطقة بعد زوال الدولة العثمانية، لكن السؤال الذي لا يزال قائما: هل تقبله

---

(٦٨٣) ولادة الشرق ٦٣٢-٦٣٣.

شعوب المنطقة؟ ولذلك فإن تسوية ١٩٢٢م لا تخص الماضي، بل هي في قلب الحروب والنزاعات والسياسات الراهنة في الشرق الأوسط)[٦٨٤].

وقد عبر عن هذه الأزمة السفير البريطاني في المملكة السعودية ألن مونرو سنة ١٩٩٦م في مقال حول أسباب عدم استقرار المنطقة فقال: (تقع المملكة العربية السعودية في منطقة عدم استقرار... إن العداوات القديمة والخلافات بقيت كما هي لارتباطها العميق بتاريخ قبائل المنطقة، وفي الحقيقة إن الوضع الحالي كان نتيجة مباشرة لما فعله الإنجليز في مؤتمر العقير، وما تلاه من تأسيس دويلات في العراق والأردن هي في الحقيقة واجهة للإنجليز لا غير)[٦٨٥].

لقد خسرت القبيلة العربية وهي المكون الرئيسي في الخليج والجزيرة أرضها وديارها الخاصة بها، ونفوذها ومكانتها الاجتماعية لا لوطن يحفظ كيانها، ويصون كرامتها، ولا لدولة يتمتع أفرادها فيها بحريتهم وحقوقهم، بل خسرت كل ذلك لصالح حكم طبقي عشائري فاسد، ولصالح أسر أصغر شأنا منها، لتتقاسم أرضها، وتمزق كيانها، وتستأثر بثرواتها، وليتحول أفرادها إلى (**عبيد بلا أغلال**) و(فداوية) عند (المعازيب)!

لقد كان للقبائل في الجزيرة العربية ديارها، فكان لكل قبيلة أرضها، التي تمتد بامتداد نفوذ عشائرها على صحرائها، ولكل قبيلة آبارها ومراعيها الخاصة بها، التي لا أحد يستطيع الشرب منها ولا النزول فيها إلا بإذنها، أو بالحرب للسيطرة عليها، كما كان للقبائل المستقرة في المدن نفوذها أيضا حيث كانت كل مدينة تمثل تجمعا قبليا أو مجموعة قبائل وأسر مستقرة، كما في مدينة حائل ومدن القصيم والعارض والأحساء والزبير وغيرها من مدن الجزيرة العربية من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال، ولم تكن الكويت والدوحة وأبو ظبي ومسقط والمنامة إلا موانئ ومدنا صغيرة بالمقارنة مع المدن الداخلية في الجزيرة العربية، كما لا مقارنة بين امتداد نفوذ القبائل وامتداد مساحة الأرض التي تسيطر عليها والمدن التي صارت دولا بعد ذلك، كما جاء في رسالة مبارك الصباح للمقيم السياسي البريطاني في

---

(٦٨٤) ولادة الشرق ٦٤٣.

(٦٨٥) قصة السيطرة البريطانية ٤٢٦.

الخليج العربي بتاريخ ١٩٠٢/١/٣٠م، حيث ذكر فيها وصول جيش ابن رشيد إلى (ديرة الظفير) التي تقع على مسافة خمسة أيام من الكويت.[٦٨٦]

وكما جاء في جواب ابن سعود على رسالة مبارك بخصوص حرب العجمان سنة ١٩١٥م وفيه: (نحن الآن في وقت القيظ ولا نتمكن فيه من أن نسير بجيش إلى ديرة العجمان)[٦٨٧].

وكما تمتد كثير من القبائل كقبيلة مطير من البحر الأحمر إلى الخليج العربي مؤكدة وحدة الجزيرة العربية من الخليج إلى البحر الأحمر، كما يقول لوريمر في كتابه الموسوعي (دليل الخليج العربي) عن قبيلة مطير وحدود أراضيها: (قبيلة عربية صرفة، في وسط الجزيرة العربية، حدودها أوسع من أي قبيلة أخرى، باستثناء عنزة، وهي القبيلة البدوية الرئيسية التي تزور القصيم، وملكية الدهناء والصمان مقصورة عليهم، وتمتد أماكن تواجدهم في الشمال الشرقي، حتى تتوغل في الكويت، فيقيمون معسكراتهم (خيامهم) الصيفية في الجهراء، وفي الجنوب الغربي يوجدون في القصيم، وفي الوشم، ووادي السر، ويصلون إلى العارض، وعلى مسافة بعيدة في المنطقة البركانية بين مكة والمدينة، وحدودهم الشمالية القصوى على الخليج، ويوجدون جنوبا في الحسا، والصمان، ويتصلون في الشمال مع عنزة، وفي الشمال الغربي مع شمر، وفي الغرب مع حرب، وعتيبة، وقحطان، والدواسر، وسبيع، وفي الجنوب مع العجمان، والمرة، وبني هاجر، والمناصير)[٦٨٨].

وهكذا كل القبائل العربية الممتدة في جزيرة العرب، والتي تؤكد بل تفرض وحدة المنطقة السياسية، وتجعل منها ضرورة اجتماعية قبل أن تكون ضرورة سياسية!

لقد كان الوضع الطبيعي بعد قيام الدويلات الخليجية وامتداد حدودها لتشمل أراضي القبائل الصحراوية وديارها أن تحافظ على وحدة القبيلة الثابتة من خلال وحدة الدولة الطارئة التي قامت على أرضها، لا أن تصبح القبيلة ووحدتها ضحية لقيام الدويلات الخليجية، لفرض ولاء مصطنع للوطن المجزوء على حساب وحدة الدم للقبيلة العربية، ليجد أبناء القبيلة الواحدة حين حدوث حرب أو نزاع

---

(٦٨٦) تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد ٧٨.

(٦٨٧) تاريخ الكويت السياسي ٢/٢١٦.

(٦٨٨) لوريمر دليل الخليج الجغرافي ٤/١٦٢٦.

بين دولتين خليجيتين أن الولاء الوطني سيكون على حساب الانتماء للقبيلة ووحدة الدم بين أبنائها، وهو ما عزز أزمة الهوية لدى المكون الرئيس للمجتمع الخليجي!

لقد كانت القبيلة وبعد أن خسرت كيانها الخاص بها تتطلع أن تقوم العلاقة في الدولة الطارئة على أساس المواطنة والمساواة في الحقوق مقابل تنازل تلك القبائل الثابتة عن أراضيها وآبارها وديارها ونفوذها، لتصبح ملكا عاما للدولة الجديدة الطارئة، ليشترك فيها الشعب كله بما فيهم أفرد القبيلة، غير أن ما حصل هو أن شيوخ المدن -التي صارت دولا في ظل المشروع البريطاني- صاروا يتصرفون في أراضي هذه القبائل والمدن التي ضمها لهم الاستعمار البريطاني على أنها ملك خاص لهم لا ملك للدولة والمال العام فيها! فصاروا يحمون الحمى لهم ولحاشيتهم وأتباعهم، ويقطعون الأراضي لمن شاءوا بعد أن كان لا يستطيع أحد المرور بها أو النزول فيها إلا بأمان من القبيلة التي تسيطر عليها إلى أن أخضعها الاستعمار البريطاني بعد سنة ١٩٢٢م؟!

لقد خسرت القبيلة أرضها فآلت ملكيتها لا إلى دولة وطنية، بل إلى أفراد وإلى أسر إقطاعية لا لشيء إلا لتحالفها مع الاحتلال الأجنبي الذي فرض بقوته العسكرية واقعا طبقيا جديدا!

لقد تم بفضل بريطانيا قلب الوضع رأسا على عقب كما يقول جون غلوب: (إن الوضع الداخلي للشرق الأوسط كان قد تحول تحولا جذريا خلال حقبة العشرينات ففي ذلك الوقت كانت كثير من البلدان العربية تضم قبائل مسلحة، وكانت الاضطرابات التي تثيرها تلك القبائل تشكل تهديدا مباشرا للنظام والقانون -أي تهدد وجود الاستعمار- ونتيجة لذلك كان سكان المدن موالين للحكومات دوما، لأنهم كانوا ينتظرون منها دوما حمايتهم من تلك القبائل، وقد استمر ذلك الوضع طيلة الوقت الذي كان باستطاعة القبائل التسلح بنفس الأسلحة التي تتسلح بها قوات الحكومة، وما إن أصبحت الحكومات العربية قادرة على أن تسلح قواتها بالأسلحة الحديثة، من الطائرات والسيارات المصفحة حتى أصبح أفراد العشائر عاجزين، ومن ثم أصبحوا موالين)[٦٨٩].

(٦٨٩) مذكرات هنري غلوب باشا ١٣٨.

لقد كان هدف بريطانيا من ذلك التقسيم بالأمس هو فرض سيطرتها على المنطقة من خلال حلفائها، فكانت تحكم المنطقة وتدير شئونها من خلالهم، تحت شعار حماية المنطقة، ونشر الديمقراطية، وتحديث الشرق الأوسط!

لقد حطمت بريطانيا الاستعمارية الشرق الذي كان الإنسان فيه أكثر تحررا قبل قدومها، لتقيم أنظمة استبدادية تخضع الشعوب للاستعمار ومشروعه، وقد كان الجنرال البريطاني في الهند جاكوب -وهو أستاذ بيلي- يؤمن بأن من مسئولية الرجل الأوربي الأبيض تحديث الشعوب الآسيوية، والسيطرة عليها، والتحكم بها، لأنها في نظره شعوب لا تستحق الحرية، حيث يؤمن (بأن حق أن يحكم الإنسان نفسه هو حق أنجلو ساكسوني، فإذا أرغمنا هؤلاء الشرقيين كي يأخذوا نصيبهم في حكم أنفسهم، فلن يثمر هذا إلا الفوضى وسوء الحكم، فالرجل الأبيض يعتبر التدخل في حقه في أن يحكم نفسه بنفسه، وتقييد حريته، أمرا بالغ الخطأ، في حين أن الآخر الشرقي حين يجبر على أن يحكم نفسه بنفسه يرى أن حيفا قد وقع عليه، وأن الطغيان قد فاض حتى بلغ مداه، إن نظرية أن للجميع حقوقا متساوية، التي يؤمن بها الأنجلو ساكسوني أمر خاطئ هنا، فالشرقي يتوقع أن يكون محكوما، وأن تحسن سياسته الحكومة التي تحكمه، وإلا ربما تمرد على هذه الحكومة وانقلب على حكامه بغية أن يغيرهم، ولكن لا يبتغي أبدا تحقيق حريته، إن مواطني الهند رغم أنهم غير مؤهلين للحكم الذاتي، وغير جديرين به، إلا إنهم يشعرون بالامتنان والولاء لمن يعمل على الارتقاء بوضعهم الاجتماعي، إنهم لا يثقون في نظرائهم كي يرتقوا سدة الحكم، ولا يرضخون لبني جلدتهم، ولكنهم يرضخون للسيد الإنجليزي الذي يشعرون بأنه الأرقى عنصرا، إننا نحكم الهند لأننا جنس أرقى من الآسيويين، وإنه لولا هذا الارتقاء الطبيعي لما استطعنا أن نحكم الهند حتى لأسبوع واحد، استبعدوا ما يشاع عن المساواة بين العنصرين، دعونا نواجه قدرنا الحقيقي كعنصر قدره السيطرة لكي نضرب لهم المثل الأعلى، وسيصبح حكمنا أكثر رسوخا)[٦٩٠].

وهي النظرية التي أثبت الشعب الهندي بطلانها بل وكل شعوب الشرق الآسيوية التي حكمت نفسها بنفسها وتحررت إرادتها من الاستعمار والاستبداد إلا العرب وحدهم!

---

(٦٩٠) سياسة الأمن لحكومة الهند ١١٤.

لقد حاول الاستعمار وحلفائه إشاعة ثقافة زائفة تبرر هذا الواقع الاستبدادي الطبقي بدعوى أن شعوب الخليج مجتمعات قبيلة لا تصلح لها الحرية، وهو ما أثبت بطلانه المستشرق برنارد لويس حيث يقول في كتابه (الحرية والعدالة في الشرق الأوسط الجديد): (جوهر الحكم في الإسلام يتمثل في العدل، فالحاكم الذي يتصف بالعدل لا بد أن يتوفر له شرطان أساسيان: الأول أن يحصل على السلطة بالحق، والثاني يجب أن يمارس هذه السلطة على أساس عادل، أي أن لا يكون غاصبا للسلطة، وأن لا يستبد بها، ولا يوجد أدنى شك من أن المساواة بين المسلمين هي من المبادئ الأساسية في الإسلام منذ نشأته في القرن السابع الميلادي، وهذا ما يميزه عن النظام الطبقي في الهند، وعن النظام الأرستقراطي في الغرب المسيحي، بل إن حقائق الواقع والسجل التاريخي يشهد حتى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كانت فرصة رجل فقير ذي مكانة اجتماعية متواضعة في الوصول إلى قمة الهرم الوظيفي والاجتماعي في الدولة الإسلامية أكبر بكثير من إمكانية حصول ذلك في كل الغرب المسيحي، بما في ذلك الولايات المتحدة وفرنسا ما بعد الثورة)، ويقول أيضا في كتابه (الإيمان والقوة) نافيا عن العرب المسلمين الطبيعة الاستبدادية: (إن أبرز ما يجده المحلل في الفكر السياسي الإسلامي الغني هو أن الحكم في الإسلام له ثلاثة ضوابط رئيسية شبيهة بالديمقراطية وهي (البيعة) التي تمنح الحاكم الشرعية، و(الإجماع) الذي يحتم المشاركة في القرار، وأخيرا (القيود) على سلطة الحاكم المتمثلة بالشريعة)[691].

وما ذكره هذا المستشرق لا يحتاج إلى أكثر من استحضار التاريخ العربي الإسلامي، واستذكار أبرز قياداته التي شاركت في صناعة تاريخه، والتي جاءت من كل مكونات المجتمع الإسلامي وعلى اختلاف قومياته، خاصة العصر المملوكي الذي تولى فيه المماليك السلطة السياسية في مصر والشام والجزيرة العربية مع أنهم في الأصل من الرقيق!

- عودة الاستعمار الغربي للجزيرة والخليج العربي:

لقد عاد الاستعمار الغربي العسكري للخليج والجزيرة العربية بشكل مباشر من جديد بعد احتلال العراق، وكان من آثاره الخطيرة استنفار دول الخليج ضد شعوبها على نحو غير مسبوق حتى تحولت

(٦٩١) باختصار وتصرف نقلا عن كتاب (مجلس التعاون الخليجي في مثلث الوراثة والنفط والقوى الأجنبية) للدكتور اليوسف ص٣٣ -٣٤.

جزيرة العرب إلى (قاعدة للجيش الأمريكي) و(سجن كبير لشعوبها)، وبلغ عدد المعتقلين في الخليج العربي جراء الاحتياط الأمني نحو ثلاثين ألف معتقل، خاصة في المملكة العربية السعودية، حيث تم زج آلاف العلماء والمفكرين والكتاب والسياسيين ورجال الأعمال في السجون بلا تهم ولا محاكمات، لا لشيء إلا لكونهم يرفضون الاحتلال الأمريكي في العراق، أو دعموا المقاومة الفلسطينية، أو يرفضون الاستبداد السياسي في المملكة، ويتطلعون كبقية شعوب العالم إلى الحرية والاستقلال!

كما تم منع الآلاف من المواطنين الخليجيين من السفر بين دول الخليج أو السفر إلى الخارج لذات الأسباب، كنتيجة طبيعة لغياب مفهوم المواطنة، ورسوخ مفهوم الرعوية التي تتصرف حكومات الخليج مع شعوبها على أساسه دون وجه حق وبدعم غربي استعماري مطلق!

لقد ظن كثير من الخليجيين بأن الغرب قد يساهم في تعزيز الحريات العامة في المنطقة، دون أن يدركوا بأن السبب وراء سجن عشرات الآلاف من الأبرياء بذريعة الاحتياط الأمني هو الاحتلال الأجنبي، الذي سيطرت قواعده العسكرية على المنطقة سيطرة كاملة بعد احتلال العراق، وبدل أن تستخدم الولايات المتحدة الأسلوب الاستعماري القديم في نفي المعارضين للجزر في البحار، اكتفت بقيام حكوماتهم بسجنهم دون تهمة ودون محاكمة ولسنوات طويلة، أو بفرض إقامة جبرية عليهم، أو بمنعهم من السفر والتنقل، حتى لا يكاد يوجد في الخليج عالم حر أو سياسي حر أو كاتب حر إلا وتعرض لشيء من ذلك في كل دول الخليج العربي!

لقد كانوا جميعا ضحايا المشروع الاستعماري الأمريكي للمنطقة، والحكومات الخليجية ليست سوى واجهة لتنفيذ ما يمليه سفراء أمريكا في الخليج بما في ذلك انتهاك حقوق الإنسان، مقابل حماية مصالحها الاستراتيجية!

ولعل أشد الأخطار التي يواجهها العرب في الخليج والجزيرة اليوم عجز دويلات الطوائف عن حماية المنطقة بقدراتها الذاتية، مع أن عدد سكانها يبلغ نحو ثلاثين مليون نسمة، ومع اليمن نحو خمسين مليون، ويعيشون على أغنى أرض في العالم كله!

لقد فقدت المنطقة استقلالها وسيادتها بسبب ضعفها وتشرذمها، وبعد الحرب العالمية الثانية صار المشروع البريطاني الاستعماري للمنطقة غير قادر على الديمومة، وعاجزا عن خدمة مصالح الغرب الاستعمارية فجاءت أمريكا اليوم بمشروع الشرق الأوسط الجديد أو الكبير لتبسط نفوذها على المنطقة بشكل مباشر مع استبقاء الحلفاء التقليديين الذين صنعهم الاستعمار البريطاني من قبل!

ومع تكريس وجود دويلات الطوائف العاجزة عن الدفاع عن نفسها وحماية شعوبها من جهة، ومنعها من الاتحاد والتحالف فيما بينها من جهة أخرى، سيبقى الاستعمار هو المؤثر الرئيس في إدارة شئون المنطقة كلها على نحو خطير على حساب الشعوب وحقوقها وحرياتها واستقلالها!

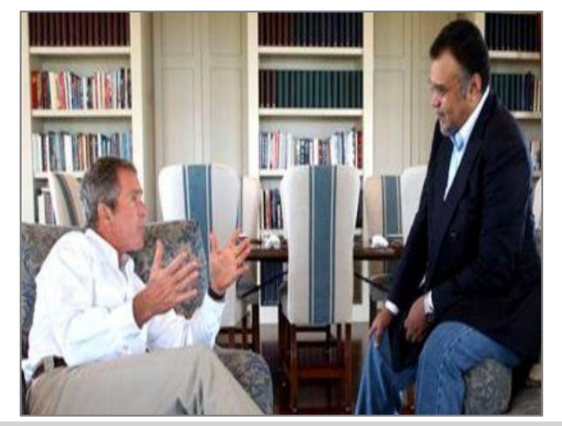
وسيبقى خمسون مليون عربي من ذرية عدنان وقحطان -وهم بقية العرب في جزيرتهم مهبط الوحي ومهد العروبة- (**عبيد بلا أغلال**) وهم يرون جزيرتهم العربية قد تحولت إلى أكبر قاعدة عسكرية للحملة الصليبية من شمالها إلى جنوبها، ومن شرقها إلى غربها يحتلها العدو ويوظف شعوبها وثرواتها لخدمة جيوشه وتأمين الطرق لها وتقديم كل دعم لوجستي يسهل من خلاله شن حروبه الصليبية على العالم العربي والإسلامي كله! وإذا دويلاتهم شاءوا أم أبوا تتحول إلى عضو في حلف النيتو ولتعقد مؤتمرات الحلف المشبوهة على أرض جزيرتهم بعد أن كانت تخرج منها جيوش الفتح الإسلامي!



جورج بوش الابن يعلن بدء الحرب على العراق ٢٠/٣/٢٠٠٣م.



بوش متحدثا وخلفه جيشه



بوش مع بندر بن سلطان وكان حينها سفير السعودية في أمريكا



دخول قوات الاحتلال الأمريكي الصليبي للعراق

من بعض فظائع جيش الاحتلال الأمريكي بحق الشعب العراقي





احتفاء حكام دويلات الخليج بجورج بوش الابن عند زيارته لهم
بعد احتلال العراق وإعلانه أنها حرب صليبية



لقد جاءت الولايات المتحدة لا لتحرر المنطقة بل لتحتلها، وبشكل مباشر باسم الاتفاقيات الأمنية، والقوات المشتركة، وباسم الحلفاء الاستراتيجيين، وللحيلولة دون حدوث أي تغيير سياسي فيها لصالح الشعوب، حتى اعترف بوش الابن بأن الولايات المتحدة دعمت الأنظمة الدكتاتورية في المنطقة مدة ستين سنة!

لقد بدأت رياح الثورة العربية المعاصرة تهب على العرب من المحيط إلى الخليج من أجل الحرية وحقوق الإنسان والحياة الكريمة، وستنجح الثورة في كل مكان، وستجد تعاطفا دوليا، إلا في الجزيرة والخليج العربي حيث ستمثل الثورة تهديدا مباشرا لا للحكومات الخليجية، بل للاحتلال الصليبي، الذي سيفرض ستارا حديدا، وطوقا على المنطقة كلها عسكريا وإعلاميا للقضاء على أي حركة إصلاح سياسي، وللحيلولة دون وصول إعصار الثورة والحرية، وسيتم إطلاق يد الأنظمة وبدعم أمريكي لتمارس كل أشكال القمع والإجرام ضد شعوبها، ولعل ما جرى في عمان والبحرين والسعودية والكويت والإمارات هو جزء يسير من المشهد -وهو ما جرى مثله تماما في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي على يد الاستعمار البريطاني كما سبق تفصيله- وقد جاء الإعلان عن ضم الأردن والمغرب لمجلس التعاون لاستكمال حلقات المؤامرة على شعب الخليج والجزيرة العربية، فالأنظمة تتهيأ للحرب على شعوبها التي تتطلع إلى الحرية وحقوق المواطنة والمشاركة ككل شعوب العالم في اختيار حكوماتها!

إن أمام حكومات الخليج فرصة للمصالحة مع شعوبها والمبادرة للاستجابة لحقوقها المشروعة وتحقيق الإصلاح السياسي المنشود قبل أن تفوت الفرصة الأخيرة!

كما إن شعب الخليج والجزيرة العربية يواجه اليوم تحد تاريخي هو الأخطر منذ سنة ١٩٢٢م، وهو ما يجعل من الدعوة إلى الوحدة والحرية والاستقلال، وتحطيم قيود العبودية وكسر تلك الأغلال، الطريق نحو استعادة العرب في الخليج والجزيرة لهويتهم ودينهم ووحدتهم وشرفهم الذي فرطوا فيه بعد عقود

من الذل والخنوع والإذلال، وعقود من الاحتلال لبلدانهم، وتمزيق أوطانهم، ومسخ أديانهم، وليس أمامهم اليوم إلا الثورة أو الطوفان!

اللَّهُمَّ {رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ} اللَّهُمَّ آمين...

الجمعة ٢٣ / ٦/١٤٣٢هـ

الموافق ٢٧ / ٥/ ٢٠١١م

الفهرس